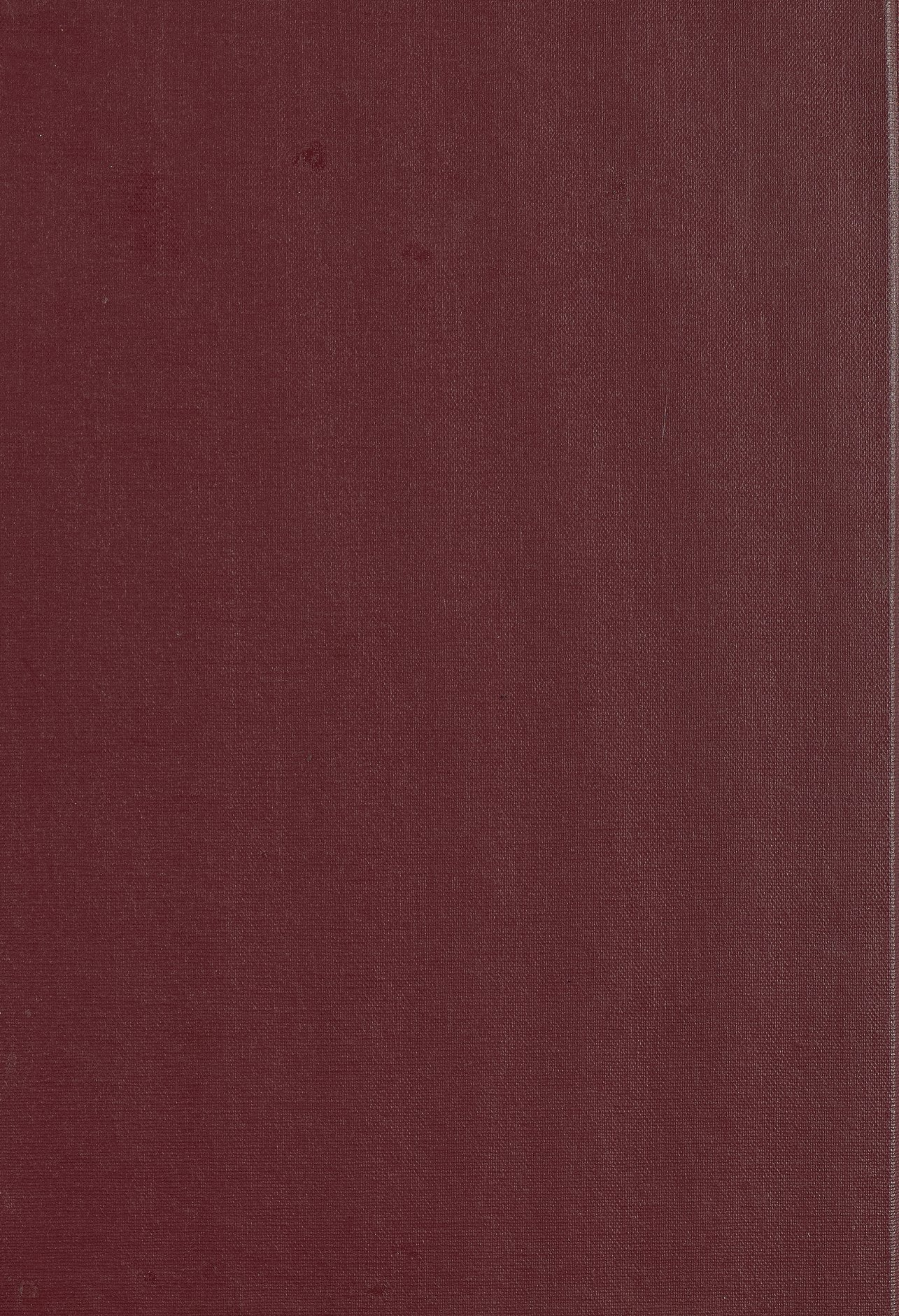
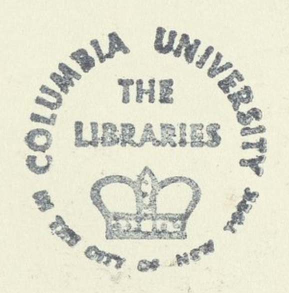






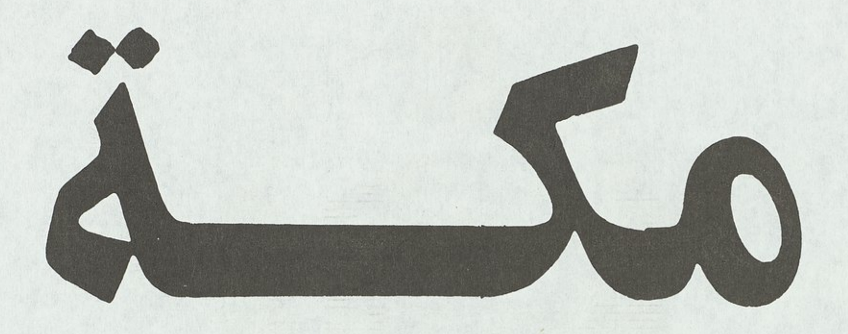



الدكتور الشيخ: محمد هادي الأميني


COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK

مكـــة





بقلم

الدكتور الشيخ

محمد هادي الأميني

اسم الكتاب : مكـــة
المؤلف : الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني
الناشر: مكتب نشر العلم والادب ـــ طهران
المطبعة : مطبعة جامعة طهران
تاريخ الطبع: الطبعة الاولى ـــ ذوالحجة ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م
الكمية المطلوبة: ٥٠٠٠ نسخة
التوزيع : دارالكتب الاسلامية



إنّ أَوّلَ بيتٍ وُضِعَ لِلناس لَلذي بِبَكة مباركاً، وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً.

آل عمران/٩٦

إنّ مَكة حرّمها الله ولم يحرّمها الناس، فلا يحل لا مرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة، فان أحد ترّخص بقتال رسول الله (ص) فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولَم يأذن لكم. وإنّما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب.

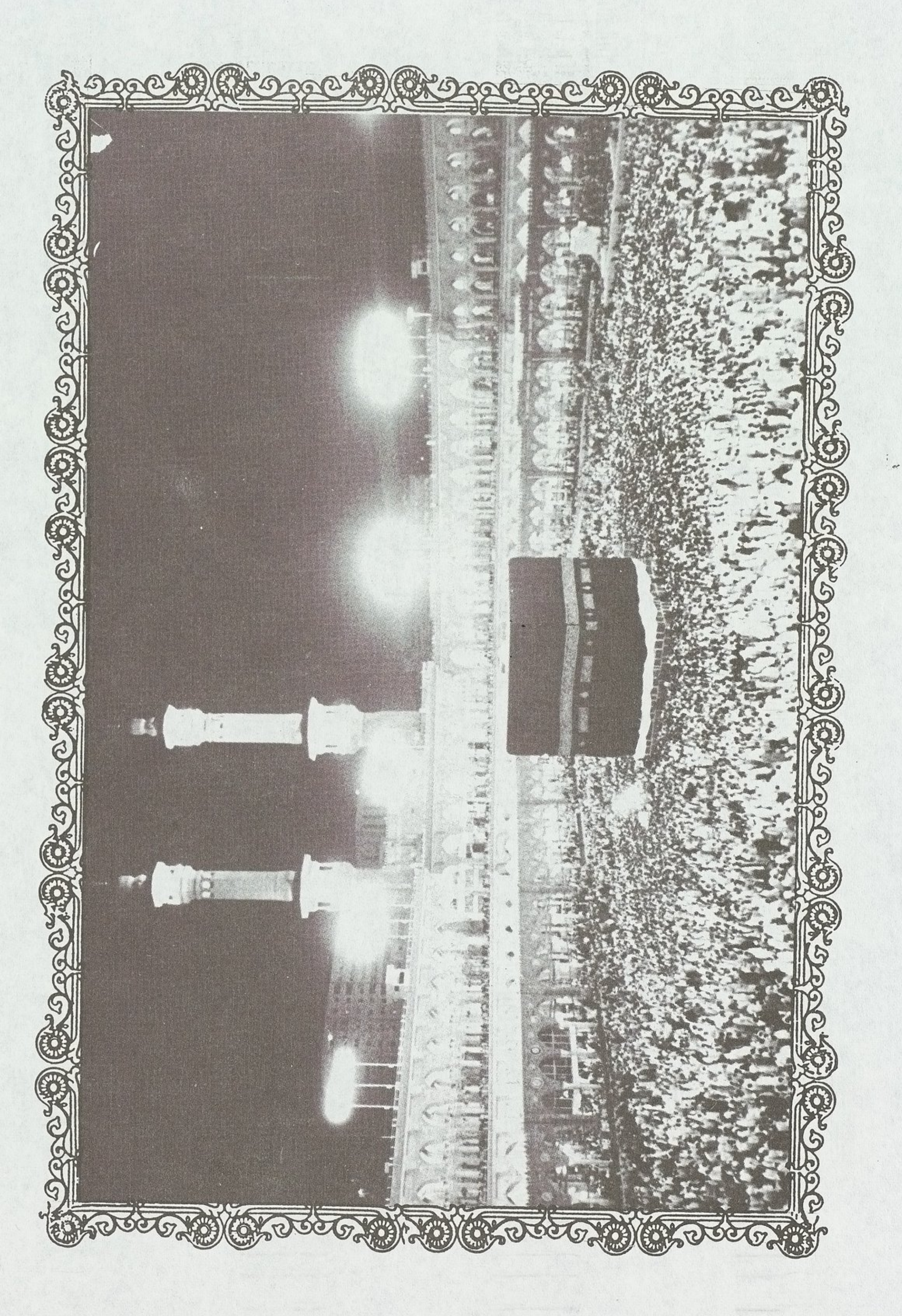
الرسول الأعظم (ص)

صحيح مسلم ٩٨٧/٢

أللهم... ارزقني حجّ بيتك الحرام في عامي هذا، وفي كل عام، ما أبقيتني في يسر منك وعافية، ولا تخلني من تلك المواقف الكريمة، والمشاهد الشريفة.

أللهم... اجعل لي في عامي هذا إلى بيتك الحرام سبيلا، حجة مبرورة متقبلة زاكية خالصة لك تقرّ بها عيني، وترفع بها درجتي.

أللهم... اكتبني من حجاج بيتك الحرام، المبرور حجهم، المشكور سعيهم، المغفور ذنوبهم، المكفر عنهم سيئاتهم.



المقدمة



لكل بحث أو كتاب قصة... قصة عن البواعث والأسباب الدافعة إلى تأليفه، وسرده، وتصنيفه، ومن ثم إعطاء صورة موجزة عن أبعاده، وجوانبه التي تناولها المؤلف أو الكاتب بالدراسة والتحليل.

أما قصة هذا الكتاب... فالعوامل الموجبة إلى تأليفه، ووضعه هي قصة مكة الدامية التي حدثت في بداية الشهر الثاني عشر من عام ١٤٠٧ الهجري. وتناقلتها وكالات الأنباء، وحملتها أمواج الأثير، إلى كافة الأنحاء المعمورة، من مشارق الأرض ومغاربها. فوقف الجميع على جوانب المجزرة الدامية وصورها التي إن دلّت على شيء فإنّما تدل على مدى تغلغل، ونفوذ، وسيطرة روح الهمجية، والوحشية، والبربرية الرعناء في أعماق وعروق وشرائين، أبطال القصة، وجزارّوها المناكير الجبناء.

قصة... لاكبقية القصص وستظل حية طرّية جديدة على امتداد التاريخ، ومادامت الإنسانية المعذّبة... والبشرّية الضعيفة المضطهدة... تتناقلها الأجيال، وتتداولها الركبان، وتثبتها المؤلفون، وتتحدث بها الأمهات والآباء، وأخيراً لاآخراً، تبكي لها الدنيا وتبكي لها الدهر...

قصة مجزرة حدثت في عصر العلم، والنور، والحضارة. في العصر الذي بلغ الإنسان فيه من العلم والمعرفة، أن قام بتسخير القمر والكواكب واستخدامها من أجل مقاصده الإستعمارية... وهي لا تقرأ ولا تودع جانبا، كلا وألف كلا... لأنها لم تكن تخص أفراداً و إنّما هي قصة شعب بكامله، وامّة بمجموعها ثارت بوجه البغي والعدوان والظلم، فحطت كابوس الديكاتورية والإستثمار والإستعباد، ودمرّت قصور الفراعنة، والطواغيت، وشقت طريقها نحو الحرية والتحرر والإنطلاق، وقادت سفينتها إلى شواطيء الأمن والسلام. بحول الله سبحانه وقوّته.

شعب واحد... وامّة إسلامية كبرى... كسرّت قيود الذّل، والاستعباد، والاستسلام، والخنوع. وقابلت وعانقت الشهادة... بالعز والشرف والفخر والإبتسام... وقدمّت القرابين والضحايا بكل اعتزاز فى سبيل عقيدتها الخالدة ورسالتها الإنسانية التي تستمد جذورها من القرآن الكريم... والشريعة السمحاء... ومازالت تواصل نضالها العقائدي، والوطني من غير أن يعتريها ضعف وهوان:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر

أجل في هذا الكتاب عرض بسيط لتاريخ مكة... التربة المقدّسة التي حدثت فيها المجزرة... واريقت عليها الدماء الطاهرة النقية... ووقعت عليها ضحايا البطش والفتك والبغي... وعذّبت فيها النفوس المؤمنة المطمئنة التي ذهبت إلى ربّها راضية مرضية...

عرض بسيط لتاريخ مكة... لأن تاريخها العريق القديم، يفتقر إلى مجلدات ومجلدات، ووقت متواصل مستمر، وصبر جميل... غير أننا توخينا الإختصار رعاية للوقت، ولأن يكون البحث متكامل الجوانب بقدر الإمكان، مع الإعتراف انّه لم يكن بصورة كاملة وبشكل أو فى، بعد أن وضعت حول تاريخ مكة مجلدات، ومؤلفات كثيرة خلال القرون السالفة.

والله سبحانه وتعالى أسأله التوفيق والعون، لما فيه عزالإسلام وخيرالمسلمين، وصلاحهم، ونصرتهم، إنّه نعم المولى والنصير.

وآخر دعوانا أن الحمدلله ربّ العالمين.

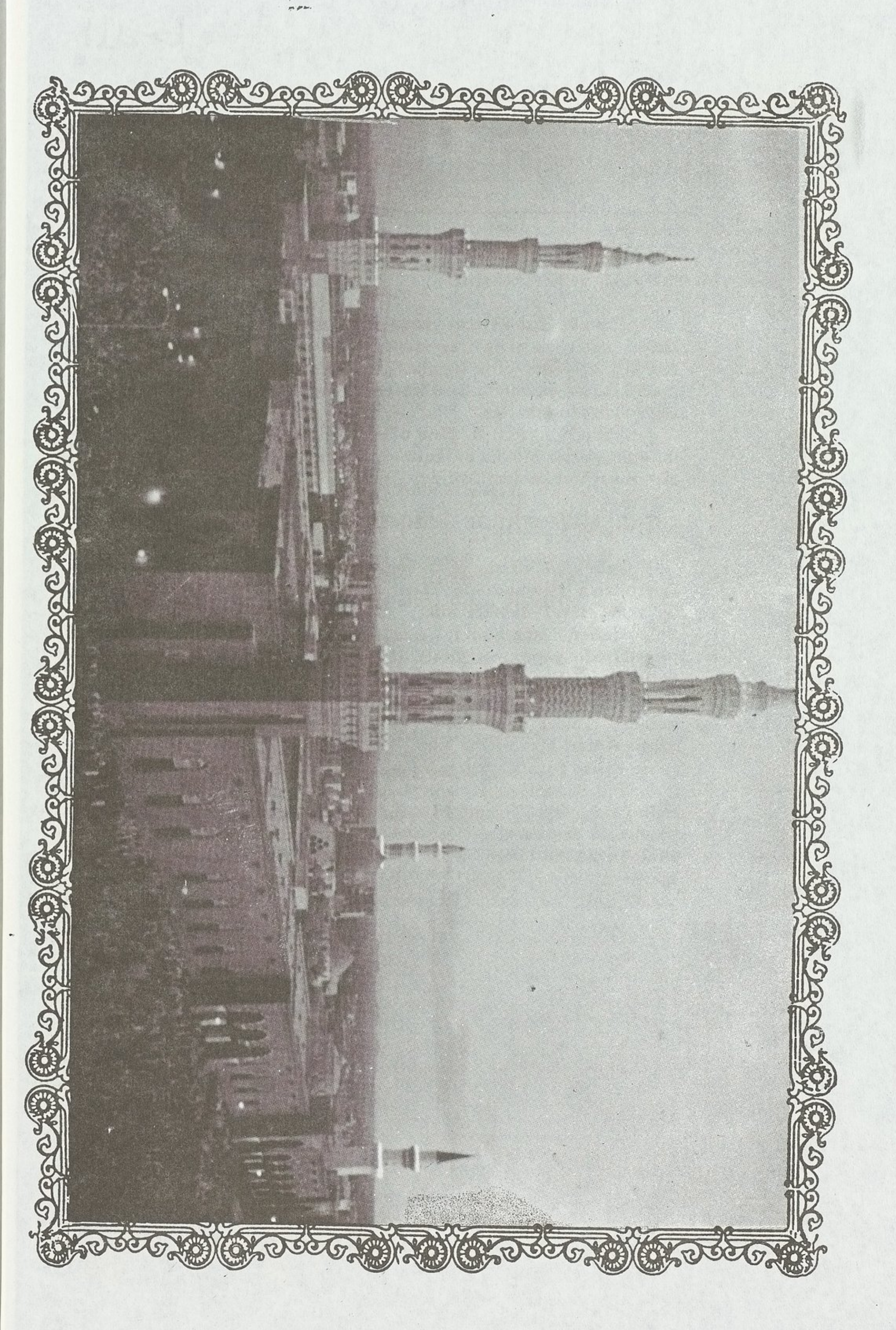
١٤٠٨ هجـ

١٣٦٧ شمـ

محمد هادي الأميني

ألمدخل

مكــة



اذا كان لكل القضايا والأحداث، محورا أساسياً تبتنى عليه، وتنطلق وتصدر منه و إليه تعود... ولكل قطر وبلدة وحاضرة أمّاً لها الشرافة، والجلالة، والعظمة، والكبرياء على غيرها من المدن والبقاع في الشرق والغرب... فبحق ينبغي أن تكون مكة، منذ تدرج الإنسان على الأرض أم الأقطار، والبلاد، والحواضر العالمية، كما هي فى الواقع لا امُّ القرى فحسب. وقد سميت بهذا الأسم لأنها أصل كل بلدة، ومنها دحيت الأرض ولهذا المعنى يزار ذلك الموضع، من جميع نواحي الأرض. بالاضافة إلى أنها (أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين، فيه آيات بينات، مقام ابراهيم، ومن دخله كان آمنا (١) لذلك نجد كافة الأقطار بصورة عامة تتجه فيها النفوس المطمئنة الآمنة المستسلمة لله الواحد الأحد... في اكثر الأحايين إلى أمها تستلهم منها المتعة المعنوية، والحيوية الروحية، شأن الرضيع الذي يستعطف أمه في حالات إفتقاره إلى الارتواء والتغذية.

إنّ مكّة... أو بكة... أو امُّ القرى... (٢) مازالت منذ قدم الإنسانية محوراً لكافة الأمصار لما تضم في قلبها أوّل بيت وضع للناس مباركاً، وهدى للعالمين ومن دخله كان آمنا... ولا يدّل هذا القول على أنه أوّل بيت خلقه الله تعالى، ولا أنه أول بيت ظهر في الأرض، بل ظاهر الآية على أنه أول بيت وضع للناس، وكونه موضوعا للناس يقتضي كونه مشتركاً فيه بين جميع الناس. فأما سائر البيوت فيكون كل واحد منها مختصا بواحد من الناس، فلا يكون شيء من البيوت موضوعاً للناس. وكون البيت مشتركا فيه بين كل الناس لا يحصل الاّ اذا كان البيت موضوعاً للطاعات، والعبادات، وقبلة للخلق. فدّل قوله تعالى: (إنّ أوّل بيت وضع للناس) على أنّ هذا البيت، وضعه الباري سبحانه موضعاً ومكانا للطاعات والخيرات والعبادات والقربات، فيدخل فيه كون هذا البيت قبلة وكعبة للصلوات، وموضعاً خاصا للحجّ، ومحلا ومكانا يزداد ثواب وأجر العبادات والطاعات فيه، (وأذن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوّفوا بالبيت العتيق. ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له) (٣).

هذا وقد جاء أنّ المراد كونه أولاً في الوضع والبناء، وأن يكون المراد كونه أولا في كونه مباركاً وهدى. وهنا للمفسّرين قولان:

١ ـ أنه أول في البناء والوضع كما جاء عن الإمام محمد الباقر عليه السلام عن آبائه عن النبيّ (ص) قال: إنّ الله تعالى، بعث ملائكته فقال: إبنوا لى في الأرض بيتاً على مثال البيت المعمور، وأمر الله تعالى من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، وهذا كان قبل خلق آدم.

وأيضا: ورد في سائر كتب التفاسير عن عبدالله بن عمر، ومجاهد، والسدي، أنه أول بيت وضع على وجه الماء عند خلق الأرض والسماء، وقد خلقه الله تعالى قبل الارض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء، ثم دحيت الارض تحته. قال القفال: في تفسيره، روى حبيب بن ثابت، عن ابن عباس أنه قال: وجد في كتاب موضوع في المقام أو تحت المقام فيه: (أنا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر، وحرمتها يوم وضعت هذين الحجرين، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء).

ب ـ أنّ آدم (ع) لما أهبط إلى الأرض شكا الوحشة فأمره الله تعالى ببناء الكعبة، وطاف بها ودام إلى عهد نوح (ع) فلما أرسل الله الطوفان، رفع البيت إلى السماء السابعة حيال الكعبة، يتعبد عنده الملائكة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك سوى من دخل من قبل فيه. وبعد الطوفان إندرس موضع الكعبة وبقى مختفياً إلى أن بعث الله سبحانه جبريل إلى ابراهيم (ع) ودلّه على موضع البيت ومكانه، وأمره بعمارته فكان في الحقيقة المهندس الخبير جبريل، والبناء ابراهيم، والمساعد اسماعيل (ع).

ومهما يكن من أمر فالكعبة حسب مفهوم الروايتين، كانت موجودة في زمان آدم (ع) وهو الصحيح، لبواعث أساسية:

١ ـ أن تكليف الصلاة كان لازما في كافة أديان الأنبياء عليهم السلام، كما دلت عليه الآية الكريمة: (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذريّة آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذريّة ابراهيم و إسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكيا (٤) فالأنبياء كانوا يسجدون لله، والسجدة لا بد لها من قبلة، فلو كانت قبلة هؤلاء الأنبياء موضعاً آخر غير الكعبة لبطل والعياذ بالله قوله: (إنّ أوّل بيت وضع للناس ببكة) فيجب القول: إنّ قبلة أولئك الأنبياء المتقدّمين هي الكعبة، فدل هذا على أن هذه الجهة كانت منذ القدم والأبد، مشرفة مكرّمة.

٢ ـ أنّ الباري سبحانه عبر عن مكة بأمّ القرىٰ في قوله: (وهذا كتاب أنزلناه

مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أمّ القرى ومن حولها، والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون (٥) وتقتضي الآية أنها كانت سابقة على سائر البقاع، والأمصار في الفضل والشرف منذ كانت موجودة.

٣ ــ قول رسول الله (ص) في خطبته يوم فتح مكة: ــ إنّ هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ــ (٦) وتحريم مكة لا يمكن الّا بعد وجود مكة.

٤ ــ إنّ الآثار والأخبار الواردة عن النبي الأقدس (ص) وأهل البيت الطاهر عليهم السلام، والصحابة والتابعين، فيها دلالة صريحة وحجة. كافية أنها كانت قبل عهد إبراهيم (ع). وجاء في خبر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رجلاً قال له: أهو أول بيت؟ قال: لا قد كان قبله بيوت، ولكنه أوّل بيت وضع للناس مباركاً فيه الهدى، والرحمة، والبركة، وأول من بناه إبراهيم، ثم بناه قوم من العرب من جرهم، ثم هدم فبناه العمالقة وهم ملوك من أولاد عمليق بن سام بن نوح، ثم هدم فبناه قريش (٧).

هذا وقد قيل من قبل أن شرف المكان بالمكين... وقد تشرّفت أرض مكة بالبيت بالمجاورة، وعمت قد سيته وافضليته وشرافته وجلالته جميع نقاطها، وأصبحت بمجموعها ذات أمن وأمان وشرافة وهداية وعظمته، تخص الناس جميعاً من دون تمييز أو تفاضل، لأنها كما مرالقول منا وضع للناس أجمع. وإلى هذا المعنى تشير الآيات الكريمة في قوله تعالى: **(وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنا)** (٨) يعنى مكة وما حولها من الحرم. وقوله: **(وإذ قال ابراهيم ربّ اجعل هذا بلداً آمنا)** (٩) أي مكة بلداً آمنا ذا أمن كما يقال: بلد آهل أي ذو أهل. وقيل: معناه يأمنون فيه كما يقال: ليل نائم إي ينام فيه. قال ابن عباس: يريد حراماً محرماً لايصاد طيره، ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاؤه. وإلى هذا المعنى يؤول ماروي عن الإمام الصادق عليه السلام من قوله: من دخل الحرم مستجيراً به فهو آمن. من سخط الله عزّوجل، ومن دخله من الوحش والطير كان آمنا من أن يهاج أو يؤذى، حتى يخرج من الحرم (١٠). و قوله تعالى: **(والتين والزيتون. وطور سينين. وهذا البلد الأمين)** (١١) يعني مكة البلد الحرام يأمن الخائف في الجاهلية والأسلام، فالأمين يعني المؤمن، يؤمن من يدخله. وقيل: يعني الأمن (١٢).

* * *

هنا بين المفسرين، نقاش حاد حول لفظ مكة... وبكة... واشتقاقها، فنهم من قال: بكة، ومكة إسمان لمسمى واحد، والعرب تبدّل الباء ميماً لأنهما حرفان متقاربان في

المخرج، فيقام كل واحد منها مقام الآخر، فيقال: هذه ضربة لازم، وضربة لازب. ويقال: هذا دائم ودائب، ويقال: راتب وراتم. ويقال: سمد رأسه، وسبده. ومنهم من ذهب القول: أنّ مكة الحرم كله، ويدخل فيه البيوت. وبكة المسجد. وجاء: بكة موضع البيت والمطاف، ومكة إسم البلدة وعليه الأكثر (١٣).

كما أن في اشتقاق بكة وجهان:

١ ــ أنه من البك الذّي هو عبارة عن دفع البعض بعضاً. يقال: بكه يبكه إذا دفعه وزحمه. وتباك القوم إذا ازدحموا. فلهذا قال سعيد بن جبير: سميت مكة بكة، لأنهم يتباكون فيها أي يزدحمون في الطواف. وذهب إلى تصحيح هذا لإمام محمد الباقر عليه السلام، ومجاهد، وقتادة. قال بعضهم: رأيت محمد بن علي الباقر يصلي فمرت أمرأة بين يديه، فذهبت أدفعها، فقال: دعها فإنها سميت بكة لأنه يبك بعضهم بعضاً. تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي، والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي، لا بأس بذلك في هذا المكان. فبكة مزدحم الناس للطواف وهو ما حول الكعبة، من داخل المسجد الحرام (١٤).

وفي حديث مجاهد: ــ من أسماء مكة: بكة. قيل: بكة موضع البيت، ومكة سائر البلد (١٥).

٢ ــ سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة والطواغيت، أي تدقها. لا يريدها جبار وظالم بسوء، إلّا إندقت عنقه. قال قطرب: تقول العرب بككت عنقه أبكه بكا، إذا وضعت منه، ورددت نخوته. أو أنها تبك أعناق الجبابرة، إذا ألحدوا فيها بظلم ولم يمهلوا. والبك دقّ العنق (١٦).

وهناك رأي تفرّد به صاحب مجمع البحرين، فقال: وروي سميت بكة لبكاء الناس حولها وفيها (١٧).

وفي إشتقاق لفظ مكة وجوه أثبتوها وهي:

١ ــ أن اشتقاقها من الملك لأنها تمك الذنوب أي تزيلها كلها. من قولك أمتك الفصيل ما في ضرع الناقة، إذا مص مصاً شديدا حتى لا يبقى منه شيء. ومك المشاش مكا إذا تمشش بفيه.

٢ ــ سميت بذلك لا جتلابها الناس من كل جانب من الأرض. ويقال: تمكمكت العظم، إذا استقصيت مافيه.

٣ ــ عرفت بمكة لقلة مائها، كأن أرضها أمتكت ماء ها.

٤ ــ قيل: إنّ مكة وسط الأرض والعيون والمياه، تنبع من تحت مكة. فالأرض كلها تمك من ماء مكة. إلى غيره من الوجوه التي لايمكن الإعتماد عليها، وأخذها بعين الإعتبار والصحة.

وقال الأكثرون: مكة إسم للمسجد، والمطاف. وبكة إسم البلد، والدليل عليه أن قوله تعالى: (للذي ببكة) يدّل على أن البيت حاصل في بكة، ومظروف في بكة، فلو كان بكة إسماً للبيت لبطل كون بكة ظرفا للبيت. أما اذا جعلنا بكة إسماً للبلد، استقام هذا الكلام (١٨).

وقد عبرّالله سبحانه عن الكعبة بثلاثة أسماء في القرآن الكريم وهي:

١ ــ الكعبة، قال تعالى: (**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام**) (١٩) قال المفسرون: سميت الكعبة كعبة لتربيعها، و إنّما قيل للمربع كعبة، لنتوء زواياه الأربع، والكعوبة النتوء، ومنه كعب الانسان النتوئه، وكعبت المرأة إذا نتأثديها. وكعبت بمعناه، والعرب تسمى كل بيت مربع كعبة. وقيل: سميت كعبة لا نفرادها عن البنيان، وهذا أيضا يرجع إلى الأول، لأن المتفرّد من البنيان كعبة لنتوئه من الأرض. وقيل: أنّ هذا الأسم يدّل على الإشراف والإرتفاع، وسمي الكعب كعباً لإشرافه و إرتفاعه على الرسغ، ولما كان هذا البيت أشرف بيوت الأرض وأقدمها زماناً وأكثرها فضيلة سمي بهذا الإسم.

٢ ــ البيت العتيق، قال سبحانه: (**ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفّوا بالبيت العتيق**) (٢٠) و قال أيضاً: (**لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق**) (٢١) فجاء في إشتقاقه أنّ الكعبة إنما سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من أن يكون ملكاً لأحد من المخلوقين، ومن أن يملكه العبيد بصورة عامة، وهذا القول ذهب اليه مجاهد، وسفيان بن عيينة، وأبي مسلم، وعليه أكثر المفسرين من الخاصة والعامة.

وجاء: إنما سمي عتيقاً لأنه أعتق من أن تصل الجبابرة إلى تخريبه، وما قصده جبار في الجاهلية والاسلام، إلّا أهلكه الله تعالى.

وقيل: العتيق معناه القديم، وأنه أقدم بيوت الأرض بل عند بعضهم، أن الله خلقه قبل الأرض والسماء. وجاء أن الله أعتقه من الطوفان، فغرقت الأرض بتمامها حيث رفعه إلى السماء. وقيل: أنه عتيق بمعنى أن كل من زاره أعتقه الله تعالى من النار.

٣ ــ المسجد الحرام، قال تعالى: **(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انّه هو السميع البصير)** (٢٢) والمراد بالمسجد الحرام هنا مكة، ومكة والحرم كلها مسجد. وقال الحسن، وقتادة، وكان الاسراء من نفس المسجد الحرام. والمقصود بالمسجد الحرام، الحرم لإحاطته بالمسجد، والتباسه به. وعن عبدالله بن عباس، الحرم كله مسجد (٢٣).

ويقول أبوالوليد الأزرقي، في تاريخه بهذا الصدد: وكانت مكة لا يقر فيها ظالم، ولا باغ ولا فاجر إلّا نفي منها، وكان نزلها بعهد العماليق وجرهم، جبابرة فكل من أراد البيت بسوء، أهلكه الله فكانت تسمى بذلك الباسة.

ويروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أنه قال: سميت بكة لانها كانت تبك أعناق الجبابرة.

وحدثني جدي قال: ويروى عن عبدالله بن الزبير انه كان يقول: سمي البيت العتيق لانه عتق من الجبابرة أن يبسطوا عليه.

وحدّثني جدي، وابراهيم بن محمد الشافعي، قالا: حدّثنا مسلم بن خالد الزنجي، عن إبن خيثم، قال: كان بمكة حيّ يقال لهم العماليق، فأحدثوا فيها أحداثاً فجعل الله تعالى يقودهم بالغيث ويسوقهم بالسنة، يضع الغيث أمامهم فيذهبون ليرجعوا فلايجدون شيئاً، فيتبعون الغيث، حتى ألحقهم بمساقط رؤس آباءهم، وكانوا من حمير، ثم بعث الله عليهم الطوفان. قال أبوخالد الزنجي: فقلت لا بن خيثم: وما الطوفان؟ قال: ألموت.

حدثني جدّي عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء، عن إبن عباس، إنّه كان بمكة حيّ يقال لهم العماليق، فكانوا في عزة وكثرة وثروة، وكانت لهم أموال كثيرة من خيل، و إبل وماشية ترعى بمكة وما حولها، من مر ونعمان وما حول ذلك، وكانت الخرف عليهم مظلة (٢٤)، والأربعة (٢٥) مغدقة، والأودية نجال (٢٦) والعضاة (٢٧) ملتفة، والأرض مبقلة، وكانوا في عيش رخيّ، فلم يزل بهم البغي والإسراف على أنفسهم، والإلحاد بالظلم، واظهار المعاصي، والإضطهاد لمن قاربهم، ولم يقبلوا ما أوتوا بشكر حتى سلبهم الله تعالى ذلك، فنقصهم بحبس المطر عنهم، وتسليط الجدب عليهم، فكانوا يكرون بمكة الظل ويبيعون الماء، فأخرجهم الله تعالى من مكة بالذرّ سلطه عليهم، حتى خرجوا من الحرم فكانوا حوله، ثم ساقهم الله بالجدب يضع الغيث أمامهم ويسوقهم بالجدب حتى ألحقهم الله تعالى بمساقط رؤس آباءهم، وكانوا قوماً عرباً من حمير فلما دخلوا بلاد اليمن، تفرّقوا فأبدل الله تعالى الحرم بعدهم جرهم، فكانوا سكانه حتى بغوا

فيه، واستخفوا بحقه، فأهلكهم الله عزّوجل جميعاً.

حدّثني جدّي، قال: حدّثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن الكلبي، عن أبي صالح، قال: لما طالت ولاية جرهم إستحلوا من الحرم أموراً عظاما، ونالوا مالم يكونوا ينالون، واستخفوا بحرمة الحرم، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدا إليها سرا وعلانية، وكلماعدا سفيه منهم على منكر، ماوجدمن أشرافهم من يمنعه ويدفع عنه، وظلموا من دخلها من غير أهلها، حتى دخل رجل منهم بامرأته الكعبة، فيقال: فجربها أو قبّلها فمسخا حجرين، فرّق أمرهم فيها، وضعفوا وتنازعوا أمرهم بينهم، واختلفوا وكانوا قبل ذلك من أعزّ حي في العرب، وأكثرهم رجالاً وأموالا وسلاحاً وأعز عزاً، فلما رأى ذلك رجل منهم، يقال له: مصاص بن عرو بن الحارث بن مصاص بن عمرو قام فيهم خطيباً فوّعظهم وقال:

ــ يا قوم إبقوا على أنفسكم، وراقبوا الله في حرمه وأمنه، فقد رأيتم وسمعتم من هلك من صدر هذه الإمم قبلكم قوم هود، وقوم صالح، وشعيب، فلا تفعلوا وتواصلوا، وتواصوا بالمعروف وانتهوا عن المنكر، ولا تستخفوا بحرم الله تعالى، وبيته الحرام، ولا يغرّنكم ما أنتم فيه من الأمن، والقوة فيه. وإياكم والألحاد فيه بالظلم، فانّه بوار، وأيم الله لقد علمتم إنّه ما سكنه أحد قط فظلم فيه وألحد، إلّا قطع الله وجل دابرهم، واستأصل شأفتهم وبدّل أرضها غيرهم. فاحذروا البغي فإنّه لابقاء لأهله، قد رأيتم وسمعتم من سكنه قبلكم من طسم، وجديس، والعماليق، ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد قوة، وأكثر رجالاً وأموالاً وأولاداً.

فلما استخفوا بحرم الله، وألحدوا فيه بالظلم أخرجهم الله منها بالأنواع الشتى، فمنهم من أخرج بالذرّ، ومنهم من أخرج بالجدب، ومنهم من أخرج بالسيف، وقد سكنتم مساكنهم، وورثتم الارض من بعدهم. فوقّروا حرم الله، وعظموا بيته الحرام، وتنزهوا عنه، وعمّا فيه ولا تظلموا من دخله، وجاء معظما لحرماته وآخر جاء بايعاً لسلعته أو مرتغبا في جواركم، فإنكم إن فعلتم ذلك تخوّفت أن تخرجوا من حرم الله خروج ذلّ وصغار، حتى لايقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم ولا إلى زيارة البيت الذّي هو لكم حرز وأمن والطير والوحوش تأمن فيه.

فقال له قائل منهم، يرّد عليه يقال له مجدّع... من الذّي يخرجنا منه ألسنا أعز العرب وأكثرهم رجالاً وسلاحاً؟ فقال له مصاص بن عمرو: اذا جاء الأمر بطل ما تقولون.

فلم يقصروا عن شيء مما يصنعون. فلما رأى مصاص بن عمرو بن الحارث بن مصاص، ما تعمل جرهم في الحرم وما تسرف من مال الكعبة سرّاً وعلانية، عمد إلى غزاليز

كانا في الكعبة من ذهب، وأسياف قلعية فدفنها في موضع بئر زمزم. وكان ماء زمزم قد نصب وذهب لما أحدثت جرهم فى الحرم ما أحدثت حتى غبى مكان البئر ودرس. فقام مصاص بن عمرو، وبعض ولده في ليلة مظلمة فحفر في موضع زمزم وأعمق ثم دفن فيه الأسياف والغزالين، فبيناهم على ذلك إذ كان من أمر أهل مأرب ما ذكر انّه ألقت طريفة الكاهنة (٢٨) الى عمرو بن عامر الذّي يقال له: مزيقياء بن ماء السماء، وهو عمرو بن عامر ابن حارثة (٢٩) وكانت قد رأت في كهانتها أنّ سد مأرب سيخرب وأنه سيأتي سيل العرم، فيخرّب الجنتين فباع عمرو بن عامر أمواله، وسار هو وقومه من بلد إلى بلد لا يطئون بلداً الّا غلبوا عليه، وقهروا أهله حتى يخرجوا منه.

فلما قاربوا مكة ساروا، ومعهم طريفة الكاهنة، فقالت لهم: سيروا واسيروا فلن تجمعوا أنتم ومن خلفتم أبداً فهذا لكم أصل وأنتم له فرع. ثم قالت: مه مه وحق ما أقول ما علمني ما أقول، إلّا الحكيم المحكم ربّ جميع الإنس والجن من عرب وعجم. فقالوا لها: ما شأنك يا طريفة؟ قالت: خذوا البعير فخضبوه بالدم تلون أرض جرهم جيران بيته المحرّم. قال: فلما انتهوا إلى مكة وأهلها جرهم وقد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسماعيل وغيرهم، أرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر، يا قوم إنّا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزل بلداً إلّا فسح أهلها لنا وتزحرحوا عنا فنقيم معهم حتى نرسل روّادنا فيرتادون لنا بلداً يحملنا، فافسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح، ونرسل روّادنا إلى الشام و إلى الشرق، فحيث ما بلغنا إنه أمثل لحقنابه وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيرا.

فأبت جرهم ذلك إباءاً شديداً، واستكبروا في أنفسهم، وقالوا: لا والله ما نحب أن تنزلوا معنا فتضيقون علينا مراتعنا ومواردنا، فارحلوا عنا حيث أحببتم فلا حاجة لنا بجواركم. فأرسل إليهم ثعلبة انّه لا بد لي من المقام بهذا البلد حولا حتى يرجع إلّي رسلي التي أرسلت فان تركتموني طوعاً نزلت وحمدتكم وواسيتكم في الرعي والماء، وان أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم ترتعوا معي إلّا فضلا ولن تشربوا الّا رنقا (٣٠) و إن قاتلتموني قاتلتكم ثم إن ظهرت عليكم، سبيت النساء وقتلت الرجال، ولم اترك أحداً منكم ينزل الحرم أبدا.

فأبت جرهم أن تتركه طوعاً وتعبئت لقتاله فاقتتلوا ثلاثة أيام، وأفرغ عليهم الصبر ومنعوا النصر ثم انهزمت جرهم، فلم ينفلت منهم إلّا الشريد. وكان مصاص بن عمرو بن الحارث، قد اعتزل جرهم ولم يعن جرهم في ذلك. وقال: قد كنت احذركم هذا، ثم رحل هو وولده وأهل بيته، وما حولها في قومه وعساكره حولاً فأصابتهم الحمى وكانوا في بلد لا يدرون فيه ما الحمى، فدعوا طريفة الخبر فشكوا إليها الذّي أصابهم. فقالت لهم: قد أصابوا

بوس الذي تشكون وهو مفرّق ما بيننا. قالوا: فماذا تأمرين؟ فقالت: فيكم ومنكم الأمير وعليّ التسيير. قالوا: فما تقولين؟ قالت: من كان منكم ذاهم بعيد، وجمد شديد، ومزاد جديد، فليلحق بقصر عمان المشيد فكان ازدعمان.

ثم قالت: ومن كان منكم ذا جلد وقصر وصبر على أزمات الدهر، فعليه بالأراك من بطن مرّ فكانت خزاعة. ثم قالت، ومن كانَ منكم يريد الراسيات في الوحل، المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الاوس والخزرج. ثم قالت: ومن كان منكم يريد الخمر والخمير، والملك، والتأمير، وتلبس الديباج والحرير، فليلحق ببصرى وعوير وهما من أرض الشام، فكان الذي سكنوهما آل جفنة من غسان. ثم قالت: من كان منكم يريد الثياب الرقاق، والخيل العتاق، وكنوز الأرزاق، والدم المهراق، فليلحق بأرض العراق، فكان الذي سكنوها آل جذيمة الأبرش، ومن كان بالحيرة من غسان وآل محرّق، حتى جاءهم روادهم فافترقوا من مكة فرقتين، فرقة توجهت إلى عمان وهم ازدعمان. وسار ثعلبة بن عمرو بن عامر نحو الشام، فنزلت الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهم الأنصار بالمدينة، ومضت غسان فنزلوا الشام. وانخزعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحيّ، فولّى أمر مكة وحجابة الكعبة.

وإلى هذا يشير حسان بن ثابت، ويذكر في شعره إنخزاع خزاعة بمكة، ومسير الأوس والخزرج إلى المدينة، وغسان الى الشام في قوله:

فلما هبطنا بطن مر تخزعت	خزاعة منا في حلول كراكر
حموا كل واد من تهامة واحتموا	بصم القنا والمرهفات البواتر
فكان لها المرباع في كل غارة	تشن بنجد والفجاج العوابر
خزاعتنا أهل اجتهاد وهجرة	وأنصارنا جند النبيّ المهاجر
وسرنا فلما أن هبطنا بيثرب	بلاوهن منا ولا بتشاجر
وجدنا بها رزقاً عدامل ابقيت	وآثار عاد بالحلال الظواهر
فحلت بها الأنصار ثم تبوّأت	بيثربها داراً على خير طائر
بنوالخزرج الأخيار والأوس إنهم	حموها بفتيان الصباح البواكر
نفوا من طغا في الدهر عنها وذببوا	يهوداً بأطراف الرماح الخواطر
وسارت لنا سيارة ذات قوة	بكوم المطايا والخيول الجماهر
يؤمون نحو الشام حتى تمكنوا	ملوكاً بأرض الشام فوق المنابر
يصيبون فضل القول في كل خطبة	إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر
أولاك بنوماء السماء توارثوا	دمشقاً بملك كابراً بعد كابر

فلما حازت خزاعة أمر مكة، وصاروا أهلها جاءهم بنواسماعيل، وقد كانوا اعتزلوا حرب جرهم، وخزاعة فلم يدخلوا في ذلك فسألوهم السكنى معهم وحولهم، فأذنوا لهم فلما رأى ذلك مصاص بن عمرو بن الحارث، وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة ما أحزنه أرسل إلى خزاعة يستأذنها في الدخول عليهم والنزول معهم بمكة في جوارهم، ومت إليهم برأيه وتوريعه قومه عن القتال، وسوء السيرة في الحرم واعتزاله الحرب، فأبت خزاعة أن تقررهم ونفتهم عن الحرم كله ولم يتركوهم ينزلون معهم، فقال عمرو بن لحى وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر: لقومه من وجد منكم جر همياً قد قارب الحرم فدمه هدر، فنزعت ابل لمصاص بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجر همي، من قنونا تريد مكة فخرج في طلبها حتى وجد أثرها قد دخلت مكة فمضى على الجبال من نحو أجياد حتى ظهر على أبي قبيس يتبصر الإبل في بطن وادي مكة، فأبصر الإبل تنحر وتؤكل لاسبيل له إليها فخاف إن هبط الوادي أن يقتل، فولّى منصرفاً إلى أهله وأنشأ يقول:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
ولم يتربع واسطاً فجنوبه ... إلى المنحنا من ذي الأراكة حاضر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا ... صروف الليالي والجدود العواثر
وبدلّنا ربّي بها دار غربة ... بها الذيب يعوى والعدو المحاصر
فان تمل ألدنيا علينا بكلها ... وتصبح حال بعدنا وتشاجر
فكنا ولاة البيت من بعدنا بت ... نمشي بهذا البيت والخير ظاهر
فأنكح جدّي خير شخص علمته ... فأبناء نامنه ونحن الأصاهر
فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك يا للناس تجرى المقادر
أقول إذا نام الخلي ولم أنم ... إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلّت منهم أوجهاً لا أحبها ... وحمير قد بدلتها واليحابر
وصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة ... كذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكي لبلدة ... بها حرم أمن وفيها المشاعر
بواد أنيس ليس يؤذى حمامه ... ولا منفراً يوما وفيها العصافر
وفيها وحوش لا ترام أنيسة ... إذا خرجت منها فما أن تغادر
فيا ليت شعري هل تعمر بعدنا ... جياد فممضى سيله فالظواهر
فبطن منا وحش كأن لم يسربه ... مصاص ومن حبّى عدي عماير

و قال أيضا:

يا أيها الحي سيروا إنّ قصركم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرون

إنّا كما كنتموا كنا فغيرّنا دهر فسوف كما صرنا تصيرون
أرجوا المطى وأرجو من أزمتها قبل الممات وقضوا ما تقضون
قد مال دهر علينا ثم أهلكنا بالبغي فيه وند الناس ناسون
إنّ التفكر لايجري بصاحبه عبد البديهة في علم له دون
قضوّا اموركم بالحزم إنّ لها امور رشد رشدتم ثم مسنون
واستخبروا في صنيع الناس قبلكم كما استبان طريق عنده الهون
كنا زمانا ملوك الناس قبلكم بمسكن في حرام الله مسكون

قال: فانطلق مصاص بن عمرو بن عامر، نحو اليمن إلى أهله وهم يتذاكرون ما حال بينهم وبين مكة، وما فارقوا من أمنها وملكها، فحزنوا على ذلك حزناً شديداً فبكوا على مكة، وجعلوا يقولون الاشعار في مكة. واحتازت خزاعة بحجابة الكعبة وولاية أمر مكة، وفيهم بنوإسماعيل بن ابراهيم بمكة وما حولها، لا ينازعهم أحد منهم في شيء من ذلك ولا يطلبونه.

فتزّوج لحى وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، فهيرة بنت عامر بن عمرو بن الحارث بن مصاص بن عمرو الجرهمى ملك جرهم، فولدت له عمراً وهو عمر بن لحى، وبلغ بمكة وفي العرب من الشرف ما لم يبلغ عربي قبله ولا بعده في الجاهلية. وهو الذي قسم بين العرب في حطمة حطموها عشرّ آلاف ناقة، وقد كان أعور عشرين فحلا. وكان الرجل في الجاهلية إذا ملك ألف ناقة، فقأعين فحل إبله فكان قد فقأعين عشرين فحلا. وكان أوّل من أطعم الحاج بمكة سدايف الإبل ولحمانها على الثريد. وعمّ في تلك السنة جميع حاجّ العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن. وكان قد ذهب شرفه في العرب كل مذهب، وكان قوله فيهم ديّنا متبعا لا يخالف. وهو الذي بحر البحيرة ووصل الوصيلة، وحمى الحام. وسيب السايبة. ونصب الأصنام حول الكعبة. وجاء بهبل من هيت من أرض الجزيرة فنصبه في بطن الكعبة، فكانت قريش والعرب تستقسم عنده بالأزلام. وهو أول من غير الحنيفية دين ابراهيم (ع). وكان أمره بمكة في العرب مطاعاً لا يعصى. وكان بمكة رجل من جرهم على دين ابراهيم، واسماعيل، وكان شاعراً فقال لعمرو بن لحى، حين غير الحنيفية:

يا عمرو لا تظلم بمكة إنّها بلد حرام
سائل بعاد أين هم وكذاك تخترم الأنام
وبني العماليق الذين هم بها كان السوام

فزعموا أن عمرو بن لحى، أخرج ذلك الجرهمي من مكة، فنزل بأطم (٣٢) من أعراض المدينة نحو الشام. فقال الجرهمي قد يتشوّق إلى مكة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة   وأهلي معا بالمأزمين حلول
وهل أرين العيس تنفخ في البرا   لها بمنى والمأزمين ذميل
منازل كنا أهلها لم تحل بنا   زمان بها فيما أراه تحول
مضى أوّلونا راضين بشأنهم   جميعاً وغالتني بمكة غول

قال: فكان عمرو بن لحى، يلي البيت وولده من بعده خمسمائة سنة، حتى كان آخرهم حليل بن حبيش بن سلول بن كعب بن عمرو (٣٣) فتزوج إليه قصى ابنته حبى، ابنة حليل وكانوا هم حجابه وخزّانه، والقوّام به وولاة الحكم بمكة، وهوعامر لم يخرب فيه خراب ولم تبني خزاعة فيه شيئاً بعد جرهم، ولم تسرق منه شيئاً علمناه ولا سمعنا به وترافدوا على تعظيمه والذّب عنه. وقال في ذلك عمرو بن الحارث بن مرو الغبشانى:

نحن وليناه فلم نغشه   وابن مصاص قائم يهشه
يأخذ ما يهدى له يفشه   نترك مال الله ما نمشه (٣٤)

* * *

إنّ هذه الأحداث التاريخية التي في حد ذاتها دروس وعبرة إن دلت على شيء فانما تدلّ بوضوح أنّ للباري سبحانه... ألعناية الخاصة والحراسة القويمة، والحفاظة الركيزة المتواصلة، بالنسبة للكعبة وما جاورها من البيوتات والمساكن التي تعتبر بمجموعها البلد الحرام الذي جعله أمنا من كل كيد، وبغي وعدوان وتطاول، وما قصده جبار الّا وقد دكّ عنقه، وضرب بالذلّ والمسكنة والتبدد وبأوا بغضب منه... لا بالنسبة لمكة وسكانها المقيمين فحسب، و إنّما لكل من تسوّل نفسيته الخبيثة الجشعة، بالوقيعة والبغي لمجاوريها ومن يروم زيارتها أو يدخلها بشتى العناوين، لأنها بيت الناس جميعاً ولايحق لفرقة أو فئة أو جماعة أو شر ذمة، إستعبادها و إستثمارها واتخاذها ملكاً خاصا لها. فهي بيت الناس لا يخص شعباً دون شعب.

فالناس في شرق الأرض وغربها على إختلاف مللهم وجنسياتهم ولغاتهم وقومياتهم، أصحاب البيت كما صَرّح به علماء الخاصة والعامة. وقد أسلفنا القول فيه في الصفحات السالفة عند تفسير قوله تعالى: (إنّ أوّل بيت وضع للناس للذّي ببكة مباركاً) وليس في كتب التفاسير والحديث، مايثبت خلاف هذا بصورة باتة.

بالإضافة إلى أنّ الولاة والحكام الذين تولوا سدانة مكة... في القرون السالفة الغابرة كانوا في حذرو وجل وخشية من صاحب الكعبة، وفي خوف شديد منه ومن بطشه وفتكه و إنتقامه... في خلال ولايتهم وحجابهم وخزانتهم لم يتطاولوا، ولم يستحلوا ولم يستخفوا بحرمة —

الحرم، ولم يسرفوا في مال الكعبة الذي يهدى إليها سراً وعلانية لأن الله تعالى لبالمرصاد، لكل من يبغي فيها ويتطاول على حرمتها، ومكانتها، وقد سيتها، وشرفتها، بما يشينها ويحط من منزلتها، ومنزلة سكانها وزوارها ومجاوريها بصورة عامة، ومن كان خلاف هذا وسار فيها وعاملها بالإستخفاف والتهاون، أخرجه الله منها بالذلّ والثبور، وحكم عليه بالابادة والفناء.

وقد حذرّ مصاص بن عمرو قومه، من عواقب البغي والإسفاف والإسراف على أنفسهم، ومواجهة الناس بالظلم واعلان كل من قاربها بالاضطهاد، فقال في خطبته فيهم: ـ فاحذروا البغي فانّه لابقاء لأهله وقد رأيتم وسمعتم من سكنه قبلكم من طسم، وجديس، والعماليق، ممن كان أطول منكم أعماراً، وأشد قوة، وأكثر رجالا وأموالا وأولادا.

وبعد هذه الكلمات تقدّم اليهم بالنصيحة والموعظة، واعقبها بقوله: ـ ولا تظلموا من دخله وجاء معظماً لحرماته. وآخر جاء بائعاً لسلعته أومر تغباً في جواركم. فانكم إن فعلتم ذلك تخوفت أن تخرجوا من حرم الله، خروج ذلّ وصغار حتى لايقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم، ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حرز وأمن، والطير والوحوش تأمن فيه.

فكيف وبعد هذه الأحداث التاريخية الصادقة التي تعتبر كل كلمة، وجملة منها عبرة، وموعظة، ونصيحة، ودرسا، تمتلك بقوة الحديد والنار من دون ذمة ولاشرف، شر ذمة دست السدانة والتولية والخلافة.... وتتربّع على أريكة الحكم والسلطة... وتدفع جلاوزتها وعملائها وعبيدها وخدامها الذين (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكرالله أولئك حزب الشيطان ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون (٣٥) الى مقابلة ضيوف الله سبحانه في كل مواسم الحج والزيارة... ومواجهة الزائرين من الرجال والنساء، بالضرب والشتم والطعن والقذف ورميهم باتهامات مختلقة، وافتراءات كاذبة لعوامل صبيانية هزيلة، تكشف عن حقد أسيادهم الدفين. وبغضهم الشنيع وعدوانهم المتهوّر للكعبة وصاحبها، وربها، وخالقها، وسكنتها وزوارها، والوافدين عليها، والقادمين إليها، بقصد العبادة والطاعة... وبمسمع منهم نداء القرآن الكريم... وهتاف الله سبحانه في قوله: (والذّين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا و إثما مبينا (٣٦) أي يفعلون بهم ما يتأذون به من قول أو فعل، بغير جناية يستحقون بها الاذية فقد فعلوا ماهو أعظم الإثم مع البهتان، وهو الكذب على الغير يواجهه به، فجعل الله سبحانه ايذاء المؤمنين والمؤمنات مثل البهتان. وقال قتادة، والحسن: أياكم وأذى المؤمنين فان الله تعالى يغضب له.

وقال عبدالله بن عمر: رأيت رسول الله (ص) يطوف بالكعبة ويقول: ـ ما أطيبك وأطيب ريحك. ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذّي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم

عندالله حرمة منك. ماله، ودمه، وأن نظن به إلّا خيراً (٣٧).

أليسوا بمسلمين؟ فلماذا قصدوا الكعبة؟ ويحجوا إليها؟ ويولوّا وجوههم شطرها، عند صلواتهم المفروضة والمندوبة؟ إلى غيره من العبادات والخيرات والطاعات التي يقيمون بها في أناء الليل، وأطراف النهار في حلهم وترحالهم، لا تأخذهم في الله لومة لائم. وهم فيها على هدى وصراط مستقيم.

إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا
ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في
الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم
فيها ما تدّعون. نزلاً من غفور رحيم

سورة فصلت/ ٣٠ ــ ٣٢.



الهامش:

(١) سورة آل عمران/٩٦.

(٢) لمكة عدة أسماء منها: أمّ القرى. بكة. أمّ رحم. كريساء. البشاشة. الحاطمة. البلد الأمين. العروض. البلد. القرية. كوثى. أمّ كوثى. المقدسة. قرية النمل. الوادي. الحرم. العرش. برّة. طيبة. معاد. الباسة. الناشة. ولا يعرف بين البلاد بلدة اكثر اسماً من مكة، والمدينة، لكونهما أشرف الأرض. الاعلام بأعلام بيت الله الحرام/١٧. تفسير الفخر الرزاي ١٤٧/٨.

(٣) سورة الحج/٢٩.

(٤) سورة مريم/٥٨.

(٥) سورة الأنعام/٩٢.

(٦) صحيح مسلم ٩٨٦/٢ و سند الحديث ـ حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا جرير عن منصور، عن مجاهد عن طاوس عن إبن عباس قال: قال رسول الله (ص) يوم الفتح ـ الحديث.

(٧) تفسير الفخر الرازي ١٤٥/٨. أخبار مكة ٢٨/١. مرآة الحرمين ٢٦٨/١.

(٨) سورة البقرة/١٢٦.

(٩) سورة ابراهيم/٣٥.

(١٠) مجمع البيان ٢٠٦/١ و ج ٣١٨/٥.

(١١) سورة التين/١ ـ ٣.

(١٢) تفسير الفخر الرازي ١٠/٣٢. تفسير الكشاف ٢٦٨/٤.

(١٣) مجمع البيان ٤٧٧/٢. النهاية في غريب الحديث ١٥٠/١.

(١٤) تفسير الفخر الرازي ١٤٧/٨.

(١٥) تفسير العياشي ١٨٥/١ ـ ١٨٧.

(١٦) النهاية في غريب الحديث ١٥٠/١. تفسير الكشاف ٤٤٦/١. تفسير ابن كثير ٣٨٣/١.

(١٧) مجمع البحرين ٢٥٩/٥.

(١٨) تفسير الفخر الرازي ١٤٧/٨.

(١٩) سورة المائدة/٩٧. مجمع البيان ٢٤٦/٣. النهاية في غريب الحديث ١٧٩/٤. القاموس المحيط ١٢٤/١.

(٢٠) سورة الحج/٢٩.

(٢١) سورة الحج/٣٣.

(٢٢) سورة الأسراء/١.

(٢٣) تفسير الكشاف ٤٣٧/٢. تفسير الفخر الرازي ١٤٦/٢٠.

(٢٤) الخرف: الثمر حين اجتنائه.

(٢٥) الأربعة: الرياح الأربع. الصبا، والدبور، والجنوب، والشمال.

(٢٦) النجال: نجلت الأرض اخضرت. الأرض شقت للزراعة.

(٢٧) العضاة: كل شجريعظم وله شوك .

(٢٨) كاهنة من كاهنات العرب قبل سيل العرم. ومن الفصيحات البليغات وهي يمانية. الاعلام ٣٢٦/٣. أعلام النساء ٣٦٧/٢.

(٢٩) إبن ماء السماء، عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرء القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

(٣٠) الرنق: الماء الكدر.

(٣١) من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة. معجم البلدان ٤٠٩/٤.

(٣٢) الأطم: بالضم ثم السكون. والجمع آطام، وهي الحصون. واكثر ما يسمى بهذا الإسم حصون المدينة. معجم البلدان ٢١٩/١.

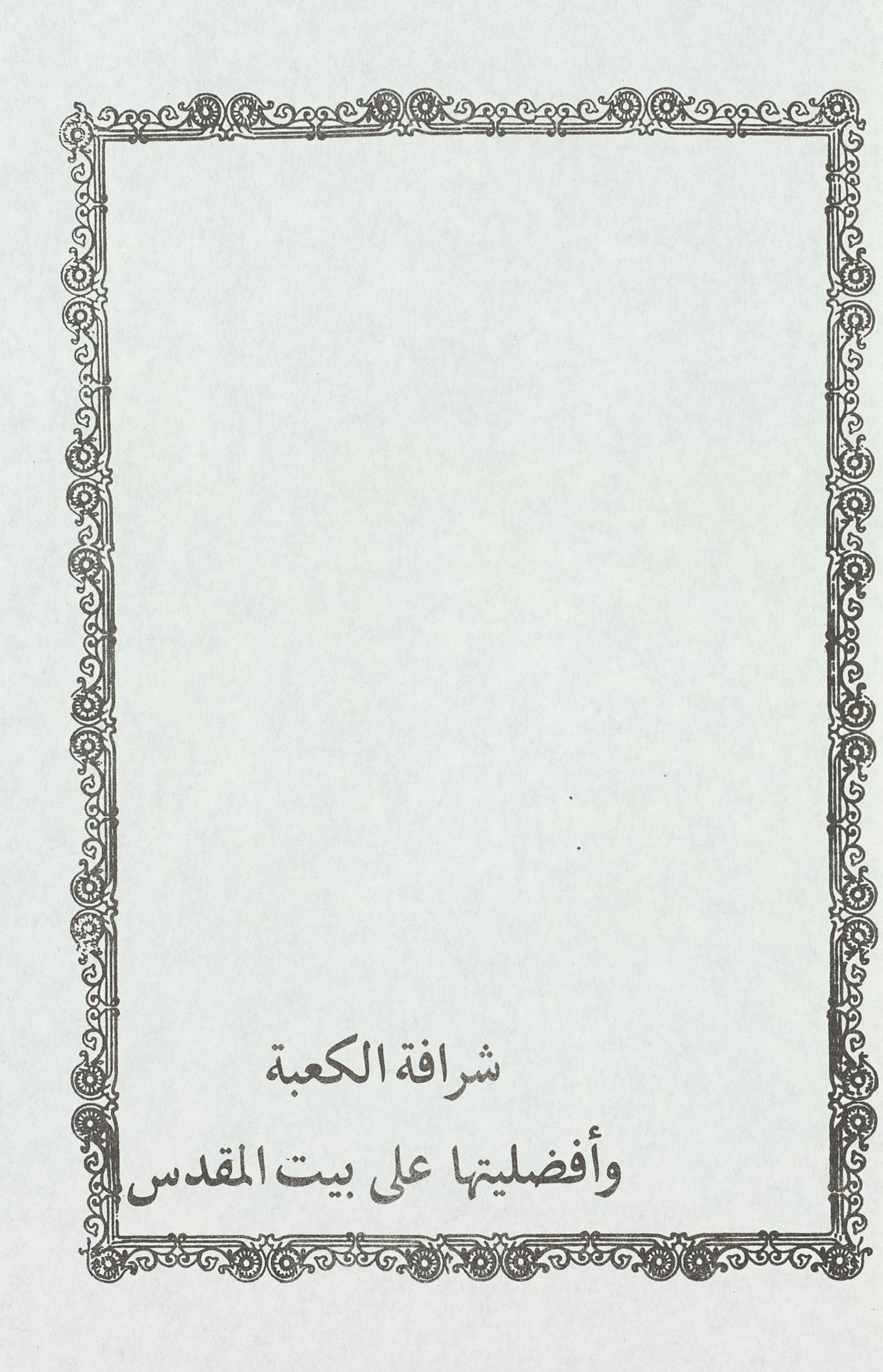
(٣٣) أبوغبشان حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن عامر بن لحى بن قمعة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. جهرة أنساب العرب/٢٣٣ ــ ٢٣٦.

(٣٤) أخبار مكة ٤٤/١ ــ ٥٩ باختصار.

(٣٥) سورة المجادلة/١٩.

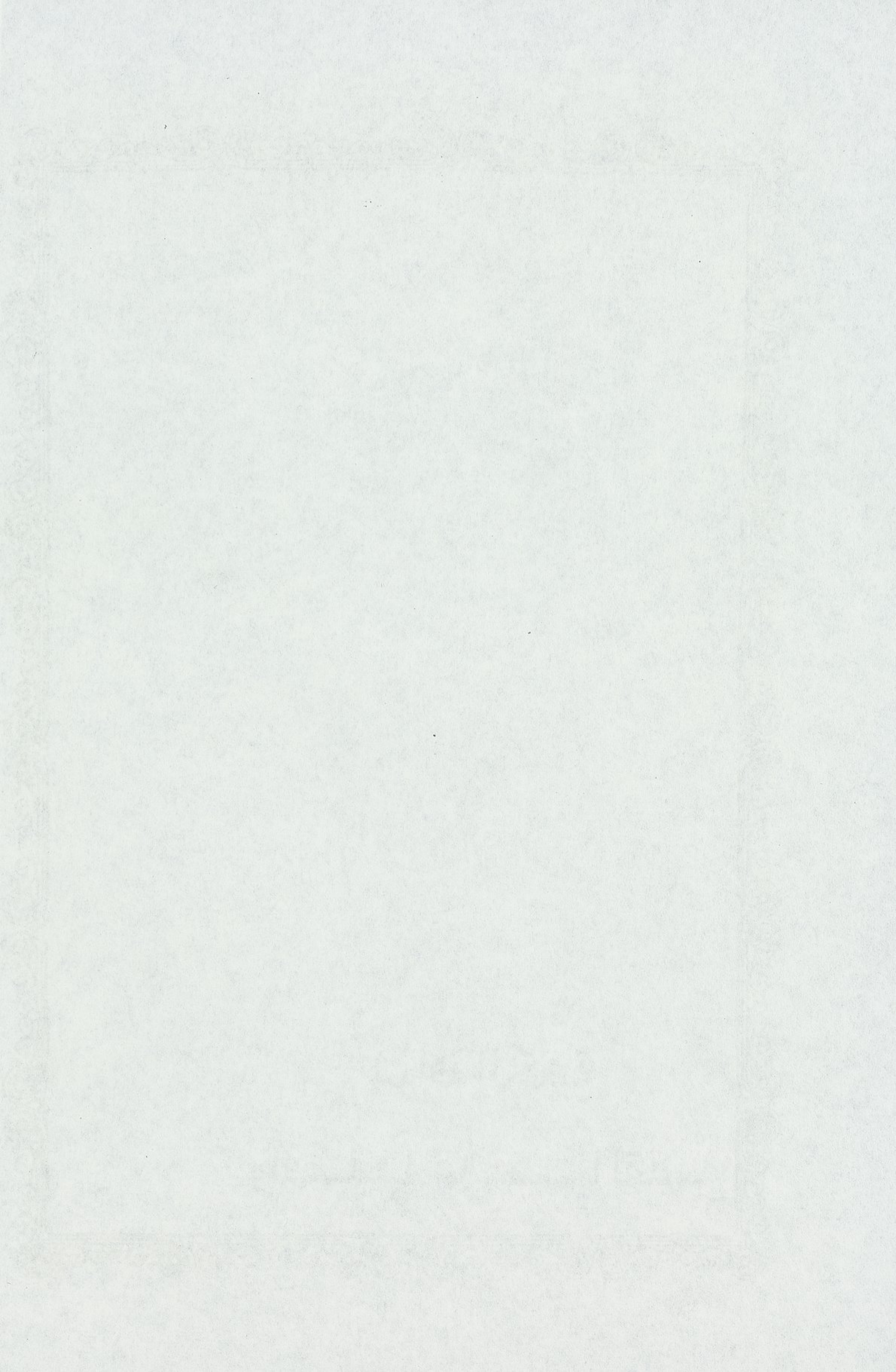
(٣٦) سورة الأحزاب/٥٨.

(٣٧) سنن إبن ماجة ١٢٩٧/٢.



شرافة الكعبة

وأفضليتها على بيت المقدس



بين جمهرة المفسرين، والمحدثين، حوار قديم، ونقاش حاد تمتد جذوره إلى العهد النبويّ الأقدس (ص) وذلك حول التفاضل والأولوية بين البيت الحرام، والمسجد الأقصى، وأن أيهما أفضل وأشرف من الآخر... فقد زعم اليهود أن المسجد الأقصى، أشرف وأفضل من المسجد الحرام (الكعبة) وتصدت جماعات من الفرق المسلمة بالردّ عليهم، من طريق العقل والنقل، وجاؤا بأدلة قاطعة، وحجج متينة تبطل مزاعم القائلين خلاف هذا.

والواقع أن المراد من الأولوية كون هذا البيت أولا في كونه مباركاً، وهدى للخلق، وهدى للعالمين، وليست هاتين الصفتين متمثلة وموجودة وحاصلة في المسجد الأقصى. فقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: أوّل بيت خص بالبركة الكعبة، وبأن من دخله كان آمنا.

وقال الامام السبط الحسن عليه السلام: هو أوّل مسجد عبدالله فيه في الأرض. وقال مطرف: أول بيت جعل قبلة. ووصفه تعالى بكونه مباركاً وفيه بحثان.

١ ــ انتصب (مباركا) على الحال، والتقدير الذّي إستقر هو ببكة مباركاً. ويجوز أن يكون من الضمير في وضع كأنه قيل: وضع مباركاً. وجاء أوّل بيت رغب فيه، وطلب منه البركة مكة (١).

٢ ــ للبركة معنيان:

١ ــ النمو والتزايد، بصورة متواصلة في الخيرات والعبادات والطاعات.

ب ــ ألبقاء والدوام والخلود وثبوتها فيه دائما، حتى يحكى على أن الطواف به لاينقطع أبداً. وقيل: يضاعف فيه ثواب العبادة، كما ورد عن عبدالله بن عباس، وقال في رواية اخرى: إنّ إمرأة اشتكت شكوى، فقالت: إن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس. فبرأت. ثم تجهزّت تريد الخروج. فجاءت ميمونة زوج النبيّ (ص) تسلم عليها. فأخبرتها ذلك. فقالت: اجلسى فكلي ماصنعت. وصلي في مسجد الرسول (ص) فانّي سمعت رسول الله (ص) يقول: ــ صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلّا مسجد الكعبة ــ (٢)

يقال: للبقاء والدوام تبارك الله، لثبوته لم يزل. والبركة شبه الحوض لثبوت الماء

فيها. وبرك البعير إذا وضع صدره على الأرض وثبت واستقر. فإن فسرنا البركة بالتزايد والنمو، فهذا البيت مبارك من وجوه:

١ ــ أن الطاعات والعبادات إذا أتى بها في هذا البيت إزداد ثوابها. قال صلى الله عليه وآله وسلم: ــ فضل المسجد الحرام على مسجدي، كفضل مسجدي على سائر المساجد ــ. وقال أيضا: صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ــ.

وقال (ص) أيضا: ــ فضل الصلاة في المسجد الحرام، على غيره مائة ألف صلاة. وفي مسجدي ألف صلاة. وفي مسجد بيت الحرام خمسمائة صلاة (٣). فهذا في الصلاة.

وأما الحج فقد قال رسول الله (ص): ــ العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما. والحج المبرور ليس له جزاء إلّا الجنة.

وقال أيضا (ص): ــ من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه (٤). وظاهر أنه لا أكثر بركة مما يجلب المغفرة والرحمة.

٢ ــ قال بعض من المفسرين: أن المراد من البركة ماجاء في قوله تعالى: **(أولم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى إليه ثمرات كلشيئ رزقاً من لدنّا ولكن أكثرهم لا يعلمون)** (٥) وكقوله تعالى: **(إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله)** (٦) أي بالثمار والأشجار والأزهار.

٣ ــ لو أمعن العاقل بدقة واستحضر في ذهنه أن الكعبة كالنقطة، وان صفوف المتوجهين إليها في الصلاة كالدوائر المحيطة الملتفة بالمركز. وليتأمل كم عدد الصفوف المحيطة بهذه الدائرة حال اشتغال المصلين بالصلاة. ولا شك أنه يحصل فيما بين هاتيك المصلين، أفراد ورجال ذو أرواح ونفوس علوية روحانية. وقلوبهم قدسية واسرارهم نورانية، وضمائرهم ربانية. ثم انّ تلك الأرواح النقية الطاهرة إذا توجّهت إلى كعبة المعرفة والإيمان والقدس والمعرفة وأجسادهم يممت إلى تلك الكعبة الحسية الموجودة في الخارج، لا شك فمن كان في الكعبة يتصل أنوار أرواح أولئك المتوجهين بنور روحه، فتزداد الأنوار الآلهية في قلبه، ويعظم لمعان واشعة الأضواء الروحانية في سرّه وأعماق قلبه. وهذا بحر عظيم ومقام كريم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم. وهو في الحقيقة يثبت على معنى كونه مباركاً، وباعثاً للخيرات والبركات.

ولو فرضنا أننا فسرّنا البركة بالدوام والبقاء فهو أيضاً كذلك، لأن الكعبة لا تنفك من الطائفين والعاكفين والركع السجود. بالأضافة إلى أن الأرض كروية فكل وقت يمكن أن يفرض فهو صبح لقوم. وظهر لأمة. وعصر لشعب. ومغرب لناس. وعشاء لأناس. ومتى كان الأمر كذلك لم تكن الكعبة منفكة قط عن توجّه قوم إليها من صوب من أنحاء العالم المترامية

الأطراف لأداء فريضة الصلاة. فكان الدوام حاصلا من هذه الجهة.

وأيضا بقاء الكعبة ووجودها على هذه الحالة والصورة، على إمتداد تاريخ البشرية منذ آلاف من السنين دوام وبقاء أيضا ويثبت كونه مباركاً من جميع الوجوه مهما أمعنت وذهبت بك الأفكار والخواطر.

ومهما يكن من أمر فالصفة الثالثة التي تتحلى وتتصف بها البيت كونه (هدى للعالمين) وفيه بحثان:

١ ــ قال بعض المفسرين: وهدى للعالمين أي دلالة لهم على الله تعالى لإهلاكه كل من قصده من الجبابرة أمثال، أصحاب الفيل وغيرهم، وباجتماع الظبي في حرمه مع الكلب والذئب، فلاينفر عنه مع نفرته عنه في خارج البيت، وفي غيره من البلاد. انمحاق الجمار على كثرة الرمي فلو لا أنها ترفع لكان يجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال. وامتناع الطير من التحلق والعلو عليه. واستئناس الطيور فيه بالناس. واستشفاء المريض به، وتعجيل العقوبة لمن انتهك فيه حرمة إلى غير ذلك من الدلالات الواضحة.

٢ ــ قيل المعنى: أنه قبلة للعالمين يهتدون به إلى جهة صلاتهم. أو يهتدون إلى الجنة بحجه وطوافه. وجاء هدى للعالمين، أي دلالة على وجود الصانع الواحد الأحد الفرد الصمد. وصدق رسالة النبيّ الأقدس (ص) ونبوّته. فإنّ كل ما يدلّ على النبوّة فهو بعينه يدلّ أولا على وجود الصانع، وكافة صفاته الثبوتية من العلم والقدرة والحكومة والحكمة والرحمة والقوّة والإستغناء و... و...

وقال ابواسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ المعنى: وذا هدى للعالمين. قال: ويجوز أن يكون (وهدى) في موضع رفع على معنى وهو هدى (٧).

* * *

قلنا في بداية هذا الفصل أنّ اليهود تفاخروا مع المسلمين، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة فقال أبوالوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي: حدّثنا أبومحمد، قال: حدّثنا أبوالوليد، قال: حدثني جدّي عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني ابن جريح، قال بلغنا إنّ اليهود، قالت: بيت المقدس أعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء، ولأنه في الارض المقدسة. وقال المسلمون: الكعبة أعظم فبلغ النبيّ (ص) فنزل (إنّ أول بيت وضع للناس للذّي ببكة مباركاً وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام ابراهيم، ومن دخله كان آمنا) وليس ذلك في بيت المقدس (٨).

وعلى أثر هذا التفاخر الشنيع، قام الحوار وشب الخلاف بين المسلمين واليهود، فهم

كانوا في الواقع جذور الخلاف وبذور النقاش والإحتدام والتناطح... فقبل بيان وسرد فضائل الكعبة، وما فيها من القيم والخصائص والسمات التي لم تكن واحدة منها في البيت المقدس كما صرّح بها جمهرة المفسرين، وأخبتوا لها وأذعنوا إليها واثبتوها في صفحات مؤلفاتهم... أودّ القول أنّ اليهود هم عوامل ودوافع التفاخر البغيض، والحوار الضئيل الذي بسطوا شراكه وحبائله فوقعوا فيها، ولم يتخلصوا منها إلّا بالذلّ والخذلان والخسران، وقد قيل من قبل: ـــ من كاشف الحق مخاصما له هلك... وليس بغريب منهم فالإسلام منذ انطلاقة شرارته الأولى المقدسة في مكة... واجه عدوانهم الغاشم، وبطشهم الشنيع ومؤامراتهم الدنيئة، ونواياهم الجشعة ومكائدهم الخسيسة في مختلف الجهات وشتى المجالات والميادين، ومازال المسلمون والإنسانية والبشرية تأنّ من ويلاتها، ومصائبها ومحنها إلى يومهم هذا.

أجل تتوجّع وتتفجع منهم، بعد أن وجدوهم بذرة كل شر وفساد، وبواعث جميع النعرات الطائفية، وتفرّق جمع الشعوب، وتشتت شمل الأمم، وأعداء المصالح العامة والحضارة الانسانية، ولهم اليد الطولى وقصب السبق في كل شؤم وشيطان وشغب وشقاء وشفار وشرر وشين وشوك وشهرك وشتم وشرس وشبص وشبق وشين وشتات وشتغ وشجب وشجم وشح وشحن و... و....

عصابة تكونّت من كل شيطان مارد، وراحت تضع المخططات والمؤامرات، لتنفيذ سياستهم البشعة التوسّعية، وبالنتيجة ظفرت في البلاد الاسلامية والعربية بحصة الأسد، وعلى مرالزمان صلب عودها وتضاعف جهدها وتفجرّت طاقاتها في الإستثمار والإستعباد والإستغلال، ولم تقف هذه السياسة العدوانية في حدما، ولم تنحصر في حدود الزمان والمكان والجيل الواحد، و إنّما استمرت مدى الإجيال والأعصار ومازالت زاحفة بقوّة النار والحديد والبغي والإعتداء. وكان حظ البلاد الإسلامية منهم ومن ويلاتهم، هو الحظ الأوفر ولم تزل كتب التواريخ تحتفظ قديماً وحديثاً بأحداث هي خير دليل على بشاعة تلك المذابح الدامية إلى درجة لا يصدقها العقل.

واكثر تلك الأحداث العدوانية العارمة، جرت على أيديهم المضرجة بدماء المسلمين، حيث الأحقاد التاريخية الدفينة، من جهة ومقاومة المسلمين لعملياتهم التطويع القسري من جهة اخرى. وهذان العاملان كانا تدفعان بالصهاينة على جرد حملة إرهابية عامة على الشعوب كلها لكي تكف عن المقاومة.

إنّ الأراضي العربية والاسلامية، من أقصاها إلى أقصاها تفوح من صعيدها وتربتها رائحة الدم الطاهر المسفوح على يد هؤلاء الأوغاد المناكير، ودونك ما ارتكبوها في

(صبرا) و (شاتيلا) و (دير ياسين) و (الدواعية) و (الصفصاف) و (كفر قاسم) و (لبنان) و (فلسطين) و (افغانستان) و (الهند) و كيف لا ودينهم حسب التوراة والتلمود، دين قائم على العنصرية وهي تستسيغ ممارسة العنف والإرهاب، والقمع ضد الآخرين بأسم السماء دون أية ذمة وشرف... و إنّ الناس خلقوا لخدمة اليهود، وهم حيوانات لا قيمة لها ولا بأس ولا رادع من استخدامهم في سبيل مصالح اليهود حتى الموت. و إلى هذه العنصرية الاسرائيلية البغيضة تشير الآية الكريمة: **(ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)** (٩) أى لا بأس باقتراف أية جريمة ضد غير اليهودي فلا حساب ولا كتاب ولا أحد يقطع عليهم السبيل من عذاب الهي، أو حساب من ضمير ووجدان.

قال الامام الفخر الرازي في ذيل هذه الآية: إنّ اليهود اختلقوا لهذا الاستحلال والخيانة عواملا وهي:

١ ــ أنهم مبالغون في التعصب لدينهم. فلا جرم يقولون: يحل قتل المخالف ويحل أخذ ما له بأي طريق كان. وروى في الحديث أنه لما نزلت هذه الآية، قال (ص): كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلّا وهو تحت قدمى، إلّا الأمانة فانها مؤداة إلى البر والفاجر.

٢ ــ أن اليهود قالوا: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذ نوبكم بل أنتم بشر ممن خلق (١٠) والخلق لنا عبيد فلا سبيل لأحد علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا، وأخذنا بالقوّة ما يمتلكونها لأن العبيد لا يملكون.

٣ ــ لم يكن عدوانهم هذا مطلقاً لكل من خالفهم من الشعوب، و إنما للعرب الذين آمنوا بالرسول الأعظم (ص) والذين اتبعوه بإحسان. وقد جاء أن اليهود بايعوا رجالاً في الجاهلية كانوا على الشرك فلما أسلموا طالبوهم بالأموال وما يمتلكونها، فقالوا: ليس علينا لكم حق لأنكم تركتم دينكم. ويبدو للباحث أنه كان من صميم مذهب اليهود أن من انتقل من دين باطلهم إلى دين آخر (باطل حسب مفهومهم العفن) كان في حكم المرتد. فهم و إن اعتقدوا أن العرب كفار إلّا أنهم لما اعتقدوا في الاسلام أنه كفر وباطل. حكموا على العرب الذين أسلموا بصورة عامة بالردّة (١١) ومن هنا لا عجب إن تمرسوا بقتل الشعوب، واعتبروا تدمير نصف السكان في سبيل اخضاع النصف الآخر بطولة وفتوّة عظمى... وعلى ضوء هذا الإعتقاد السخيف الشيطاني الهمجي، أقاموا المجازر المخيفة، وشادوا المذابح والإغتيالات المروعة بحق الشعوب والرجالات الآمنة

المطمئنة... واعتدوا على جاراتهم وسلبوا كل ما يملكونها من ثروات وذخائر عامة وخاصة، وحولّوا الملايين إلى عبيد أذلاء مشردين، هائمين على وجوههم لخدمة الأخطبوط الصهيوني الجشع، المتجمع من حثالات وسفلة، ولصوص وقطاع طريق، وأوغاد مناكير لفظتهم المجتمعات البشرية... وهمج رعاع لم يهتدوا خلال تاريخهم السحيق الوضيع الأسود، الى بصيص من أضواء البشرية والإنسانية، ولم يفهموا للمعرفة والحق والرحمة والحنان مفهوما، غير إراقة الدماء و إقامة حمامات الدم.

شر ذمة (ضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤ بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بئايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١٢) فالذلّة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كمن يكون في القبة المضروبة، وحتى لزمتهم ضربة لازم كما يضرب الطين على الحائط، وكذلك الفقر والفاقة والمحنة فهم مع اعتقادهم وعلمهم ويقينهم بقبح قتل الأنبياء والقتل والبغي بصورة عامة، فقد فعلوه وما زالوا يرتكبوه.

فقد أخرج أبوداود الطيالسي، وابن أبي حاتم، عن ابن مسعود، قال: كانت بنواسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة نبيّ ثم يقيمون سوق بقلهم في آخر النهار(١٣).

عصابة ضربت عليهم الذلّة والمحنة والمسكنة والفقر المدقع والفاقة العارمة... لا مأوى يضمهم ولا ملجأ يلفهم، ولا ظل ولا سقف ولا مكان ولا بلد يسكنهم، حيارى في أمرهم فاستخدمتهم المعسكرين الشرقي والغربي... واستعبدتهم كمطية تحمل على ظهرها مخططاتهما التوسعية التعسفية. واتخذا منهم ذريعة في إقامة وتدعيم كابوسهما المحطم في كل بلد وقطرير تؤنه، فاندفعوا إليهما، وتوغلوّا في إراقة الدماء والبغي والظلم حسب رغبات أسيادهم تجاه ما تقدّم إليهم كالعبيد الأذلاّء من معونة، ومساعدة تسد بها جوعها النهم.

لقد كان النبيّ الأعظم (ص) على يقين صادق وعلم واضح وصحيح، ومعرفة كاملة من مخاطر هذه الشر ذمة الحقيرة الحاقدة على الإنسانية والبشريّة... لذلك نجده (ص) منذ اللحظة الأولى من أداء رسالته الهادية المهدية المقدسة... دعا المسلمين إلى قتالهم ونفيهم ومقاطعتهم و إخراجهم، من كل بيت وكوخ وقطر و بلد ونقطة وأخيرا من الجزيرة الإسلامية بصورة عامة كاملة، وتطهيرها من أرجاس هذا الاخطبوط الفاسد، المفسد لأنهم رأس كل خطيئة وفساد، وأمّ كل شر وعدوان.

انّ دعوة الرسول الأقدس (ص) هذه، كانت ضربة قاضية عارمة نزلت باليهود، ودكت أعناقهم وصيرتهم أذلاء خاسئين ولم يروا من بد ومناص ومفر في حينه من غضبة

المسلمين (حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون) (١٤) كما حذت حذو النبيّ الاعظم (ص) من بعده الصحابة والتابعين. وهذا ما نجده بوضوح في كتب السنن والصحاح. وهي بطرق أسانيد صحيحة ثابتة و إليك البعض منها:

إجلاء رسول الله (ص) اليهود من جزيرة العرب

كما أنّ في القرآن الكريم الكثير من الآيات الشريفة الالهية الدالة على خبث نوايا اليهود، وعدوانهم الصريح، وخروجهم السافر من نطاق أطاعة الله سبحانه، وانطلاقهم وركونهم الوثيق إلى ظل وسلطان الشيطان... فهناك أحاديث تحمل لنا بعض ما جاء في القرآن الكريم بحق اليهود، و إننا خشية الإطالة نكتفي بذكر الأحاديث فحسب بعد أن وضع البعض من المؤلفين، دراسات خاصة عن اليهود في القرآن.

١ ــ حدّثنا مصرف بن عمرو الأيامي، حدّثنا يونس يعني ابن بكير، قال: حدّثنا محمد بن اسحاق، حدّثني محمد بن أبي مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير، وعكرمة عن أبن عباس، قال: لما أصاب رسول الله (ص) قريشاً يوم بدر وقدم المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً قالوا: يا محمد لايغرنّك من نفسك إنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لايعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس و إنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله عزوجل في ذلك: (قل للذين كفروا ستغلبون) قرأ مصرف إلى قوله: (فئة تقاتل في سبيل الله ببدر وأخرى كافرة).

٢ ــ مصرف بن عمرو، حدّثنا يونس، قال ابن اسحاق: حدّثني مولى لزيد بن ثابت، حدّثتني ابنة محيصة عن أبيها محيصة، أن رسول الله (ص) قال: من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فوثب محيصة على شنينة رجل من تجار يهود كان يلا بسهم فقتله، وكان حويصة اذ ذاك لم يسلم، وكان أسن من محيصة، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول: يا عدوّ الله أما والله لرّب شحم في بطنك من ماله.

٣ ــ حدّثنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا الليث، عن سعيد بن أبي‌سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، إنّه قال: بينا نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله (ص) فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئناهم فقام رسول الله (ص) فناداهم فقال: يا معشر يهود أسلموا تسلموا. فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله (ص): ذلك أريد، ثم قالها الثالثة: اعلموا إنّما الأرض لله ورسوله، و إنّي أريد أن أجيلكم من هذه الأرض فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه، والاّ فاعلموا إنّما الأرض لله ورسوله (ص) (١٥).

٤ ـــ حدّثنا عبدالله بن يوسف، حدّثنا الليث، قال حدّثني سعيد المقبرى، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: بينما نحن في المسجد خرج النبيّ (ص) فقال: انطلقوا إلى يهود فخرجنا حتى جئنابين المدراس، فقال: أسلموا تسلموا واعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإنّي أريد أن اجليكم من هذه الأرض فمن يجد منكم بماله شيئا فليبيعه، والّا فاعلموا أنّ الأرض لله ورسوله.

٥ ـــ حدّثنا محمد، حدّثنا ابن عيينة، عن سليمان الأحول، سمع سعيد بن جبير، سمع ابن عباس، يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس. ثم بكى حتى بلّ دمعه الحصى، قلت: يا أباعباس ما يوم الخميس؟ قال: إشتد برسول الله (ص) وجعه فقال ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا ولاينبغي عند نبي تنازع. فقالوا: ما له أهجر استفهموه، فقال: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، فأمرهم بثلاث، قال: أخرجوا اليهود من جزيرة العرب. وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. والثالثة خير امّا أن سكت عنها، وامّا أن قالها فنسيتها (١٦).

٦ ـــ حدّثني محمد بن رافع، واسحاق بن منصور، قال: أخبرنا ابن جريح، عن موسى بن عقبة، عن نافع عن، ابن عمر أنّ يهود بنى النضير وقريظة حاربوا رسول الله (ص)، فأجلى رسول الله (ص) بني النضير، وأقرّ قريظة، ومن عليهم. حتى حاربت قريظة بعد ذلك. فقتل رجالهم، وقسم نساءهم، وأولادهم، وأموالهم بين المسلمين. إلّا أنّ بعضهم لحقوا برسول الله (ص) فآمنهم وأسلموا. وأجلى رسول الله (ص) يهود المدينة كلهم بني قينقاع (وهم قوم عبدالله بن سلام) ويهود بني حارثة. وكل يهوديّ كان بالمدينة.

٧ ـــ وحدّثني زهير بن حرب. حدّثنا الضحاك بن مخلد، عن ابن جريح. وحدّثني محمد بن رافع، حدّثنا عبدالرزاق أخبرنا ابن جريح. أخبرني أبوالزبير، أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: أخبرني عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله (ص) يقول: لأخرجنّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب. حتى لاأدع إلّا مسلما.

وحدّثني زهير بن حرب. حدّثنا روح بن عبادة. أخبرنا سفيان الثوري. وحدّثني سلمة بن شبيب. حدّثنا معقل (وهو ابن عبيدالله) كلاهما عن أبي الزبير بهذا الإسناد مثله (١٧).

٨ ـــ وحدّثني عن مالك، عن اسماعيل بن أبي الحكم، أنّه سمع عمر بن عبدالعزيز يقول: كان من آخر ماتكلم به رسول الله (ص) أن قال: قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. لايبقين دينان بأرض العرب.

٩ ــ وحدّثني، عن مالك، عن ابن شهاب، أنّ رسول الله (ص) قال: لايجتمع دينان في جزيرة العرب.

١٠ ــ قال مالك، قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب،حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله (ص) قال لايجتمع دينان في جزيرة العرب. فأجلى يهود خيبر (١٨).

١١ ــ وحدّثني عمرو بن الناقد، وزهير بن حرب قالا: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: استأذن رهط من اليهود على رسول الله (ص) فقالوا: السامّ عليكم. فقالت عائشة: بل عليكم السامّ واللعنة.

١٢ ــ حدّثنا قتيبة بن سعيد. حدّثنا عبدالعزيز (يعني الدراوردي) عن سهيل، عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام. فاذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه.

وحدّثنا محمد بن المثنى. حدّثنا محمد بن جعفر. حدّثنا شعبة. وحدّثنا أبوبكر بن أبي شيبة وأبوكريب. قالا: حدّثنا وكيع عن سفيان. وحدّثني زهير بن حرب. حدّثنا جرير كلهم عن سهيل، بهذا الاسناد. وفي حديث وكيع (اذا لقيتم اليهود) (١٩).

١٣ ــ حدّثنا قتيبة. حدّثنا عبدالعزيز بن محمد، عن سهل بن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة، أن رسول الله (ص) قال: لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام. و إذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه.

قال أبوعيسى: هذا حديث حسن صحيح.

حدّثنا سعيد بن عبدالرحمن المخزومي. حدّثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري عن عروة عن عائشة، قالت: إنّ رهطا من اليهود دخلوا على النبيّ (ص) فقالوا: السامّ عليك. فقال النبيّ (ص) عليكم. فقالت عائشة: بل عليكم السامّ واللعنة (٢٠).

١٤ ــ حدّثني يونس بن عبدالأعلى. أخبرنا ابن وهب. قال: وأخبرني عمرو أن أبايونس حدّثه عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) أنه قال: والذي نفس محمد بيده، لايسمع بي أحد من هذه الامة يهوديّ، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذّي ارسلت به إلّا كان من أصحاب النار (٢١).

١٥ ــ حدّثنا أبوبكر بن أبي شيبة. حدّثنا أبوأسامة، عن طلحة بن يحيى، عن أبي بردة عن أبي موسى، قال قال رسول الله (ص): اذا كان يوم القيامة دفع الله عزوجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانيا. فيقول: هذا فكاكك من النار. الفكاك وهو الخلاص والفداء.

١٦ ـ حدّثنا أبوبكر بن أبي شيبة. حدّثنا عفان بن مسلم. حدّثنا همام. حدّثنا قتادة، أن عونا، وسعيد بن أبي بردة، حدّثاه أنهما شهدا أبا بردة، يحدّث عمر بن عبدالعزيز، عن أبيه عن النبيّ (ص) قال: لايموت رجل مسلم إلّا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانيا. قال: فاستحلفه عمر بن عبدالعزيز بالله الذي لا اله إلّا هو ثلاث مرات أن أباه حدّثه عن رسول الله (ص) قال: فحلف له.

حدّثنا اسحاق بن ابراهيم، ومحمد بن المثنى. جميعاً عن عبدالصمد بن عبدالوارث. أخبرنا همام. حدّثنا قتادة بهذا الإسناد نحو حديث عفان.

١٧ ـ حدّثنا محمد بن عمرو بن عباد بن جبلة بن أبي روّاد. حدّثنا حرمي بن عمارة. حدّثنا شدادّ أبوطلحة الراسبي، عن غيلان بن جرير. عن أبي بردة عن أبيه عن النبيّ (ص) قال: يجيئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال. فيغفرها الله لهم. ويضعها على اليهود والنصارى (٢٢).

* * *

وهكذا نجد نبي الإسلام (ص) يجند المسلمين لاجلاء اليهود والنصارى من الجزيرة العربية، وينفيهم منها بصورة عامة عنها من دون استثناء، ويعلم المسلمين كيفية التعامل معهم ومقاطعتهم، وعدم ابتدائهم بالسلام. ورعاية الآداب الإجتماعية، وأخيرا يعلن عن أحوالهم يوم القيامة، وأن الله سبحانه يغفر ذنوب ناس من المسلمين قد أتوا بذنوب أمثال الجبال، ويضعها على اليهود والنصارى.

و إذا اردنا استقصاء كافة الأحاديث الواردة في السنن والصحاح، في هذا الحقل لافتقرنا إلى مجلدات، ووقت وزمان طويل... غير أننا ندع البقية منها إلى نظر القارئ الكريم والباحث المحترم.

وحذى حذو النبيّ الأقدس (ص) واقتدى أثره من بعده الصحابة، وواصلوا إجلاء اليهود من الجزيرة، وكشفوا القناع عن مآربهم وخيانتهم وخبثهم ونفسياتهم الجشعة، وأنهم مجبولون على الخبث والمكر والغدر.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام، لمروان بن الحكم بالبصرة...

أولم يبايعني بعد قتل عثمان. لاحاجة لي في بيعته. إنّها كف يهوديّة. لو بايعني بيده لغدر بسبته.

فقد أجمع الشارحون أن معنى قوله: (انّها كف يهودية) أي غادرة، واليهود تنسب إلى الغدر والخبث، وقال تعالى: **(لتجدنّ أشد الناس عدواة للذين آمنوا اليهود)** (٢٣).

عمر بن الخطاب...

حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا فضيل بن سليمان، حدثنا موسى، أخبرنا نافع عن ابن عمر، قال: كان رسول الله (ص). وقال عبدالرزاق، أخبرنا ابن جريج، قال: حدثني موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز. وكان رسول الله (ص) لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها. وكانت الارض حين ظهر عليها لله ولرسوله (ص) وللمسلمين وأراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهود رسول الله (ص) ليقرّهم بها أن يكفوا عملها، ولهم نصف الثمر، فقال لهم رسول الله (ص): نقركم بها على ذلك ماشئنا، فقرّوا بها حتى أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء (٢٤).

قال مالك: وقد أجلى عمر بن الخطاب يهود نجران، وفدك. فأما يهود خيبر، فخرجوا منها ليس لهم من الثمر ولا من الأرض شيء. وأمّا يهود فدك فكان لهم نصف الثمر ونصف الأرض. لانّ رسول الله (ص) كان صالحهم على نصف الثمر ونصف الأرض. فأقام لهم عمر نصف الثمر ونصف الارض. قيمة من ذهب، وورق وابل وحبال وأقتاب. ثم أعطاهم القيمة وأجلاهم منها (٢٥).

قال ابن اسحاق: وسألت ابن شهاب الزهري، كيف كان إعطاء رسول الله (ص) يهود خيبر نخلهم ـ حين أعطاهم النخل ـ على خرجها أبتّ ذلك لهم حتى قبض، أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك؟ فأخبرني ابن شهاب أن رسول الله (ص) افتتح خيبر عنوة بعد القتال. وكانت خيبر مما أفاء الله عزوجل على رسول الله (ص) خمسها رسول الله (ص)، وقسمها بين المسلمين. ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال. فدعاهم رسول الله (ص) فقال: ان شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها، وتكون ثمارها بيننا وبينكم، وأقرّكم ما أقرالله... فقبلوا فكانوا على ذلك يعملونها وكان رسول الله (ص) يبعث عبدالله بن رواحة، فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص. فلما توفى الله نبيه (ص) أقرّها أبوبكر بعد رسول الله (ص) بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله (ص) حتى توفي. ثم أقرّها عمر صدرا من إمارته. ثم بلغ عمر أن رسول الله (ص) قال: في وجعه الذي قبض الله فيه: (لايجتمعن بجزيرة العرب دينان) ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت. فأرسل إلى يهود، فقال: أن الله عزوجل قد أذن في جلائكم. فقد بلغني أن رسول الله (ص) قال: (لايجتمعن بجزيرة العرب دينان) فمن كان عنده عهد من رسول الله (ص) من اليهود فليأتني به انفذه له. ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله (ص) من اليهود، فليتجهز للجلاء. فأجلى عمر من لم

يكن عنده عهد من رسول الله (ص) منهم.

قال ابن اسحاق، وحدّثني نافع مولى عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر، قال: خرجت أنا والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا، قال: فعدى عليّ تحت الليل وأنانائم على فراشي. ففدعت يداي من مرفقي، فلما أصبحت استصرخ على صاحباي فأتياني فسألاني من صنع هذا بك؟ فقلت: لا أدري. قال: فأصلحا من يديّ ثم قد ما بي على عمر، فقال: هذا عمل يهود. ثم قام في الناس خطيبا، فقال: أيها الناس إنّ رسول الله (ص) كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا، وقد عدو على عبدالله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوهم على الأنصاريّ قبله. لا نشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدوّ غيرهم. فمن كان له مال بخيبر فليلحق به، فانّي مخرج يهود فأخرجهم (٢٦).

لقد ثار الرسول الأكرم (ص) بوجه اليهود، ودعا إلى مطاردتهم و إجلائهم من مكة... والمدينة الطيبة... وامتدت جذور الجلاء هذا، وشملت الجزيرة العربية بأسرها... بعد أن بعث بندائه المقدس وأسمع الأجيال والأجيال، وكان الواجب يحتم على المسلمين تلبية دعوته (ص) ويتجاوبوا لصرخته، ويحذوا حذوه عبر القرون قرنا بعد قرن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

بيد أنهم قابلوا هتاف النبيّ الأعظم (ص) بالنكران، والتقاعد والتقاعس، ومشى الضعف والجبن والوهن والكسل في دمائهم، وتفشى في عروقهم، فأقعدهم عن واجبهم وتخلوا عن رسالتهم، والعدو يتربص بهم الدوائر والفرص لحظة بعد اخرى، إلى أن استفحل اليهود في استعبادهم، وتكالب في جشعه الا خطبوط الصهيوني، وتطاول في عدوانه واستأرب في أطماعه، ويضم في سياسته التعسفية التوسعية، وتوجّه الى الأراضي الإسلامية يبتزها بكل دنائة ووقاحة... يخضمون خيراتها وثرواتها خضمة الإبل نبتة الربيع، من غير رادع ولا مانع، والمسلمون بمعزل عن ذبّ كرامة أوطانهم، والذود عن قدسية بلادهم، وحفظ طهارة تربتهم، وفي غفلة مما يجرى فيها من المكاره على أهلها، فتفاقم الأمر والحرص والجشع اليهودي، واستعذبوا نومة المسلمين وغفلتهم، فصالوا وجالوا، ونهبوا وغدروا، وعبثوا بمحارم المسلمين، وقبضوا على مقدساتهم، وبقاعهم الكريمة، وانتهى بهم المطاف أن أحرقوا المسجد الأقصى الذّي باركنا حوله... المسجد الأقصى الذّي كانت آباؤهم بالأمس تتغنى بأولويته وتشريفه، وتفضيله على الكعبة وتتشدق بمجده وقدسيته... وقد ذكرت هذه المأساة في قصيدتي التي ألقيتها بين آلاف من المحتشدين في الأحتفال الذّي اقيم في النجف الأشرف يوم الجمعة

٧/ربيع الثاني /١٣٩٠ بمناسبة ذكرى وفاة السيد الحكيم... ومنها:

يا قادة الدين هذا الدين دينكم ... لا تتركوه بلا رعي ليغتربا
الدين للشعب نور يستضيء به ... وقوّة تهزم الأحداث والنوبا
لا تودعوه غريباً في بلادكم ... فربّ ترك مرير يورث العطبا
قد راح يفتك فيه الغرب من حسد ... وحوله يزرع البهتان والكذبا
لم ألق كالدين مظلوما وقد حشدوا ... لذبحه جند كفر في المدى لجبا
وبددّوا وحدة للمسلمين زكت ... زكية لا ترى في نهجها صخبا
وأحرقوا المسجد الأقصى وفيه هدى ... للسالكين ونوراً يخرق الحجبا
وأفزعوا الدين والدنيا بفعلتهم ... يرنوا لمأساتها الإسلام مضطربا
وحدّق الشعب مرعوباً ليبصره ... فساءه أن يرى كفراً له اغتصبا
أتسعد الوطن المكلوم شرذمة ... من اليهود أتواكي يبعثوا الرهبا
ويستبيحوا حقوق الشعب من سفه ... بسيرة قد حشوها الظلم والحربا

(٢٧)

انّ تقاعس المسلمين، وعدم رعايتهم لهتاف نبيّهم الاكرم (ص)، جرّ عليهم الدمار والعذاب والوبال، فقد تسرّب العدو من مختلف الجهات، وبشتى العناوين والحيل إلى مجتمعهم وأوطانهم، ونهبت ثرواتهم، وخيرات بلادهم وبددتها بين اللصوص والذئاب، وابتزوها وصاروا ذات سيادة وحكومة ونفوذ، وقوّة بعد أن كانوا إلى الأمس القريب عبيداً اذلاء صاغرين.

ليت شعرى، كيف يستسيغ المسلمون لأنفسهم أن يبيتوا على الذّل والهوان، والاستسلام وقد أحدقت بهم المخاطر والمكاره، وأحاطتهم العقبات والمصاعب، من كل صوب وحدب، وغزت تراثهم وامتلكت أراضيهم ابناء بني اسرائيل، وحاربتهم جنود إبليس، ودنست تربتهم أقدام كل شيطان مارد... مع العلم أنّ المسلم الحق المتغلغل في عروقه وشراينه، طبيعة الإيمان بالله الواحد الأحد... لايكترث في يوم ما بأمر ليس له من دين الله سناد، وهو في إقدامه وجرأته على المعروف والتقاليد، سوف يلاقي العنت والإضطهاد والحر والجوع. بيد انه لا يخشى في الله لومة لائم وأن يمضى إلى غايته لا تعينه قسوة النقد ولا جراحات الألسنة والسنان ولا أبواق الدعايات الفاشلة و إسفافهم الهزيل:

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما ... فما زلت بالبيض القواضب مغرما

وهكذا غابت تلك الشمس الرائعة، سرّ تقدمنا، ومنطلق عزّتنا التي كنا فيها نسير على قمم الزمان الشواهق، منذ أن تسرب الإخطبوط إلى أراضينا، وخيمت التيارات الوافدة من خارج

الوطن الإسلامي على رؤسنا، وغطت منبع النور وكل القيم والفضائل المؤمنة التي وعت واقعها، وحددت نقاط الداء في جسم الإمة وما رأت لكل أدوائها علاجا ومنقذاً غير الإسلام العظيم، عند ما يعود فيستلم دفة الامور ويحكم ويسيطر على كافة مجالات الحيّاة.

إنّ المسلمين في جميع الحالات والأعصار والأزمان والأطوار بحاجة ماسة إلى الإسلام والقرآن... والعودة والدعوة إلى مبادئه، والدفع الحثيث نحو إنزالهم وتوجيههم إلى واقع التطبيق من جمع الشمل، ورأب الصدع بعد أن إلتـزم المسلمون من المؤسف جداً بأطروحات ومسيرات عديدة لاصلة لها بالسماء وخالقها... فجربوها وعاشوا في ظلالها سنين طويلة، فلم تجن منها إلّا الأسى والألم والهوان، ولم تجد فيها السعادة التي تنشدها. والرواء الذّي تفتقر، وبالرغم من ذلك مازالوا يتخبطون بعيداً عن اطروحة السماء إلى أن وجدت نفسها في نهاية الشوط مفلسة من كل خير وقد أعياهم المسير.

* * *

هذا والحديث ذوشجون... وشجون متواصلة الحلقات لا انقطاع لها ولا حدود ولا أمد... بيد أني أقف بالقلم هنا وأدع البحث هذا جانباً خشية الإطالة والتفصيل، لئلايعترى القاريْ الكريم إرهاق وضجر... وأعود إلى بداية الموضوع الذّي عقد ناله الفصل هذا، بعون الله وتوفيقه، وهو (شرافة الكعبة وأفضليتها على بيت المقدس).

أجل إنّ اليهود فاخرت المسلمين، وزعمت كبقيةمزاعمها الواهية الفارغة، أن بيت المقدس أفضل وأشرف من الكعبة، وتصدى بالإجابة عليهم علماء لاسلام، وفي مقدمتهم رجال التفسير والحديث والكلام، فأجمعوا على أنّ الآية الكريمة: **(إنّ أوّل بيت وضع للناس للذّي ببكة مباركاً وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً)** (٢٨) في حد ذاتها ردّ على اليهود عن شبهة أخرى من شبههم، في إنكار نبوّة محمد (ص) وذلك لأنه صلى الله عليه وآله وسلم، لما حوّل القبلة إلى الكعبة طعن اليهود في نبوّته، وقالوا: أن بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالإستقبال. وذلك لأنه وضع قبل الكعبة، وهو أرض المحشر، وقبلة جملة الأنبياء، واذا كان كذلك كان تحويل القبلة منه إلى الكعبة باطلا. فأجاب الله تعالى عنه بقوله: **(إنّ أول بيت وضع للناس)** فبين سبحانه أن الكعبة أفضل من بيت المقدس، وأشرف فكأن جعلها قبلة أولى.

ثم إن المقصود من الآية المتقدمة، بيان أن النسخ هل يجوز أم لا؟ فانّ النبيّ (ص) استدلّ على جوازه بأن الأطعمة كانت مباحة لبني اسرائيل، ومن ثم حرّم الله بعضها والقوم نازعوا رسول الله (ص) فيه. ومن أعظم الأمور التي أظهر رسول الله (ص) نسخها، هو القبلة لا

جرم ذكر تعالى في هذه الآية العوامل التي من أجلها حولت الكعبة، وهو كون الكعبة أفضل من غيرها.

والآية المتقدمة على هذه الآية: **(قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)** وفيها دلالة صادقة أنّ الحج كان من أعظم شعار ملة ابراهيم، وفيها فضيلة البيت ليفرع عليه إيجاب الحج. بالإضافة إلى هذا جميعاً أن اليهود والنصارى زعم كل فرقة منهم أنه على ملة ابراهيم، والله تعالى أراد بيان وتبيين كذبهم من حيث أن الحج كان مختصاً بملة ابراهيم، واليهود والنصارى لا يحجون فيدلّ هذا على كذبهم في ذلك.

هذا والمقصود من الأولية والأولوية كون الكعبة أو البيت أو لا في كونه مباركاً، وهدى للخلق. فقد روي أن النبيّ (ص) سئل عن أوّل مسجد وضع للناس، فأجاب صلى الله عليه وآله وسلم: ـ المسجد الحرام ثم بيت المقدس ـ فقيل كم بينهما؟ قال: أربعون سنة (٢٨). وفي حديث آخر، عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص): لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد، مسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد الأقصى (٢٩). ولا يخفى أن دلالة الآية على الأولية في الفضل والشرف أمر لا محيص منه. لأن المقصود ترجيحه على بيت المقدس، وهذا انمايتم بالأولية في الفضيلة والشرف. ولا تأثير للأولية في البناء في هذا المقصود. الّا أن ثبوت الأولية بسبب الفضيلة لا ينا في ثبوت الأولية في البناء، وقد أوضحنا ذلك فيما تقدم.

ومهما يكن من أمر فالمراد من ثبوت هذه الأولية زيادة الفضيلة والمنقبة والشرافة والعظمة. وإليك أسباب فضيلة البيت والمزايا العالية، والقيم والمثل العليا التي لم نجدها بصورة باتة في غيره كما صرّح بها المفسرون... وأثبتوها في تفاسيرهم:

١ ـ اتفقت الأمم على أن باني هذا البيت هو الخليل عليه السلام. وباني وواضع لبنة بيت المقدس سليمان عليه السلام. ولا مشاحة أن الخليل أعظم درجة، وأكثر منقبة وفضيلة من سليمان. فمن هذا الوجه يجب أن تكون الكعبة أشرف من بيت المقدس. وقد صرّحت الآية الكريمة: **(واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود)** (٣٠) والمبلغ لهذا التكليف هو جبريل (ع) فلهذا قيل: ليس في العالم بناء أشرف من الكعبة، فالآمر هو الله الواحد القهار. والمهندس هو جبريل. والباني المعمار الخليل. والتلميذ إسماعيل عليهم السلام.

٢ ـ مقام ابراهيم، وهو الحجر الذي وضع إبراهيم قدمه عليه، فجعل الله ماتحت قدم إبراهيم عليه السلام، من ذلك الحجر دون سائر أجزائه كالطين، حتى غاص فيه قدم إبراهيم.

وهذا مما لا يقدر عليه إلّا الله ولايظهره الّا على الأنبياء ثم لما رفع إبراهيم قدمه عنه، خلق فيه الصلابة الحجرية مرة اخرى. وأبقى الله تعالى ذلك الحجر على إمتداد التاريخ، وعبر القرون والأحقاب والإستمرار والدوام. ولقد كانت آثار القدم والأصابع ظاهرة واضحة الّا أن الخلق راحت تمسحه وتلمسه، فاخلونق وانماح.

قال أبوالوليد محمد الأزرقي: حدّثني محمد بن يحيى، عن محمد بن عمر الواقدي، عن ابن أبي سبرة عن اسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، عن عمر بن الحكم، عن أبي سعيد الخدري قال: سألت عبدالله بن سلام، عن الأثر الذّي في المقام؟ فقال: كانت الحجارة على ماهي عليه اليوم، إلّا أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجعل المقام آية من آياته، فلما أمر إبراهيم (ع) أن يؤذن في الناس بالحج، قام على المقام فارتفع المقام حتى صار أطول الجبال وأشرف على ما تحته، فقال: ياأيها الناس أجيبوا ربّكم فأجابوه الناس، فقالوا: لبيك اللّهم لبيك، فكان أثر قدميه فيه لما أراد الله سبحانه، فكان ينظر عن يمينه وعن شماله، ويقول: أجيبوا ربّكم. فلما فرغ أمر بالمقام فوضعه قبلة فكان يصلي إليه مستقبل باب الكعبة (٣١).

٣ ــ قلة ما يجتمع فيه من حصى الجمار، فانّه منذ آلاف من السنين، وقد يبلغ من يرمى في كل سنة ستمائة ألف انسان، كل واحد منهم سبعين حصاة. ثم لا يرى هناك إلّا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير، وليس الموضع الذّي ترمى إليه الجمرات مسيل ماء، ولا مهب رياح شديدة كي تكتسحها إلى أماكن أخرى. وقد جاء في الآثار أن من كانت حجته مقبولة، رفعت حجارة جمراته إلى السماء (٣٢).

٤ ــ إنّ الطيور تترك الأجتياز والطيران فوق الكعبة عند طيرانها في الجو، بل تنحرف عنها إذا ما وصلت إلى فوقها.

قال الشيخ قطب الدين النهرواني المكي الحنفي: وينبغي لمن بنى بمكة بيتاً أن لا يرفع بناءه على بناء الكعبة الشريفة. فإنّ بعض الصحابة كان يأمر بهدمه. قال الازرقي: وانّما سميت الكعبة كعبة لانه لايبنى بمكة بناء مرتفع عليها. ثم قال: حدّثني جدّي عن ابن عيينة، عن ابن شيبة الحجبى، عن شيبة بن عثمان، أنه كان يشرف فلا يرى بيتاً مشرفا على الكعبة إلّا أمر بهدمه. ثم قال، قال جدّي: لما بنى العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنه داره التي بمكة حيال المسجد الحرام، أمر قومه أن لا يرفعوها على الكعبة، وأن يجعلوا أعلاها دون الكعبة لتكون دونها إعظاماً للكعبة. قال الازرقي: قال جدّي فلم تبق بمكة دار للكبير أوغيره تشرف على الكعبة إلّا هدمت أو خربت إلّا هذه الدار، فإنّها باقية إلى اليوم (٣٣).

٥ ــ يجتمع عنده الوحش فلا يؤذى بعضها بعضاً، كالكلاب والظباء. ولا يصطاد فيه الكلاب والوحوش وهذه صفة خاصة عجيبة. وأيضا كل من سكن مكة أمن من النهب والحريق، والغارة بسبب دعاء إبراهيم (ع) حيث قال: (**ربّ اجعل هذا بلداً آمنا**) وقال تعالى في صفة أمنه: **أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم**) (٣٤) وقال: (**فليعبدوا ربّ هذا البيت الذّي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**) (٣٥). ولم يذكر التاريخ ألبتة أن ظالما هدّم الكعبة، وخرّب مكة بالكلية، وأما بيت المقدس فقد هدّمه بختنصر بالكلية ومحاه من على الأرض.

٦ ــ أن صاحب الفيل، وهو أبرهة بن الصباح الأشرم، ملك اليمن بنى من قبل أضخمة النجاشي، كنيسة بصنعاء وسماها القليس، وأراد أن يصرف إليها الحاج، فخرج من بني كنانة رجل وتغوّط فيها ليلا فأغضبه ذلك. وقيل: أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح، فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فقاد الجيوش والفيل إلى مكة لتخريبها، وعجز قريش عن مقاومة أولئك الجيوش، وفارقوا مكة وتركوا له الكعبة. فلما بلغ قريباً من مكة خرج إليه عبدالمطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة، ليرجع فأبى وعبأ جيشه. وقدّم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى جهة الحرم برك ولم يبرح. واذا وجهوه إلى جهة اليمن أو إلى سائر الجهات هرول. ثم انّ أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليهم فيها، فعظم في عين أبرهة وكان رجلا جسيماً وسيماً، وقيل: هذا سيد قريش، وصاحب عير مكة، فلما ذكر حاجته قال: سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذّي هو دينك ودين آبائك، فألهاك عنه ذود أخذ لك. فقال: أنا ربّ الإبل، وللبيت ربّ سيمنعك عنه.

ثم رجع وأتى البيت وأخذ بحلقته، وهو يقول:

لا هم إنّ المرء يمنع حله فامنع حلالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمرما بدالك

ويقول:

يارب لا أرجولهم سواكا يارب فامنع عنهم حماكا

فالتفت وهو يدعو، فاذا هو بطير من نحو اليمن، فقال: والله انّها لطير غريبه ما هي بنجديّة ولا تهامية، وكان مع كل طائر حجر في منقاره، وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة. فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر إسم من يقع

عليه فهلكوا في كل طريق ومنهل، ودوى أبرهة فتساقطت أنامله، وما مات حتى إنصدع صدره عن قلبه، وانفلت وزيره أبويكسوم، وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة. فلما أتمها وقع عليه الحجر وخرميتاً بين يديه.

وذكر النقاش في تفسيره: أن السيل احتمل جثثهم، فألقاها في البحر. وقد قالت العرب الأشعار في هذه الكائنة العظيمة التي نصرالله فيها بيته الحرام الذّي يريد أن يشرّفه ويعظمه ويطهرّه ويوّقره، ببعثة نبيه (ص) وما يشرع له من الدين القوم الذي أحد أركانه الصلاةّ بلّ عماد دينه، وسيجعل قبلته إلى هذه الكعبة المطهرّة، ولم يكن ما فعله بأصحاب الفيل نصرة لقريش، اذ ذاك على النصارى الذين هم الحبشة، فانّ الحبشة اذ ذاك كانوا أقرب لها من مشركي قريش، وانّما كان النصر للبيت الحرام، وارهاصا وتوطئة لبعثة النبيّ الأعظم (ص).

فمن ذلك ما قاله عبدالله بن الزبعري السهمي القرشي. شاعر قريش في الجاهلية وكان شديداً على المسلمين. ومات عام ١٥ هجرى:

تنكلوا عن بطن مكة انّها	كانت قديماً لايرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالي حرمت	اذ لا عزيز من الأنام يرومها
سائل أميرالجيش عنها مارأى	فلسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يؤبوا أرضهم	بل لم يعش بعد الأياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم	والله من فوق العباد يقيمها

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت الأنصاري المدني:

ومن صنعه يوم فيل الجيو	ش اذ كلما بعثوه رزم
محاجنهم تحت أقرابه	وقد شرموا أنفه فانحزم
وقد جعلوا سوطه مغولا	إذا يمموه قفاه كلم
فولّى وأدبر أدراجه	وقد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصباً	فلفهم مثل لف القزم
تحض على الصبر أحبارهم	وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

وقال في هذه الواقعة أبوالصلت ربيعة بن أبي ربيعة وهب بن علاج الثقفي:

إنّ آيات ربّنا ثاقبات	مايمارى فيهن إلّا الكفور
خلق الليل والنهار فكل	مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار ربّ رحيم	بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى	صاريحبو كأنه معقور

لازما حلقة الجران كماقد من صخر كبكب محدور
حوله من ملوك كندة أبطال ملاويث فى الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جميعا كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عندالله الآ دين الحنيفة بور

وقال عبيدالله بن قيس الرقيات، في عظمة البيت وحمايته بهلاك من أراده بسوء:

كاده الأشرم الذي جاء بالفيل فولّى وجيشه مهزوم
واستهلت عليهم الطير بالجندل حتى كأنه مرجوم
ذاك من يغزه من الناس يرجع وهوفل من الجبوس ذميم

وقال أبوقيس بن الأسلت أيضا:

فقوموا فصلوّا ربكم وتمسحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعندكم منه بلاء مصدق غداة أبى يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسهل تمشى ورجله على القاذفات فى رؤس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردّهم جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوّا سراعا هاربين ولم يؤب الى أهله ملحبش غير عصائب

وذكر إبن الأثير عزالدين أبيات عبدالمطلب هكذا، ثم قام عبدالمطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة. فقال عبدالمطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

يارب لا أرجولهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
إنّ عدو البيت من عاداكا إمنعهم أن يخربوا فناكا

كما أنه ذكر أبيات أربعة اخرى بالأضافة إلى الأبيات الأربعة المذكورة من شعر عبدالمطلب وهي:

ولئن فعلت فانّه أمرتتم به فعالك
أنت الذّى ان جاء باغ نرتجيك له كذلك
ولوّا ولم يحووا سوى خزى وتهلهم هنالك
جرّوا جموع بلادهم والفيل كى يسبوا عيالك

ثم أرسل عبدالمطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهة بمكة إذا دخل.

وعن ابن عباس أنه رأى منها عند أم هاني نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى.

وعن عائشة، قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان (٣٦).
وهذه آية باهرة دالة على شرف الكعبة، و إرهاص لنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٧ ــ انّ الله سبحانه وضعها بواد غير ذي ذرع والحكمة فيه من وجوه:

ا ــ أراد الخالق أن يقطع بذلك رجاء أهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه، حتى لا يتوكلوّا في الحياة الّا على الله. والتوكل هذا لم يكن محصوراً بأهل الحرم فحسب، و إنّما يشمل الناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم منذ الحلم إلى آخر من لحظات عمره في كافة حالاته وأطواره وتقلباته. وقد جاء في الحديث القدسي المروي عن الله سبحانه إذ قال: (وعزّتى، وجلالي، ومجدي، وارتفاعي، لأقطعن أمل كل مؤمل غيري باليأس، ولأكسونّه ثوب المذلة عند الناس).

ب ــ أنه لا يسكنها أحد من الجبابرة والطواغيت والأكاسرة، لأنهم يبتغون زخارف الحياة فاذا لم يجدوها هناك تركوا ذلك الموضع (مكة) واتجهوا إلى ناحية اخرى. والمراد تنزيه ذلك المكان عن لوث وجود أهل الدنيا وطالبيها.

ت ــ جعلها في واد غير ذي ذرع لئلايقصدها أحد بنية التجارة، بل تبقى إلى الأبد للعبادة والزيارة فحسب. وعلى طابعها الذّي وضع عليه.

ث ــ أظهرالله سبحانه بذلك شرف الفقر حيث وضع أشرف البيوت في أقل المواضع نصيباً من الدنيا، فكأنه قال: جعلت الفقراء في الدنيا أهل البلد الأمين. فكذلك أجعلهم في الآخرة أهل المقام الأمين، لهم في الدنيا بيت الأمن وفي الآخرة دارالأمن.

ج ــ كأنه تعالى قال: لما لم أجعل الكعبة إلّا في موضع خال عن كافة نعم الدنيا، فكذا لا أجعل كعبة المعرفة إلّا في كل قلب نزيه وفارغ عن محبة الدنيا وزينتها.

هذا موجز ما ذكره المفسرون فيما يخص بفضائل الكعبة. وحين ثبت أن هذا البيت أوّل بيت وضع للناس في شتى الفضائل، ومختلف المناقب وأنواع المثل ظهر بطلان مزاعم اليهود... أنّ بيت المقدس أشرف من الكعبة... قل موتوا بغيظكم إنّ الله عليم بذات الصدور.

* * *

الهامش:

(١) مجمع البيان ٤٧٧/٢ عن الضحاك. تفسير العياشي ١٨٧/١. تفسير الكشاف ٤٤٧/١.

(٢) صحيح مسلم ١٠١٤/٢. باب فضل الصلاة بمسجدي، مكة، والمدينة.

(٣) الجامع الصغير ٢١٤/٢ حديث رقم /٥٨٦٨.

(٤) صحيح مسلم ٩٨٥/٢. وفيه: حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك عن سميّ مولى أبي بكر بن عبدالرحمن، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة أنّ رسول الله (ص) قال... وسند الحديث الثاني هكذا: حدثنا يحيى بن يحيى، وزهير بن حرب، عن منصور، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال، قال رسول الله (ص): الحديث...

(٥) سورة القصص/٥٧.

(٦) سورة الأسراء/١.

(٧) تفسير الفخر الرازي ١٤٩/٨. مجمع البيان ٤٧٨/٢.

(٨) اخبار مكة ٤٠/١. مجمع البيان ٤٧٧/٢. تفسير أبي السعود ٦٠/٢.

(٩) سورة آل عمران/٧٦.

(١٠) سورة المائدة/١٨.

(١١) تفسير الفخر الرازي ١٢٠/٨. تفسير أبي السعود ٢١/٣. تفسير ابن كثير ٣٤/٢.

(١٢) سورة البقرة/٦١.

(١٣) تفسير الدّرالمنثور ٧٣/١.

(١٤) سورة التوبة/٢٩.

(١٥) سنن أبي داود ٣٦/٢ باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة.

(١٦) صحيح البخارى ٢٠٢/٢ باب إخراج اليهود من جزيرة العرب. وج ٢٠٠/٤. كتاب الإكراه.

(١٧) صحيح مسلم ١٣٨٧/٣ باب إجلاء اليهود من الحجاز. سنن أبي داود ٣٨/٢. وفاء الوفا ٣٠٩/١.

(١٨) الموطأ ٨٩٢/٢ باب ماجاء في إجلاء اليهود من المدينة. حديث رقم ١٧ — ١٨.

(١٩) صحيح مسلم ٣٩/٤.

(٢٠) صحيح الترمذي ٦٠/٥.

(٢١) صحيح مسلم ١٣٤/١ حديث رقم ٢٤٠.

(٢٢) المصدر السابق ١١٩/٤، حديث ٤٩ — ٥١.

(١٣) سورة المائدة/٨٢.

(٢٤) صحيح البخاري ٤٨/٢. إرشاد الساري ١٨٦/٤. صحيح مسلم ١١٨٧/٣ حديث ٦. كتاب المساقاة. وتيماء: بلدة معروفة بين الشام والمدينة على سبع أوثمان مراحل من المدينة.

أريحاء: هي مدينة الجبارين في الغور من أرض الشام بالاردن. بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس.

(٢٥) الموطأ لمالك ٨٩٣/٢.

(٢٦) سيرة ابن هشام ٤١١/٣ ــ ٤١٢.

(٢٧) جريدة المحتمع العدد ٨٠ بتاريخ ٣ تموز ١٩٧٠.

(٢٨) صحيح مسلم ٣٧٠/١.

(٢٩) سنن الترمذي ١٤٨/٢.

(٣٠) سورة الحج/٢٦.

(٣١) تاريخ مكة ٢٧٣/١.

(٣٢) تفسير الفخر الرازي ١٤٥/٨.

(٣٣) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام /١٥ ــ ١٦.

(٣٤) سورة العنكبوت/٦٧.

(٣٥) سورة قريش/٣ ــ ٤.

(٣٦) تفسير الفخر الرازي ٩٦/٣٢. تفسير الكشاف ٢٨٦/٤. تفسير ابن كثير ٥٥٠/٤. تفسير السراج المنير ٥٨٨/٤. البداية والنهاية ١٧٥/٢. الكامل في التاريخ ٤٤٤/١.

قدسية مكة
عند غير الطوائف المسلمة



لم تكن رعاية مكة... والكعبة المقدّسة بعين التعظيم والإجلال، والعناية بها بالتمجيد والإكبار، والقصد إليها بالإخلاص والأدب، والخشوع والخضوع خاصة بالعهود الإسلامية فحسب، و إنّما تجد هذه القيم والآداب، والمراسيم بالنسبة إلى مكة ومن فيها، ومن جاورها، وسكنها، وتوجّه إليها بشتى المقاصد، والعناوين ومختلف الجهات، في العهود الجاهلية السالفة، والقرون المتقدّمة الغابرة... فالطوائف والشعوب والقبائل على إختلاف نزعاتهم، ونحلهم، ومللهم، وجنسياتهم، كانت تفد على مكة للزيارة، والطواف، والدعاء، وتقصدها من الجهات النائية، وتقيم فيها ردحاً من الزمن، رغم عبادتهم و إتخاذهم الأصنام آلهة لهم... ويستقبلون سكنتها ومجاوريها ، وزوارها برحابة صدر وحفاوة، يغدقون عليهم من العون والمساعدة.. باعتبارهم ضيوف الله سبحانه. فكما يجب رعاية الكعبة واحترامها وتعظيمها، كذلك الأمر في ضيوفها. فاحترام زوارها وضيوفها بمثابة إحترامها، وعدم المبالاة والتهاون بشأنهم إستخفاف وتطاول للكعبة وخالقها.

إننا حين نتصفح التاريخ في العهود الجاهلية السالفة، نجد شعوبها وطوائفها تتوجه الى الكعبة وتقصدها من كل صوب وحدب، بكل خضوع وفي منتهى الأدب والتجليل والتواضع. كما نشاهد سدنتها و ولا تها وخزنتها يتلقون ويستقبلون زائريها بالعطف والمحبة، ويكرمونهم ويغدقون عليهم الأموال والنعم، ويوسعونهم من خلقهم وبسطهم، ويحادثونهم ويداعبونهم ويجلسون إليهم لئلايشعر الزائر بالغربة، ويتمشى في عروقه اليأس كل ذلك لقدسية الكعبة. فهم في كافة الحالات يعبرون عن مضمون واحد دائم قائم على أساس التربية الطويلة التي لازمت البشرية باحترام الكعبة، لعلاقتها بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد الذّي لم يلد ولم يولد.

إنّ قداسة الكعبة وتوقيرها، من قبل الشعوب المتقدّمة الغابرة لم تكن بدافع ذاتي منبعث من شعورهم ووجدانهم، وافتقارهم كسائر البشر لانّ الإنسان إنّما ينطلق في اتجاه الخير المتمثل فيما عليه من واجبات وفرائض، أو يبتعد ويتجنب عن إتجاه الشر المتمثل فيما لديه من محرمات..: و إنّما الدافع عندهم والباعث هو ابتغاء الخير ودوامه الذي ينتظره ويتوخاه فيما إذا احترم الكعبة. أو يخاف عقاب وانتكاس فيما إذا انصرف عنها

ولم يتلاقاها بالعناية والرعاية. فالإحترام وعدمه هما اللذان كانا يبعثان هؤلاء إلى تقديس الكعبة في وسط مجتمع متخلف مهمل، يسيطر عليه الرعب، ويحكم فيه الجهل والفقر وتمزّقه الأحقاد وتبدده الأضغان وتتأجج في شرايينه وعروقه نيران العصبية القبلية، وتتمشى في حركاته وسكناته جذور الإحن والنهب فتحولهم إلى شيع متناحرة مصطرحة، وتدفعهم إلى جموع متفككة متناطحة مشحونة بالبغضاء والكراهية والحقد، نتيجة الكابوس الجاهلي والظلمة الحالكة المهيمنة على الأفكار والعقول. فتسد عليها منافذ الرؤية للحق والحقيقة. وتعميهم الغشاوة المدلهمة السوداء القاتمة التي ترين على القلوب، فتحيلها إلى حجارة صلدة قساوة وغلظة، والحيوانية المسفه التي تسيطر على النفوس فتقلب إنسانيتها إلى بهيمية رعناء همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها وتلهوعما يراد بها. تلكم الغرائز الجامحة التي ليست لها حدود ولا سدود ولا ميزان.

أجل على هذا النحو من التطاحن المميت، والجهل الأعمى كانت الشعوب والقبائل في العهود الجاهلية وهم في جميع أطوارهم يتبارون في استلاب الأموال، واغتصاب الأعراض، وانتهاك الحرمات والنواميس وتستهويهم العادات الذميمة، وتتحزب لقتال بعضها بعضاً، وسفك الدماء فيما بينهم لا تفه العوامل والأسباب، ولكنهم مع هذه الحالة كانوا يتصاغرون أمام الكعبة ويعظمونها، ويمتنعون من أن يبنوا حولها بيوتاً أو يدخلوا إلى مكة على جنابة وكانوا يقيمون بها نهاراً فاذا أمسوا خرجوا الى الحل (١).

لقد كانت للكعبة من المنزلة والرفعة في أعين العرب والفرس، ما ليس لمعبد غيره اذ كانوا يعتبرونها بيت الله، وأن الله تعالى هو الذّي حمل الشعوب الأجنبية عن العرب كالفرس والهنود واليهود والنصارى على تعظيمه. فكان الهنود يعظمونها ويزعمون أن روح سيفا وهو الاقنوم الثالث من الثالوث البوذي، قد حلت في الحجر الأسود حين زارمع زوجته بلاد الحجاز.

وكانت الصابئة وهم عباد الكواكب من الفرس والكلدانيين، يعدونّها أحد البيوتات السبعة المعظمة. كما كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام وتطوف به تعظيماً له ولجدها إبراهيم عليه السلام، وتمسكا بهديه وحفظا لأنسابها. وكان آخر من حجّ منهم ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن بن اسفنديار بن يستاسف بن بهراسف جد اردشير بن بابك، وهو أول ملوك ساسان وأبوهم الذي يرجعون اليه كرجوع ملوك المروانية إلى مروان بن الحكم، وخلفاء العباسيين إلى العباس بن عبدالمطلب، ولم يل الفرس الثانية أحد إلّا من ولد أردشير بن بابك هذا. فكان ساسان إذا أتى البيت طاف

به، وزمزم على بئر اسماعيل. فقيل: انّما سميت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس. وهذا يدلّ على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذه البئر. وفي ذلك يقول الشاعر في قديم الزمان:

زمزمت الفرس على زمزم   وذاك من سالفها الأقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الاسلام بذلك فقال من كلمة:

ومازلنا نحجّ البيت قدما   ونلفى بالأباطح آمنينا
وساسان بن بابك سارحتى   أتى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزمزم عند بئر   لا سماعيل تروى الشاربينا

وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالا في صدر الزمان وجواهر، وقد كان ساسان ابن بابك هذا أهدى غزالين من ذهب وجوهراً وسيوفاوذهبا كثيرا، فقذفه في زمزم (٢).

وهكذا الفرس من غير الصابئة، يحترمون الكعبة أيضا زاعمين أن روح هرمز حلت فيها وكانوا يحجون اليها. وكذلك اليهود يحترمونها ويعبدون الله فيها، على دين ابراهيم وكان بها صور وتماثيل، منها تمثال ابراهيم واسماعيل، وبأيديهما الأزلام وصورتا العذراء والمسيح. وكان للعرب بها ٣٦٠ صنما. ويقال: إنّ أوّل من جعلها بيتا للأوثان عمرو بن لحى، كبير خزاعة حينما ولى أمر البيت ضاهى بذلك ما يفعل الوثنيون بهياكلهم.

فلما فتح النبيّ (ص) مكة هدّم الأصنام التي بها وطهّرها، لعبادة الاله الحق وحده (٣).

قال إبن اسحاق: وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه إلى مكة وهي طريقه إلى اليمن، حتى اذا كان بين عسفان، وأمج (٤) أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد. فقالوا له: أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثر، أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد، والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى، قالوا: بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده، وإنّما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراد البيت من الملوك وبغى عنده. فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك، فقالا له: ما أراد القوم إلّا هلاكك وهلاك جندك، ما نعلم بيتاً لله اتخذه في الأرض لنفسه غيره. ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا.

قال: فماذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه؟ قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله، تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده، وتذلّ له حتى تخرج من عنده. قال: فما

يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنّه لبيت أبينا ابراهيم، و إنّه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهريقون عنده، وهم نجس أهل الشرك أو كما قالا له فعرف نصحهما وصدّق حديثهما، فقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم. ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه، وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحربها للناس ويطعم أهلها، ويسقيهم العسل وأرى في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (٥) ثم أرى أن يكسو أحسن من ذلك فكساه المعافر (٦). ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل (٧). وكان تبع فيما يزعمون أوّل من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مئلاة (٨) وهي المحائض (٩) وجعل له بابا ومفتاحا.

وفي ذلك يقول تبع:

وكسونا البيت الذّي حرّم الله	ملاء منضداً وبرودا
فأقمنا به من الشهر عشراً	وجعلنا لبابه إقليدا
ونحرنا بالشعب ستة ألف	فترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه نؤم سهيلا	فرفعنا لواءنا معقودا

وكانت هذه القصة قبل الإسلام بسبعمائة سنة. فقالت سبيعة بنت الأجب بن زبينة بن جذيمة بن عوف بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. لا بن لها، يقال له خالد تعظم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغي فيها، وتذكر تبعاً وتذّلله لها، وما صنع بها:

أبني لا تظلم بمكة	لا الصغير ولا الكبير
و احفظ محارمها	بنيّ ولا يغرنك الغرور
أبني من يظلم بمكة	يلق أنواع الشرور
أبني يضرب وجهه	ويلح بخديه السعير
أبني قد جرّبتها	فوجدت ظالمها يبور
ألله آمنها وما	بنيت بعرصتها قصور
والله آمن طيرها	والعصم تأمن في ثبير
ولقد عزاها تبع	فكسا بنيتها الحبير (١٠)
وأذلّ ربّي ملكه	فيها فأوفى بالنذور
يمشي اليها حافياً	بفنائها ألفا بعير

ويظل يطعم أهلها　　لحم المهاري والجزور (١١)
يسقيهم العسل المصـ　　ـفى والرحيض من الشعير (١٢)
والفيل أهلك جيشه　　يرمون فيها بالصخور
والملك في أقصى البلا　　د وفي الأعاجم والخزير
فاسمع إذا حدثت واف　　هم كيف عاقبة الأمور (١٣)

ثم خرج منها متوجّها إلى اليمن بمن معه، من جنوده، وبالحبرين، حتى اذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن (١٤).

انّ رعاية مكة، وتعظيم البيت العتيق و إكبار سكانها وزوارها وحجاجها ، بالمجد والعز والشرف لانها منبعثة ومنطلقة من دوافع انسانية ونوازع بشرية، فلا يقال لمن أعطى الأجير أجرته ووفّى العامل ثوابه، قد اختص فلان فلانا بعطيته. وانّما يقال ذلك إذا تطوع عليه بالعطية والإحسان بغير عمل، ومنعها غيره بغير جرم. فشرف المرء بأحسانه وخلقه وعمله، لا بحسبه ونسبه و إنّ شرف الأنساب دون شرف الأعمال، ولذلك نرى الله سبحانه وتعالى مدح المؤمنين والمحسنين، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والمنفقين بأعمالهم، ومآثرهم وأفعالهم. كما ذمّ المنافقين والكفار والظالمين والمعتدين والطواغيت والمسرفين، كذلك بأعمالهم وجرائمهم وتطاولهم على الناس وهذا ما نجده كثيراً ما في الأحاديث والروايات وأشعار الناس ومنثور كلامهم. وقد قال الشاعر في هاشم بن عبد مناف وهو امام ذوي الأنساب ومدحه بعمله ولم يذكر نسبه و إن كان شريفاً رفيعاً:

عمر والذّي هشم الثريد لقومه　　ورجال مكة مسنتون عجاف

وقال عامر بن الطفيل:

وانّي و إن كنت ابن سيد عامر　　وفي السرّ منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن وراثة　　أبى الله أن اسمو بأمّ ولا أب
ولكنني أحمى حماها وأتقي　　أذاها وأرمي من رماها بمقنب (١٥)

والواقع الذّي ينبغي القول به بصراحة، أنّ كتب التاريخ مشحونة بأعمال الذين دكت أعناقهم خلال القرون السالفة إثر ظلمهم لمكة، وتطاولهم على حجاجها وزوارها بصورة عامة، وهذا من الأمور المتسالمة المتداولة والثابتة عند الجميع تتحدّث بها الأجيال وتتركها إلى الأجيال المتعاقبة الأخرى لئلايقعوا في الفتنة، ويصبحوا عبرة لغيرهم. ومازالت تترنّم بهذه الأبيات:

يا عمرو لا تظلم بمكـ ـة إنّها بلد حرام
سائل بعاد أين هم وكذاك تخترم الأنام
وبني العماليق الذ ين لهم بها كان السوام (١٦)

هذا وهنا يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم سؤال، وهو كيف مع هذه الأحداث والدروس والعبر التاريخية المتواترة الثابتة، يستميحوا لأنفسهم حكام السعودية... ومن لف لفهم من الأذناب السائرين في ركب الصهاينة والوهّابية المقبورة، هذا التطاول والعدوان الشنيع والظلم بحق الشعوب والأمم، وأن يتصرّفوا فيهم ويعملوا فيهم تصرّف الجزار ويدفعوا بهم إلى قعير الهاوية ويبيعونهم أو يصالحونهم كقطيع من الغنم، إلى حضيرة أسيادهم بغية إشباع اطماعهم التوسعية وتحقيق مآربهم الشيطانية، ويتلاقفونهم فيما بينهم ككرة السلة إلى الإرهاصات المحيطة بالشعوب، وفي النهاية دفعهم إلى المجازر والمذابح.

أجل كيف تستسيغ ضمائرهم أن يدفعوا بشعبهم إلى داخل المخططات الإستعمارية العارمة، التي تهدف مسخ الشخصية الحضارية، واستعمارها واستثمارها واستعبادها في سبيل نواياها الخبيثة..؟ والإجابة على ذلك السؤال أن هؤلاء الحكام والقابعين على دست الرياسة والزعامة، لم يكونوا غير أداة وعوامل في تحقيق مخطط واسع كبير أنفق الاستعمار في تخطيطه عشرات السنين، وهي سياسة التطويع والترويض وسلب الروح والنفس الحضارية الاسلامية، من أجسام وقلوب سكان الوطن الإسلامي وتبديلها وتعويضها ببعض المناذج من منتجات حضارة الآخرين الوافدة إلينا من خارج الوطن... كل ذلك في سبيل تدعيم عروشهم الواهية الخيالية التي هي بحق أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون... ويمنحوا العطاء الشرعي للسياسة الخارجية، وسلب الشخصية الحضارية إلى غيرها من الرواسب والسفاسف الباعثة في النفوس بذور الاستسلام والميوعة والإنهيار.

إنّ حكام السعودية السائرين في ركب الوهابية الممقوتة... والقابعين على موائد الصهاينة... بأيّة حجة ودليل، قاموا بتلك النكسة والعار والشنائة فبغوا على الحجاج الأمناء. وتطاولوا على المسلمين الشرفاء. وقابلوهم بالضرب والشتم وفتحوا عليهم النيران والحديد في بيت من دخله كان آمنا... ومن هو المسؤل أمام الأجيال والأجيال عن تلكم الجرائم والخيانة، واسالة الدماء الطاهرة المقدسة. و إزهاق وقتل النفوس المطمئنة الوادعة التي حرّمها الله إلّا بالحق. وسلب الأعراض وهتك المحرمات والنواميس، وفتك الأستار من دون ذمّة ولا شرف ولا خجل ولا حياء.

إنّ مكة... كما أسلفنا البحث عنها وقد صرّحت به الآية ٩٦ من سورة آل عمران (أوّل بيت وضع للناس) هي للناس جميعاً لاتختص بفرقة دون اخرى، ولا شعب ولا امة واحدة، وإنما هي للمسلمين عامة وهم أصحابها وسدنتها وخدامها وزوارها، يحجون إليها من كل صوب وحدب، ويفدون إليها من أقصى البلاد لأداء المناسك والتعرّف على سائر المسلمين، ويتبادلوا الاحاديث على الصعيد الدولي ويعرضوا مشاكلهم ويقفوا على دوائها ويفهموا العالم ما هم عليه من الأحوال والضروف الساسية القاسية التي تجتاز بلادهم، وتستعبد ثرواتهم وتغتصب خيراتهم، وأخيرا تدفعهم إلى الهاوية والفقر والدمار... بيد أن الحالة هذه والإجتماع هذا لم ترق اللصوص والاستعمار وعملائه وأذنابه في المنطقة (كسارق في الدجى لم يرقه القمر) ولم ترض لهم يوماً ما أن يجتمع المسلمون على كلمة واحدة ويتمسكوا بحبل الله جميعاً، ويعتصموا بالعروة الوثق... لانّ كل فرد من المسلمين في مفهوم الاستعمار في حد ذاته، يشكل خطرا عارماً عليهم ويعتبر عقبة صعبة أمام زحفهم التوسعي المقيت... مع العلم أن المخططات والنظم والدساتير الفاسدة، لا يمكن إعتبارها قضية حتمية وأبدية خالدة وشرعية، فبالا مكان تغييرها وتلاشيها وذهابها من على صفحة الحياة و إقامة غيرها محلها... فقيام حكومة أو دوام دولة أو سلطة مدة من الزمن لم يكن دليلا على مشروعيتها ووطنيتها وأحقيتها. كما أن دوام الظالم و إطالة عمره وفتكه وبغيه و إستبداده بالناس غير دليل على مشروعية حكمه ونفوذه. وإلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة: **(ولا يحسبن الذين كفروا إنّما نملي لهم خير لأنفسهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)** (١٧).

فقد بينا الله تعالى، أن إمهال الكفار والظالمين في الحياة لا ينفعهم إذا كان يؤدي إلى العقاب. و إن اطالة الله لأعمارهم و إمهاله لهم وترك التعجيل في عقوبتهم ليزدادوا إثما أي تكون عاقبة أمرهم، بازدياد هم الإثم والبغي والعدوان. فيكون اللام لام العاقبة. ومن هنا لا يمكننا القول بتبرير الأنظمة والدساتير الفاسدة الحاكمة في المجتمعات البشريّة، بالاحتمالات الوهمية والمعاذير الخيالية الفارغة التي ما أنزل الله بها من سلطان... لانّ هذه الإحتمالات والظنون لم تكن قائمة على أساس واقعي صحيح (وما لهم به من علم إن يتبعون إلّا الظن وإنّ الظن لا يغني من الحق شيئا) (١٨).

كيف أجترؤا على التطاول بضيوف الله... وأستطالوا على قتالهم واستباحة حريمهم، والإعتداء على نواميسهم و إراقة دمائهم و إرعابهم وتخويفهم ورطمهم، وأخذهم بالقوّة والشدة ومواجهتهم بالضرب والشتم... وبمسمع منهم قول النبي الأعظم (ص) في تكريم الحاج وتجليله وشرافته:

. ألحاج الراكب له بكل خف يضعه بعيره حسنة.

ألحاج في ضمان الله مقبلا ومدبرا.

ألحاج والغازي وفدالله عزّوجل. إن دعوه أجابهم وان استغفروا غفرلهم.

ألحاج والمعتمر والغازي في سبيل الله والمجمع في ضمان الله. دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم.

ألحجاج والعمّار وفدالله، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم.

ألحجاج والعمار، وفدالله يعطيهم ما سألوا، ويستجيب لهم مادعوا. ويخلف عليهم ما أنفقوا الدرهم ألف ألف.

ألحجاج والعمّار، وفدالله إن سألوا أعطوا، وان دعوا جابهم. و إن أنفقوا أخلف لهم. والذّي نفس أبي القاسم بيده، ما كبر مكبر على نشر ولا أهل مهل على شرف من الاشراف الّا أهل ما بين يديه وكبر حتى ينقطع به منقطع التراب (١٩).

إذا لقيت الحاج فسلم عليه، وصافحه ومره أن يستغفر لك (٢٠).

إلى غيره من الأحاديث الثابتة الصحيحة المثبوتة في كتب السنن والصحاح، وقد أجمعوا على أنّ كلها صحيحة وثابتة وحسنة، تعطى لنا صورة صادقة عن كرامة الحاج وشرافته. ويأبى الله ورسوله من مقابلة الحجاج بذلك الشكل المزري الذّي يندى من ذكره جبين الإنسانية والبشريّة، ونحن نعيش في عصر النور والأقمار لا عهود الوحشية والهمجيه الرعناء.

تكريم الحجاج في الجاهلية

إنّ هذه الروايات وما شاكلها إن دلّت على شيىء فانّما تدلّ على مقام الحاج الكريم، في التشريع الاسلامي ومنزلته الرفيعة، ومكانته السامية، ولم يكن تكريمهم و إكرامهم مقصوراً على العهد الاسلامي، و إنما يحدّثنا التاريخ عن تكريم العرب للحجاج في الجاهلية وتطعيمهم، وتوفير الراحة والأمن لهم وعدم أخذ الاجرة عن الدور والبيوت والغرف التي ينزلونها ويسكنونها.

لقد كانت حضنة البيت يكرمون الحجاج في الجاهلية، فروى عن هاشم بن عبد مناف، إنه كان يقول لقريش إذا حضر الحاج ــ يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته، خصكم الله بذلك وأكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فأكرموا أضيافه وزوّار بيته يأتونكم شعثاً غبراً من كل بلد.

وروي مثل هذا عن قصى بن كلاب بن مرة، فكان كل قرشي يخرج خرجاً من ماله في كل موسم من مواسم الحج، يعطيه لمن يقوم بالرفادة (إطعام الحاج) من قريش، فيصنعه طعاماً للحجاج أيام الموسم بمكة ومنى، وبقى ذلك مدة في عهد الاسلام (٢١).

قال أبوالوليد: حدثنا جدي، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، أخبرني محمد ابن اسحاق، أن هشام بن عبد مناف كان يقول لقريش إذا حضر الحج: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته خصكم الله بذلك، وأكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا أضيافه وزوار بيته يأتونكم شعثا غبراً من كل بلد. فكانت قريش ترافد على ذلك حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير رغبة في ذلك، فيقبل منهم لما يرجى لهم من منفعته.

وقال أخبرني جدي، عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى محمد بن اسحاق أن قصى بن كلاب بن مرة قال لقريش: ــ يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل الحرم، و إنّ الحاج ضيفان الله وزوّار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام هذا الحج حتى يصدروا عنكم، ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم، فيد فعونه إلى قصى فيصنعه طعاما للحاج أيام الموسم بمكة ومنى، فجرا ذلك من أمره في الجاهلية على قومه، وهى الرفادة حتى قام الاسلام ثم في الاسلام إلى يومك هذا، وهو الطعام الذي يصنعه السلطان بمكة ومنى للناس حتى ينقضي الحاج (٢٢).

وقال الشيخ قطب الدين النهرواني المكى الحنفي: ــ وإمّا اجارة دور مكة فقد ذكر صاحب التقريب قال: روى هشام عن أبي حنيفة، إنه كره إجارة بيوت مكة، وقال لهم: ان ينزلوا عليهم في دورهم اذا كان فيها فضل و إن لم يكن فلا، وهو قول محمد رسول الله، انتهى.

وروى محمد في الآثار، عن أبي حنيفة عن عبدالله بن زياد، عن ابن أبي نجيح عن عبدالله بن عمر عن النبي (ص) إنّه قال: من أكل من أجور بيوت مكة شيئاً فكأنما أكل النار. أخرجه الدار قطني.

وروى إنّه كره اجارتها لأهل الموسم، ولم يكره للمقيم لأن أهل الموسم لهم ضرورة الى النزول والمقيم لا ضرورة له.

وعن عمر بن الخطاب، أنه نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج، فانهم ينزلون كلما رأوه فارغاً.

وكتب عمر بن عبدالعزيز في خلافته إلى أمير مكة، أن لا يدع أهل مكة يأخذون

على بيوت مكة اجراً فإنّه لا يحل لهم، وكانوا يأخذون ذلك خطية ومساترة، وهذا مبني على أصل وهو أن فتح مكة هل كان عنوة فتكون مقسومة ولم يقسمها النبيّ (ص) وأقرّها على ذلك فتبقى على ذلك لا تباع ولا تكرى ومن سبق إلى موضع فهو أولى به. وبهذا قال أبوحنيفة، ومالك، والأوزاعى.

أو كان فتحها صلحاً فتبقى ديارهم بأيديهم، يتصرّفون في أملاكهم كيف شاؤا سكناً وإسكانا وبيعاً و إجارة وغيرذلك. وبه قال الامام الشافعي، وأحمد (٢٣).

ومهما يكن من أمر فالحاج كما قرأت كان في العهدين الجاهلي والإسلامي، موضع التكريم والحفاوة سيما الحاج المسلم الإيراني الذي تتمثل فيه المثل العليا للمسلم الواقعي، وتتجسد فيه شخصية الإسلام الصحيح بأروع مظاهره، وأشرف سماته المعنويّة.ولست متحيزا إلى العنصرية، والمغالاة والحمدلله... اذا ما قلت أن الطائفة الشيعية الإمامية بحق هي الفرقة المسلمة الحقة التي دخل أعماق قلبها الإيمان وتتجلى فيه وكانت في كافة أدوار الحياة، والأزمات السياسية الصلبة متمسكة بعقيدتها، ومثابرة وصامدة في اداء رسالتها ومتفانية في سبيل مبدئها لم ترضخ في حال من الأحوال خلال إمتداد تاريخها الطويل المشرق للاستسلام، والاستعباد، والمهادنة، والمراوغة. ولم يضع يدها في كف ظالم وجائر ولم يبايعه ولم يجعل للكافرين عليهم من سبيل مهما كلفه الأمر وهذا ديدنه، وشأنه في كل العصور بعد أن قدّم لعتبة عقيدتها المقدسة الالآف من القرابين. وشاءالله تعالى لها الابتعاد والاجتناب عن الرسالات الوافدة عليها من خارج الوطن الاسلامى وستبقى قويّة مؤمنة مجاهدة إلى الأبد، و مادامت البشريّة ومادام التشريع الاسلامي الخالد.

وهذا أمر على علم كامل ويقين صادق يعلمه الجميع، وحتى حكام السعودية أنفسهم من أن الإسلام الصحيح متمثل في الشيعة الإمامية؛ولا يشك فيه إلّا من أغشاه التعصب الوهابي المقيت، واتخذ آلهه هواه وأضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون...

هذا وأتذكّر جيداً أنني عام ١٣٩٥/١٩٧٦ رافقني التوفيق إلى حج بيت الله الحرام للمرة الثالثة بحول الله، فتوّجهت إليه من طهران وبعد أداء مناسكي تشرفت لزيارة قبر النبيّ الأقدس (ص) وسائر المشاهد الكريمة فيها... في ذات يوم خرجت من الروضة النبويّة الشريفة متوجهاً نحو المنزل وفي اثناء المسير إلتقيت بنفر من أخواني الحجاج النجفيين، وبعد الترحيب طلبوا مني مرافقتهم في زيارة أحد أعلام النجف الاشرف الذي كان قد جاء إلى مكة ونزل ضيفاً على الدولة فى ــ فندق الحرم ــ بالمدينة، فتقدمت إليهم بالمعاذير فلم يقبلوها

وأخيرا صحبتهم ودخلنا جميعاً على العالم النجفي... وكان قد سبقنا إلى زيارته اثنين من رجالات السعودية للتحدّث معه حول مسائل تخص البقيع من شتى نواحيه.

لقد استقبلني العالم بحرارة ورحابة صدر، وأجلسني إلى جنبه ثم واصلوا الحديث وشاركتهم وبعد الإنتهاء سأل السعوديان صاحب المنزل عن إسمي وشأني فتوخيت منه أن لا يخبرهم باسمي... فأصروا عليه وأخيرا أجابهم وقال لهم: هذا فلان... ابن فلان...

فقاما من مجلسهما وتقدما نحوي، ومد واحد منهما يده للمصافحة، وقال: أنا الأمير عبدالله بن فيصل أمير المدينة... وقال الآخر: أنا رئيس التشريفات محمد بن عبدالوهاب، وتبادلنا مراسم التحيات وجلسنا نتبادل الأحاديث ونسرد الأحداث ومشاهدتنا في العربية والموسم وانتهى البحث إلى الطائفة الشيعية الحقة فشرحت لهم بعض المفاهيم من رسالتها وعقيدتها، وموقعها في التاريخ، وجهادها، ووقوفها، بوجه الإستعمار. والقوم في سكوت عميق، وحين فرغت من التحدث رفع الأمير عبدالله رأسه، وقال لي مخاطبا: (اننا في كافة المواسم منذ سنين متمادية ندرس إتجاهات الحجاج، والوفود الوافدة إلى الحرمين، ونراقب أعمالهم من كثب وأيم الله الذّي لااله غيره... لم نشاهد طائفة كالشيعة فرقة هادئة متواضعة، مطمئنة ووادعة، صلبة في عقيدتها ومبادءها، وبعيدة في عبادتها، وطاعاتها، وخيراتها في السفر والحضر، عن التظاهر والتصنع، والنفاق والرياء. ويمكنني القول بصراحة إنّهم يمثلون واقع المسلم الصحيح، عكس بقية الفرق الإسلامية غير الشيعية الهائمة في التصنع والتلاعب تشوب أعمالهم الضعف والإنحلال ولم يخالطها اليقين والإخلاص).

انّ الشيعة في كافة مراحل المناسك والموسم تلتزم، بالصدق، والايمان، والا تزان، والتواضع، والأدب الرفيع واجتناب الكذب، والضوضاء، والمكر، والمجاملة، و إنّي أرجو للجميع التوفيق والسداد إن شاء الله.

قلت: فاذا كانت الشيعة هذه إنطباعاتكم عنها، فما هذا الإسفاف والتوهين، وسوء التصرف والفضاضة، والخشونة التي تظهرها وتسير عليها أجهزة الدولة هنا وهناك ؟ وتعامل الشيعة معاملة العبيد؟ أجاب سيادته: أن الأعمال هذه لم تكن بأيعاز و إشارة منا، و إنّما بأمر من الوهابية الحاكمة علينا بصورة عامة وعلى أجهزة الدولة بصورة خاصة في كافة أنظمتها، وليس بوسعنا مخالفتهم ونسأل الله أن يوفقنا لخدمة المسلمين ولما فيه خير الحجاج وسلامتهم.

ثم تحوّل الحديث من أطاره الديني، وقفز إلى الصعيد السياسي، وتجاذبنا الحديث، والبحث حول بعض الدول الشقيقة وفي مقدمتها العراق، وحزب البعث الحاكم في رقاب الناس وأعراضهم، ونواميسهم ودمائهم وأخذه الشعب أخذ جبار ظالم، مقتدر مع علم

الحكومات بما تحدث فيه من الكوارث والمحن والتعذيب والتشريد، ودفع ابنائه إلى السجون من دون مبرر أو مجوّز.

أجابني الله... الله... دعنا عن البعث وذكره. إنّ البعث إذا تسرّبت خيوطه وامتدت إلى الحجاز في يوم ما فسوف لم يدع في المملكة للحرث والنسل من أثر، ويهدم علينا قصورنا... وقصورنا سريعة الإنهيار لأنها من الزجاج. إننا لا نتداخل في شؤن المسلمين في العراق، خشية بطش البعث وفتكه، وشرارته المتأججة التي لا تبقى ولا تذر.. وتحوّل المملكة إلى ركام وتستبدلها إلى رغام.

وفي اللحظة هذه حان وقت التوديع وتفرّقنا بسلام...

إنّ الجلسة تلك تفهمنا أن الوهابية دعامة الحجاز والدوامة التي تدور عليها رحى المملكة من أقصاها إلى أقصاها.. وأن القابعين على عرش البلاد، لم يكونوا غير أداة وهياكل وتماثيل يتلاعب بهم الإستعمار من وراء الستار كيفما شاء، حسب أهوائه ورغباته. فمن رضى بفعلته النكراء أُبقي في الملك، ومن أبى وخالف كان القتل والاغتيال مصيره ومسيره.

***

الهامش:

(١) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام/٧٣.

(٢) مروج الذهب ١/٢٤٢.

(٣) دائرة معارف فريد وجدي ٨/١٤٦.

(٤) عسفان منهلة من مناهل الطريق، بين الجحفة ومكة. وهي من مكة على مرحلتين. وأملج بلد من أعراض المدينة. وقيل: واد.

(٥) الخصف كساء غليظ جداً. أو هي شقة تعمل من الخوص أو ليف النخل.

(٦) المعافر أراد بها الثياب المعافرية.

(٧) الملاء جمع ملاءة، وهي الريطة. وهي الملحفة. والوصائل جمع وصيلة: وهي الثوب المخطط اليماني.

(٨) المثلاة: هي خرقة الحائض. وأيضا خرقة النائحة.

(٩) المحائض: جمع محيضة، وهي خرقة الحيض.

(١٠) بنيتها: أرادت بها الكعبة، وهي فعيلة بمعنى: مفعولة. والحبير ضرب من الثياب الموشية.

(١١) المهارى: وهي الإبل العراب النجيبة.

(١٢) الرحيض: المغسول، وتقول: رحضت الثوب إذا غسلته. والمراد المنقى.

(١٣) شاعرات العرب/١٥٣.

(١٤) سيرة ابن هشام ١/١٩ — ٢٣.

(١٥) مروج الذهب ٢/٥٥.

(١٦) المصدر السابق ٢/٥.

(١٧) سورة آل عمران/١٧٨.

(١٨) سورة النجم/٢٨.

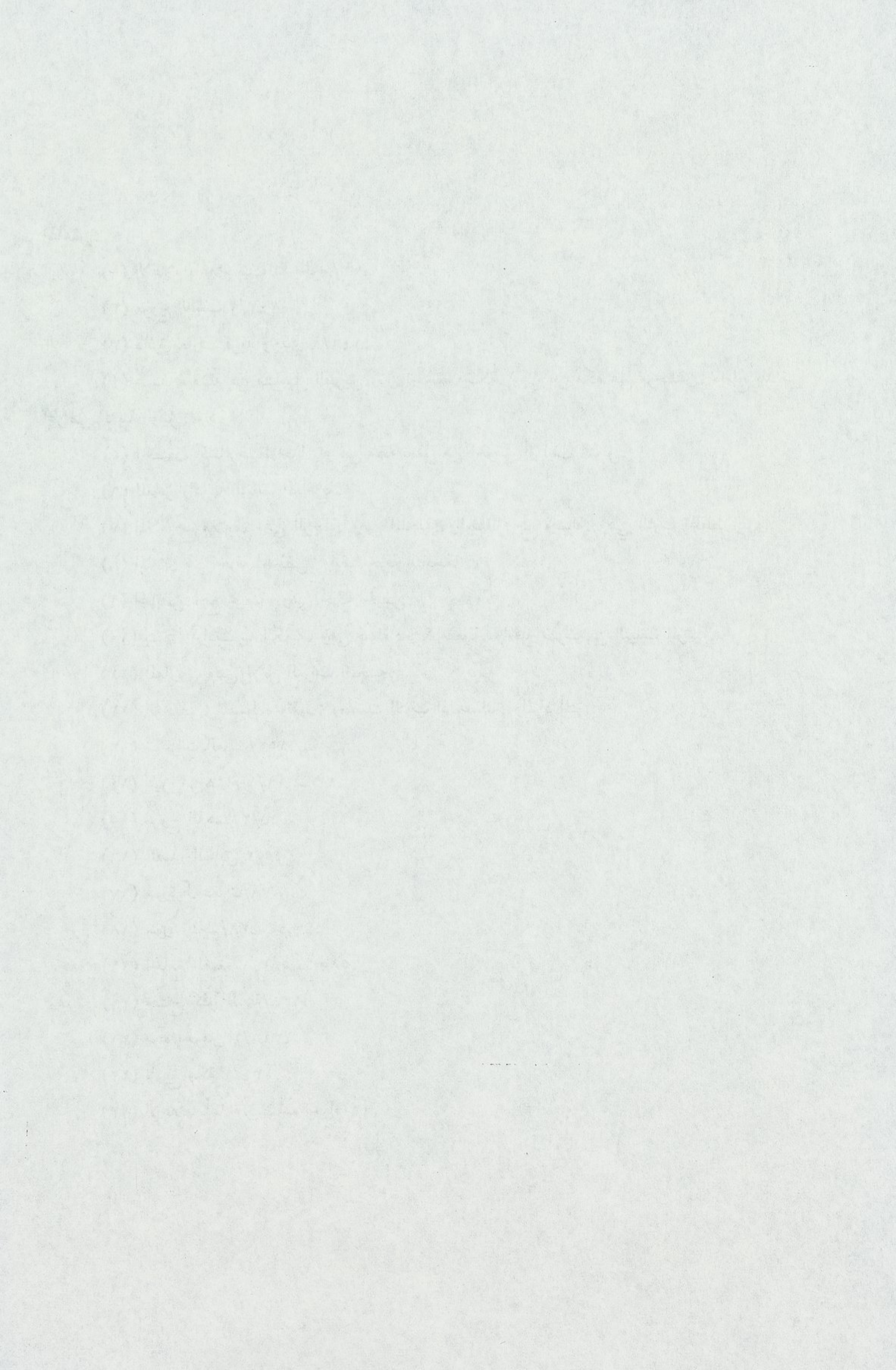
(١٩) الجامع الصغير ١/٥٨٣ — ٥٨٥.

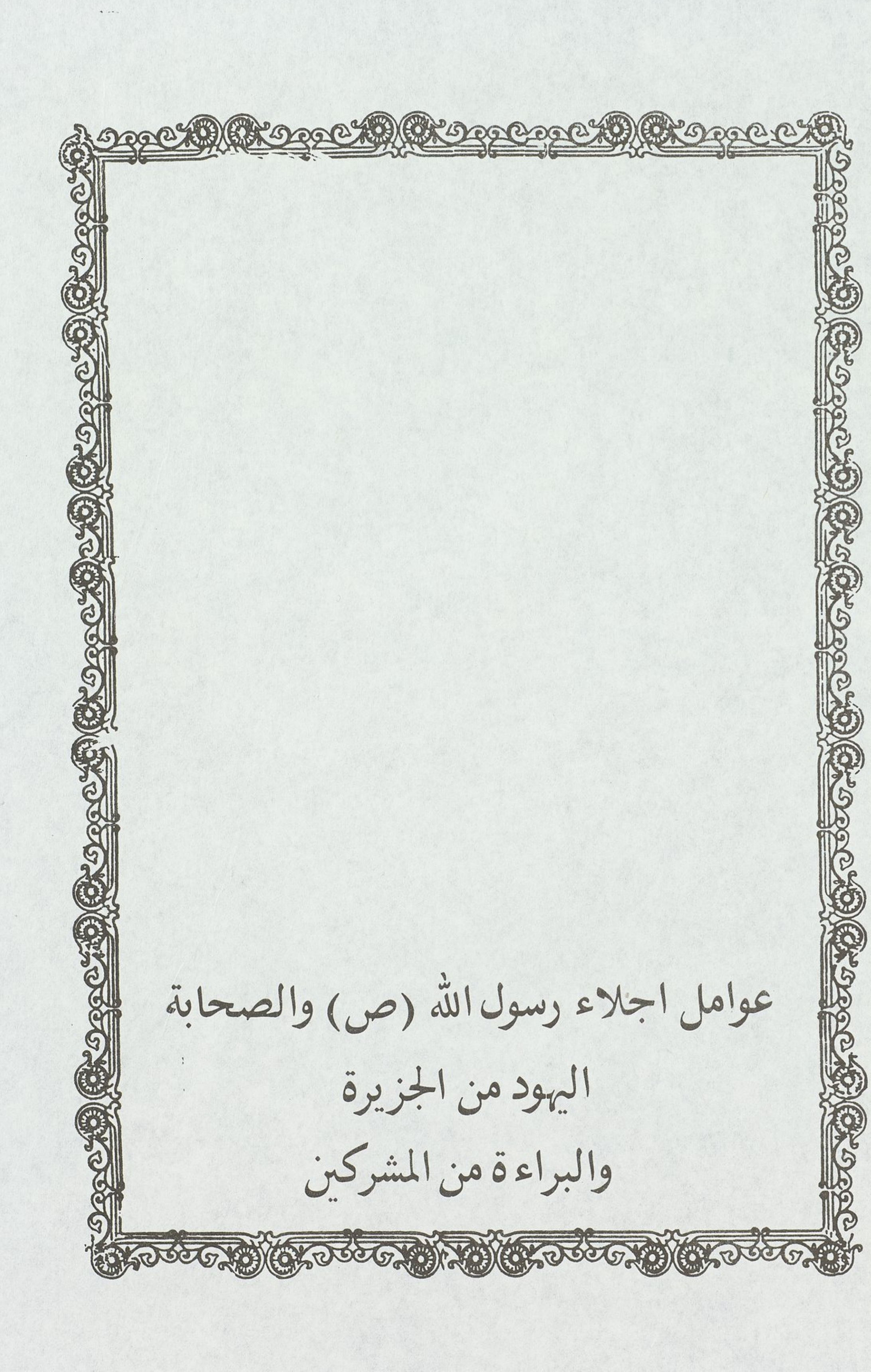
(٢٠) مفتاح كنوز السنة/١٣٨.

(٢١) مرآة الحرمين ١/٣١٦.

(٢٢) تاريخ مكة ١/١٣٤.

(٢٣) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام/١٦.





عوامل اجلاء رسول الله (ص) والصحابة
اليهود من الجزيرة
والبراءة من المشركين



تحدّثنا في الفصل السابق أن النبيّ (ص) ومن وراءه الصحابة، والتابعين، جندوا أنفسهم لأجلاء اليهود من الجزيرة و إخراجهم من الوطن الإسلامي الكبير، دون أي قيد و شرط والتزام، بعد أن كان هذا الإجلاء من الرسول الأعظم (ص) وبمساعدة المسلمين على اختلاف طبقاتهم، من دون أن نجد له من منازع ومعاند ومخالف، فقد ارتضوا جميعا العمل هذا. فالنبيّ (ص) بعمله هذا إمتلك رضاهم، و وقف على موافقاتهم وتوافقهمْ، بعد أن أجرى إتصالات مع اصحابه وقام به بمسمع منهم، وبمشهد من الجميع، ولم يخف عليهم جانباً من جوانب القضية كما صرّحت به الأحاديث الصحيحة الثابتة المتقدمة، من أن رسول الله (ص) جمع الصحابة وأقام الصلاة وبعد إقامتها جامعة في مسجده والخروج منها قال لهم: إنطلقوا إلى اليهود فتوّجهوا نحوهم، وفي مقدّمهم شخص الرسول الأكرم (ص) ولما انتهوا إليهم خطب رسول الله (ص) وأنذر اليهود، وقال لهم: يا معشر اليهود أسلموا تسلموا، وأعلموا إنّما الأرض لله ولرسوله و إنّي اريد أن أجيلكم من هذه الأرض...

وجاء في رواية اخرى أن النبيّ (ص) خرج إلى المسلمين وهم في المسجد، فقال لهم: انطلقوا إلى يهود فخرجوا حتى وصلوا إلى بين المدراس، وهو موضع تجمع اليهود، ثم ألقى عليهم كلام وأنه يريد إجلاءهم منها... والواقع كما تدل عليها بقية الأحاديث أن العمل هذا بمجموعه كانت مقدمة وتمهيدات لتشكيل وأقامة مسيرة شعبية تشترك فيها الصحابة بصورة عامة، ومن ورائهم الأجيال والأجيال القادمة، ليعرف العالم بأجمعه خطورة وجود اليهود في كافة المجتمعات فيندفع كل فرد حسب إمكانياته وطاقاته إلى ردع الخطر، والوقوف في وجهه.

لقد استهدف الرسول الأكرم (ص) من إقامة هذه المسيرة الجماهيرية أن لا يتسرّب إلى الأذهان المريضة أنّ الرسول الأعظم (ص) لا سمح الله يهدف إلى تحقيق غرض شخصي، أو مسألة تخصه بالذات، و إنّما هي قضية تخص المسلمين بمجموعهم... وكم كانت متوفّرة لدة هذه المسيرات في العهد النبويّ... وهو في الحقيقة إعلان عن تجاوب المشتركين والمساهمين في مسيرة واحدة بالنسبة إلى مسألة تهمهم، وتصريح برضاتهم وتأييد من قبلهم لها.

وهنا يتبادر إلى الذهن التسائل عن دوافع الاجلاء هذا بعد أن كتب

رسول الله (ص) كتاباً بين المهاجرين والأنصار، واليهود بالمدينة و وادع فيه اليهود، وعاهدهم، وهادنهم، وصالحهم، وأقرّهم على دينهم، وأموالهم، واشترط لهم أن يقيموا في الجزيرة و إليك بعض نصوصه الخاصة باليهود، فقد جاء فيه:

ــ وأنه من تبعنا من اليهود، فإنّ له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن في قتال في سبيل الله إلّا على سواء وعدل بينهم. وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا، وأن المؤمنين يبيء (١) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش، ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن، وأنه من اعتبط مؤمنا قتلاعن بينة فأنه قود (٢) به إلى أن يرضى ولّي المقتول، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحلّ لهم إلّا قيام عليه، وأنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخرأن ينصر محدثا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإنّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة و لا يؤخذ منه صرف ولا عدل (٣) وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإنّ مردّه إلى الله عزوجل، و إلى محمد.

وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم، وأنفسهم إلّا من ظلم وأثم، فإنّه لايوتغ (٤) إلّا نفسه وأهل بيته، وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الحرث مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلّا من ظلم وأثم فانّه لايوتغ إلّا نفسه وأهل بيته، وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وأن لبني الشطنة مثل ما ليهود بني عوف، وأن البّردون الإثم، وأن موالي ثعلبة كأنفسهم، وأن بطانة يهود كأنفسهم، وأنه لا يخرج أحد منهم إلّا باذن محمد، وأنه لا ينحجز على ثأرجرح، وأنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلّا من ظلم، وأن الله على أبر هذا، وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبّردون الإثم، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه وأن النصر للمظوم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يثرب حرام جوفها لأهل الصحيفة (٥) وأن الجار كالنفس غير مضار، ولا آثم وأنه لا تجار حرمة إلّا باذن أهلها.

وأنه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإنّ مردّه إلى الله عزوجل، و إلى محمد رسول الله، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب و إذا دعوا إلى صلح

يصالحونه ويلبسونه، فإنّهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنّه لهم على المؤمنين، إلّا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن، من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلّا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وأنه من خرج أمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلّا من ظلم أو أثم، وأن الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله (٦).

انّ الكتاب هذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّ الرسول الأعظم (ص) صالح اليهود، ووادعهم واعتبرهم من أهالي الجزيرة، وأن لهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم لا فرق بينهم، وأن يهود كل قبيلة كجماعات المسلمين عنده سواء. فالجماعات والفئات والأقليات غير المسلمة، محترمة في مفهوم الاسلام ولدى كافة القوانين والدول إلّا أن تقوم فئة منها بالظلم والإثم، وتسعى للفساد، والبغي، والعدوان، والفوضى، فأنها حينئذ حسب مفاهيم القوانين الدولية... تصبح غير مرغوبة فيها، تستحق التأديب والتنبيه حسب مقتضيات الظروف والأحوال. كما جاء هذا أيضا في قانون الجمهورية الإسلامية الإيرانية ولفظه:

الأصل الرابع عشر (على حكومة الجمهورية الإسلامية في ايران وكذلك على المسلمين، معاملة غير المسلمين بالأخلاق الحسنة ومقابلتهم بالقسط والعدل الإسلامي. وعليهم أن يحترموا حقوقهم. ويراعوا حقوقهم الإنسانية. وهذا الأصل يشمل الذين لم يعادوا الإسلام، ولم يقفوا بوجه الجمهورية الإسلامية الإيرانية).

غير أن شر ذمة حقيرة متكوّنة من بعض اليهود، والمنافقين، والمشركين، المعذّرين، تجمعوا في خبايا الجزيرة، وراحت تقيم التكتلات والعصابات وتساندها، لزرع بذور الشقاق، والنفاق والإستفزازات بين المهاجرين والأنصار، والجماعات المتوحدّة المسلمة، و إقامة النعرات الطائفية والقبلية، وتمزيق شمل الامة وتفريق كلمتها على ضوء قاعدة (فرّق تسد) بعد أن آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار، وأصحابه في السنة الاولى من الهجرة، وقال لهم: تآخوا في الله أخوين أخوين... فاستمرّت هذه المواخاة واستحكمت وعمل بها من دخل في الإسلام أو يحضر فالتأم بها الشمل، واجتمعت الكلمة، واتحدّت الصفوف، ودفنت الضغائن والأحقاد، وأصبح المسلمون أخوانا على سرر متقابلين، لا يمسهم نصب ولا لغوب.

أجل لقد تسرّب الشيطان إلى نفوسهم وسولّ لهم أعمالهم، ودفعهم إلى حيث مآربه وإلقاء النزاع والتخاصم بينهم، وذلك ببث أعوانه وأذنابه هنا و هناك لإرجاع الناس عن الإسلام بما استطاعوا، أمثال: عبدالله بن سلام، وحي بن أخطب، وكعب بن الأشرف،

وفنحاص بن عازوراء، وزيد بن قيس، وشاس بن قيس، وأضرابهم من اليهود.

ويحدّثنا التاريخ بهذا الصدد فيقول: إجتاز يوماً شاس بن قيس، وكان شيخاً من اليهود شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم، على نفر من الأوس والخزرج في مجلس يتحدّثون فيه فغاظه ما رأى من الفتهم وتآخيهم وصلاح ذات بينهم، بعد الذي كان بينهم من العداوة والشحناء في الجاهلية. فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤها بها من قرار، فأمر شاباً من يهود كان معه، فقال: إجلس إليهم ثم اذكر يوم بعاث وماكان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. ففعل الشاب ذلك، فتنازع القوم وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الأوس والخزرج، على الركب وهما أوس ابن قيظي، وجبار بن صخر، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها جذعة؟ وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا موعدكم الظاهرة وهي الحرة فخرجوا إليها وبلغ ذلك رسول الله (ص) فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين، الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم؟ فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من اليهود فبكوا وعانق الأوس والخزرج بعضهم بعضاً. ثم انصرفوا مع رسول الله (ص) سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدوالله شاس بن قيس (٧).

وبعد الواقعة هذه نقض اليهود، وكانوا يرجعون إلى ثلاث طوائف: بني قينقاع، والنضير، وقريظة، العهد طائفة بعد طائفة، وراحوا يحيكون المؤمرات ضد المسلمين فألقى الله الرعب في قلوبهم، فنزلوا على حكم النبيّ (ص) فأراد قتلهم فاستوهبهم منه عبدالله بن أبي، وكانوا حلفاءه فوهبهم له، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات. والسبب في نقض العهد أن امرأة من العرب قدمت سلعة ومتاع لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست الى صائغ بها من اليهود فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فوقع الشر بينهم وبين المسلمين، فحاصرهم رسول الله (ص) حتى نزلوا على حكمه (٨).

إلى غيره من الأحداث المدرجة في بطون كتب التأريخ... ولا بد لنا من التنبيه هنا على حدة أن لأموال اليهود وثرواتهم، كان الأثر الفعال والدور الهام في تشجيع هذه القضايا، فقد كانت التجارة بنوع خاص من أهم مرافق الحياة عند يهود الحجاز حتى صار لبعضهم فيها

شهرة عظيمة وصيت بعيد، كأبي رافع الخيبري الذي أرسل بضاعته بوساطة القوافل إلى الشام، واستورد منها الأقمشة المختلفة. ويمكن القول انّ تجارة البلح، والشعير، والقمح، كانت خاصة بهم في شمال الحجاز.

لكن شأن اليهود فاق شأن غيرهم من الفرق التجارية لا ستيطانهم في جزيرة العرب، فاستفحل أمرهم وزاحموا السكان الأصليين على مرافقهم، وكانت لهم خبرة في الزراعة والتجارة وتنمية المال، فاستغنوا وبنوا لأنفسهم القرى والمزارع والحصون وأشهر مراكزهم العامة في المدينة، وخيبر.

ومما تجدر الإشارة إليه أنهم بعد أن شاركهم في مغانمهم التجارية أهل يثرب وخالف اليهود هذه المزاحمة وكانوا عاجزين عن التغلب على اليثربيين قوة وعنوة، لجؤوا إلى الإيقاع بين الحيين الأوس والخزرج، فلما وقعت العداوة اتصلت الحروب جعلوا اليهود يضرمون نارها كلما خمدت، فشغلوا بعضا ببعض وانصرفوا هم إلى تجاراتهم و إنماء ثرواتهم. فلما هاجر المسلمون إلى المدينة وأسلم أهلها، بغى اليهود الغوائل لهم وصاروا يحرضون عليهم المشركين من قبائل العرب وينقضون عهودهم للنبيّ، ويطعنون المسلمين من خلفهم. فلما شاهد النبيّ (ص) هذا وجد من الضرورة التخلص منهم فأجلى اليهود، فحطوّا بأذرعات من أرض الشام، وخلت المدينة وما حولها من جماعاتهم وتحولت تجاراتها إلى أيدى المسلمين.

هذا ومن فعلتهم النكراء التي إجتثها الإسلام من جذورها، وألقاها في المزابل إشاعتهم الربا والفواحش في الجزيرة فاليهود الطارئون عليها، هم الذين أشاعوا الربا، واتخذوا من بعض قراها ومدنها مستعمرات عالجوا فيها الزراعة فأصابوا منها الغنى، ولم يكن لعرب الجزيرة فيها يومئذ كبير نصيب. فكان العربي في الجاهلية إذا اعوزه المال اقترض ورهن عند دائنه، درعه، أو ثيابه أو سلاحه، وأحيانا تشتد به الحاجة ويشتط الدائن فيرهن ولده.

وعمل اليهود على انتشار الربا في مكة، والطائف، وخيبر، ووادي القرى، ويثرب بصورة عامة حتى ألفه الناس وصاروا يأخذون به ويعطون. كما أصبحت المدينة معروفة بالربا لوجود اليهود فيها وعرف من مرابيها من كان ذاغنى فاحش.

بلغ اليهود في هذا الميدان شوطا لم يلحقهم فيه لا حق قط، لما تركز فيهم من الثراء وماحذقوا من حسن التأتي في تثمير أموالهم واستغلال الفقر والسذاجة في العرب. فاعتقدوا الأرضين وبنوا الحصون ثم دأبوا في جمع المال، وتنميته و إدانته، حتى كثرت الرهائن عندهم، واشتطوا في طلبها، وافتنوا في تنويعها إفتنانا شائنا,فصاروا يرتهنون الأولاد ويطلبون النساء والبناة أيضا، ولا يرعون في سبيل الحصول على المادة حلفا ولا آصرة. قال ابن هشام في سيرته

أن أبا نائلة سلكان بن سلامة أتى أحد أشراف اليهود وأغنيائهم، كعب بن الأشرف، وكان أخاه من الرضاعة فقال له: انّي أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك. فقال كعب: أتر هنوني نساء كم؟ قال: كيف نرضك نساءنا، وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم. قال كعب: أترهنوني أبناء كم؟ قال: لقد أردت أن تفضحنا إنّ معي أصحابا لي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك. ونرهنك من الخلقة ما فيه الوفاء.

يريد أبونائلة بقوله: على مثل رأيي، تضايقهم من مجيء الرسول والمسلمين ومزاحمتهم في بلدهم (المدينة) على العيش، فلينظر امرؤ كيف لم يشفع شيء عند كعب في سبيل المادة لا مشابية القوم له ظاهرا في هواه، وعداوته لرسول الله (ص) ولا أخوة الرضاعة لا شيء إلّا المال والربح... المال وحده هو معبود اليهود منذ خلقوا و إلى يوم يبعثون. وهذا الغلو من اليهود في الربا، وتعاطيه منذ القدم، هو الباعث في تشنيع القرآن الكريم لفعلتهم البشعة وتعنيفهم عليها حين يقول: (فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدّهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما (٩).

ومهما يكن من أمر، فاليهود في تطاولهم وغدرهم ونقضهم للعهود لم يقف عند حدود معينة، وانّما كانت غزوات وحملات ومؤامرات تشنها بين آونة واخرى، وتبؤ بكاملها بالفشل الذريع والخسران والخذلان بحول الله وقوّته.

وفي معترك هذا الصراع المرير، وخضم الطوفان العدواني الجارف واصلت رسالة النبوّة ركبها إلى القمة... واستمر الزحف الإسلامي يشق طريقه إلى الصعيد الدولي، بعد أن قويت شوكته، وتركزت دعائمه، وثبتت قواعده، ودخل الناس في دين الله آفواجا خلال سنوات لا تتجاوز عدد الأصابع... وحينئذ وجد النبيّ (ص) الضرورة والحاجة في تبيان و إعلان موقف الإسلام من العناصر المعادية والفئات المتطاولة الغادرة بالعهود والمواثيق، وكيف لا وقد أصبح المسلمون يداً واحدة على من سواهم، ترفرف عليهم رايات الظفر والنصر والسكينة والمثابرة والأيمان والإرادة والعزم الصادق في صد كافة الهجمات ورد الاعتداءات و إنزال الضربة القاضية على العدو، وضربه بيد من حديد.. والحكومة الإسلامية أصبحت ذات شخصية عالمية مقتدرة ومنيعة وقويّة في كافة جوانبها وأبعادها، وعلى هذا فإنها تعلن عن إلغاء وبطلان جميع العهود التي عقدتها مع الشعوب غير المسلمة، لمتطلبات زمنية يخشى كيدهم وبطشهم وخيانتهم المستورة بعد أن نقضوا عهودهم في كل مرّة.

أما الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً، ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم.. لأن أكثر المشركين نقضوا العهد إلّا أناساً منهم، وهم: بنوضمرة، وبنوكنانة.

وحين نزلت سورة البرائة (التوبة) سنة تسع من الهجرة دفعها رسول الله (ص) إلى علي ابن أبي طالب، ليذهب بها إلى مكة ليقرأها على أهل الموسم، وأمره أن يقرأ عليهم عشر آيات من أول السورة، وقيل: ثلاثين أو أربعين آية. فلما كان قبل التروية خطب أبوبكر، وحدّثهم عن مناسكهم، وقام أميرالمؤمنين عليه السلام يوم النحر عند جمرة العقبة فقال: يا أيها الناس إنّي رسول رسول الله إليكم، فقالوا بماذا؟ فقرأعليهم عدة آيات منها، ثم قال أمرت بأربع:

أن لا يقرب هذا البيت بعد هذا العام مشرك.

ولا يطوف بالبيت عريان.

ولا يدخل البيت إلّا مؤمن.

ومن كانت بينه وبين رسول الله (ص) مدّة فإن أجله إلى أربعة أشهر، فاذا انقضت الأربعة الأشهر فإنّ الله بريء من المشركين ورسوله.

وروي أن عليا عليه السلام، لما نادى فيهم انّ الله بريء من المشركين، أي من كل مشرك، قال المشركون: نحن نتبرأ من عهدك وعهد ابن عمك. ثم لما كانت السنة المقبلة وهي سنة عشر حج النبيّ (ص) حجة الوداع ورجع إلى المدينة ومكث بقية ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وليالي من شهر ربيع الأوّل حتى لحق بالرفيع الأعلى.

وهكذا نجد الزحف الاسلامي الكبير يواصل سيره ومصيره على إمتداد التاريخ، ويشق عباب الأحقاب والأزمان من غير توّقف حليفه الظفر والنصر، ورفيقه الانتصارات المتلاحقة والمكتسبات الحية إلى أن بلغ القمة في كل شيء، وغطت معطياته الحياة، ودخلت مناعته النفوس المؤمنة الوادعة، رغم الحواجز والأراجيف والاختلافات الموجهة اليه من لدن العناصر المعادية له، خلال القرون السالفة كما نجد عليها اليوم المعسكرين الشرقي والغربي؛ بالنسبة إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية... فقد اختلقوا لها كافة التهم والأباطيل، قامت ببثها ونشرها أجهزتهم وأبواقهم الإعلامية في الداخل والخارج، بالاضافة إلى كراسات وأحاديث حملت في سطورها الشتم والقذف والوقيعة والطعن في صميم هذا الشعب المسلم الذّي لا تعرف للاستسلام، والخنوع والمهادنة أي مفهوم ومبرر.

انّ النبيّ (ص) بأيفاده سورة البرائة على يد أمير المؤمنين عليه السلام، إلى أهل الموسم سنة تسع من الهجرة و إلقائها عليهم، لم يقصد منها غير الإعلام للناس على اختلاف طبقاتهم

وجنسياتهم أن الاسلام بسورة البرائة دخل مرحلة جديدة من حياته، وسيكون له موقفاً خاصاً بالنسبة لجميع العناصر والفئات غير المسلمة وانّه سيسالم من يسالمه، ويحارب من يحاربه، ويعادي من يعاديه، ويدافع عمن يدافع ويذبّ عنه لذلك لم يتمكن بعد إذ أن يقف موقف المتفرج، حيال شر ذمة تريد الوقيعة بالاسلام والتطاول على المسلمين، وتلوّث وتتلاعب بمقدساته.

وعلى ضوء هذا الدستور السياسي العقائدي، سار المسلمون في ظلال التعايش السلمي ومن ورائهم القوميات والعناصر غير المسلمة، وتعاونوا على البر والتقوى فكان لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم... منهاج ضمن للمسلمين شخصيتهم وكرامتهم، وعزّهم وشرفهم، واستقلالهم، وحرّيتهم، وانتصاراتهم، وقطع دابر المعتدين، والباغين والطاغين، والمنافقين، وتحطيم أبواقهم، وتهريجاتهم، وتحرشاتهم إلى أن يعودوا إلى رشدهم وصوابهم.

هذا وبعد انقضاء تسع سنين من عمر الثورة الجمهورية الاسلامية الايرانية... بعد أن تركت ورائها خلال السنين السالفة، عقبات صاخبة، ومراحل عصيبة شديدة، وحازت على انتصارات مظفرة وانجازات ناجحة وبطولات وفتوحات متعاقبة، نهج مجلس قيادتها الشعبية... نفس المخطط الموضوع قبل أربعة عشر قرنا، وأوفده على يدمندوبه إلى مكة ليقرأه على كافة الحجاج، من المسلمين المجتمعين في الموسم لأداء المناسك، حتى إذا ما قفلوا إلى بلادهم وديارهم، نقلوه إلى أخوانهم، وحدّثوا به إلى أشقائهم ومواطنيهم، ليكون المسلمون بصورة عامة في كافة أنحاء المعمورة على علم منه ومسمع.

انّ النداء هذا في الوقت نفسه، بيان صريح عن رسالة المسلمين، وواجباتهم الدينية والسياسية والإجتماعية في الداخل والخارج، ودعوة صادقة، وصرخة مدويّة تدفع المسلمين إلى اليقظة، والتحرر، والإنطلاق. و إليك نص النداء الذي وجهه سيادة الإمام الخميني...

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَنْ يَخرُجْ مِنْ بَيتِهِ مُهاجِراً إلى الله وَرَسُولِهِ ثُمَ يُدرِكهُ المَوتُ فَقَدْ وَقَعَ أجرُهُ عَلىٰ الله (١٠).

ألحمدلله على آلائه، والصلاة والسلام على أنبيائه، سيما خاتمهم وأفضلهم، وعلى أوليائه وخاصة عباده، سيما خاتمهم وقائمهم، أرواح العالمين لمقدمه الفداء.

إنّ الأقلام والألسن وكل ما يتفوّه به وينطق ويكتب، عاجزة عن أداء الشكر للنعم اللامتناهية التي أسبغها على البشريّة، الخالق سبحانه الذّي ازدان وبارك ببهائه المتلألئ، في

عوامل الغيب والشهادة، والخفاء والعلن، نعمة الوجود، وبيّن لنا ببركة بعثة رسله، أنّه (الله نور السماوات والأرض) وبظهوره المتألق أماط اللثام عن حسن جماله، ليعلم بأنه الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأوضح في خلال كتبه السماوية المقدسة التي أنزلها على صفيه حتى خليله، ومن خليله حتى حبيبه، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... طريق الوصول إلى الكمالات، والفناء في الكمال المطلق، كما عرّفنا كيفية السلوك للوصول إليه. وفي الوقت نفسه علمنا طريقة التعايش والتعمل، مع المؤمنين، والمحبين والملحدين، والمستكبرين، والأعداء. فقال عزّ شأنه: (محمد رسول الله والذّين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) (١١).

ونحمده حمدا متواصلا كثيرا، على ما جعلنا من أمة خاتم الأنبياء محمد (ص) الذّي إصطفاه من بين أفضل، وأشرف الموجودات، وصيّرنا من أتباع القرآن المجيد الذّي يعتبر من أقدس الكتب السماوية الكريمة، المشتمل على كافة القيم والكمالات، والمسدد من رواسب شياطين الإنس والجن، اذ قال تعالى: **(إنّا نحن نزلّنا الذكر وإنّا له لحافظون)** (١٢) فالقرآن الذي لم يزد فيه حرفا، ولم ينقص منه لفظا، شرح لنا كيفية تعامل الأنبياء للمستكبرين، والطغاة المستبدين، على مرّ الأزمنة. وأوضح لنا هذا الكتاب السماوي طريقة تعايش خاتم الرسل (ص)، مع المشركين، والمعتدين، والكفار، وفي مقدّمتهم المنافقين، وهو في الواقع دستور عالمي خالد منيع، يصلح لكل زمان ومكان، ويتلائم مع كل عصر وحاضرة.

لقد وجه الكتاب الخالد (القرآن) خطابه إلى المصلحين، والمعذرين، والمنافقين، حول استشهاد الشباب وفقدان الأموال والأرواح، وما يلحقهم من خسائر ونكبات خلال قيامهم بمهمة الجهاد، بقوله: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم و إخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين) (١٣) فالذّي ينبغي القول في هذه الآية الكريمة أنّ حكم الجهاد، جاء فيها دون بقية الأحكام الالهية، بعد حبّ الله تعالى ورسوله (ص). وهذا يعني أنّ الجهاد في سبيل الله، هو في مقدمة جميع الأحكام الالهية الحافظة للاصول... وأن التقاعس عنه مصيره إلى الذلّ والخسران، والأسر، وسقوط القيم الاسلامية، والانسانية، كما يؤدّي للوقوع في نفس الأمور التي كان المتقاعسون يخشونها في الماضي، كقتل الكبار والصغار، وسبي النساء، وأبناء العشيرة... وما جميع هذه القضايا إلّا نتيجة تركهم الجهاد، وخاصة الجهاد الدفاعي الذّي نعاني منه اليوم، ما لم يكن في الحسبان. قال تعالى: **(فليحذر الذّين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أويصيبهم عذاب أليم)** (١٤) ليت شعري أية فتنة وبلية أعظم، من التي تجري على الإسلام من قبل أعدائه ومناوئيه، في عصرنا الحاضر،

وذلك بغية إبادة الاسلام من الأساس، وأقامة حكومات غاشمة ظالمة وتدعيمها بالمستشارين الأجانب الناهبين، لأهلاك الحرث والنسل، كالذي يجرى اليوم ضد جمهورية ايران، وشعبها. والعراق وشعبه المضطهد، خلال السنوات الأخيرة.

وحمداً وشكراً متواصلا لا حد ولا حصر لها، على ألطافه جلّ وعلا، حيث رفرفت راية الإسلام المعنوية، ودوّت صرخته في جميع العالم حين توجّه الحجاج الإيرانيين المحترمين، نحو معبد الحب وكهف المعشوق، وهاجروا إلى الله ورسوله، بعد أن اتجهت أنظار العالم نحو حكومة، وليّ لله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء. وزاد غيض المتربصين والمنحرفين من ذوي النوايا الخسيسة الذين عفنوا بأصداء فضيحتهم كل مكان. عكس جميع أضغاث الأحلام المختلقة في مخيلتهم التي كانوا يبشّرون بها عملاء السوء من أسيادهم، ومنها أمنيتهم الخائبة في سقوط نظام الجمهورية الإسلامية خلال ثلاثة أشهرا وسنة، غير أنهم بائوا بالفشل، وأصبحت الجمهورية الاسلامية العزيزة اليوم، وبعد انقضاء عدة سنوات أكثر رسوخاً وتركيزا، وأضحى شعبها أكثر عزا، وقواتها المسلحة أشد بأسا، ومناعة، ومازال شعبها شيباً وشباباً اقوى عزماً وتصميما، وباتت الحوزات العلمية بفضل المراجع الكبار والعلماء الأعلام، أكثر تلهفاً لخدمة الإسلام، وتوثقت الأواصر والعلاقات والصلاة بين الحوزات الدينية والجامعات، وازدادت نشاطات القوات المسلحة عسكرياً، وتطوّرت ثقافياً وسياسياً... وأضحى الأعداء وهم في الحقيقة أعداء الاسلام، والمعارضين لأستقلال البلاد أشد ضعفاً وجبناً، وتزلزلت عروش المستكبرين أكثر فأكثر، و كشفت فضيحة (البيت الأسود) وازداد تخبط المترفين وذعرهم، فيما اتضح لما تعانيه أجهزة الإعلام الدولية من فوضى، تعكس حالة المترفين... فعلى كافة المسلمين والمستضعفين، في العالم أن يستغلوا الفرصة السائحة المتاحة، ويتكاتفوا ويتآزروا، وينقذوا أنفسهم من أسر وقيود الدول الإستعمارية الكبرى.

وهنا مسائل أراها جديرة بالبيان والأعلان وهي:

١ ــ اعلان البرائة من المشركين، وتعتبر من أركان التوحيد، ومن الفرائض السياسية للحج. وذلك أن تتشكل في أيام الموسم بكل صلابة وحيويّة، مسيرات ومظاهرات كبرى. وعلى الحجاج الأجلاء من إيرانيين وغير إيرانيين حسب إختلاف جنسياتهم، وطبقاتهم، المشاركة فيها بعد الإتصال والتبادل مع مسؤولي الحج، والمبعوث من قبلي فضيلة حجة الاسلام الشيخ الكروبي... ويبعثوا في جوار البيت المعظم بصرخات البرائة من مشركي الاستكبار العالمي وملحديهم، وفي رأسهم أميركا المجرمة. وفي الوقت نفسه لا يتغافلوا عن بيان عدائهم

واستيائهـم، من أعداء الله والبشريـة. أيا ترى هل الدين بمفهومه الواقعي، هو غير إعلان المحبة والاخلاص للحق؟ و إظهار البـراءة والتنفر من البـاطل؟ إذ من المستحيل أن يتحقق معنى حب الموحدين و إخلاصهم، من دون اظهـار الإستياء تجاه المشركين والمنافقين. وأي بيت هو أفضل من الكعبة..؟ البيت الآمن والطاهر... بيت الناس جميعاً فنلفظ فيه كل ألوان البغي، والعدوان والإستغلال، والإستعباد، والـدناءة، واللاإنسانيـة قولا وفعلا. ونحطم أصنام الآلهة وسائر الآلهة المبثوثة هنا و هنـاك ، تجديداً لميثاق (ألست بربّكـم) وذلك إحياء لذكرى أهم وأكبر، حركة سياسية قـام بها الرسول (ص) وعبر عنها القرآن بـقوله: **﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾** (١٥) فسنة الرسول (ص) و إعلان البـرائة لن يبـليابعد. و إعـلانها لم يكن مقصوراً على أيام ومواسـم الحج فحسب. لكي يملأوا أجواء العالم بالمحبة والتوجه للباري سبـحانه، والبغض والـرفض لكـل أعداء الله، و إنما عليهم البـرائة في كل حين ووقت ولحظة، من دون أن يصغوا إلى وسوسة الخنـاسين والمرتـابين والجهـال والمنحرفين، وألا يغفلوا لحظة واحـدة عـن هـذا النشيد التـوحيـدي المقدّس الذّي يشمـل العـالم الإسلامي. ولا شك أن الطامـعين وأعداء الشعوب سوف لـن يقرّ لهم قرار ، وسيـتشبـثون بمـختلف آلأحابيل، وشتى الألاعيب فيتجه أدعياء الاسلام، ووعّاظ السلاطين ومرتزقـة البلاطات والليبـراليون والمنافقون إلى عرض فلسفات وتحاليل، واستنتاجات ملـتوية خاطئة ومنـحرفة، ويمارسون كل عمـل من أجل تجريـد المسلمين مـن السلاح، وتـوجيـه الضـربـة القـاضيـة إلى حيـوية أمـة محمد (ص) وعظمتها وصمودها.

قد يتقوّل الجاهلون المتنسكون أنّه ينبغي عدم تلويث قداسة بيت الله الحرام، والكعبة المشرّفة، بالشعارات والمظاهرات والمسيرات و إعلان البرائة من المشركين... لأن الحجّ هو محل العبادة، والخيـرات وذكرالله، ولم يكن جبهة لـلتناحر والإصطدام. كما يعمد العلماء المزيفون المتهتكون من جانب آخر إلى إلقاء شبهة اخرى، وهي أن الجهاد والبرائة من أعداء الاسلام، والحرب من أعمال ذوي الـدنيا ومحبيها، وأن التدّخل في المسائل السياسية خلال أيام الموسم ليس من شأن علماء الـديـن والـروحـانيين، فـالجواب أن هـذا أمـر يعتبر في حد ذاتـه من السياسات الاستـفزازية المبطنـة التي يخطط لها الطامعون... وعلى المسلمين بجميع كـفاءاتهم المتوفّرة أن ينهضوا من أجل التصدّي لهذه المؤامرة الدنيئة، والدفاع عن القيم الآلهية، ومصالح المسلمين، ويـوحدّوا صفـوفهم الجهادية ويمارسوا دفاعهم المقدّس، ولا يـسمحوا لهؤلاء الجهلة من أتباع الشيـاطين، ذوى القـلوب المريضـة، بمهاجمة عقـائد المسلمين وعزّتهـم، أكثر من هذا. ويلتحقوا من كـل صوب وناحية، وحتى من كعبة الله بجنود الرحمن. وينطلق الحجاج الأعزاء

من أفضل أراضي العشق والجهاد، وأكثرها قدسية حيث كعبة أكثر رفعة وعظمة.

أجل يكونوا كسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، حيث انطلق من إحرام الحج إلى إحرام الحرب والجهاد، ومن طواف الكعبة والحرم، إلى طواف صاحب الكعبة والحرم. ومن التوضؤ من بئر زمزم إلى غسل الشهادة والدم، ليتحولوا بذلك إلى أمة لا تقهر، وبنيان لا ينهار، لا تمكن في يوم من الأيام للقوى العظمى الشرقية والغربية، الوقوف بوجهها. ولا ريب أن روح الحجّ ومفاهيمه ورسالته، سوف لن تتحقق إلّا بعد أن يلتزم المسلمون بالجهاد، ضد النفس، والجهاد ضد الكفر والشرك.

ومهما يكن من أمر فإعلان البرائة في الحج، هو في الواقع تجديد العهد بالجهاد، وتجنيد للمجاهدين في مواصلتهم الحرب مع الكفر والشرك، وعبادة الأوثان، وهذا لا يقتصر على الشعارات بل يتعداها إلى التعبئة، والتنظيم ورصّ جنود الله لمقابلة جنود إبليس وسائر الأبالسة. والبراءة هذه تعتبر من المبادئ الأولية للتوحيد.

فاذا لم يتمكن المسلمون من إعلان البرائة في بيتهم الذي هو بيت الله الحرام، فأين يتمكنون من أعلانها؟ و إذا لم يجعلوا ولم يتخذوا الحرم، والكعبة، والمسجد، والمحراب جبهة ومتراساً وثكنة لجنود الرحمان المدافعين، والذابين عن الحرم، وحرمة الأنبياء فأين سيكون مأمنهم وملجأهم؟.

إنّ اعلان البراءة يعتبر الخطوة الأولى من الجهاد، ومواصلته هي المراحل المتعاقبة لواجبنا، وأنه يتطلب في كل عصر وزمان مفاهيم وأساليب وبرامج خاصة. فالذّي ينبغي القيام به في عصر كهذا الذّي تهدد فيه قادة الكفر والشرك، كيان التوحيد للخطر، ويحوّلون جميع المظاهر الوطنية، والثقافية، والدينية، والسياسية الشعبية ألعوبة حسب أهوائهم ورغباتهم؟ ترى هل يتخلص واجبنا في الانزواء، والجلوس في قعر الدور وتحمل ضغوط الشيطان وأتباعه، من خلال حملات التضليل، و إهانة منزلة البشر، وبث روح اليأس والعجز في نفوس المسلمين، ومنع المجتمع الإسلامي من بلوغ الخلوص الذي يعتبر غاية الكمال، ومحط الآمال، والإيحاء بأن محاربة الانبياء للأصنام وعبادتها تتخلص في الحجارة والأخشاب الهامدة، وأن الأنبياء كأبراهيم عليه السلام (والعياذ بالله) كانوا السباقين لتحطيم الأصنام، ولكنهم تركوا ساحة الجهاد ضد الظالمين؟ إنّ تحطيم الأصنام وجهاد ابراهيم (ع) وصراعه ضد النمروديين، وعبدة الشمس والقمر، والكواكب، كلها كانت مقدمة لهجرة كبرى، وانّ جميع تلك العقبات والشدائد، والصعاب، والاقامة في واد غير ذي ذرع وبناء البيت والتضحية باسماعيل كمقدمات أولية لبعثة ورسالة خاتم النبيين (ص) الذّي جاء بجميع كلمات

الأولين والآخرين، من بناة الكعبة وكررها في رسالته الخالدة، أدّاها بقوله الخالد: (انّني بريء مما تشركون).

إننا إذا تصورنا غير هذا المعنى، فإنّه يعني عدم وجود الأصنام والعكوف عليها في هذا العصر، ولكن أيّ عاقل لا يدرك عبادة الأصنام الجديدة في عصرنا الحاضر، بأشكالها، وأحابيلها، وحيلها الخاصة. ولا يعرف سيطرة معابد الأصنام (كالبيت الأسود الأمر يكي) على الحواضر الاسلامية، وعلى أرواح وأعراض المسلمين، والعالم الثالث.

إنّ صرخة براءتنا من المشركين والكفار اليوم، هي صرخة البراءة من البغي والظالمين. وصرخة إمة ضاقت ذرعاً باعتداءات معكسرات الشرق والغرب، وفي مقدمتهم أمريكا وأذنابها... وتلك من جراء نهبهم لبيوتنا وذخائرنا.

إعلان براءتنا هي صرخة الشعب الأفغاني المضطهد، ومن المؤسف أن الأتحاد السوفيتي، لم يستجب لنصحي، وتحذيرى، بشأن أفغانستان ومن ثم حمل على هذا البلد الأسلامي.

لقد قلت في الماضي القريب مرات عديدة، وأقوله اليوم: أن كفوّا عن الشعب الأفغاني، ودعوه لنفسه، فهو يقرر مصيره ويتوّصل إلى إستقلاله الحقيقي، ولا يحتاج إلى ولاية الكرملين، أو وصاية أمريكا، ولا شك أنه لن يخضع لسلطة اخرى بعد جلاء العسكريين الأجانب من بلاده، وأنه سيقطع دابر أمريكا إذا ما حاولت التدّخل في شؤونه أو الأعتداء على أراضيه.

كما أن صرخة براءتنا، هي صرخة الشعوب المجاهدة المسلمة في افريقيا... صرخة اخواننا وأخواتنا في الدين من الذّين يكتوون بسياط الظالمين العنصريين لسبب لونهم الأسود.

إنّ صرخة براءتنا هى استجابة لصرخات الشعبين اللبناني والفلسطيني، وكافة الشعوب والبلدان الاخرى التي تطمع فيها القوّتان العظيمتان الشرقية، والغربية. سيما أمريكا، واسرائيل، وتقوم بنهب ثرواتها وفرض عملائها، ومرتزقتها على رقاب الشعوب، وتهيمن على أراضيها من بعد آلاف الكيلومترات. وتسيطر على حدودها البحريّة، والبريّة.

إنّ براءتنا إستجابة لصرخات الذّين لم يتعودّوا أن يتحملوا تفرعن أمريكا ووجودها التسلطي. ولا يريدون أن تخمد نداءات غظبهم وتذمّرهم. وتموت في حناجرهم إلى الأبد. وقد صمّموا أن يعيشوا حياة حرّة كريمة، ويموتوا أحراراً ويكونوا الا نموذج المثالي للأجيال.

انّ براءتنا هي الدفاع عن الشعوب، والكرامات، والنواميس، والذّب عن الثروات، والرساميل، والذخائر المستخرجة، والعوائد المالية المنهوبة. صرخات الشعوب المؤلمة، المتقطعة

قلوبها بسكاكين الكفر، والنفاق. صرخات الفقراء والمعوزين، والجياع، والمحرومين الذين نهب الجشعون، والقراصنة الدوليّون، حصيلة جهودهم، وما امتلكوه من كديمينهم، وعرق جبينهم. أولئك الذين امتصوا دماء الشعوب الفقيرة، من الفلاحين، والعمال، والكادحين، بأسم الرأسمالية، والإشتراكية، والشيوعية. وربطوا بأنفسهم العصب الحيوي لا قتصاد العالم. وحرّموا أصحابها من استيفاء أبسط حقوقهم المشروعة.

إنّ براءتنا هي صرخة أمة يتربص لها الكفر، والإستكبار العالمي الدوائر، ويتحين الفرص لأبادتها وقد صوّب نباله، وحرابه، نحو القرآن، والعترة العظيمة. ولكن هيهات أن تخضع أمة محمد (ص) الذّين روّى ظمأهم كوثر عاشوراء. ومن المنتظرين من ورثة الصالحين. الاستسلام للموت المذلّ، أو الأسر للشرق، والغرب. ولكن هيهات أن يسكت الخميني أمام اعتداءات الأشقياء، والمشركين، والكفار الموجّهة نحو حرمة القرآن الكريم، وعترت رسول الله (ص) وأمة محمد (ص)، وأنصار إبراهيم الخليل. أو أن يقف متفرجاً على مشاهد إذلال المسلمين و إهانتهم.

لقد حملت دمي، ونفسي البخيسة، على كفي، وبانتظار الفوز بالشهادة العظيمة في سبيل الواجب والحق والذّب عن كرامة المسلمين. ولتكن القوى الإستعمارية الكبرى وأذنابها، على يقين بأن الخميني لوبات وحيداً بمفرده فإنّه سيواصل طريق الجهاد، ضد الكفر، والشرك، عبادة الأصنام. و إنّه بعون الله تعالى، سيقف في صفوف متطوّعي العالم الإسلامي، الحفاة الرازحين تحت غضبة الديكتاتورية، ويجاهد إلى جنبهم ويسلب النوم والراحة، من أجفان السلطويين، والعملاء الذين يتمادون في ممارسة الظلم والأضطهاد.

شعار (لا شرقية ولا غربية) مفهوم ثورتنا إلى الأبد...

أجل إنّ شعار (لا شرقية ولا غربية) شعار الثورة الاسلامية المبدئي، عند الجائعين والمستضعفين. والذّي يجسد السياسة الحقيقية، والنهج الحقيقي، هو عدم انحياز الدول الإسلامية (والحكومات التي ستتقبل في المستقبل القريب بعون الله الإسلام) كرسالة منقذة للبشريّة. ولن يحيد عن هذه السياسة، وهذا النهج قيد أنملة. وعلى الحواضر الإسلامية، والشعوب المسلمة، ألا تهفوا، وتنحاز إلى الغرب، وأوروبا، وأمريكا. ولا تميل وتنحو إلى المعسكر الشرقي الإتحاد السوفيتي. و إنّما ينحازوا ويرتبطوا بالله، ورسوله، و إمام العصر. ومن المؤكد أن تجاهل سياسة الإسلام هذه، هو بمثابة التغاضي عن هذا الشعار الإسلامي العالمي، يعتبر خيانة لرسول الله، وأئمة الهدى وبالتالي سيؤدّى إلى تدمير بلادنا، وشعبنا، والدول

الاسلامية بمجموعها. ولا يحسب أحد أن هذا الشعار هو شعار مرحلي و إنما هو سياسة عملية مستمرة حية، ومتواصلة لشعبنا وجمهوريتنا الإسلامية، وكافة المسلمين في الأنحاء المعمورة، ذلك أن شرط الثبات على الصراط المستقيم، هو البراءة والإبتعاد عن صراط الضالين المغضوبين عليهم. وينبغي أن يطبق، ويعمل على تطبيقه في كافة المجتمعات الإسلامية، وفي جميع المستويات والإتجاهات.

إنّ على المسلمين بعد انفضاض مسيرة البراءة و إعلانها، التضامن مع الشعب الإيراني البطل، والتفكير في مطاردة الإستعمار من بلادهم، وأراضيهم الإسلامية، والسعي في إزاحة جند إبليس عنها، والعمل في تعطيل وشل القواعد العسكرية، للشرق والغرب، القائمة في بلدانهم، ويحولوا دون إستغلال السلطويين، لإمكاناتهم من أجل خدمة مصالحهم ويشجبوا الإساءة إلى الدول الاسلامية. ولعمري إنّه لخزي ما بعده خزي، وعار ما بعده عار، أن يتوغّل الأجانب فى المراكز السريّة، والعسكرية للمسلمين. والمفروض على المسلمين ألا يهابوا الصخب والطبول الفارغة، والدعايات السامة المغرضة، وذلك لأن قصور الإمبريالية العالمية، وقواتها العسكرية، والسياسية، أشبه ببيت العنكبوت. هش سهل التمزّق والنقض. ولا بد لمسلمي العالم كيفية تأديب الحكام العملاء، ومراقبتهم، واصلاحهم، و إيقاظهم بالنصح، والموعظة، والإرشاد، أو التهديد، من سباتهم العميق الذّي سيقضي على حياتهم، ومصالح الشعوب الإسلامية في نفس الوقت. ويحذروا هؤلاء العملاء، وألا يغفلوا هم أنفسهم وبالرؤية الصائبة عن خطر المنافقين، وسماسرة الإستكبار العالمين. وألا يظلّوا صامدين من دون ردّ فعل وبمسمع منهم هزيمة الإسلام، ونهب ثروات المسلمين ومصالحهم.

وعلى الشعوب الإسلامية أن تسعي وتفكر في إنقاذ فلسطين. وتعلن عن سخطها، واستنكارها لمساومة واستسلام زعماء العار، والعملاء الذين قضوا باسم فلسطين، على قضية شعب فلسطينِ ومسلميها. ولا يدعوا هؤلاء الخونة بعد هذا، أن يسيئوا لفلسطين بالجلوس حول مائدة المفاوضات. وتبادل الزيارات واللقاءات، إلى كرامة وسمعة الشعب الفلسطيني البطل، فلقد لجأ هؤلاء (أدعياء الثورة) العملاء الفاقدون للكرامة إلى أمريكا، واسرائيل، وارتموا في أحضانها تحت شعار (تحرير القدس) المبطن.

سوف لا نكف عن مقاومة الصهيونية:

ومن الغريب أنه كلما يمضي على كارثة اغتصاب فلسطين الدامية، يوم أو أيام، يزداد صمت زعماء ورؤساء الأقطار الاسلامية، وتزداد مساومتهم، ومسايرتهم، وتزلفهم

لاسرائيل الغاصبة. بحيث أن صرخات (بيت المقدس) كأنها لا تصل إلى أسماعهم، أو لم تكن هناك لصرخاته المدويّة آذاناً واعية وصاغية. ونجدهم بالفعل يشجبون كل حكومة، وشعب ـ أمثال إيران المثابرة في ردّ كيد المعتدين والمتطفلين ـ يتطوّع لدعم الشعب الفلسطيني، ومساندته. ويخافون من تسمية يوم منَ الأيام بأسم (يوم القدس) وربّما التبس عليهم الأمر، وحسبوا أن مرور الزمن أثر وغير طبيعة اسرائيل، والصهيونية الأثيمة وأن ذئاب الصهاينة الكاسرة، تغاضت وعدلت عن نواياها العدوانية التوّسعية الطامعة في الأراضي الإسلامية من النيل إلى الفرات.

إنني كما حذرت مراراً في سنين قبل الثورة، وكذلك بعدها أعود اليوم فأنبه مجدداً على خطر وسيع وانتشار الغدة السرطانية الخبيثة للصهيونية، داخل جسم الدول الإسلامية. وأعلن عن دعمي الأكيد وتجاوب إيران شعباً وحكومة لجميع أنواع الجهاد الإسلامي للشعوب والشبان المسلمين الغيارى، في سبيل تحرير القدس. وأتقدّم بشكري لشباب لبنان الأعزاء الذّين أصبحوا مدعاة لفخر الأمة الاسلامية، إذ تركوا للسلطويين الذلّ، والخذلان. وأدعو بالتوفيق والسداد لجميع الأعزة الذين يسددون الضربات إلى اسرائيل، ومصالحها داخل الأراضي المحتلة، وخارجها بسلاح الأيمان والجهاد. وأوكد لهم بأن الشعب الإيراني لن يتركهم وحيدين في النضال. فاتكلوا على الله واستغلوا القوّة المعنويّة للمسلمين، واحملوا على الأعداء بأسلحة التقوى والجهاد، والصمود والمقاومة، فإنّكم **(إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم)** (١١).

٢ ـ لما كانت الحرب في طليعة قضايانا، فانّ السلطويين ـ وعلى أعتاب الإنتصار الحاسم للشعب الإيراني على العفالقة المتهرئ والمشرف على الأنهيار ـ يحاولون إنحراف الرأي العالمي من خلال وصفنا ـ بعد كل اعتداءات وجرائم نظام صدام وصمت الأوساط الدولية ـ بأننا دعاة حرب. ولئلا يتأثر السذّج غير الواعين بهذه الحربة الجديدة، ولأجل تنوير الرأي العام، والشعوب الرازحة تحت كابوس الأسر، سيما حجاج بيت الله الحرام المحترمين. أرى لزاماً أن أشير إلى بعض النقاط:

إنّ العالم ومنذ بداية الحرب، ولحد الآن وفي جميع المراحل الدفاعية، لم يتكلم معنا بلغة العدل، وعدم الإنحياز. في اليوم الذي اعتدى فيه صدام. وحزب البعث ـ علينا مندفعاً بغروره وغبائه، للقضاء على نظام الجمهورية الإسلامية الفتى... واخترق المواثيق الدولية، وضرب جميعها عرض الحائط... وأشرف بنفسه على الغارات الجويّة والإعتداءات البريّه والبحريّة... لم يكتف بتدمير القرى أو المدن الإيرانية، و إنّما أباد عشرات المدن، ومئات

القرى عن بكرة أبيها، وقتل الأطفال الأبرياء في أحضان أمهاتهم، واستمر في جشعه وجرائمه الى حدّبات فيه التعبير عن ذلك أمراً يندى له جبين الإنسانية.

نقول: عندما فعل صدام فعلته هذه النكراء، لم يستنكر أحد من دعاة الإسلام هذه الجريمة عليه، ولم يقف بوجهه، ولم يردعه عن غيه ولم يوقفه عند حدّه، في إطلاقه الشرارة الأولى للحرب التي عمت جميع الدول الاسلامية، والدول الواقعة على الخليج الفارسي، ولم يتطوّع واحد منهم بالدفاع عن الشعبين المظلومين في ايران، والعراق، ولم يسأل صدام ـ وهو البادي بالحرب ـ عن العوامل الدافعة بقتل أبناء الشعب الإيرانى، وتهجير الملايين من أبنائه، وقصف ديارهم؟ وكذلك عن سبب تبذيره لثروات الشعب الايراني، ومصانعه، ومزارعه ومضيعاً جهوداً خلال عشرات السنين، هل إن ذنبنا أننا إيرانيون؟ أو أننا من الفرس؟ أم أن الذنب هو النزعات والإختلافات الحدودية الماضية؟.

كلا... ليست هذه هي العوامل الباعثة للحرب، و إنّما كما يعرف الجميع اليوم أن ذنبنا في الواقع حسب وجهة نظر المستكبرين والمعتدين، هو دفاعنا عن الإسلام، و إقامتنا الحكومة الجمهورية الإسلامية، بدلاً من النظام الشاهنشاهي المباد. إنّ ذنبنا هو إحياؤنا لسنة الرسول (ص) وتطبيقنا لأحكام القرآن الكريم. ودعوتنا للوحدة العامة الشاملة لجميع الفرق الإسلامية ـ شيعة وسنة ـ من أجل الوقوف بوجه مؤامرات الكفر الدولي. وذنبنا أيضا هو وقوفنا إلى جانب الشعب الفلسطيني، المحروم، والشعب الأفغاني، والشعب اللبناني، و إغلاق سفارة اسرائيل في ايران. و إعلان الحرب على الا خطبوط السرطاني، والصهيونية العالمية. واستنكارنا التميز العنصري. ودفاعنا عن الأفارقة المضطهدين. و إلغاؤنا للمعاهدات المذلّة المعقودة بين النظام البهلوي المباد مع أمريكا الطامعة. وطردنا للطامعين والناهبين وحثالاتهم.

وهل هناك في مفهومهم اللامنطقي، ذنب أفظع من الدعوة إلى الإسلام وحاكميته، ودعوة المسلمين إلى مهيع العز و الإستقلال، والوقوف بوجه تطاول المعتدين؟ إنّنا لم ندرك هذه الحقيقة خلال الحرب المفروضة فحسب، و إنّما علمناها و أدركناها منذ بداية جهادنا في الخامس من حزيران عام ١٩٦٣، وحتى الحادي عشر من شباط سنة ١٩٧٩.

لقد أدركنا تماماً بأن علينا دفع الثمن باهضاً من أجل تحقيق الهدف الإسلامي الكبير، ولابد لنا من تقديم القرابين والضحايا في سبيل ذلك الهدف الالهي. وعرفنا أن الطامعين لا يتركوننا وشأننا، و إنّما سيباغتوننا، ويوفاجؤننا بواسطة عملائهم في الداخل والخارج، ويريقون دماء أولادنا في الأزقة والشوارع، وعلى الحدود أثناء دفاعنا عن الإسلام. وهذا ماحصل فعلاً حينما صرخ شعبنا في الخامس من حزيران عام ١٩٦٣، مطالباً بالعمل

على ضوء الإسلام. وحينما واجه غرور أمريكا واقتدارها في ايران بالفشل والهزيمة، وأدركت هذه القوّة العظمى مدى عظمة زعامة علماء الدين، وعزم الشعب الإيراني وإرادته ومناعته، نضاله من أجل نيل حريّته، واستقلاله، وإقامة نظام اسلامي عادل، بادرت إلى عميلها المسلوب القدرة، والخائن لوطنه، محمدرضاخان وأمرته بإخماد أصوات الشعب الداعي للإسلام. وأخذت منه عهداً بالقضاء على كل من يقف بوجهها.

وقد شاهدنا جميعاً كيف أن الخونة والعملاء الذين قاموا بهذه المهمة المشؤومة، لم يتقاعسوا ولو للحظة واحدة وبحجة تنفيذها، ورفع شعار الحريّة المزيف، والدعوة للوصول إلى بوابة التمدن الكبير... كيف صنعوا من أشلاء جثث أبناء هذا الشعب جسوراً لهم، وصبغوا بدماء شبابنا جدران بلادنا، وتسرّبت الجرائم هذه وعمت المدرسة الفيضية، إلى الجامعة، ومن الجامعة إلى الأزقة والطرقات، والأسواق والشوارع، وانتهت إلى الجوامع والمحاريب... في الوقت الذّي كان فيه جلاوزة الحكم الشاهنشاهي، يسعون في تدمير شجرة الحرية الطيبة، وقطعها، كان المستعمرون عن طريق أجهزة إعلامهم يصفون نظام الشاه بالتمدّن، ويعبرون عن المسلمين الأحرار بالرجعية والعمالة، ويعتبرون شروطهم الإسلامية بأنها رجعية سوداء. وهكذا راحوا يرتكبون أبشع الجرائم ويعيدوا بأعمالهم جرائم يزيد، ومآسيه في اليومين التاسع والعاشر من المحرم. ورغم هذه الأحداث التي كانت تدار في بلدنا، والقلق والإضطراب الحاكم عليها، كانوا يصفون بلدنا ببلد الهدوء والاستقرار، بينما حولّوه إلى مقابر وخرائب. وقد أعلنت حين عودتي إلى ايران العزيزة في مقبر (بهشت زهراء) أن الشاه قد حوّل البلد إلى خرائب، وعمر مقابره. واليوم أكرر الكلام ثانية، وأقول: أن الشاه أباد البلاد، وعمر المقابر. فمن هو الشاه، ومن كان يعمل تحت امرته؟ فلو كان يعمل ويحكم بوحي من أفكاره الخابلة، لكانت المسألة قد انتهت منذ لحظة سقوطه. ولكن من ذا الذي لا يعرف أن الشاه كان عميلا لأمريكا وأن جميع شهدائنا وأبنائنا قد ضحوا بأنفسهم من أجل الحرية. لقد كان الشاه ينفذ المخطط الذي دفع إليه من قبل أسياده، واستطاع أن يثأر لأمريكا من الإسلام والمسلمين.

أما الموجّه والمسير الأساسي لهذه الحوادث ـ أي أمريكا ـ فقد بقيت وراء الستار، تهاب الإسلام الحقيقي وتهابه وتخشى إنتفاضة الشعب المتطلع إلى الحكومة الالهية. وتابعت أمريكا لعدّة أيام سياسة المداهنة والوعد والوعيد، وحسبت أن الشعوبيين والمنافقين وعملائهم، من كل جهة سيعملون في إدارة وتحريف الثورة والحكومة، والنظام القائم لصالحها، فراحت تضع المخططات وتحيك المؤمرات، والدسائس، والضغط والترويج،

لأذنابها. وجاهدت في تشويه هويةالثورة، وسمات الثوريين الحقيقيين. ولكن الله سبحانه وتعالى مَنّ علينا بعنايته من جديد، وأعلن الشعب الإيراني براءته من أمريكا وأذنابها، خلال ملحمة احتلال وضبط وكرالجاسوسية، والعمالة وتصرفه، ومن هنا اتجهت أمريكا نحو صدام، لتسلم له الحربة التي سلمتها من قبل إلى محمدرضاخان.

ما الذي عمله صدام..؟

ذكرت في الماضي بأنه لو أتيحت لنا الفرصة لبناء ما دمّرته يدا الشاه، خلال سطوته فإننا لن نتمكن من اصلاحه في أقل من عشرين سنة، مهما بذلنا من جهود، فهل ياترى يمكن بناء و إعادة مادمّره صدام في أقل من عشرين سنة؟ ليعلم الشعب الإيراني الشريف، وكافة مسلمى، وأحرار العالم، بأننا لو أردنا الوقوف على أقدامنا من غير إعتماد على قوى اليسار واليمين، فإنّ علينا دفع ثمن باهض من أجل الحرية والاستقلال.

إنّ الثورة الإسلامية في إيران هي ثمرة دماء ألاف الشهداء والجرحى، ودمار المنازل والبيوتات، و إحتراق محاصيل المزارعين، واستشهاد الكثير من أبناء الشعب في عمليات التفجير، ووقوع أبناء الثورة والاسلام اسرى بأيدي جلاوزة البعث في العراق. وهي ثمرة الصمود البطولي، أمام كل أشكال التهديد والضغط الاقتصادي، والعسكري، والسياسي. لقد أغنى تدمير المنازل وهدمها، على رؤس الأطفال الأبرياء، تجربة إنتصار الشعب الايراني، اذ قام بالتأمين على ثورته وبلده من خلال جهاده وتضحياته. وسيقف العالم على تجاربنا، وسنرسم لكل المجاهدين طرق الحق والحرية، بدون أي مقابل وتعويض، وذلك ليقفوا على حصيلة كفاحنا، ودفاعنا، ووقوفنا ضد الظالمين.

ولن تكون نتيجة الإستفادة من هذه التجارب المنيعة، سوى تحقيق الانتصار والإستقلال و إنتشار تعاليم الإسلام بين طبقات الشعوب المضطهدة.

إنّ على مفكرّي الإسلام من خلال العلم والدراية، مواصلة طريق إبادة وتحطيم العالمين: الرأسمالي، والشيوعي، وعلى جميع الأحرار أن يجسدّو لأبناء البلدان الإسلامية المظلومين، والعالم الثالث كيفية توجيه الضربة، و إنزالها بالقوى المستكبرة سيما أمريكا وأذنابها، وذلك من خلال الرؤية السليمة، والواضحة.

إنّني أقول ــ وكلي يقين ــ أن الإسلام سيمرّغ أنف القوى الكبرى، وسيزيل الحواجز، والعقبات الكبيرة في داخل حدوده وخارجه، واحداً بعد آخر، وسيزيلها من على مصيره إلى أن يبلغ إلى فتح العالم.

فيا أبناء الشعب الإيراني النبيل، كونوا على علم بأن ما قمتم به أنتم الرجال والنساء، لعمل رائع بطولي وقيم، بحيث لو دمّرت إيران مئات المرات عن آخرها، وجدد بناؤها بجهد أبنائكم الأعزاء، فلن تكونوا فيه خاسرين وذلك أنكم فزتم بالعيش والإنضمام إلى أولياء الله في العالم، وأصبحتم خالدين، وأن الدنيا ستحسدكم عليه، فطوبى لكم.

مقاومة السلطويين والمستكبرين...

إنّي بكل صراحة أعلن للعالم، بأنه إذا ما أراد السلطويون، والجشعون الدوليون، الوقوف أمام زحف ديننا فإنّنا سنقف في وجه دنياهم، ولن نستكين حتى القضاء عليهم جميعاً. فإما أن نتحرر جميعنا، و إمّا أن نبلغ الفوز الأكبر ألا وهي الشهادة. وكما حققنا النصر للثورة وحدنا، وفي الغربة ودون مساعدة وموافقة أيّ من الدول، والمنظمات، والهيئات الدولية، وكما قاتلنا في الحرب بمظلومية أكثر من الثورة، وهزمنا المعتدين، دون مساعدة من أية دولة أجنبية، فإننا سنواصل بعون الله والإتكال عليه، ما تبقى من الطريق بمفردنا، رغم وعورته وكثرة أشواكه. وسنعمل بواجبنا فإمّا أن نشد على أيدي بعضنا بعضا، فرحين بانتصار الإسلام في المعمورة كلها، و إمّا أن نتوجه جميعاً نحو الحياة الأزلية والشهادة، ونستقبل الموت بعز وشرف. وفي كلا الحالين سيكون النصر حليفنا، ولا ننسى الدعاء أيضا: (ربّنا امنن علينا واجعل ثورتنا الاسلامية المرحلة الأولى في إنهيار قصور الجبارين، وأفول نجم أعمار المعتدين في جميع أنحاء العالم، ومتع جميع الشعوب بثمرات وراثة المستضعفين والمحرومين وامامتهم وبركاته).

تجار الحرب والمعتدين يطالبون بالسلام...

وبعد كل هذه المقدمات، فإنّ الحكم بشأن الحرب والقضاء فيها، يعود للمسلمين أنفسهم لينظروا ويتأملوا في حقيقة أهدافنا، وأين كانت تتجه مسيرتنا كي استوجبت الهجوم علينا، واستوجبت تقديم قوافل الشهداء إلى محضر الله القدسي؟ وما هي النوايا التي يضمرها صدام الفاسد، من وراء عدوانه؟ والدوافع التي جعلت أنظمة العالم تقوم بدعمه سراً وعلانية؟ فالمعتدون لم يكونوا إلى هذا اليوم في عسر على صعيد التسلح، والحصول على الدعم العسكري، والاقتصادي، والسياسي لأن العالم يقوم بتزويدهم بأفضل وأحدث الأسلحة بشتى الوسائل، والذرائع، بينما يمتنع عن أعطاء الصفقات العسكرية التي تعتبر حقاً طبيعياً لشعبنا بعد أن قبض أثمانها. إلّا أنه وبرغم كل ذلك فإننا نفخر بأننا انتصرنا في هذه الحرب الطويلة، وغير

المتكافئة، بالأعتماد فقط على سلاح الأيمان، والإتكال على الله سبحانه، ودعوات بقية الله الأعظم (عج) وهمة الأبطال من الرجال والنساء. ونحمده الله ونشكره أن ليس لأية قوة كبرى، أو دولةمنة علينا في هذه الحرب. بل إنّ شعبنا المجرب والمتوكّل على الله سبحانه، استطاع بوحده أن يتغلب على الكثير من المشاكل، من التخطيط للعمليات والتعبئة، وتدريب المقاتلين إلى تأمين حاجيات البلد من الأسلحة وذلك بالأستعانة بالله عزوجل.

بالأضافة إلى الإنجازات التي تشبه الإعجاز والتي تجسدّت في سوح الدفاع عن البلد الإسلامي، وطرد المعتدين من آلاف الكيلومترات، فقد حققنا تطورات صناعية، هائلة كتشغيل المعامل، واحداث التغييرات في خطوط الإنتاج واختراع الأجهزة العسكرية المتطوّرة، دون احتياج إلى استخدام خبير أجنبي، وبدون أية مساعدة أجنبية.

واليوم، ونحن على أعتاب النصر النهائي، حيث نخطو خطواتنا الأخيرة أخذت تصك الأسماع أصوات من حناجر الحكام المعتدين، وتجار الحروب، تطالب بالسلام، وتثير الضجيج في العالم، وتقيم المآتم على السلام... وتدافع عن حرية الإنسانية، وحقوقها، وأمنها، وتنوح وتبكي على دماء الشهداء، والثروات المادية والمعنويّة لإيران، والعراق، ما الذي حدت حتى أصبح الإستكبار العالمي، وعلى رأسه أمريكا، من أنصار الشعوب؟ وما الذي جعل تجار الحروب ومؤججي نار الفتن، وجلاوزة القرن، يؤمنون بشرف الإنسانية والتعايش السلمي، ويغضون الطرف عن عطشهم، ونزعتهم الدموية التي تعتبر الخصلة الأساسية للنظريتين، الرأسمالية، والشيوعية، حيث أغمدوا سيوفهم وخناجرهم المغروسة في قلوب الشعوب وأكبادها.

هل هذه حقيقة أم خدعة؟ وهل هذا هو الوجه الآخر للمظالم والغدر التي كان الإستكبار يرى في السكوت عنها تحقيقا لمصلحته بالأمس، بينما يطالب اليوم بالسلام؟ ألا يريد الطامعون بهذا الطريق، أن يحولوا بيننا وبين ضربتنا الأخيرة، وذلك بربطهم سياسة الحرب والسلام في العالم، بقراراتهم وأفكارهم الشيطانية الجشعة، تكريساً لمصالحهم وللسيطرة على الشعوب، وامتلاك أموالها، ودولها، وأمنها؟ ولا شك أن الباعث على إصرار الطامعين في فرض السلام على الشعب الإيراني منبعث من هذه الفكرة.

هذا، وبغض النظر عن كل هذا وذاك، فان تحديد ذلك الذي يروم السلام الحقيقي، والذي يريد الحرب هو بداية بحثنا.

هل أن صداما قد ندم على ماضيه، وأفعاله، واعتداءاته، وبغيه؟ وهل أنه يعتذر عن الخيانة التي إرتكبها بحق الشعوب الإسلامية عندما أضعف البنية الدفاعية، للشعوب

الإسلامية؟ وهل إنّ مطالبة صدام بالسلام، نابعة من صحوة ووعي واحساس وتيقظ الضمير؟ و إننا بعد العودة إلى سجل جرائمه الأسود، هل يمكننا أن نتصور وجود ضمير أو احساس لهذا العنصر؟ أم إنّ هذا الثعبان الجريح، يتمسك بحبل السلام، لسبب عجزه، وضعفه عن المقاومة.

والعجب من بعض أدعياء العقل والسياسة والتدبير، كيف يقدمون الاطروحات ويحرفون مسار عزة المسلمين، وكرامتهم فيحذرون شعبنا من شرف الجهاد، عن طريق تحريف آيات كتاب الله الكريم. إننا نحمدالله إذ منح الشعب الإيراني وعيا متنامياً، فهو لن يتأثر بهذه المحاولات الواهية، ويعتبرها دليلا على جبن البنى والأسس الفكريه والعقائدية لأصحاب هذه التحليلات الهزيلة، ويسخر بهم.

فأي إنسان عاقل ــ بالرغم من كل الظروف المناسبة، والمقدمات اللازمة، وتقديم الالآف من الضحايا ــ يغض النظر عن الحرب مع العدو المحتضر، دفاعاً عن رسالته وشعبه وبلده؟ ويتركه يستعيد قوته ثانية، ليهاجم بلدنا في الوقت المناسب؟ فهل تسنم منصب الرئاسة في هذه الدنيا لبضعة أيام، يستحق كل هذا الذلّ والهوان؟.

في بداية العدوان كان العالم يقترح علينا أن نقبل سيادة ومطالبة صدام للحيلولة دون المزيد من الهجمات. لقد طالبونا بالخضوع لنظام صدام، وهاهم اليوم ــ وفي اطار تلك السياسات وفي ظل قصف الأحياء السكنية، والحملات الكيمياوية، وضرب الناقلات، والطائرات المدنية، وقطارات نقل الركاب ــ يدعوننا ولكنه بلغة أخرى إلى قبول حكم القوّة وعدوان صدام. إنّ جميع الخبراء في العالم يدركون أن صداماً لم ينصرف ذرّة واحدة عن نزعته العدوانية والوحشية، بل قد تحوّل ــ بدعم أسياده وصمت المنظمات والأوساط الدولية ــ إلى ذئب جريح، يسعى لا شعال نار الحرب في دول المنطقة، سيما في الخليج الفارسي.

وبهذه المناسبة فإنّي أحذّر جميع رؤساء إمارات الخليج الفارسي، وكافة القوى العظمى الشرقية، والغربية، سيما أمريكا والاتحاد السوفيتي... من التدخل والمغامرة، واتخاذ القرارات المرتجلة اللامسؤولة. كما وأنصح الشعب الأمريكي، بألايودع مقدراته و إرادته وعقله في القضايا السياسية والعسكرية، بأيدي أفراد أمثال ــ ريغان ــ الذّي أصبح عاجزاً في كل المسائل وخاصة السياسية، واتخاذ القرارات، لأنه بحاجة إلى مساعدة الآخرين من العقلاء، والمفكرين كي لا يدفع بالشعب الأمريكي إلى السقوط.

إنّني أوصي زعماء إمارات الخليج الفارسي، بألّا يعملوا على تحقير أنفسهم وشعوبهم، من أجل عنصر أفلس سياسياً وعسكريا، واقتصادياً. وأقول لهم: لا تظهروا ضعفكم وعجزكم

عن طريق اللجوء، إلى أحضان أمريكا ولا تطلبوا العون من الذئاب والوحوش، لرعيكم وحفظ مصالحكم.

إنّ القوى الكبرى، عندما تتطلب مصالحها لا تتردّد في التضحية بكم، وحتى بأوفى أصدقائها وأعوانها. لأنه ليس للصداقة والعمالة والاخلاص أيّ إعتبار أو قيمة، بالنسبة لها لأنهم جعلوا مصالحهم معياراً لذلك. وبصراحة فإنّ الحديث حول هذا الموضوع أصبح واضحاً للجميع. وحبذالوينبه بعض زعماء الدول الإسلامية ــ العملاء ــ أسيادهم وآلهتهم، بهذه النقطة بشكل جدّي، وهي أن عليهم ــ أي على الأسياد ــ ألا يتحدثوا عن مصالحهم في الخليج الفارسي بهذا الشكل، لأن هذا الأمر بذاته سيثير مشاعر أبناء المنطقة وعواطفهم، وأية مصالح هذه التي يطالبون بها في الخليج الفارسي، والتي تدفع أمريكا، وفرنسا، وبريطانيا، إلى خفظها، حتى لو اقتضى الحال التدخل العسكري، واثارة الحروب من أجلها؟.

إنّ سياستنا تجاه الخليج الفارسي، واضحة وصريحة منذ البداية. فالجمهورية الإسلامية في إيران تعير أهمية كبرى لقضية الأمن في الخليج الفارسي. ولذلك وبرغم امتلاكها لجميع الإمكانات، والقدرات البحريّة، والجوية، والبريّة التي يمكن من خلالها إغلاق مضيق (هرمز) ومنع مرور السفن، والناقلات، والإضرار بمراكز تصدير النفط ومصافيه، إلاّ أنها لازالت ملتزمة بسياسة الصبر، وضبط النفس، والحدّ من اتساع رقعة الحرب.

إنّ الجمهورية الإسلامية تقوم بردود فعل محدودة، لتعكس جانباً ضئيلا من قوتها. ولقد توّصل العالم إلى حقيقة أن تعكير الأمن في الخليج الفارسي، لا يضر بايران فحسب حتى لو وضعت أعتى الدول العظمى، جميع إمكاناتها الجويّة والبحريّة والتجسسية في خدمة أذنابها في المنطقة. فلن تكون آمنة من الخطر وستغرق في مستنقع الأضطراب. وعلى الرغم من كل التهديدات، والتخرصات التي تقوم بها أمريكا في العالم، وبارسالها عشرات الصحفيين والمصورين إلى المنطقة لتغطية نبأ (نجاح) الخطط الامريكية، فإنّ الله سبحانه قد مهد الأرضية لفضح أمريكا عن طريق الغيب. ورفع راية لاإله إلاّ الله... المعنويّة فوق راية الكفر، ليشفى صدور عباده المخلصين. والأفضل ألاّ تسبع وتغوص أمريكا ــ وريغان ــ مرة ثانية في بحر سياسة الخليج الفارسي الملغومة. لئلا تصيبها الفضيحة من جراء ذلك. وعلها تدع الغرور والجهل اللذّين ألقيا بصاحبها عشرات المرات أرضاً. وندعوها لتحافظ على ما تبقى من شبح قوتها الزائفة أمام عملائها كالكويت، ولا تذلّهم بهزيمتها أكثر من هذا. ولتطمئن إلى أن مواصلة جولاتها في الخليج الفارسي، سيجر المنطقة إلى بؤرة خطيرة، وأزمة خانقة لها لم ترتضها.

لنفسها. و إذا ماكان العالم مستعداً للوقوع في أزمة نفطية، و إرباك لجميع المعادلات الإقتصادية، والتجارية، والصناعية، فإننا بدورنا مستعدون أيضا. وقد ربطنا أحزمتنا بقوّة وأصبح كل شيء جاهزا. ولا بد لأمريكا من التوصل إلى هذه الحقيقة، وهي أن التدخل العسكري في الخليج الفارسي، ليس تجربة سهلة عادية لأن اللعب بهذه الورقة أمر خطير للغاية.

إنّنا وجميع مسلمي منطقة الخليج الفارسي، نعتبر الوجود العسكري للقوى الكبرى هنا، مقدمة للهجوم على الدول الإسلامية والجمهورية الإسلامية، ومواصلة دعم صدام ومن هنا يجب على مسلمي العالم، وفيهم الجمهورية الاسلامية أن يعدّوا العدّة، لتوجيه الضربة القاضية لأمريكا، وليشهدوا بعد ذلك تفتح براعم الحرية والتوحيد والإمامة في عالم النبيّ الأكرم (ص). وهنا أرى من الضرورى تكرار هذه النقطة لرؤساء الأقطار الإسلامية المطلة على الخليج الفارسي، وهي أن إلقاء الشبهات في اظهار الإسلام، والثورة، والجمهورية الإسلامية، بمظهر الخطر الكبير الذّي يهدد دولتهم، إنّما هي دسيسة قديمة اختلقها الناهبون الدوليون، ولا زالوا يستخدمونها للحيلولة دون اشاعة أجواء التفاهم، والتعاون السلمي بين هذه الدول. وليعمقوا من إحساسها بالحاجة إلى الشرق والغرب. والجمهورية الإسلامية تسعى دوما ــ وانطلاقا من مبدأ الحفاظ على وحدة المسلمين والدفاع عن مصالح الدول والشعوب الإسلامية ــ إلى الوقوف إلى جانبها بكل قوّة و إمكاناتها في مواجهة الأحداث السياسية والعسكرية المفروضة عليها من جهة الإستكبار العالمي. كما ترغب بطرح مشاريع، وخطط دقيقة من شأنها إلغاء الهيمنة السياسية للشرق والغرب.

لكننا على يقين من أن هذا الأمر لا يتم بسهولة مادام صدام، والحزب العفلقي العراقي، موجودين. وذلك أن تعاون إيران مع الأقطار الإسلامية يخيف صداماً بنفس المقدار الذّي يخيف هذا التلاحم والتعاون بين الشعوب الاسلامية، القوى الكبرى.

وعلى كل حال فإنّ إصرارنا على مواصلة الحرب حتى إزالة صدام وحزبه المنبوذ، وتحقيق شروطنا العادلة الأخرى إنّما هو واجب شرعي، وتكليف الهي لن نتراجع عنه أبداً، وعند ما يتحقق ذلك سنقف ــ أن شاء الله ــ إلى جانب الأقطار الإسلامية لنضع سياسة راسخة ثابتة لجميع الأقطار والشعوب الاسلامية. سياسة تكفل صيانة مصالح الأمة من آفات وأخطار المعتدين والناهبين. وسيكون مصير النظام العراقي عبرة لكل من تسوّل نفسه حتى التفكير بالأعتداء على كيان الدولة الإسلامية. لكى لا يورّط نفسه ويجعلها عرضة لغضبة الشعوب.

ولا شك فإنّ مصير الشعوب والدول الإسلامية، أصبح مرتبطا بمصير هذه الحرب. فالجمهورية الإسلامية تمر اليوم بمرحلة سيكون إنتصارها باعثاً لأنتصار جميع المسلمين. أما لو هزمت ــ لا قدرالله ــ فسيؤدي كذلك إلى هزيمة جميع المؤمنين، وتقويض بنيانهم و إذ لا لهم، و إنّ التخلي عن شعب ودولة، وعقيدة عظيمة، وهي تقترب من النصر لهو خيانة كبرى للرسول الأعظم، وللبشريّة جمعاء. ولهذا فإنّ نار الحرب لن تطفىء إلّا بسقوط صدام، ولم يبق أمامنا لتحقيق ذلك إلّا القليل بأذن الله.

إنّ الشعب، والحكومة، والمسؤولين، والجيش، والحرس، والتعبئة، والقوى الشعبية، وجميع فئات شعبنا البطل نراهم ــ والحمدلله ــ على إستعداد كامل فهم جميعاً رجال حرب وطلائع عقيدة الشهادة والعشق. وقد تمكنوا من إحباط مؤامرات الإستكبار وأذنابه الجواسيس والمنافقين، وهم يواصلون زحفهم ليجتازوا المراحل النهائية المؤديّة إلى النصر، وفضلاعن تفوّقهم في الخليج الفارسي، وجزره، وسواحله الغربية، والجنوبية، فإنّهم يقومون اليوم بدعم الشعب العراقي المظلوم، وتعبئته. حيث كان ذلك من أهم أهدافنا، لأننا أعلنا منذ اليوم الأول للحرب العدوانية بأننا لانطمع بشبر واحد من الأراضي العراقية، والشعب العراقي حرّ في قراراته واختياره لحكومته، والأفضل له أن ينتخب الحكومة التي ترتأيه، قبل سقوط النظام البعثي في العراق، على أيدي أبطال الأسلام في جبهات القتال، ولله الحمد فانّ بشائر هذا التحرّك الكبير، وطلائعه قد اتضحت. و إنّ جميع القوى الكبرى، وحماة النظام البعثي المشرف على الإنهيار على يقين تام من أنّ مؤامرة تدويل الحرب واختلاق الأحداث والأحابيل السياسية، والإعلامية والدبلوماسية ضد الجمهورية الاسلامية الإيرانية في أنحاء العالم، والتدخل العسكري وغيرالعسكري في الخليج الفارسي، وتضخيم المشاكل، وبث بذور التفرقة والشقاق، وتقديم التحليلات الفارغة،كل ذلك لن يثنينا عن هدف إحباط صدام، وحزب البعث العراقي، ومعاقبة المعْتدين.

لقد تحملنا ــ بلطف الله وعنايته ــ كل أنواع الضغوط والحصار العالميين، من أجل الوصول إلى هذه الامنية الكبيرة، ولن نكل من الحرب في سبيل الله. وها هو الشعب الايراني العظيم يعتلى ويتقدّم عتبة الشهادة والتضحية بعزم راسخ، وها هي صرخاته المدويّة تتصاعد وتتزايد كل يوم، مطالبة فيها بمواصلة الحرب.

وقد يعمد المتراكضون وراء الغرب، والذّين لم يكن لهم أيّ دور في ميادين الدفاع ولا يدعمون ــ اليوم ــ مسطرى الملاحم وحماة الوطن، ولن يكونوا في المستقبل على استعداد للانخراط في الجيش العقائدي، قد يعمد هؤلاء إلى رفع عقيرتهم ببلوغ الحرب إلى طريق

مسدود، خدمة لأسيادهم، وتصوراً منهم أن بامكانهم صرف الإنظار عن الحرب أو اقناع أولئك الموجودين خارج الحدود، بأن الشعب والمسؤولين، والجيش، والحرس، والتعبئة، قد ارهقوا من استمرار الحرب أو أن هناك خلافات داخلية، بينهم حول قضية الحرب، بينما الواقع هو عكس ذلك تماماً فبلطف الله لا توجد هناك أية خلافات داخل حكومة الجمهورية الإسلامية، حول المواقف المبدئية السياسية والعقائدية، والجميع مصممون على نشر مبدأ التوحيد الخالص بين الشعوب الإسلامية، وتمريغ أنف العدو، وصولا إلى الإنتصار السائد للإسلام في أنحاء العالم في القريب العاجل.

وبحمدالله فإنّ في بلد رسول الله (ص) ــ مكة ــ الملايين من الشباب المتطوّعين للقتال والشهادة، ولن يقنع شعبنا بأقل من كسب رضى الحق تعالى، ولهذا فهو يبذل بفخر واعتزاز أنفس الأموال والأرواح والأبناء في هذا السبيل، ومعيار التفاضل لديه هو التقوى والتسابق إلى الجهاد. إنّه شعب ينبذ التفرعن، وقيم الجاهلية القديمة والجديدة. و إنّي لأعتبر نفسي خادماً لهذا الشعب، وافتخر بذلك، وكل هذه البركات المعنويّة هي من عنايات، وبركات الرسول الأكرم (ص) ألذّي جاء رحمة للعالمين. وأنا أدعو شعوب الأقطار الإسلامية وشبابها إلى التعرّف على جوهر هذا الشعب، واقامة العلاقات الحميمية والأخوية مع أبناء هذا الشعب الذّين هم عصارة التقوى والفضيلة.

وانتهز هذه الفرصة لأذكر مسؤولينا أنّ لا معيار أعلى من معيار التقوى والجهاد في سبيل الله، وهو معيار يجب أن يتحكم بموضوع اختيار الأفراد، ومنحهم الإمتيازات وتصديّهم لمسؤوليات و إدارة البلاد، ليحل محل السنن والمقاييس المادية والنفسانية الخاطئة. سواء أكان ذلك في زمن الحرب أو في زمن السلم، في الحاضر أو في المستقبل.

لقد من الله على شعبنا بهذه الميزة ولا يكفى أن يكون ذلك لفظيا، بل يجب أن يدخل هذا الملاك الذّي اختص الله به شعبنا في سن القوانين وتنفيذها، وفي النهج العقائدي لشعبنا ليتم بذلك ضمان حقوق المحرومين والملازمين للجبهات ومصالحهم. والذّين قدموا الشهداء والأسرى والجرحى والمفقودين، وباختصار ضمان مصالح الحفاة والمحرومين، والمستضعفين، وتفضيلها على مصالح القاعدين، والمترفين، والبعيدين عن الجبهات والجهاد، والتقوى والنظام الإسلامى، لتبقى بذلك عزة وشرف ومنزلة طلائع هذه النهضة المقدسة، وحرب الفقر والغنى خالدةعبر الأجيال، كما يجب عدم السماح لباعة الدين بالدنيا لكي لا يخدشوا الوجه الناصع لثورتنا، ويلصقوا عار الدفاع عن المترفين البعيدين عن الله بمسؤولينا. إنّ هؤلاء الذّين يعيشون في القصور الضخمة المترفة بعيدين عن جميع أنواع المعاناة، والالآم التي يقاسيها أبناء الثورة،

من المحرومين، والمستضعفين، مكتفين بالتفرّج على كل هذه المعاناة من بعيد، هؤلاء يجب أن لا يعطوا المناصب الرئيسية لأنهم لو وصلوها فسيبيعون الثورة في ليلة واحدة، وسيقضون على كل مساعي هذا الشعب ونضاله. ذلك لأنهم طول السبيل لم يروا عمق الطريق الذّي طواه وقطعه هذا الشعب أبدا. ولم يشاهدوا قتل أبناء هذا الشعب وهذه الحكومة على يد أعداءالله. إنّهم بعيدون وغافلون عن معاناة المجاهدين وغربتهم، وسعيهم الدؤوب، وجهادهم المرير، وتضحياتهم الجسمية من أجل القضاء على البغي.

٣ ــ على السادة العلماء، ومدراء ومسؤولي قوافل الحجاج المحترمين، الذّين أخذوا على عاتقهم مسؤولية إدارة الحجاج الكرام، و إرشادهم وتوجيههم، أن يأخذوا بنظر الإعتبار الظروف الإستثنائية للجمهورية الإسلامية وأن يبذلوا جهودهم ومساعيهم، لأداء مناسك الحج، بالشكل الصحيح، والمنظم. وأن يهتموا بتعليم الحجاج مناسكهم، ومسائلهم بسعة صدر وبالشكل الذّي يناسب كل فئات الحجاج، بما فيهم الأميون والمتعلمون. وأن لا يغفلوا عن دورهم الحيوي في التذكير بالتأثير البالغ الذّي يتركه الحج، في حياة الإنسان ففي تلك الأجواء، تكون القلوب مستعدة للتغيير وقبول الحق. ولذا أرجو الإمتناع عن إبداء وجهات النظر الشخصية في أمور الحج ومناسكه، وتوضيح هذه المسائل عن علم ودراية أو بالرجوع إلى الخبراء بالقضايا الفقهية، لأن هناك مسائل جديدة تطرأ على الصعيد في هذا المجال فقط، وتصبح موضع إبتلاء الحجاج. والتوضيح الناقص أو الخاطئ للأحكام سيؤدّي ــ لا سمح الله ــ إلى بطلان الأعمال ودفع الحجاج المحترمين لمصاعب ومشاكل عديدة.

توصيتي للعلماء...

إنّ العلماء الأعزاء في الوقت الذّي يشرحون المسائل بصورة واضحة، وبشكل دقيق دون ترك مجال للشك والترديد، ممالايؤدي إلى الوسواس والإحتياطات غير المبررة، لأن الوسواس في العبادات والأدعية، مدعاة للكسل والتباطوء في أداء الواجبات.

وموسم الحج فرصة مناسبة جداً تمكن للعلماء اغتنامها، والإتصال بالعلماء والمفكرين، وأصحاب الرأي من باقي الأقطار الإسلامية. ورغم أن الاستكبار العالمي، وبعض رؤساء الأقطار الإسلامية لم ترقهم هذه اللقاءات، ويحولون دون تحققها إلّا أن التخطيط الدقيق، والصحيح إستغلال هذه الفرصة الذهبية لتبادل الأفكار ووجهات النظر بغية الوصول إلى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية التي تتطلبها الجمهورية الاسلامية.

إنّ على العلماء ورجال الدعوة والإرشاد، أن يغتنموا هذه الفرصة، ويحدّثوا الناس عن

تجارب الثورة الإسلامية وطرح الحلول السياسية المستمدة من القرآن الكريم. والتحدث عن الدور الكبير للعلماء في قيادة الامة.

ومن المؤسف إنّ شعوب العالم الإسلامي ليست وحدها البعيدة عن الأحداث السياسية والقضايا العالمية فحسب، و إنما لا نجد لأغلب علماء الأقطار الإسلامية الدور البناء، والمصيرى المطلوب منهم، في مجال السياسات الدولية وشؤون الامة. وهم متأثرون بالدعايات والإستنتاجات الماديّة الخاطئة فهم يتصورون أن دور العلماء قد تقلص في عصر التمدن، والتكنولوجيا، والتطورات العلمية، والتقدّم المادي، وأن الاسلام أصبح ــ والعياذ بالله ــ عاجزاً عن إدارة الدول.

إنّ إنتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة العلماء والحمدلله، رغم تلكم العقبات ومؤامرات الشرق والغرب ومايكنه أذنابهما من الحقد قد أثبت عكس هذا التصور، وأكد اقتدار علماء الإسلام. وأنا أدعو جميع علماء الإسلام ومفكريه في أنحاء العالم زيارة بلدنا الإسلامي العزيز ايران،للوقوف على الوضع الحالي، حيث أن الإسلام هو أساس وجوهر كل القوانين فيه. بينما تم فيه القضاء على مظاهر الكفر والشرك قدر المستطاع. ليقارنوا هذا الوضع في ظل العهد الشاهنشاهي الذي ساق البلاد إلى ركاب الغرب، وأفرغه من كل القيم الإسلامية حتى كادت إيران تصبح قاعدة للقضاء على الإسلام ورسالته.

ورغم كل الصيحات التي تعالت من قبل السائرين في ركاب الشرق والغرب والقوميين في الأيام الأولى من إنتصار الثورة الإسلامية الهادفة إلى الهيمنة على أذهان الشعب الإيراني، إلّا أن الله سبحانه وتعالى منّ علينا بكشف هذه المؤامرات. ونحن نواصل اليوم تدوين القوانين والسياسات الإسلامية في كل الحقول فقد استوعب الإسلام جميع المجالات من الجبهة إلى مراكز البحوث العلمية، والجامعات، والحوزات، ومؤسسات التقنين، والسلطة التنفيذية التي لها اليد الطولى في تسيير كل الشؤون الإدارية، والتنفيذية في هذا البلد الكبير الذي يخوض الحرب ويتعرّض للمحاصرة مع نفوسه التي تتجاوز الخمسين مليونا. إلى السلطة القضائية التي تتحمل مسؤولية تنفيذ الحدود والأحكام الالهية وهي في الحقيقة تتحمل مسؤولية توفير الأمن لأرواح الناس، وأعراضهم، وأموالهم، والحفاظ على شخصية مجتمع ثوري إلى قيادة القوى العسكرية والأمن الداخلي التي تتولى مسؤولية الحفاظ على الأمن في الحدود وداخل البلد، واحباط مئات المؤامرات المختلفة والتي يجب عليها الوقوف في وجه الجرائم، ومعارضى الثورة، فضلا على محاربتها الفساد والمنكرات والسرقات وجرائم القتل، ومكافحة المخدرات. كل ذلك يدار بقيادة العلماء الملتزمين، وببركة أحكام الإسلام المقدسة والكتاب

السماوي الذي جاء به النبيّ (ص) وسيراً على نهج أئمة الهدى عليهم السلام.

ونحمد الله أننا استطعنا بالأعتماد على آيات الكتاب المجيد أن ننقذ بلدنا من كل التبعات. وطبيعي أن أمامنا طريقا طويلا للوصول إلى تطبيق الأحكام الإسلامية على كافة المستويات الإجتماعية وأبعاده، لكننا سنواصل طريقنا ومساعينا بعون الله وقوّته.

وسنعلم عملا لجميع المتراكضين وراء الشرق والغرب، وأولئك الضائعين الذين يخشون طرح شعار الإسلام، والأعتماد على القرآن الكريم، كيف يمكن ملء المجتمع من ينابيع المعرفة لكتاب الله، وهدى الإسلام العزيز، فكل تلك الامور قد حصلت ولله الحمد من بركات دخول العلماء في معترك القضايا السياسية، واستنباط الأحكام والمسائل، إذ أن العلماء في إيران لم يكتفوا بالخطب والوعظ، وذكر شؤون الساعة بل أفلحوا بالتدّخل في أهم الأمور السياسية للبلاد، والعالم في تجسيد قدرة علماء الاسلام وأداتهم بغية إتمام الحجة على جميع الداعين إلى الصمت والمساومين غير الملتزمين، وبائعي العلم والمفرطين به.

ومما يستغرب أن الكثير من علماء البلاد الإسلامية غافلون عن دورهم الكبير، ورسالتهم الالهية والتاريخية في هذا العصر الذي تتطلع فيه البشريّة إلى المعنويّة والأحكام الإسلامية النيرة. ولم يدركوا ظمأ الشعوب ولم يقفوا على لهفة وشغف المجتمعات البشريّة لقيم الوحى، ولم يعطوا لقدرتهم ونفوذهم المعنويّ أيّ شأن.

إنّ بوسع العلماء والخطباء، وأئمة الجمعة، والمفكرين الإسلاميين في البلاد، في هذه الظروف التي يخيم فيها زهو العلوم والحضارة المادية على الجيل المعاصر أن يجعلوا (بالاتحاد والتلاحم والشعور بالمسؤولية والعمل بواجبهم المهم في توجيه الجماهير وقيادتها) العالم في متناول سيادة القرآن ونفوذ، وأن يضعوا حد لكل هذا الفساد واستعباد المسلمين واحتقارهم، وأن يحولوا دون تغلغل الشياطين الصغار والكبار سيا أمريكا في البلدان الإسلامية، وأن يبتوا فى قضايا الإسلام بدلا من كتابة المقالات الهزيلة والكلمات الفارغة المفرّقة. وكيل المديح والثناء لسلاطين الجور والظلم. والتسبب في تشاؤم الفقراء والمستضعفين، من قضايا الإسلام. وبدلا من زرع الخلاف في صفوف المسلمين عليهم أن ينكبوا على تحقيق الأحكام الاسلامية النيرّة، وبثها وتعميمها. ويعيدوا العزّة لهم والكرامة للأمة المحمديّة (ص) باستغلال بحر الشعوب الإسلامية الهائل. أليس عاراً على علماء الأقطار الإسلامية أن تطبق الكفر وقوانينه في بلادهم التي تخضع لنفوذهم مع وجود القرآن الكريم، والأحكام الإسلامية السمحاء، والارتباط النسبي بالرسول الاكرم (ص) والائمة المعصومين عليهم السلام، وأن تملى قرارات أصحاب القدرة والمال والتزييف وأعداء الاسلام الألداء، وأن تصدّر موجهوا سياسة

الكرملين، أو واشنطن بياناتهم العامة إلى البلاد الإسلامية.

إنّ على علماء الأقطار الإسلامية أن يبحثوا ويتشاوروا ويتبادلوا، وجهات النظر فيما بينهم لحل مشاكل المسلمين، ومعضلاتهم، والانعتاق من سلطة حكومات البغي وسيطرتهم حفظاً لمصالح الإسلام. ويجعلوا من صدورهم درعاً أمام الهجمات الثقافية الشرقية والغربية المبتذلة المؤديّة إلى إبادةالحرث والنسل. وينهوا شعوب بلدانهم إلى الآثار السامة والنتائج المترتبة على الضياع أمام مغريات الشرق والغرب. ويحذرّوا الشعوب والحكومات من خطر الإستعمار الجديد، وخبث القوى الكبرى التي أثارت الحروب والمعارك بين المسلمين في العالم.

إنّني أؤكد مرة اخرى، بأن عالمنا اليوم تواق للحقائق والأحكام الإسلامية النيرة، وقد تمت الحجة الالهية على كافة العلماء، ذلك أنه حينما بلغ إندفاع شباب الأقطار الإسلامية نحو الشهادة ذروته دفاعا عن مقدساتهم العقائدية واستقبالهم المآسي والإعتقالات وأنواع التعذيب برحابة صدر، وألقوا بأنفسهم في أمواج الأخطار لطرد المعتدين، أمثال مسلمي حزب الله في لبنان، والأقطار الاخرى الشجعان، والمجاهدين الأعزاء الذّين هبوا للمقاومة والجهاد ضد المعتدين.

وهل هناك حجة أعظم من هذه؟ فما هي المعاذير للسكوت والمماشاة والإنزواء فى قعر البيوت وغض النظر الذي لامبرر له. وقد يفوت الأوان ــ إن تأخر علماء الإسلام الملتزمون ــ عما يجب عمله. وبالطبع نحن ندرك ونشعر بوحدة بعض العلماء والملتزمين المعاصرين في مدنهم وبلدانهم، تحت وطئة الحراب وضغوط التحاليل والأحكام اللامشروعة لعلماء السوء، ووعاظ السلاطين. ولكن أعيد إلى أذهان أولئك الأعزاء الذين يرزحون تحت أقدام الجبابرة وضغوطهم موعظة الله وهي (أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا (١١) انهضوا لله، ولا تخشوا الوحدة، والغربة والأنفراد.

مطاردة علماء السوء...

إنّ المساجد والجوامع، أفضل الثكنات، والجمعة والجماعات لهي أحسن وأمهد ساحة لتبيان مصالح المسلمين. ورغم أن الحكومات وأزلام القوى الكبرى، دخلت حربا جديّة مع المسلمين، وراحت ترتكب كالحكومة الهندية المجازر ضد المسلمين الأبرياء والعزل الأحرار، إلّا أنهم لن يجرأوا على اغلاق أبواب المساجد، ومعابد المسلمين، ومحاريبهم إلى الأبد، و إطفاء نور المعرفة للملايين من المسلمين المتلهفين.

وإذا ما عطلوا الجوامع والمراكز الدينية والسياسية، لعلماء الاسلام بل وحتى لوعلقوا العلماء على أعواد المشانق على أعين الناس، فانّ ذلك سيكون دليلا على مظلومية الاسلام، وسيؤدّي إلى لفت انتباه المسلمين إلى علماء الدين، وتتبع خطواتهم أكثر فأكثر.

أولم يقطع الله العهد، على العلماء بألّا يسكتوا عن الظلم، والظالمين، والباغين؟ أولم يكن العلماء حجة الأنبياء، والمعصومين في الأرض؟ إذن يتحتم على العلماء والمفكرين والباحثين، أن يعينوا الإسلام ويخرجوه من الغربة التي نزلت بها، وألا يتحمّلوا الذلّ والخذلان، أكثر من هذا، وأن يحطموا سيادة الطغاة المفروضة، ويجسدوا برؤيتهم الصائبة سياستهم المحنكة والقويّة. ويطاردوا المتلونين وأدعياء الإسلام والمفرطين بالدين، والفوضويين عن أنفسهم وعن دائرتهم. ولا يسمحوا لعلماء السوء، والمتملقين الظلمة ليفرضوا أنفسهم على الشعوب، محل الزعماء الروحيين للأمم الإسلامية، فينهلوا من منزلة ومكانة علماء الاسلام، الواقعين، المعنويّة. وعلى علماء الإسلام الملتزمين أن يبينوا للمجتمعات الإسلامية، الخطر الكبير الداهم من جانب علماء الزيف والسوء ووعاظ السلاطين. ذلك أن هؤلاء الضالين هم الذّين يوجهون الحكومات الجائرة ومظالم الحكام العملاء. ويحرمون المظلومين، من إستيفاء حقوقهم المشروعة، ويصدرون عند الضرورة الفتوى والحكم، بتفسيق المجاهدين والداعين إلى الحريّة في سبيل الله، وتكفيرهم حتى لينقذ الله سبحانه كل الشعوب الإسلامية من هؤلاء الجبابرة وبغيهم.

ومن القضايا المهمة التي تقع على مسؤلية العلماء والفقهاء، هي المواجهة الجديّة مع ثقافتين اقتصاديتين ظالمتين ومنحطتين للشرق والغرب. ومكافحة السياسات الإقتصادية الرأسمالية والاشتراكية من المجتمع، رغم إبتلاء كافة شعوب العالم بها، والتي فرضت عمليا العبودية الجديدة على كافة الشعوب. وإنّ غالبية المجتمعات قد ارتبطت في حياتها اليومية بأسياد القوّة والمال. وحتى أن حق إتخاذ القرار حول شؤون الإقتصاد العالمي، قد سلب منها. وهي تعاني الفقر والفاقة رغم وجود المنابع الطبيعية الهائلة، والأراضي الخصبة الشاسعة، والأنهار، والبحار، والغابات الواسعة، والثروات الطائلة في العالم. إنّ الشيوعيين، والرأسماليين، قد انتزعوا زمام الحرية والحق في العيش من الشعوب عموماً وذلك بأقامة العلاقات الوثيقة مع الطامعين، وأمسكوا فعلا بعصب الإقتصاد العالمي، وايجاد المراكز الإحتكارية المتعددة الجنسيات وربطوا جميع طرق التصدير، والتنقيب، والتوزيع، والعرض، والطلب، وحتى أعمال التسعير، والصيرفة بأنفسهم، وأقنعوا النفوس المحرومة من خلال تسريب أفكارهم وأبحاثهم المصطنعة، بوجوب العيش تحت نفوذهم. وإلّا فإنه لا سبيل

للحفاة سوى العيش بفقر وفاقة، و إن من طبيعة الحياة، والمجتمع البشري، أن تضمحل وتموت الأغلبية الساحقة اثر الجوع وفي حسرة رغيف خبز، في حين ضاقت الدنيا بقلة معدودة بسبب التخمة والإسراف والتبذير. وعلى أي حال فهذه مأساة فرضتها الطغاة على البشرية.

إنّ الأقطار الإسلامية بسبب ضعف الإرادة، والتعبئة تعاني وضعاً مؤلماً مما يتطلب عُرض مشاريع وبرامج بناءة تتكفل مصالح المحرومين والمعوزين، يقدمها علماء الإسلام والباحثون والخبراء المسلمون لإحلالها محل النظام الإقتصادي غير السليم المخيم على العالم. لكي ينقذوا حياة المستضعفين والمسلمين من مأساة الفقر، ومعاناته وبالطبع فإنّ تنفيذ مقاصد الإسلام وأهدافه في الحياة سيا برامجه الإقتصادية، ومواجهة الإقتصاد المريض للرأسمالية الغربية، والإشتراكية الشرقية لا يتيسردون سيادة الإسلام الشاملة. و إن تطلبت عملية اجتثاث الجذور والآثار السيئة للبرامج غير الإسلامية فترة من الوقت، بعد أقامة نظام العدل، والحكومة الاسلامية، مثلها في ذلك مثل الجمهورية الإسلامية الإيرانية. غير أن طرح المشاريع وتحديد إتجاه الإقتصاد الإسلامي نحو حفظ مصالح المعوزين، وتوسيع نطاق مساهمتهم الشاملة في هذا الأمر وجهاد الإسلام ضد الجشعين، تعتبر أكبر هدية وبشارة لإنطلاقة الإنسان من أسر الفقر والفاقة. وبيان هذه الحقيقة هو أن أصحاب الأموال لا يتميزون بشيء، ولا يتفوّقون على الفقراء، ولا يحظون بالأولوية مطلقا، سيساعد على تفتق المواهب المكبوتة للحفاة، وتتفتح سبل الرّقى والإزدهار أمامهم.

ولابدلي من ذكر هذا الأمر، وهو أنه ينبغي أن لا يكون للآغنياء نفوذ في الدولة، والقائمين على إدارة البلد الإسلامى ولا أن يتفاخروا بأموالهم وثرواتهم، ويفرضوا أفكارهم ومطالبهم على الفقراء والمعوزين والكادحين، فهذا هو أكبر عامل للتعاون واشراك الناس في الامور، ودفعهم نحو مكارم الأخلاق والقيم السامية والإبتعاد عن التملق.

ولكي ينبه على ذلك بعضا من الاثرياء حتى لا يتصورّوا بأن أموالهم وثرواتهم تعبر عن مقامهم الرفيع عندالله، وتقرّبهم إليه سبحانه وتعالى.

وخلاصة القول أن قيمة المرء في الحكومة الإسلامية، هي لمن يكون تقواه أكثر من غيره. لا لمن تكون ثروته وقوّته أو فر، وأن كل الوزراء والمعنيين والزعماء وعلماء الدين، في نظام حكومة العدل، مكلفون بإقامة العلاقة والصداقة والأخوة مع الحفاة أكثر منها مع المتمكنين والمرّفهين، إذ أن الوقوف إلى جانب المعوزين، والحفاة، والبقاء في مصافهم فخر كبير حظى به الأولياء، فكل تلك العلاقات تنهى الشكوك والشبهات. ولله الحمد فإن

أساس هذا التفكير وهذه الرؤية هو في مجال التطبيق عند الجمهورية الإسلامية الإيرانية. كما أن مسؤولينا المحترمين رغم الحصار الإقتصادي الشديد، والعجز في المداخل يبذلون جلّ مساعيهم من أجل التغلب على الفقر و إزالته من المجتمع. و إنّ مايتمناه شعبنا وحكومتنا ومسؤولونا، هو القضاء على الفقر والفاقة في مجتمعنا في يوم ما، وأن يتمتع شعبنا العزيز والصابر والأبيّ بالرخاء في الحياة المادية والمعنوية، فاذا قامت سياسة مسئولينا في البلاد ــ لا قدرالله ــ على تناسي الدفاع عن المحرومين، والأهتمام بأصحاب رؤوس الأموال ودعمهم، وتمتع الأغنياء، بالمزيد من الرعاية والإعتبار فإنّ هذا الأمر لا قدّرالله حصوله يتنا فى وسيرة نهج الأنبياء، وأميرالمؤمنين، والأئمة المعصومين عليهم السلام. و إنّ علماء الدين منزّهون ومطهرون من ذلك، ويجب أن يكونوا هكذا إلى الأبد.

. فتلكم هي من مفاخر و بركات بلادنا، وثورتنا، وعلمائنا الذّين نهضوا لحماية الفقراء وأحيوا شعار الذود عن حقوق المستضعفين. وبما أن إزالة الحرمان هي عقيدتنا وسبيل حياتنا، فإنّ الطامعين لا يدعوننا وحالنا في هذا الشأن أيضا، وقد شدّدوا الحصار حولنا لغاية تضعيف حكومتنا ومسئوولينا، وأبرزوا حقدهم وضغينتهم، وخوفهم، ورعبهم، حيال هذه الحركة الجماهيرية والتاريخية، وأخرجوها إلى حيز الالآف من المؤامرات السياسية والاقتصادية. ومما لاريب فيه أنه بقدر ما نهاب الطغاة من لهفة شعبنا للشهادة وسائر قيمه الرفيعة، فإنّ الفزع ينتابهم أيضا من نظرية الإقتصاد الاسلامي، والتوجّه إليها لحماية المحرومين، فعليه يجب أن تتحرك البلاد باندفاع أكثر، نحو إزالة الفقر والدفاع عن المحرومين مما سيبدد آمال الطامعين بنا، ويضاعف توجهات شعوب العالم نحو الإسلام.

وعلى العلماء الأعزاء أن ينتبهوا بعمق إلى هذا المجال، ويحفظوا لأنفسهم صفة ملجأ المحرومين، هذه السمة التاريخية التي مضى عليها ألف سنة ونيف. إنّني أوصي بقية المسئولين وأبناء الشعب بألايتجاهلوا ويتناسوا الإهتمام بالمحرومين، وتوجههم للثورة، ودعمهم الكبير للإسلام، ولا يتركوهم دون خدمة وتقدير. فمن الواضح بالطبع أن أبناء شعبنا بكافة فئاته وقطعاته، مساهمون، ومشاركون في الثورة، وقد حضروا جميع الجبهات في سبيل الله، من أجل أداء الواجب الالهي. فالغاية هوالله و إنّهم لن يلوثوا أهدافهم وأمانيهم الالهية السامية من أجل المسائل الماديّة. ولن تردعهم النقائص وتبعدهم عن الساحات، لأنهم قدموا أرواحهم وأموالهم في سبيل الله، ولن تثنيهم الملذات الدنيويّة عما يبتغون. إلّا أن من الواجب على المسئولين خدمة هذا الشعب، لنكون شركاء لهم في السراء والضراء، ولا أجد عبادة توجد أكبر من خدمة المحرومين.

وحقاً أقول حينما أدى الحفاة والمحرومون، والفئات ذات الدخل القليل، من مجتمعنا اختبارهم من خلال الإلتزام، والتمسك بالمبادئ الإسلامية إلى حدّ التضحية، بعدد من أعزائهم وشبابهم، وبذل كل مالديهم وقد حضروا الساحات وسيكونون كذلك إن شاء الله، ويبذلون أرواحهم وأموالهم في سبيل الله. فلماذا لا نتباهى بخدمة هؤلاء من عباد الله والرجال الأبطال في تاريخ البشرية.

واكرر مقالي هذا أيضا، وأقول: أن شعرة واحدة من شعرات هؤلاء المقيمين في الأكواخ، المنجبين للشهداء، تشرّف عندي جميع قصور العالم وساكنيها.

والكلمة الأخيرة التي أقولها هنا، وأؤكد عليها بعد تقديم شكري للعلماء، والحكومة الساهرة والمدافعة عن المحرومين، هي مسألة التعيش ببساطة والإلتزام بالزهد، بالنسبة للعلماء المسلمين الملتزمين. وإنّني بصفتي والداكبير السن أطلب من أبنائي، وأعزّتي من علماء الدين، أن لا يتباعدوا من واقعهم الروحاني، في وقت منّ الله عليهم ومنح لهم نعمة إدارة دولة كبيرة والتبليغ لرسالة الأنبياء، وأن يتجنبوا الإندفاع نحوز خارف الدنيا وأضوائها التي هي دون شأن علماء الدين، وشرف نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وليحذروا لأنه لا توجد آفةعظمى من الإهتمام بالرفاه والسيرفي طلب الدنيا، بالنسبة لعلماء الدين. ولله الحمد فإنّ رجال الدين المتلتزمين، قد أدّوا إختبار زهدهم. ولكن قد يعمد أعداء الإسلام، وأعداء علماء الدين بعد ذلك إلى تشويه سمعة هؤلاء، رافعي مشعل الهداية والنور، وتوجيه الضربة إليهم من خلال مسائل بسيطة، ولكنهم لن يفلحوا إن شاء الله.

وأما الحجاج الإيرانيون المحترمون، الذّين أظهروا شخصيتهم، ووعيهم السياسي والاجتماعي خلال مراسم الحج في السنين الماضية، وعملوا على حفظ سمعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكرامتها فإنّ عليهم أن يساهموا في مسيرة البراءة بكل تنسيق وانسجام، في صفوف متراصة، وفي كافة البرامج اضافة إلى إنتباههم لأعمال وواجبات الحج، والاستفادة من هذه النعمة الكبرى. أي التشرّف لزيارة مكة المكرمة، والمدينة المنوّرة، وحجّ بيت الله الحرام، والمرقد الطاهر للرسول الأكرم، والبقيع. والتشرّف بجوار التربة الطاهرة للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والأئمة المعصومين. وعليهم التمتع ببركات هذا التجمع المقدّس العبادي السياسي الذّي يعتبر مظهرا لقدرة المسلمين وايران المسلمة العزيزة. وأن يدعوا حجاج بقية الدول والمسئولين في العربية السعوديّة، إلى ضرورة المشاركة في أمثال هذه التجمعات من خلال المواجهة الأخلاقية السليمة والبناءة، خلال جميع مراسم الحج. سيما في المسيرات ويكفوا عن طرح وجهات النظر الخاصة واتخاذ المواقف الارتجالية التي قد تؤدّي لا

سمح الله إلى هتك حرمة هذا الحشد العظيم، كما وعليهم أيضا أن يتجنبوا الإشتباك والإهانة.

وبالرغم من أن الزائرين المحترمين ـ من خلال وعيهم التام ـ يقومون بإحباط المخططات والمؤامرات إلّا أنه قد يعمد أفراد إلى القيام بأعمال إرتجالية لأجل الإخلال بقدسية إجتماعات الحج، وتشويه وجه الثورة.

ومن المستبعد أن تقوم الحكومة أو مسؤولوا العربية السعودية، الذين هم مضيفوا حجاج بيت الله الحرام، وحرم الرسول الأكرم، في الحيلولة دون استعراض قوى الإسلام والمسلمين، أمام الكفر، والمبادرة العملية السياسية لشعبنا التي تقوم بها من أجل إزدهار العالم الإسلامي، والمسلمين.

وعلى أيّ حال فإنّ على الزائرين الإيرانيين ملاحظة دورهم ورسالتهم، في جميع أبعاد مراحل الحج، إذ أن جميع أعمالهم لم تزل موضع إهتمام ومراقبة أصدقاء ثورتنا، وأعدائها.

إنّ أعداء الثورة يتربصون الدوائر أن يجدوا فيكم نقطة عجز، ولو كانت بسيطة بغية تشويه الواجهة الالهية لشعبنا، وقداسته. كما وأن أصدقاء الثورة وأنصارها في شوق للتعرّف على مسيرة الشعب وميزاتها، بعد أن عمت شهرتها الآفاق بعون الله.

إنّ الحج، أفضل صعيد للتعارف بين الشعوب الإسلامية، إذ يتعرّف المسلمون على أخوانهم وأخواتهم في الدين، على اختلاف جنسياتهم، ويضمهم ذلك البيت الذّي يخص كافة المجتمعات الإسلامية، وأتباع دين ابراهيم الحنيف. وهم يعدون إلى بيتهم الاوّل من خلال وضع كل القوميات والألوان والعناصر جانباً، ويعرضون على العالم كله صفاء الأخوة الإسلامية، وآفاق انسجام الامّة المحمديّة، من خلال رعاية الأخلاق الإسلامية الكريمة، وتجنب المجادلات، والتجملات.

إنّ الحجاج الإيرانيين الأكارم، يدركون جيداً قيمة المنجزات المعنويّة، والسياسية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، بالمقارنة مع سائر المسلمين، كما أنه يتفهمون أبعاد عظمة الثورة، والعنايات الالهية الخاصة. واهتمام صاحب الزمان (ع) أرواحنا فداه... بهذا الشعب، من خلال معرفتهم بالمشاكل والمصائب المفروضة على الشعوب الإسلامية في مختلف الأشكال.

كذلك فإنّهم يدركون قيمة بركات هذه الثورة الآن أكثر من أيّ وقت مضى، ويتفهمون أعمال وجهود المسئولين المحترمين، والحكومة الساهرة التي نذرت نفسها للخدمة ليلا ونهارا. ويبتهلون إلى الباري عزّوجل بالشكر للتغير الذّي طرأ على الشباب، وعلى سائر الطبقات، وأصبح هدف الجميع نحو جنة العزم، وصفوف الحياء، والشرافة، والحريّة،

والجهاد.

أللهم لا تحرمنا وشعبنا من هذه النعم الكبرى...

أللهم عرفنا قيمة بركاتك علينا أكثر وأكثر...

أللهم زدنا عبودية و إخلاصا لك وذلّا...

أللهم امنحنا توفيق التوكّل، والصبر، والصمود، والرضا، والفوز برضاك . ووفقنا للوصول إلى أعتاب التضحية بأنفسنا، وبأبنائنا، وأموالنا في سبيل عبادك ...

و إياكم أن يسيطر العجب والغرور عليكم، أمام مسلمي بقية الدول، لأجل مناعة وعظمة ثورتكم، أو النظر إلى أعمال المسلمين بعين الإزدراء والسخرية فيكفوا عن التضامن، والتآلف مع محبي الله، في مكة المكرمة، وتغفلوا عن شكر هذه النعم الالهية الكبرى التي هي التواضع أمام المسلمين،والمستضعفين، والإخوة في الدين. قووّا بيعتكم، ووشائج الصداقة والإرتباط مع المسلمين عند جوار بيت الله، ومرقد الرسول الأعظم (ص) وأعيدوا عليهم حديث الثورة، وعناية الله، وطمئنوهم بالنيابة عني، وعن جميع أفراد الشعب الإيراني، بأن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تؤيدكم، وتدعم نضالكم ومواقفكم الإسلامية، وتقف إلى جانبكم في كل ساحة ضد المعتدين، وستدافع إن شاء الله عن حقوقكم السابقة، والحاضرة، والآتية.

وقولوا لهم: إنّ قوّة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكرامتها منوطة إلى همة الشعوب الإسلامية، و إنّ الدفاع عن الشعب الإيرانى البطل في الحقيقة دفاع عن جميع الشعوب المظلومة، وأننا سنقطع دابر المعتدين في الدول الإسلامية بحول الله وقوّته. وسننهي سيطرة الطامعين، وظلمهم على إثر تصديرنا لثورتنا التي هي في الواقع تصدير للإسلام الحقيقي، وبيان للمبادئ المحمديّة. وسنمهد السبيل بإذن الله أمام ظهور منقذ الجميع ومصلحهم، والإمامة المطلقة لصاحب الزمان أرواحنا فداه.

ومن القضايا التي ينبغي على الحجاج المحترمين الإلتفات إليها، أن مكة المعظمة، والمشاهد المشرّفة، هي مرآة الأحداث الكبرى لنهضة الأنبياء، وبعثة النبيّ الأكرم (ص) ورسالته الخالدة.

إنّ هذه التربة موضع نزول الجبرئيل الأمين، و إجلال الأنبياء العظام. وتعيد علينا ذكريات المشاق والمتاعب التي تحملها الرسول الأعظم (ص) خلال عدة سنين، من أجل الإسلام والإنسانية.

إنّ الحضور في هذه المشاهد المشرّفة والأماكن المقدسة (آخذين بعين الأعتبار الظروف الصعبة التي كانت متداولة في عصر البعثة) يجعلنا نتعرّف على مسؤوليتنا في الحفاظ

على مكتسبات هذه النهضة والرسالة الالهية ويظهرلنا مدى إستقامة الرسول الأعظم (ص) وأئمة الهدى، في سبيل دين الحق، و إزهاق الباطل، وعدم مبالاتهم بالتهم والإهانات التي كان يوجهها، أبوجهل، وأبوسفيان ومن لف لفهم. إنّهم لم يستسلموا في أدق الظروف العصيبة حينما كانوا محاصرين من الناحية الإقتصادية في شعب أبي طالب. وبعد أن تحملوا المرارة ومشقات الهجرة في سبيل الدعوة إلى الحق، و إبلاغ رسالة الله. وحضروا ميادين القتال المتتالية وغير المتكافئة، وصمدوا في وجه آلاف المؤامرات والعقبات، وواصلوا في هداية الناس و إرشادهم حتى أن جبال، وصحارى، وصخور، وأزقة، وأسواق مكة، والمدينة كانت تعبر عن عظمة رسالتهم. ولو كانت الأشياء هذه قادرة على التكلم، لكشفت عن سر تحقق الآية (فاستقم كما امرت) لزائري بيت الله الحرام، ولأفصحت عن المشقات التي تحملها رسول الله (ص) في هداية الامة، لجعلهم من أهل الجنة. ولبينت مدى المسؤولية الملقاة على عاتق أتباعه. وبالرغم من أن الشعب الإيراني ــ المضحى بالشهداء ــ تحمل المظالم، والشدائد خلال الحرب، وبقية الأحداث التي إجتاحت الثورة وما قدمت من القرابين في طريق الله بالرغم من ذلك كله، فمن المؤكد إن ماجرى على أئمتنا كان أكثر وأشد، ممّا جرى علينا.

هذا، وعلى الحجاج المحترمين إبلاغ سلام شعبنا العزيز، والمسئولين، وعوائل الشهداء المعظمين والمعوّقين، والأسرى والمفقودين، إلى نبيّ الرحمة، وأهل بيت الهدى عليهم السلام. ويسألونهم اللطف والإعتناء بأتباعهم الصادقين، ويطلبوا من الله النصر لشعبنا في جولته مع الكفر الدولي. وعليهم إستغلال هذه الفرصة المناسبة.

ربّاه... إنّك تعلم ولايعلم غيرك أننا نهضنا من أجل إعلاء دينك ونقف إثر رسولك في مواجهة الشرق، والغرب، في سبيل إقامة العدل، والقسط. ولن نتوانى عن ذلك ولو للحظة واحدة.

ربّاه... إنّك تعلم أن أبناء هذا البلد، وآباءهم، وأمهاتهم، يقتلون من أجل عزّة دينك، ويزّفون ببسمة وقلب ملئ بالشوق والأمل إلى جوار رحمتك اللامتناهية.

ربّاه... إنّك تعلم أن أبناء أمة رسولك في هذا البلد، يتعرّضون لكل أنواع المؤامرات، وأن يد الشيطان في الداخل والخارج لا تدعهم يتذوّقون طعم الراحة، وتزداد الجهود يوماً بعد يوم ضدّهم لمحاصرتهم إقتصاديا.

ربّاه... إنّك تعلم أن أبناء شعبنا تقبلوا جميع المصاعب في سبيلك ولايخشون سواك، ويتحملون الآم والمتاعب دون سبيلك، ويعرفون أن النصر من عندك وبفضلك، فتفضل

علينا مرة اخرى، واجعل شعبنا أكثر أملا في تحقيق النصر. وانصر مقاتلينا في الجبهات بامدادك الغيبي، وجنودك المخفين. وزد صبرنا، واستقامتنا لتحمل الشدائد، والمتاعب، ومنّ علينا بنعمة الرضا عند الفشل والنصر. وافرح قلوب أبناء شعبنا الذين قدموا الشهداء، والمفقودين، والجرحى، والأسرى وتقبلوا ألم فراق أعزتهم من أجل دينك ورضاك وحب لقائك. واجعلنا من عشاق سبيل عبوديتك وارو شهداءنا من كوثر ولايتك، وولاية الرسول الأكرم وأئمة الهدى.

وصل ثورتنا الإسلامية، بثورة منقذ البشرية إنّك وليّ النعم.

ذوالحجة/١٤٠٧هـ

آب/١٩٨٧م

روح الله الموسوي الخميني

* * *

وهكذا تليت صحيفة البراءة على الحجاج في مكة، ووعت إليها الأسماع والجماهير المحتشدة يومذاك، والتقطتها وكالات الأنباء واخترقت السدود والحدود، وأسمعت الدنيا وترجمت إلى اللغات الحية... وكثرت حولها التفاسير والتحاليل السياسية... وفي الوقت نفسه إمتدّت اليد الأثيمة المجرمة، من الكمّ الوهابية الخبيثة فمزقت الصحيفة، والصدور المؤمنة برصاص الغدر والخيانة، واخترقت القلوب وسلبت الأرواح، وشجت الخناجر وتطاولت على الأعراض والنواميس والأنفس والأموال، يدفعها حقدها الدفين ضد الامة الإسلامية... ويبعثها عار الهزيمة النكراء التي تلاحقتها في كافة الميادين العقائدية، في كل حاضرة وبلدة إسلامية، منذ اللحظة التي تمخض الشيطان فيها، فأولد ذلك المخرف الحقير محمد ابن عبدالوهاب... الذي أوحى الإستعمار والشيطان الأكبر إلى ذهنه العفن، ونفث في قلبه المحطم، أن يعلن عن تكفير كافة طبقات المسلمين، ويحمل المعاول لهدم أركان الشريعة، و إبادة جميع المعالم التاريخية الحية، والمآثر الإسلامية، الموحية والراسمة لمعالم وحيوية مسيرة الامة على إمتداد التاريخ، ويسحق كافة الشعائر الالهية، وجاء بهذه الطغمة الفاسدة العميلة الوهابية المقبورة إلى الجزيرة العربية، لتقوم هي أيضا كأخواتها بدورها إلى جانب الطغمة البهائية والقاديانية وأضرابها، العاملين على حساب المعسكر الشرقي، والغربي.

أجل إمتدّت يد الصهيونية الغاصبة من خلال الكمّ الوهابية الجافة والممزّقة... الشرذمة الوهابية الحقيرة التي استخدمتها الصهيونية العالمية، كحربة في ضرب وشل الكيان الإسلامي المقدس، والوقوف في وجه زحفه العظيم، وأخيرا حسب زعمها الموهوم، خنق

الحركات الإسلامية المظفرة المنتصرة السليمة، الخالصة من شوائب الرين والشك... الإسلام الصحيح المتمثل في الطائفة الشيعية الإمامية الإثنى عشرية الحقة، الممتدة جذورها الأصيلة إلى عهد النبيّ الاعظم (ص).

ألطائفة المباركة التي لم تصبح في يوم ما، عبر القرون المتطاولة مطية للشيطان، وحربة للاستعمار، وأذنابه، والعوبة للدخلاء، والمنافقين، والكفرة، والباغين... وستظل إلى الأبد كريمة مثابرة نقيةسليمة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

قذف به الشيطان إلى النجد، وتغذّى وشبّ على سيرة وسريرة أسلافه، أمثال إبن تيمية الحراني، وجاء كالمغمور، مستهترا يهذي ولايبالي، فتره وأنكر تلكم السنة الجارية، سنة الله التي لا تبديل لها، ولن تجد لسنة الله تحويلا، وخالف هاتيك السيرة المتبعة، وشذ عن مهيع تلكم الآداب الإسلامية الحميدة، وشدّد النكير عليها بلسان بذيّ، وبيان تافه، ولفظ مقذع، ووجوه ونظريات خارجة عن نطاق العقل السليم، بعيداً عن أدب العلم، أدب الكتابة، أدب العفة... وخالف أعلام عصره ورجالات قومه، فقابلوه بالطعن والردّ الشديد، فأفرد هذا بالوقيعة عليه تأليفا حافلا، وجاء ذلك يزيّف آراءه ومعتقداه الباطلة، في طيّ تآليفه القيمة، وتصدى في الردّ عليه ايضا أخوه الشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدي، وكان حياً حوالي سنة ١٢٠٦ هـ بعدة كتب منها: الصواعق الالهية في الردّ على الوهابية. وكتاب فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبدالوهاب. وأنكروا عليه سفسطاته، وسفاسفه، وخرافاته، وحقده، وحكموا بكفره وكفر من يذهب إلى مثل آراءه المضلة، والمعتقدات الشاذة، عن سيرة المسلمين، وشنوا عليه الغارة وبالغوا في الردّ والطعن عليه.

واختم الفصل هذا، بما قاله الشيخ سليمان بن عبدالوهاب في رسالته التي يردّ بها على اخيه محمد بن عبدالوهاب مالفظه: ـ قال ابن القيم الخوارج لهم خاصيتان مشهورتان، فارقوا بهما جماعة المسلمين، وأئمتهم، إحداهما خروجهم عن السنة، وجعلهم ماليس بسنة سنة. والثانية إنهم يكفرون بالذنوب والسيئات ويترتب على ذلك إستحلال دماء المسلمين وأموالهم، و إنّ دارالاسلام دار حرب، ودارهم دار إيمان. فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين وما يتولد عنها من بغض المسلمين، وذمهم، ولعنهم، واستحلال دمائهم، وأموالهم، وعامة البدع إنّما تنشأ من هذين الأصلين. وهذا الذي ذكره بعينه موجود في الوهابية ـ (١٢).



الهامش:

(١) أباءه به: سواه به. من البواء، بالفتح، وهو السواء والتكافؤ. يقال: القوم بواء: أي سواء.

(٢) القود: القصاص، أي فإنّ القاتل يقاد به ويقتل.

(٣) الصرف: التوبة. والعدل: الفدية. وقيل: الصرف القيمة. والعدل: المثل. وأصله في الفدية. يقال: لم يقبلوا منهم صرفا ولاعدلا، أي لم يأخذوا منهم دية.

(٤) أو تغه: أهلكه، وألقاه في بلية.

(٥) أي حرم لهم لا يحل انتهاكه.

(٦) سيرة ابن هشام ٣٠١/١. جمهرة رسائل العرب ٣٣/١.

(٧) وفاء الوفا ٢٦٨/١.

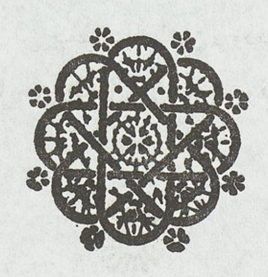
(٨) نفس المصدر ٢٧٧/١.

(٩) سورة النساء/١٥٨ ــ ١٥٩. سيرة ابن هشام ٣٤١/٢.

(١٠) سورة النساء/١٠٠.

(١١) سورة محمد/٧.

(١٢) كشف الارتياب/١١٣.



الأحداث الطارئة

على مكة عبر القرون



إنتابت هذا البيت العتيق الذّي جعله الله... حرماً آمنا مباركا وهدى للعالمين... أحداث ودواهي أودت بانهيار البيت، وتهديمه، وتخريبه مرة بعد اخرى، بالاضافة إلى السيول والزوابع العارمة، والأمطار الجارفة التي انتهت بمقتل الالآف من الزوار والحجاج، في ظروف مختلفة، ومناسبات شتى، وذهبت بأمتعتهم وحقائبهم، كما هدّمت البيوتات المجاورة والمحيطة بالكعبة، وشلت حركة المرور والسير والتجارة، وأوردت خسائر فادحة في الأموال والأنفس وأحدثت الأمراض والكوارث العظمى في العهدين الجاهلي والاسلامي، غير أن العناية الالهية السرمديّة المتواصلة، كانت في كافة تلكم الحالات تشمل البيت الحرام، وتكتنفها ويتطوّع نفر من ذوي الهمة والعزم، والخير إلى تجديد البناية، مرة بعد اخرى على هذا الشكل الموجود حالياً... وإننا في هذا الفصل نقصر على ذكر الأحداث في العهد الإسلامي، فحسب خشية الإطالة والتفصيل المجهد.

انّ الاحداث الطارئة على الكعبة أو مكة بصورة عامة، والبواعث العارمة التي إجتاحتها مرة بعد اخرى، يمكننا حصرها في قسمين فقط وهما:

١ ــ ألسيول والأمطار..

٢ ــ ألتعصب الجاهلي والإستهتار والميوعة...

أما القسم الأول: فانّ مكة تقع في واد تحف به الجبال من جهاتها الأربع، فاذا هطلت الأمطار بشدّة تجمعت في الأودية بسرعة، وهرعت وتوجّهت إلى مكة فكونّت في كثير من أماكنها، بحيرات وغدران ترى البيوتات فيها أشبه بالجزر. ولما كان المسجد الحرام، وطئ عن الشوارع بنحو عدّة أمتار أدركت أنه عند طغيان السيول يتحوّل إلى بحيرة بعيدة الغور والعمق، ولذلك منذ القديم قامت البيوتات وبنيت لتحفظ الكعبة من بطش السيول، أوتأتي عليها من قواعدها، وتترك فيها آثارا سيئة ترديها إلى الخراب.

إنّ للسيول بمكة كوارث وحوادث مدهشة وخسائر فادحة. و إليك نماذج يسيرة منها في العهد الإسلامي:

١ ــ سنة خمس وثلاثين (٣٥) بعد ولادة النبيّ وقبل مبعثه صلى الله عليه وآله يوم ثلث دعائم الكعبة بالسيل، وهدّت اركانها، وثلمت قوائمها وكان في جوفها بئر تحرز فيها

أموالها، ومايهدى إليها من النذور والقربان، فسرق رجل يقال له: دويك ماكان فيها أو بعضه فقطعت قريش يده، واجتمعوا وتشاوروا، وأجمعوا على عمارتها وكانت أمواج البحر رمت بسفينة إلى ميناء جدّة فتحطمت فأخذوا خشبها فاستعانوا به على عمارتها. وكان بمكة رجل قبطي نجار فسوّى لهم ذلك، وبنوها ثمانية عشر ذراعا.

وفي الكافي، عن علي بن ابراهيم وغيره بأسانيد مختلفة، قالوا: إنّما هدمت قريش الكعبة لأن السيل كان يأتيهم من أعلا مكة فيدخلها، فانصدعت وسرق من الكعبة غزال من ذهب رجلاه من جوهر، وكان حائطها قصيراً. وكان ذلك قبل مبعث النبيّ (ص) بثلاثين سنة، فأرادت قريش أن يهدموا الكعبة ويبنوها ويزيدوا في عرضها، ثم أشفقوا من ذلك وخافوا إن وضعوا فيها المعول (المعاول) أن تنزل عليهم عقوبة. فقال المغيرة بن المغيرة: دعوني أبدأ فان كان لله رضاً لم يصبني شيء، وان كان غيرذلك كففنا، فصعد على الكعبة وحرّك منه حجراً خرجت عليه حية وانكسفت الشمس فلما رأوا ذلك بكوا وتضرّعوا، وقالوا: ــ أللهم إنّا لانريد إلّا الصلاح فغابت عنهم الحية، فهدموه ونحوا حجارته حوله حتى بلغوا القواعد التي وضعها ابراهيم (ع)، فلما أرادوا أن يزيدوا في عرضه وحرّكوا القواعد التي وضعها ابراهيم (ع) أصابتهم زلزلة شديدة وظلمة، فكفوا عنه وكان بنيان إبراهيم الطول ثلاثون ذراعا، والعرض اثنان وعشرون ذراعا، والسمك تسعة أذرع، فقالت قريش: نزيد في سمكها فبنوها فلما بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود، تشاجرت قريش في وضعه، فقال كل قبيلة نحن أولى به نحن نضعه، فلما كثر القال والقيل بينهم، تراضوا بقضاء من يدخل من باب بني شيبة. فطلع رسول الله (ص) فقالوا: هذا الأمين، قد جاء فحكموه فبسط رداءه، وقال بعضهم: كساء طاروني كان له ووضع الحجر فيه، ثم قال: يأتي من كل ربع من قريش رجل، فكانوا عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس. والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبدالعزي. وأبوحذيفة بن المغيرة من بني مخزوم. وقيس بن عدى من بنى سهم، فرفعوه، ووضعه النبيّ (ص) في موضعه.

وقد كان بعث ملك الروم بسفينة فيها سقوف وآلات وخشب وقوم من الفعلة إلى الحبشة لتبني له هناك بيعة، فطرحتها الريح إلى ساحل الشريعة فبطحت فبلغ قريشاً خبرها، فخرجوا إلى الساحل فوجدوا مايصلح للكعبة من خشبة وزينة، وغير ذلك فابتاعوه وصاروا به إلى مكة فوافق ذراع ذلك الخشب البناء ماخلا الحجر، فلما بنوه كسوها الوصايد، وهي الأردية.

وفي اصول الكافي أيضا: باسناده عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام، قال: إنّ قريشاً في الجاهلية هدموا البيت فلما أرادوا بناءه، حيل بينهم وبينه وألقى في روعهم الرعب حتى قال

قائلهم منهم: ليأتي كل رجل منكم بأطيب ماله ولا تأتوا بمال اكتسبتموه من قطيعة رحم أو حرام، ففعلوا فخلى بينهم وبين بنائه فبنوه، حتى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود، فتشاجروا فيه أيهم يضع الحجر الأسود في مكانه، حتى كاد أن يكون بينهم شرّ فحكموا أوّل من يدخل من باب المسجد، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أتاهم أمر بثوب فبسط ثم وضع الحجر في وسطه، ثم أخذت القبائل بجوانب الثوب فرفعوه، ثم تناوله (ص) فوضعه في موضعه، فخصه الله به.

هذا إجمال القضية الواقعة سنة ٢٠٧٥ بعد بناء إبراهيم الخليل عليه السلام (١).

٢ ــ سيل امّ نهشل: كان في خلافة عمر بن الخطاب أقبل حتى دخل المسجد الحرام من الوادي، ومن أعلا مكة من طريق الردم، وبين الدارين، وكان ذلك السيل ذهب بأمّ نهشل بنت عبيد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبدشمس، حتى استخرجت منه بأسفل مكة فسمي سيل امّ نهشل، واقتلع السيل المقام مقام إبراهيم (ع) وذهب به حتى وجد بأسفل مكة، وغبي مكانه الذّي كان فيه، فأخذ وربط بلصق الكعبة بأستارها، وكتب إلى عمر بن الخطاب في ذلك، فجاء فزعاً حتى ردّ المقام مكانه وعمل في تلك السنة الردم الذّي يقال له ردم عمر، وهو الردم الأعلى من عند دار جحش بن رباب التي يقال لها: دار أبان بن عثمان إلى داربة، فبناه بالصفافير والصخر العظام، وكبسه فلم يعله سيل منذ ردمه، وقد جاءت بعد ذلك أسيال عظام كل ذلك لا يعلوه منها شيء (٢).

٣ ــ سيل الجحاف...

وسمي سيل الجحاف لأنه جحف على كل شيء فذهب به، وحمل الحجاج من بطن مكة الجمال بما عليها والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن ينقذهم منه، وبلغ الماء إلى الحجون، وغرق خلق كثير وارتفع حتى غطى البيت. كان ذلك يوم التروية سنة ثمانين في خلافة عبدالملك بن مروان، وصبح الحاج يوماً وهم آمنون غارون قد نزلوا في وادي مكة، واضطربوا الابنية ولم يكن عليهم من المطر الآ شيء يسير، إنّما كانت السماء في صدر الوادي وكان عليهم رشاش من ذلك.

قال أبوالوليد: قال جديّ، فحدّثني سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: لم يكن المطر عام الجحاف على مكة إلّا شيئا يسيراً، وإنّما كانت شدّته بأعلا الوادي. قال: فصبحهم يوم التروية بالغبش قبل صلاة الصبح فذهب بهم، وبمتاعهم ودخل المسجد، وأحاط بالكعبة، وجاء دفعة واحدة وهدّم الدور والشوارع على الوادي، وقتل الهدم ناساً كثيرا، ورقى الناس في الجبال واعتصموا بها، فسمى بذلك الجحاف، وقال فيه عبدالله بن أبي عمارة:

لم تـر عـيني مـثـل يـوم الأثـنين أكثر محزونـا وأبـكـى لـلـعين
إذ خـرج المخـبـئـات يسعين سـوانـدا في الجـبـلين يـرقين

فكتب بذلك إلى عبدالملك بن مروان، ففزع لذلك وبعث بمال عظيم وكتب إلى عامله على مكة، عبدالله بن سفيان المخزومي، ويقال: بل كان عامله الحارث بن خالد المخزومي يأمره بعمل ضفاير للدور الشارعة على الوادي للناس من المال الذي بعث به، وعمل ردماً على أفواه السكك يحصن بهادور الناس من السيول، وبعث رجلا نصرانياً مهندساً في عمل ضفاير المسجد الحرام، وضفاير الدور في جنبتى الوادي، وكان من ذلك الردم الذي يقال له: ردم الحزامية على فوهة خط الحزامية، والردم الذي يقال له ردم بني جمح، وليس لهم ولكنه لبني قراد الفهريين، فغلب عليه ردم بني جمح، وله يقول الشاعر:

سـأمـلـك عـبـرة وأفـيض أخـرى إذا جـاوزت ردم بني قـرود

قال: فأمر عامله بالصخر العظام، فنقلت على العجل وحفر الأرباض دون دور الناس فبناها وأحكمها من المال الذّي بعث به. قالوا: وكانت الإبل والثيران تجر تلك العجل، حتى ربما أنفق في المسكن الصغير لبعض الناس مثل ثمنه مراراً. ومن تلك الضفاير أشياء إلى اليوم قائمة على حالها من دار أبان بن عثمان التي هي عند ردم عمر هلم جرّا، إلى دار ابن الجوار، فتلك الضفاير التي في أرباض تلك الدور، كلها مما عمل من ذلك المال، ومن ردم بنى جمح منحدرا في الشق الأيسر إلى أسفل مكة، وأشياء من ذلك هى أيضا على حالها. وأما ضفاير دار أويس التي بأسفل مكة ببطح نحر الوادي، فقد اختلف علينا في أمرها، فقال بعضهم: هي من عمل عبدالملك، وقال آخرون: لا بل هي من عمل معاوية بن أبي سفيان، وهو أثبتها عندنا (٣).

٤ ــ سيل المخبل...

وفى سنة ٨٤ هـ اكتسحت مكة سيول أصاب الناس عقبه مرض شديد، في أجسادهم، والسنتهم أصابتهم منه شبه الخبل، فسمى سيل المخبل، وكان عظيماً دخل المسجد الحرام، وأحاط بالكعبة.

٥ ــ سيل أبي شاكر...

في سنة عشرين ومائة، وفي ولاية هشام بن عبدالملك إجتاح مكة سيل عظيم، هدمت على أثره الدور والحوانيت وأورد أضرارا جسيمة، وسمي سيل أبي شاكر لأن أبا شاكر مسلمة ابن هشام بن عبدالملك، حج بالناس تلك السنة (٤).

٦ ــ سنة ٢٠٨ هـ...

حدث في العام هذا، سيل كبير في شوال جاء والناس غافلون، فامتلأ السد الذي بالثقبة فلما فاض انهدم السد فجاء السيل الذي اجتمع فيه مع سيل السدة، وسيل ما أقبل من منى، فاجتمع ذلك كله فجاء جملة واحدة فاقتحم المسجد الحرام وأحاط بالكعبة، وبلغ الباب والحجر الأسود، ورفع المقام من مكانه وهدّم أكثر من ألف دار، ومات به أكثر من الف نفس فكبس المسجد والوادي بالطين والبطحاء، وذهب بصناديق الباعة ومقاعدهم، وألقاها بأسفل مكة وذهب بأناس كثير. وكان أمير مكة يومئذ عبدالله به الحسن بن عبيدالله ابن العباس بن علي بن أبي طالب فكتب إلى المأمون العباسي يستنجدبه ومنه: (يا أميرالمؤمنين إنّ أهل حرم الله تعالى، وجيران بيته، وألآف مسجده وعمرة بلاده، قد إستجاروا بعز معروفك من سيل تراكمت جرياته في هدم البنيان، وقتل الرجال والنسوان، واجتياح الأموال، وجرف الأثقال، حتى ما ترك طارفا ولا تالداً للراجع إليها في مطعم ولا ملبس، فقد شغلهم طلب الغذاء عن الإستراحة إلى البكاء على الأمهات، والأولاد، والآباء، والأجداد، فأجرهم يا أميرالمؤمنين بعطفك عليهم، وإحسانك إليهم تجدالله مكافئتك عنهم، ومثيبك على الشكر منهم).

فوجه المأمون إليهم ألأموال الكثيرة وكتب إليه: (أما بعد فقد وصلت شكيتك لأهل الحرم إلى أمير المؤمنين فبكاهم بعين رحمته، وأنجدهم بصيب نعمته، وهو متبع لما أسلف إليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا، إن أذن الله في تثبيت نيته على عزمه) (٥).

٧ ـــ سنة ٢٥٣هـ...

دخل مكة سيل عظيم أحاط بالكعبة، وقارب الحجر الأسود وهدّم دورا كثيرة، وملأ المسجد غثاء حتى جرف بالعجلات (٦).

٨ ـــ سنة ٢٩٧هـ...

قال المسعودي: وورد الخبر إلى مدينة السلام بأن أركان البيت الحرام الأربعة غرقت، حتى عمّ الغرق الطواف وفاضت بئر زمزم، وأن ذلك لم يعهدوه فيما سلف من الزمان (٧).

٩ ـــ سنة ٥٢٨ في جمادى الأولى. وسنة ٥٤٩، نزل مطركان معه برد بقدر البيض، وزن بميزان فكان مائة درهم. وسنة ٥٦٩هـ، جاء سيل ودخل دارالإمارة. وكذلك سنة ٥٧٠هـ وسنة ٥٥٣هـ. في الثامن من شهر صفر، ودخل الكعبة، وأخذ إحدى فرضي باب إبراهيم وحمل منابر الخطبة ودرجة الكعبة ووصل الماء إلى فوق القناديل التي في وسط المسجد بكثير. وسنة ٥٩٣هـ. وسنة ٦٢٠هـ. وسنة ٦٥١هـ. وفى سنة ٦٦٩هـ في رابع عشر

شعبان، دخل السيل بيت الله الحرام، وألقى كل زبالة كانت في المعلاة في الحرم، ولم يكن ليلة النصف من شعبان بالحرم إلّا بقى الحرم، كالبحر يموج منبره فيه وما سمعت تلك الليلة مؤذنا إلّا بقى الناس من خوف الهدم والغرق في أمر عظيم حتى خشى إنّه ينسى كثير من الناس الفرض فكيف بصلاة ليلة النصف من شعبان، وطاحت الدور على الناس (٨).

١٠ ــ سنة ٧٣٨ هـ...

يوم الخميس عاشر جمادي الأولى، وقعت سيول جاء معظمها من وادي إبراهيم تتبعها غيوم، ورعود مزعجة، وبروق مخيفة ومطروابل، كأفواه القرب ودفعت السيول، من كل جهة فدخلت الحرم من جميع الأبواب التي تليه وجعل حول الأعمدة التي في طريقه جوراً مقدار قامتين وأكثر، ولولم يكن أساسات الأعمدة محكمة لكان رماها وقلع من أبواب الحرم أماكن وطاف بها الماء، وطاف بالمنابر كل واحدة إلى جهة وبلغ عند الكعبة قامة وبسطة ودخلها من خلل الباب، وعلا الماء فوق عتبتها أكثر من نصف ذراع بل شبرين، ووصل إلى قناديل المطاف وعبر في بعضها من فوقها وغرق بعض المجاورات النساء اللواتي في المساطب، وخرب بيوتا كثيرة وغرق بعض أهلها وبعضهم مات تحت الردم. وهكذا غرقت الكعبة في السيول خلال سنين ٧٥٠ و ٨٠٢ و ٨٢٥ و ٩٧١ و ٩٨٣ و ١٠٢١ و ١٠٢٤ و ١٠٣٣ و ١٠٣٩ و ١٠٧٣ و ١٠٩١ و ١٠٩٣ و ١٣٢٥ و تجد تفاصيل هذه السيول فى كتب التواريخ بصورة مفصلة.

* * *

وهنا قصة تاريخية عن بناية الكعبة الموجودة اليوم تعطينا تبيانا مفصلا عن كيفية بنائها، وتخطيطها وأبوابها ومعالم وافية خافية على الجميع ولا بأس من الوقوف عليها.

قال السيد على صدرالدين المدني الحسيني الحسني، أحد أئمة الأدب في القرن الحادي عشر الهجري ــ: لما كان فجرالأربعاء التاسع عشر من شعبان، سنة تسع وثلاثين وألف (١٠٣٩) نشأت على مكة وأقطارها شرّفها الله تعالى، سحابة غريبة مدلهمة فلم تزل كذلك إلى وقت الزوال، فأرعدت وأبرقت وأتت بمطر كأفواه القرب واستمرت ساعتين ودرجتين ثم أمسكت. فأقبل السيل ودخل المسجد الحرام، واعتلى على باب الكعبة ذراعين عمليين وربع فأهلك الأطفال، والنساء، والرجال، ثم باتت تمطر إلى نصف الليل، فلما كان قبل الغروب يوم الخميس العشرين من شعبان، سقط من البيت الشريف جانباه الشرقي والشامي، فكان الساقط منها قدر نصفها ثم أعقب هذا السيل في أهل مكة من الفناء، ما أشبه الوباء المصرى (٩).

وقال المولى محمد المحبي: في تاريخه، عند ترجمته للسلطان مراد بن السلطان أحمد آل عثمان: (وفي زمانه وقع السيل العظيم المشهور بمكة المشرّفة في سنة ١٠٣٩، ودخل المسجد الحرام وطاف بالبيت، ووافق تاريخه ـ رقى إلى قفل بيت الله ـ وبسببه إنهدمت الكعبة وعمل الناس في ذلك التواريخ والأشعار، وفي سنة أربعين كان بناء البيت الشريف، ومن التواريخ المشهورة فيه (رفع الله قواعد البيت) وكانت هذه الفضيلة مما اختص بها السلطان مراد، ومن تاريخ الفاسي لغيره قوله:

بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم ... ورتبتهم حسب الذي أخبر الثقة

ملائكة الرحمن آدم ابنه ... كذاك خليل الله ثم العمالقة

وجرهم يتلوهم قصي قريشهم ... كذا ابن زبير ثم حجاج لا حقه

و ذيل ذلك بعضهم بقوله:

وخاتمهم من آل عثمان بدرهم ... مراد المعالى أسعد الله شارقه

و بيت آخر:

ومن بعدهم من آل عثمان قد بنى ... مراد حماه الله من كل طارقه

ووقع بعد تمام العمارة بأربع سنين، خلل في السطح المكرّم، فعرض صاحب مكة وشيخ حرمها ذلك إلى وزير مصر فعرض ذلك على السلطان المذكور، فورد أمره بذلك فعين وزير مصر لهذه الخدمة، من كان قائما بها ومتعاطياً لها قبل ذلك وهو الأمير رضوان الفقاري، وأضاف إليه يوسف المعمار، مهندس العمارات السابقة، فوصلا في موسم سنة أربع وأربعين، فلما كان العشر الأخير من ذي الحجة، جعل إجتماع الناس بمصلى الشريف زيد بن محسن، وحضر فيه هو وقاضي مكة، الشيخ أحمد البكري، وقاضي المدينة المولى حنفي، والأمير رضوان، وغيرهم من العلماء والأعيان، فقرأوا سورة الفتح، ثم وصلوا إلى الكعبة وأشرفوا على بابها، ثم تفرّقوا ثم في المحرم سنة خمس وأربعين شرع الأمير في تهيئة الحصى للمسجد، ففرشه به ثم لما كان سابع عشر ربيع الأول وصل إلى باب الكعبة وفتح السادن بابها، فقلعوه وركبوا عوضه باباً من خشب لم يكن عليه شيء من الحلية، و إنّما عليه ثوب من القطنى أبيض.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر الشهر، وزنت الفضة التي كانت على الباب المقلوع فكان مجموع ذلك مائة وأربعة وأربعين رطلا خارجا عن الزرافين، فوزنها وماشابهها مما كان على الباب ثمانية عشر رطلا، ثم شرع في تهيئة باب جديد فشرع فيه وأتمه وركب عليه حلية الباب السابق، وكتب عليه إسم السلطان صاحب الترجمة، ثم جيء به محمولا على أعناق الفعلة، فمشى الناس أمام الباب إلى أن وصلوا إلى الحطيم وبه الشريف جالس فوضع بين

يديه فقام الشيخ عمر الرسام، ودعا للسلطان، والشريف، فألبس الشريف جماعة في ذلك المجلس خلعا، منهم عمر المذكور، والامير رضوان، وفاتح الباب والفعلة.

ثم أدخلوا فردتي الباب إلى داخل الكعبة، ودخل الشريف ومعه الأمير، وجماعة من الأعيان إلى الكعبة وصعدوا السطح، وأشرفوا عليه ثم انفض الجميع، فشرع الأمير بعد إنفضاض الناس في تركيب الباب فركبه وتم عند غروب الشمس من يوم العشرين من شهر رمضان. ثم في موسم العام المذكور توجّه بالباب القديم إلى مصر واستلمه وزير مصر وأرسله إلى السلطان (١٠).

أمّا كيفية التأسيس لبناء البيت فهى على ما اختصره المحدث النوري في كتابه (دارالسلام) نقلاعن كتاب (مفرحة الأنام في تأسيس بيت الله الحرام) للآمير زين العابدين الحسيني الكاشاني نزيل مكة، والمستشهد فيها عام ١٠٤٢ هـ ويعتبر المؤسس للبيت الحرام، والباني له جاء في كتابه: ـ في اليوم الأربعاء تاسع عشر شهر شعبان سنة ١٠٣٩ دخل المسجد الحرام سيل عظيم من أبوابه، ثم دخل الكعبة وارتفع فيها بقدر قامة وشبر، و إصبعين مضمومتين، ومات بمكة المعظمة بسببه أربعة الآف واثنان إنسانا، منهم معلم وثلاثون طفلا كانوا في المسجد. وفي يوم الخميس انهدم تمام طرف عرض البيت الذي فيه الميزاب، ومن طرف الطول الذي فيه الباب من الركن الشمالي إلى الباب، ومن الطول الذي فيه المستجار، نصفه تخميناً، فتذاكرت مع الشريف في بناء البيت وأن البناء يكون بمال أهل الحق ومباشرتهم، وينتسب في الظاهر إلى سلطان الروم، فقبل ذلك ثم خوفّه الناس فأعرض عنه فكنت أتضرّع إلى الله تعالى أن لا يحرمني من تلك السعادة، فرأى في تلك الأيام مسكين في المنام أنه وضع جنازة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام في قبال الكعبة، وصلى عليه خاتم النبيين (ص) مع جميع الأنبياء عليهم السلام، وأنه قال لي: خذ التابوت وادفنه جوف الكعبة. فلما قصّ عليّ عبرّته بأن الإمام لا يدفنه إلّا الإمام ومنصب دفن أبي عبدالله عليه السلام كان للامام زين العابدين (ع) فهو أشارة إلى أن وضع الأساس الذي كان من مناصبه قد حوّل إليّ فاطمئن قلبي.

وفي اليوم الثلاثاء ثالث جمادي الاخرى سنة ١٠٤٠، شرعوا في هدم تتمة البناء، وكنت أشتغل مع المشتغلين ومن عجيب ألطافه الله تعالى، أن جميعهم من الوكيل، والمباشر الذين بعثهما سلطان الروم، صاروا مريدين لي بحيث كلما قلت لهم في أمر البيت شيئا، لم يتخلفوا عني إلى أن هدموا أطرافه إلّا الركن الذي فيه الحجر فأبقوا حجراً فوقه وحجراً تحته. فقلت لهم: لا بد من حفظه عن وطى الأقدام، فصنعوا من ألواح الخشب شيئا لحفظه، وفي

ليلة الأحد الثاني والعشرين من الشهر المذكور، إستقر الأمر على وضع الأساس في صبحتها فتضرّعت إلى الله تعالى في تلك الليلة، وسألت الله تعالى أن يجعلني مؤسس بيته (وذكر أبياتا في ذلك) وكنت متفكرا في أنه مع حضور الشريف، وشيخ الحرم، والقاضى، والوكيل، وعلماء مكة، وخدّام البيت، كيف أصنع مع ضعفي واغتسلت وقت السحر ودخلت المسجد، ولما كان بعد صلاة الصبح لم يحضر من الأمر الآلهي، و إعجاز الأئمة (ع) إلّا المباشر وبعض العملة، فلما رآني المباشر قال: يا سيد زين العابدين، إقرأ الفاتحة، فقرأتها، ودعوت بعدها بالدعاء الموسوم بدعاء سريع الإجابة المروي في (الكافي) أوله: ــ أللهم اني أسألك باسمك العظيم الأعظم... إلى آخره، ودعوت الحجة عجل الله فرجه وأخذت الحجر المبارك للركن الغربي وناولني محمد حسين الأبرقوئي، وهو من الصلحاء أوّل طاس فيه الساروج، فطرحته في زاوية الركن الغربي وأنشرته، وقلت:

بسم الله الرحمن الرحيم

ووضعت الحجر عليه في موضع أساس إبراهيم عليه السلام. قال: وفي اليوم التاسع من رجب وصلوا إلى الحجر وقد باشرت بنفسي مقدار ثلاثة أذرع، من جهة الإرتفاع من تمام العرض الذّي فيه الميزاب، والحمدلله تعالي.

وأخذوا الحجر الذّي فوق الحجر الأسود، ثم اجتهدوا لرفع الحجر فلم يقدروا فكأنه كان في نظرهم ثعباناً عظيما واشتغلت في هذا اليوم بقرائة دعاء السيفي، فقرأته سبع وعشرين مرة فشكرالله فأيسوا منه على حفظه، وفي الثاني والعشرين منه وضعوا الباب، وفي الثالث عشر شعبان أدخلنا أعمدة سقف البيت. وفي الخامس عشر منا أدخلت الباب بنفسى ووضعت في باطن جدرانها أربعة من الأحجار حجراً في نفس زاوية الحجر الأسود، وحجراً ي الحطيم، وححراً في مولد أمير المؤمنين عليه السلام، وهو بعيد عن زاوية الحجر الاسود بثلاثه أذرع من جهة الركن اليماني تخمينا، وحجراً قريب زاوية الردن اليماني. وفي الثامن عشر من هذا الشهر، أدخلنا الألواح بين أعمدة السقف وركبت مع الأعمدة. ويوم السلخ منه ركب ميزاب الرحمة. وفي ثاني شهر رمضان شرعوا في حمل الرخام في سطح الكعبة. وفي التاسع منه شرعوا في شغل الرخام في باطن جدران الكعبة وأرضها.

وفي الأربعاء السابع والعشرين، منه تم العمل. وفي الجمعة آخر الشهر المذكور دخلوا الخلق الكعبة وقلت في تاريخ التأسيس: (رفع الله قواعد البيت).

قال رحمه الله:

طول البيت من ركن الحجر، وهو الركن العراقي إلى الركن الشامي، خمسة وعشرون

ذراعاً. ومثله ألطول افخر وهو من الركن الغربي إلى اليماني.

وعرضه من الشامي إلى الغربي عشرون ذراعاً، وعليه الميزاب. وعرضه افخر من اليماني إلى العراقي أحد وعشرون ذراعاً وشبر.

وسمكه ثلاثون ذراعا. وسقفه على كمال سبع وعشرين ذراعا. على ثلاثة أعمدة غلاظ على جدار الطول، وعلى ثلاثة أساطين، ما بين عرضيها فلها سقف ثان. لكن ليس عليه عمل إلّا ربط أستارها الباطنة.

وأما الثلاثة الباقية من السمك، فمقدار ثلثي ذراع منها غلظ السقف والباقى لربط أستارها الظاهرة، وغلظها أقل وفي خلفها أخشاب فيها حلق تربط بها الأستار.

والطول الأول، من الداخل وهو الوجه سبعة عشر ذراعا. والثاني وهو الظهر ثمانية عشر ذراعا. والعرض الشامي خمسة عشر. والعرض اليماني ستة عشر. وحكمها إلى السقف الأول عشرون. ومنه إلى الثاني اثنان.

وغلظ جدرانها الأصلية الخالية من الرخام، أربعة أشبار وأربعة أصابع مضمومة.

وفي بطن الجدار، في كل قامة لوح من خشب عريض متين في خمسة مواضع.

وطول الباب سبعة أذرع وفيه أربع حلق من فضة.

وفي داخل البيت، سلم قريب الركن الشامي مستور بجدار من رخام، وله بابان الأول من أسفله إلى أوسطه والآخر من أعلاه إلى سطحه، وهو درج من عود مستدير كالمنارة وعدده تسع وعشرون.

أما حجر إسماعيل فإنّه جدار قصير مستدير كنصف دائرة مقابل العرض الشامي. وارتفاع جداره ذراعان ونصف. وعرضه مثل ذلك. وطول سعته من جدار عرض الكعبة إلى جدار طرف الحجر المقابل للميزاب ست عشر ونصف. وعرض سعته من طرفه الآخر عشرون ذراعا.

وله فجوتان، هما باباه سعة كل واحدة ذراعان ونصف.

وأماالميزاب فهو قطعة خشب عليه صفايح الفضة المذّهب من أوله إلى آخره وطوله أربعة أذرع ونصف. وعرضه ثلثا ذراع وارتفاعه مثل دلك.

وأما الحجر فطوله في الخارج نصف شبر، وعرضه شبر، وارتفاعه في الجدار ثلاثة أذرع. وطوله الأصلي الذّي داخل الجدار ثلثا ذراع بذراع عمل البنائين. وعلى عرضه الذّي في داخل الجدار وثائق ثلاث من فضة في ثلاث مواضع. وعلى طوله الذّي في الجدار دائرة من فضة لحفظ الخدشة التي فيه. وعلى طوله وعرضه في الخارج أيضا دائرة فضة.

وأما الحطيم، فهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود وهو أفضل بقاع الأرض.

وأما المستجار، فهو مقابله في ظهر الكعبة من الباب المسدود إلى الركن اليماني.

وأما شاذر، وانها الأصلى المحيط بها فارتفاعه ثلثا شبر، وعرضه نصف ذراع، وعلى ظهره جص مسند إلى جدارها وارتفاعها ذراع، قد صفت عليه ألواح رخام، طولها ذراع ونصف وهو محدودب لايثبت عليه رجل إلّا عند الباب والحجر.

وفي دور المطاف ثلاثة وثلاثين اسطوانة، من صفر مستديرة كاستدارته سعته مأتا وثمان عشر ذراعا.

ثم ذكر كيفية مقام إبراهيم، ووضع المسجد، وكيفية بنائه، وأن طوله أربعمائة ذراع وعرضه مأتان وسبعون ذراعا سوى الزائدتين. وأن له تسعة عشر باباً ذومنفذ أو منفذين، وثلاثة. ومجموع المنافذ تسعة وثلاثون (١١).

فماذا تقوله حكام السعودية... بعد هذه الصفحات التاريخية الناصعة الصادقة المثبوتة في كتب السير والتاريخ، وقد عرف العالم بكامله أن مؤسس البيت العتيق، وبانيه وواضع لبنته الأولى في القرن الحادي عشر الهجري عقيب إنهياره، وخرابه في سنة ١٠٣٩ هـ. رجل إيراني، وفقيه كامل، ومن عيون الطائفة الشيعية، وصدورها إختصه المولى سبحانه على علمه الوافر، وشرفه المديد، ومجده المؤثل بأقامة أكبر شعار للاسلام وتشييد أرفع بناية يقدّسها الدين الحنيفي، ألا وهو تأسيسه البيت الحرام فجاء مكللا بهذه الفضيلة الباهرة، والسؤدد الظاهر وشاع بذلك أمره وبعد صيته، ولم يزل نور فضله كل حين إلى النشور وأشواطه البعيدة في العلم إلى الأمام، وهو المولى الأمير السيد زين العابدين بن نورالدين بن مراد بن علي بن مرتضى الحسيني الكاشاني نزيل مكة...

غير أن أذناب الأموية المقبورة، وفلولها البغيضة المبثوثة، كالكلاب الهراش هنا وهناك، لم ترقهم الحال فامتدّت يدهم الأثيمة الجانية الشلاء، نحو هذا العملاق، وأردته قتيلا وشهيداً في حرم الله وأمنه، ودفن في المعلى عام ١٠٤٢ هـ (١٢).

ماذا تقوله حكام السعودية... وفلول الوهابية الدفينة... القابعين على فضالات الطائفة الشيعية الحقة، والباخسين لحقوقهم المشروعة. والناهبين الغاصبين لتراثهم، وميراثهم بعد الصفحات التاريخية هذه..؟ وتجاه هذا المشروع الحضاري الإنساني الديني الخالد، الذّي تقدّم به واحد من الشيعة الإيرانيين في مكة... تطوّعت أذناب الوهابية إلى مكافئته، وتقديم الشكر إليه فاندفعت نحو البقيع في المدينة المنوّرة بقلوب مترعة متمخضة بالبغض، والعدوان، والبغي، والشرك والإلحاد، والشر، والشره، والفساد، وأنزلت معاولها في مقابر ودائع -

التوحيد، والنبوّة، وذخائر الرسالة، والإمامة، فهدّمت قبورهم وقوّضت بقاعهم، ونهبت ضرائحهم، وأبدلتها إلى ركام ورغام... وسودوا بفعلتهم النكراء هذه، صحائف تاريخهم الأسود القذر العفن تلعنهم الله تعالى، والملائكة، والمؤمنون، والمؤمنات، والبشرية، والأجيال والأجيال، مادامت الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

عليهم بامتداد الدهر متصلا	لعائن الله أسرارا وإعلانا
فإنّهم من كلاب النار جاء به	نص الشريعة برهانا وتبيانا

* * *

٢ ـ قلنا أن العامل الثاني في تهديم الكعبة وتقويضها يعود إلى التعصب الجاهلي والإنحلال من قيود الدين والشريعة، والبشريّة والتجاهر والإستهتار بالميوعة والفساد ألمتمثل في شر ذمة لا تعرف في الحياة معنى ومفهوماً لغير الخلاعة، والمجون، والاستهتار، والفسوق، والنهمة، والشره، والكفر، والإلحاد وقد عرفوا في التاريخ بهذه الرذائل، وتغلبوا على دست الخلافة وأريكة السلطة والنفوذ، باذلال المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدّد والرهبة. والنفوس راغبة وميالّة إلى الإستهتار ورفض القيود تارة، ومن جهة حب التشبه بالخلفاء والساسة طورا (والناس على دين ملوكهم) والناس إذا استهوتهم الشهوات، لا يقفون عند حد فتكثر فيهم الموبقات، وتشيع الفواحش فمن فجور إلى مثله، ومن فاحشة إلى اخرى، فلايمر يسير من الزمن إلّا وحاضرة الاسلام مباءة للمنكرات ليس لنواميس الدين، والحق فيها عين ولا أثر.

ومهما يكن من أمر فمنذ العهد الإسلامي إجتاحت الكعبة مراراً عديدة زوبعات وكوارث الحادية عارمة، وظروف وحالات سياسية قاسية، منبعثة عن الأهواء والمطامع الدخيلة، والإتجاهات البعيدة المتخلية عن كافة القيم والمثل، والملكات، فقوّضت الكعبة على إثرها وانهارت وتهدمت وإليك البعض منها:

الأولى...

ماوقع عام ثلاث وستين بيد حصين بن نمير السكوني، وقيل: الكندي في أيام يزيد ابن معاوية، لما اراد القبض على عبدالله بن الزبير، حين أظهر الخلاف في مكة، وتمردّ على يزيد وبايعه جمع غفير من أهل الحرمين، وبعض العراقيين، فبعث إليهم يزيد مسلم بن عقبة المرّي، وسمي مسرفاً لإسرافه في القتل بالمدينة، وأرسل معه إثنى عشر ألفا فيهم الحصين بن نمير، ليكون على العسكر إن عرض لمسلم موت، فإنّه كان عليلا في بطنه الماء الأصفر، وأمر يزيد مسرفاً، إذا بلغ المدينة أن يدعوا أهلها ثلاثا، فان أجابوه وإلّا قتلهم بعد أن طرد أهل

المدينة عامل يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان وغيره من بني امية. وقال له: إذا ظهر عليهم أباح المدينة ثلاثا، ثم يكف عن الناس ويسير إلى مكة لقتال إبن الزبير، فلما بلغ مسلم المدينة بمن معه، إلتقى مع أهلها بظاهر المدينة، فاقتتلوا فقتل من أولاد المهاجرين أزيد من ثلاثمائة نفر، وجماعة كبيرة من الصحابة، ودخل المدينة وأباحها ثلاثا، وكانت الوقعة بمكان يقال له (حرّة) وأقام فيها لثلاث بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وستين من الهجرة، ثم سار إلى مكة فلما كان بالمشلل مات، وقيل: مات بثنية هرشا، بعد أن قدم على عسكره الحصين ابن نمير، فسار الحصين حتى بلغ مكة لأربع بقين من المحرّم، سنة أربع وستين، وقد بايع أهل مكة والحجاز وغيرهم إبن الزبير، وأجمعوا عليه، وانضم إليه من إنهزم من أهل المدينة، وكان قد بلغه خبر أهل المدينة مع مسلم هلال المحرّم سنة أربع وستين، مع المسور بن مخرمة، فلحقه منه أمر عظيم، واعتدّ هو وأصحابه واستعدوا للقتال، وقاتلوا الحصين أياماً، وتحصن إبن الزبير وأصحابه في المسجد، وحول الكعبة وضرب أصحابه إبن الزبير في المسجد خياماً ورقاقا يكتنون فيها من حجارة المنجنيق، ويستظلّون فيها من الشمس.

وكان الحصين بن نمير، قد نصب المنجنيق على أبي قبيس وعلى الأحمر، فكان يرميهم بالحجارة وتصيب الحجارة الكعبة وكذلك بالنار، حتى هدموا المسجد والبيت بالقذائف، وأحرقوا الكعبة وأستارها بإلقاء النار عليها، فتهدّمت الكعبة ودام الحرب بينهم إلى أن فرّج الله على ابن الزبير وأصحابه بوصول نعي يزيد بن معاوية. وكان وصول نعيه ليلة الثلاء لثلاث مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، وبلغ نعيه إبن الزبير، قبل أن يبلغ الحصين، وبعث إلى الحصين من يعلمه بذلك، ويحسن له ترك القتال ويعظم عليه أمر المحرم وما أصاب الكعبة، فمال إلى ذلك وألّب إلى الشام.

عاد حصين إلى الشام بعد هتك حرمة بيت الله الحرام، وانقاض دعائم الإسلام، ومات حصين بعد ذلك بأحد عشر يوما (١٣).

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، وبويع عبدالله بن الزبير في الحجاز والعراق تقدّم إلى تجديد عمارة البيت العتيق فهدّم من البيت، ماكان قد بقى سالماً من الصدمة لا ستناد إنهدامه إليه و إلى حربه فارتقى بنفسه على جدار الكعبة، وهدّم البيت وبناها وأعادها إلى حالتها الأولى.

وجاء في بعض المراجع أن مسلم بن عقبة أباح المدينة ثلاثة أيام، يقتلون من وجدوا من الناس ويأخذون الأموال وقتل خلقا من أشرافها، وقرّائها، ووقع شر عظيم، وفساد عريض على ماذكره غير واحد. ووقعوا على النساء حتى قيل ولدت ألف إمرأة من أهل المدينة

بعد وقعة الحرة من غير زوج. وبعد هذه الكوارث هتف هاتف بمكة على أبي قبيس مساء تلك الليلة والناس يسمعون:

والصائمون القانتو	ن أولوا العبادة والصلاح
المهتدون المحسنو	ن السابقون إلى الفلاح
ماذا بواقم والبقيـ	ع من الجحاجحة الصباح
وبقاع يثرب ويحهـ	ن من النوادب والصياح
قتل الجيار بنو الخيا	رذوي المهابة والسماح (١٤)

الثانية...

ماوقع بيد الحجاج بن يوسف سنة ٧٣ هـ، لما بعثه عبدالملك بن مروان إلى أخذ وقبض عبدالله بن الزبير، فالتقى الفريقان في الطائف واقتتلوا قتالا شديدا، وهرب إبن الزبير إلى مكة وتحصن فيها فقصده الحجاج فحاصرها، وحاصر أهل مكة وقد نصب المنجنيق على مكة فوق جبل أبي قبيس، حتى يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك وكان مع الحجاج الحبشة، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقا كثيرا وكان معه خمس مجانيق فألح عليها بالرمي من كل مكان، وحبس عنهم الميرة والماء، فكانوا يشربون من ماء زمزم وجعلت الحجارة تقع في الكعبة وهدّم البيت بقذائفه، فانكسفت الشمس واغبر الفضاء، حتى بدت الكواكب وجرت بهم ريح وزوابع عاصفة من كل جانب. والحجاج يصيح بأصحابه يا أهل الشام ألله ألله في الطاعة، فكانوا يحملون على إبن الزبير حتى يقال انّهم آخذوه في هذه الشدّة، فيشد عليهم إبن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بني شيبة. ثم يكروّن عليه فيشد عليهم، فعل ذلك مرارا وقتل يومئذ جماعة منهم. وقيل: لابن الزبير ألا تكلمهم في الصلح؟ فقال: والله لو وجدوكم في جوف الكعبة لذبحوكم جميعاً، والله لا أسألهم صلحا أبدا.

ولمارموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود، حتى جعلت تعلو أصواتها على صوت المنجنيق، ونزلت صاعقة فأصابت إثنى عشر رجلا، فضعفت عند ذلك قلوبهم عن المحاصرة فلم يزل الحجاج يشجعهم، ويقول: إنّى خبير بهذه البلاد، هذه بروق تهامة ورعودها وصواعقها، وانّ القوم يصيبهم مثل الذّي يصيبكم. وجاءت صاعقة من الغد فقتلت من أصحاب ابن الزبير جماعة كثيرة أيضا، فجعل الحجاج يقول: ألم أقل لكم إنّهم يصابون مثلكم، وأنتم على الطاعة وهم على المخالفة. وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق ويقولون:

مثل الفنيق المزبد	نرمى بها أعواد هذا المسجد

فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته، فتوقف أهل الشام عن الرمي والمحاصرة خطبهم الحجاج، فقال: ويحكم ألم تعلموا أنّ النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم اذا تقبل منهم؟ فلولا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته، فعادوا إلى المحاصرة.

ومازال أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بالأمان، ويتركون إبن الزبير حتى خرج إليه قريب من عشرة آلاف فأمنهم، وقل أصحاب إبن الزبير جداً، حتى خرج إلى الحجاج، حمزة وحبيب إبنا عبدالله بن الزبير، فأخذا لأنفسهما أمانا من الحجاج فأمنهما. ودخل عبدالله بن الزبير على أمّه فشكا إليها خذلان الناس له وخروجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله، وأنه لم يبق معه إلّا اليسير، ولم يبق لهم صبر ساعة والقوم يعطونني ماشئت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم إنّك على حق، وتدعو إلى حق فاصبر عليه فقد قتل أصحابك عليه، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية. و إن كنت تعلم أنك إنّما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك، و إن كنت على حق فما وهن الدين و إلى كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن.

فدنا منها فقبل رأسها، وقال: والله هذا رأيي. ثم قال: والله ماركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني إلى الخروج إلّا الغضب لله أن تستحل حرمته، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أماه فانّي مقتول في يومي هذا، فلايشتد حزنك، وسلمي الأمر إلى الله فإنّ إبنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عمل بفاحشة قط، ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عامل فرضيته، بل أنكرته ولم يكن عندي آثرمن رضى ربّي عزوجل. اللهم إنّي لا أقول هذا تزكية لنفسي. اللهم أنت أعلم بي مني ومن غيري، ولكني أقول ذلك تعزية لأمي لتسلوعني.

فقالت أمّه: إنّي لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدّمتني أو تقدّمتك في نفسي اخرج يابني حتى أنظر ما يصير إليه أمرك، فقال: جزاك الله يا أمه خيرا فلا تدعي الدعاء قبل وبعد. فقالت: لا أدعه أبداً لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق ثم قالت (١٥).

ــ أللهم إنّي قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت، فقابلني في عبدالله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين. ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودّعه واعتنقها ليودّعها ــ وكانت قد أضرت في آخر عمرها ــ فوجدته لابساً درعا من حديد، فقالت: يا بني ما هذا لباس من يريد ما نريد من الشهادة؟ فقال: يا أماه إنّما لبسته لأطيب خاطرك، واسكن قلبك به. فقالت: لا يا بني ولكن إنزعه فنزعه، وجعل يلبس بقية ثيابه، ويتشدّد، وهي تقول: شمر

ثيابك. وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل، وجعلت تذكره بأبيه الزبير، وجدّه أبي بكر، وجدّته صفية بنت عبدالمطلب، وخالته عائشة زوج رسول الله (ص)، وترجيه القدوم عليهما إذا هو قتل شهيدا. ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها.

وكان يخرج من باب المسجد الحرام، وهناك خمسمائة فارس وراجل، فيحمل عليهم فيتفرقون عنه يمينا وشمالا ولا يثبت له أحد وهول يقول:

إنّـي إذا أعـرف يـومـي أصبر　　إذ بعضهـم يعـرف ثم ينـكـر

وكانت أبواب الحرم قد قل من يحرسها من أصحاب إبن الزبير، وكان لأهل حمص حصار الباب الذّي يواجه باب الكعبة. ولأهل دمشق باب بني شيبة. ولأهل الأردن باب الصفا. ولأهل فلسطين باب بني جمح، ولأهل قنسرين باب بني سهم. وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد. وكان الحجاج، وطارق بن عمرو، في ناحية الأبطح، وكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلّا فرّقهم وبدّد شملهم، وهو غيرملبس حتى يخرجهم إلى الأبطح، ثم يصيح لوكان قرني واحداً كفيته، فيقول إبن صفوان: وأهل الشام أيضا، إي والله وألف رجل. ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا ينزعج بذلك، ثم يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه أسد ضارى، حتى جعل الناس يتعجبون من إقدامه وشجاعته. فلما كان ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادي الأولى من هذه السنة، بات إبن الزبير يصلي طول ليلته، ثم جلس فاحتبى بحميلة سيفه فأغفى، ثم انتبه مع الفجر على عادته. ثم قال: أذن يا سعد فأذّن عند المقام وتوضأ ابن الزبير، ثم صلى ركعتي الفجر، ثم اقيمت الصلاة فصلى الفجر. ثم قرأ سورة حرفاً حرفاً، ثم سلم فحمدالله وأثنى عليه، ثم قال: اكشفوا وجوهكم حتى أنظر اليكم فكشفوا وجوههم، وعليهم المعافر، فحرّضهم وحثهم على القتال، والصبر ثم نهض ثم حمل وحملوا حتى كشفوهم إلى الحجون فجاءته آجرة فأصابته في وجهه، فارتعش لها فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه تمثل بقول بعضهم:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا　　ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه. وجاؤا إلى الحجاج فأخبروه (١٦).

وفي رواية وصلب ابن الزبير، بعد قتله منكسا على الثنية اليمنى من الحجون، وبعث رأسه لعبد الملك بن مروان فطيف به في البلدان (١٧).

ولما استولى الحجاج على مكة وفرغ من أمر ابن الزبير، وبعث رأسه مع رؤس جمع من أعيان دولته، إلى الشام عزم على عمارة البيت. في (الكافي) بإسناده عن أبان بن تغلب، قال: لما هدّم الحجاج الكعبة فرق الناس ترابها فلما صاروا إلى بنائها، فأرادوا أن يبنوها

خرجت عليهم حية فمنعت الناس البناء، حتى هربوا فأتوا الحجاج فأخبروه، فخاف أن يكون قد منع بناءها فصعد المنبر، ثم أنشد الناس فقال: أنشدالله عبدا عنده مما ابتلينا به علم لما أخبرنا به، قال: فقام إليه شيخ، فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى. فقال الحجاج: من هو، قال: علي بن الحسين عليهما السلام. فقال: معدن ذلك فبعث إلى علي بن الحسين (ع) فأتاه فأخبره ماكان من منع الله إياه البناء، فقال له علي بن الحسين (ع): يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم، و إسماعيل، فألقيته في الطريق، وانتهبته كأنك ترى إنّه تراث لك إصعد المنبر، وأنشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئا إلّا ردّه. قال: ففعل فأنشد الناس أن لا يبقى منهم أحد عنده شيء إلّا ردّه. قال: فردّوه فلما رأى جمع التراب أتى علي بن الحسين (ع) فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا، قال: فتغيبت عنهم الحية. وحفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد.

قال لهم علي بن الحسين (ع): تنحوا فتنحوا، فدنا منها فغطاها بثوبه ثم بكى، ثم غطاها بالتراب بيد نفسه ثم دعا الفعلة، فقال: ضعوا بناءكم، فوضعوا البناء فلما ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلب فألقى في جوفه فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدراج (١٨).

الثالثة...

ماوقع سنة ٣١٧هـ بيد القرامطة في هذه السنة خرج ركب العراق متوجّهين إلى مكة فوصلوها سالمين، وتوافت الركوب والقوافل هناك من كل مكان وجانب وفج، فما شعروا إلّا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية، فانتهب أموالهم، واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام، وفي جوف الكعبة من الحاج خلقا كبيراً، وهم حول الكعبة مابين مصل وطائف ومشاهد، فدخل أبوسعيد القرمطي بفرسه، وركض بسيفه، وهو سكران ووضع هو وجماعته السيف وقتلوا في المطاف ألفا وسبعمائة، ورموا بهم في بئر زمزم، وقتلوا خارج المسجد أكثر من ثلاثين ألفا، وملؤا بهم الآبار والحفر، ونهبوا الديار وسبوا الصغار، وأخذوا خزانة الكعبة وما فيها، من القناديل والكسوة والباب، وقسم ذلك بين أصحابه. وجلس على باب الكعبة أميرهم، والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام، في الشهر الحرام، في يوم التروية الذّي هو من أشرف الأيام وأنشد:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وافنيهم أنا

فكان الناس يفرّون منهم، فيتعلقون بأستار الكعبة، فلايجدي ذلك منهم شيئا، بل يقتلون وهم على تلك الحالة، ويطوفون فيقتلون في الطواف ورموا القتلى في بئر زمزم، ودفن كثيرا

منهم في أماكنهم من الحرم، وفي المسجد الحرام، ويا حبذا تلك القتلة وتلك الضجة، وذلك المدفن والمكان، ومع هذا لم يغسلوا ولم يكفنوا، ولم يصل عليهم. وهدّم قبة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها عنها، وشققها بين أصحابه، وأمر رجلا أن يرقى إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه، فسقط على أم رأسه، فقد اصيب بسهم جاءه من جبل أبي قبيس فخر ميتاً، وطلع آخر فسقط ميتا، فهابوا، فقال أبوطاهر: اتركوه حتى يأتي صاحبه يعني (المهدى) الذي يزعم إنه منهم، وأراد أخذ المقام فلم يظفر لأن سدنته غيبوه في بعض الشعاب.

ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود فجاءه رجل فضربه بمثقل في يده، وقال: أين الطير الأبابيل؟ أين الحجارةمن سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود، وأخذه حين عادوا إلى بلادهم. وتبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنده وسأله وتشفع إليه أن يرّد الحجر الأسود، ليوضع مكانه وبذل له جميع ماعنده من الأموال، فلم يلتفت إليه فقاتله أمير مكة فقتله القرمطي، وقتل أكثر أهل بيته وأهل مكة وجنده، واستمر ذاهبا إلى بلاده ومعه الحجر، وأموال الحجيج. وصار بذ ندقته يقول:

فلوكان هذا البيت لله ربنا ... لصب علينا النارمن فوقنا صبا

لأنا حججنا حجة جاهلية ... مجللة لم تبق شرقا ولا غربا

وإنّا تركنا بين زمزم والصفا ... جنائز لا تبغي سوى ربّها ربا

ويقال: أن عسكره كان سبعمائة نفس، فلم يطق أحد ردّه خذلانا من الله تعالى، وحمل الحجر الأسود معه يريد أن يحوّل الحج إلى بيت بناه في هجر.

ولما ظهر عبيدالله المهدي أول الخلفاء الفاطميين، خطب بأسمه القرمطي، وكتب إليه بذلك، فأجابه عبيدالله المهدي بكتاب جاء فيه:

ــ إنّ أعجب العجب إرسالك بكتبك إلينا ممتنا بما ارتكبت في بلدالله الأمين، من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذي لم يزل محترماً في الجاهلية والاسلام. وسفكت فيها دماء المسلمين، وفتكت بالحجاج، والمعتمرين، وتجرأت على بيت الله تعالى، وقلعت الحجر الأسود الذي هو يمين الله في أرضه يصافح به عباده، وحملته إلى منزلك، ورجوت أن أشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله، والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده، وقدّم في يومه ما ينجوبه في غده ــ.

فلما وصل الكتاب إلى القرمطي، إنحرف عن طاعته، وبعد عودة القرمطي إلي بلاده (هجر) رماه الله في جسده حتى قطعت أوصاله، وتناثر الدود، من لحمه، وطال عذابه. واستمر الحجر عندهم نحو اثنتين وعشرين سنة طمعاً، أن يتحوّل الحج إلى بلدهم، وبذل لهم

مدير الخلافة خمسين ألف دينار في ردّ الحجر فأبوا. وكذلك* أرسل المنصور بالله الفاطمي بن القائم بن المهدي، إلى أحمد بن سعيد القرمطي أخى طاهر، بخمسين ألف دينار ليرّده فلم يفعل. ولما أيست القرامطة من تحويل الحج إلى بلادهم، ردّوه وجاؤا به إلى الكوفة وعلقوه على الاسطوانة السابعة من أساطين الجامع. وفي هذا العمل تصديق لما روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام في مغيباته من التنبؤ بذلك، فقد روى أئمة الحديث عنه (ع) إنّه قال، ذات يوم بالكوفة: لا بد أن يسلب الحجرالأسود في هذه السارية. وأومى إلى السارية السابعة. ثم حملوه من الكوفة إلى مكة وردّوه إلى موضعه. وحملوه على جمل هزيل فسمن، ولما ذهبوا به إلى بلادهم مات تحته أربعون جملا، وقالوا: أخذناه بأمرو رددناه بأمر.

وقد استوفى التاريخ ماكان للقرامطة من كوارث، وسيطرة وتغلب على البلاد، من الكوفة، والبصرة، والبحرين إلى أن اذهب الله تعالى، بشرّهم وفسادهم عن البلاد عام ٣٧٢ هـ (١٩).

ما أشبه الليلة بالبارحة:

الأحداث والكوارث الدامية التي إجتاحت مكة، وانتابت زوارها، لم تكن بخافية على أحد، و إنّها قضايا ثابتة ودائمة وباقية على صفحات التأريخ... تتداولها الأجيال جيلا بعد جيل، وقد يستغرب الباحث والقارئ لتلكم المحن والمجاذر، ولا يكاد يصدّقها ويتقبلها، لأنها أعمال وحشية وهمجية بعيدة عن البشريّة والإنسانية فلا يمكن تصوّرها وتخيلها، بالإضافة إلى وقوعها وتحقق جانب من جوانبها الأليمة... عشرات الالآف من الزوار إجتمعوا من كل صوب وحدب، وجهة وبلدة وطائفة وقبيلة وحاضرة وبادية، يوم التروية في المسجد الحرام، في الشهر الحرام... لأداء مناسك الحج، فتداهمهم القرامطة بالسيوف والبغي والعبث والشر، وتفاجئهم بالموت والعذاب المرير، وتميط اللثام وتكشف القناع من أسرارهم، ونواياهم الخبيثة المنبعثة عن الكفر والإلحاد والشرك، ليجعلوا أنفسهم عرضة للعن والخزي والسب والعار، وهكذا كانوا فستبقى اللعنات تلاحقهم إلى مادامت الحياة.

فقد يرتاب البعض في صحة هذه الأحداث ويدعها جانباً، ويحسبها مختلقة ويسميها أسطورة... غير أن التاريخ أراد إثباتها و إقرارها، وذلك بأعادتها ثانية بعد أحد عشر قرنا في نفس المكان والموضع، وقد قيل من قبل: (التأريخ يعيد نفسه) فحدث نظيرها في المسجد الحرام... في الشهر الحرام... في يوم التروية... عام ١٤٠٧ هـ. في الوقت الذي كانت قد توجّهت وفود الزائرين والحجاج، إلى بيت الله الحرام داهمتهم أذناب الوهابية المقبورة... وفلول

الإستعمار الصهيوني... وفتحوا عليهم النار، وقابلوهم بالحديد والحجارة، والقناني، وانهالت عليهم الحصاة والآجرّة، من شرفات الفنادق وسطوح المحلات، وردهات البيوتات، والحجاج بمعزل عن كل سلاح، لأنهم ليسوا في ساحات حرب ومعركة، وانّما كانوا متسلحين بقوة الإيمان ومتجندين بعزيمة العقيدة، ومحرمين بملابس العبوديّة والإستكانة لله الواحد الفرد الصمد.

أجل داهمت شرطة العمالة الحقيرة... الحجاج وفتحت عليهم أفواه النيران، والرشاشات والقنابل المسيلة للدموع فكانت النتيجة المئات من الضحايا، والقرابين، والمجروحين، والشهداء الأبرياء، الذين ذهبوا ضحية البطش والبغي، والفساد، والشيطان... ثم عمدت إلى نهب الحجاج وسلبهم، واقتطاف المخدرات واختطاف الحرائر، وسبيهم والتطاول على الأعراض، والنواميس من دون ذمة ولا شرف، ولا حمية ولا كرامة ولا غيرة، وكانوا بفعلتهم الهمجية النكراء هذه أحقر وأذلّ من أهل الجاهلية الطخياء الذّين كانوا يعظمون الحرم، والأشهر الحرم، فلا يعدو بعضهم على بعض فيها، ويلقى الرجل قاتل أخيه وأبيه، فلا يتعرّض إليهم بسوء ولا يقتص منهم إلى أن تنقضى الأشهر الحرم.

ولم يسلم من العدوان، والتطاول، والقتل، والجرح، إلّا الذين هاموا بوجوههم شطر الجبال والأودية والبيداء، مع عدم عرفانهم ومعرفتهم بطرقها وشوارعها وأزقتها ومداخلها ومخارجها، وأمضوا ساعات طويلة مريرة لايعرفون مصيرهم ومسيرهم، ولم يتعرّفوا على أحوال سائر إخوانهم الحجاج، لكل إمريء منهم يومئذ شأن يغنيه.

وحين سكنت حدّة البطش والغضب السعودي... قفل الزوار إلى منازلهم وعادوا إلى مساكنهم بقلوب دامية، وعيون باكية، وأكباد حرّى يشكون إلى الله تعالى ظلم من أطلق على نفسه عنوان (خادم الحرمين) وفتكه وبطشه، وتلاعبه بمقدسات الشريعة... طغام، جفاة، طغاة تمادى فيه عبثه وحمقه وجشعه، وعمالته فبدّل الأمن والطمأنينة والسلامة في الحرمين، إلى الخوف والذعر والإضطراب والختوع.

يا سعد قف في مكة بي ساعة ... نبكي فربّة عبرة تشفي ظما
نبكي نفوس تقى تراق على الظبى ... ظلما وأجسادا تغسلها الدما
نبكي لصرعى في التراب تخالها ... في الليل من فوق البسيطة أنجما
نبكي حرائر هتكت أستارها ... بعد الحجاب فأصبحت مثل الأما
نبكي على النفر الذّين تتابعوا ... نحو المنون معظما فمعظما
نبكي البدور الكاسفات بنورها ... ليل الضلال إذا ضلال أبهما

نفست بهم أرض الحجاز فلم تزل تجنى العظيم وتستفيد الأعظما
ولعت بكسف النيرات فأكسبت شرفا عليه الدهر تحسدها السما
لعبت بهم أيدي الخطوب فاصبحوا نهباً بأيدى الظالمين مقسما
فتراهم فيها كما شاء العدى للسمر ريّا والصوارم مطعما
يا للرجال ولا رجال لهذه الظخيا التي أقوت من الدين الحمى

قد توجد في الأنحاء البربريّة والهمجية التي لا يزال أهلها وسكانها، يجتازون مراحل الوحشية بلد يظلم فيه الناس ويسامون الخسف وأنواع العدوان. ولكنا لوبحثنا في الحواضر المعمورة على بقعة يصاب فيها عبادالله بكل أنواع المظالم والعنف والإستبداد، وسوء المعاملة لم نجدها كذلك في غير الحرمين الشريفين... في مكة المكرمة، حيث بيت الله الحرام، والمدينة الطيبة، حيث مسجد رسول الله (ص) وعاصمة الخلافة الإسلامية.

إنّ الحجاج يغادرون بلادهم ويبتعدون عن موطنهم وأولادهم، ويكابدون الكثير من وعثاء السفر ومتاعب السير، والمواصلات عن طيب نفس، ورضا خاطر ابتغاء للثواب، وطلباً لأداء المناسك وعند وصولهم إلى الحجاز وقبل أن يطؤا أرض الحرمين، ينقض عليهم جلاوزة الحكّام ويسومونه بسوء العذاب، ويعاملونهم معاملة العبيد الأذلاء. وهذه الحالة لم تكن مقصورة وخاصة بوقتنا الحاضر فحسب، وإنّما نجد الحالة هذه حتى في القرون السالفة والأعوام الغابرة، بيد أنها كانت شديدة الوطأة بالنسبة للحجاج الإيرانيين سيا بعد قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية... التي كانت منذ لحظتها الأولى شوكة في عيون الظالمين الجفاة، والحاسدين الطغام.

صحيح أن العمالة تستدعي التخلّي عن كافة القيم، والمثل الإنسانية، ولكنها هل تفرض على العميل التجرّد عن الشرف والحمية والكرامة والغيرة؟ ولعل حكّام السعودية... حين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكرالله... ودفع إليهم بالمخطط العدواني الأثيم... قد تأملوّا عواقبه، وتدّبروا نتائجه القاضية بحياتهم، وتداولوه فيا بينهم، وانتهوا وتوّصلوا إلى نقطة واحدة، هي أن تنفيذ المخطط الصهيوني، وتلويث حرمة البيت الحرام بدماء الحجاج الأبرياء أهون من تنحيتهم عن العرش والكرسى المنهار، فكانوا في الواقع كالباحث عن حتفه بظلفه...

وهنا قد يتسائل البعض، ويقول: قد أحل الله سبحانه بأصحاب الفيل حسبما ذكره في كتابه، ولم يفعلوا بمكة شيئا مما فعله القرامطة في الأمس الغابر، وحكام السعودية في الوقت الحاضر، وأنهم فعلوا بما لم يفعله أحد، فهلا عوجلوا بالعذاب والعقوبة كما عوجل أصحاب

الفيل، والقرامطة..؟ فقد أجيب عن ذلك بأن أصحاب الفيل، إنّما عوقبوا إظهارا لشرف البيت، ولما يراد به من التشريف العظيم، بأرسال النبيّ الكريم من البلد الذي فيه البيت الحرام. فلما أرادوا إهانة هذه البقعة التي يراد تشريفها، و إرسال الرسول منها أهلكهم سريعاً عاجلا، ولم تكن بعد شرائع مقررة، تدّل على فضله فلودخلوه وأخربوه لأنكرت القلوب فضله. وأما القرامطة، وحكام الحجاز فإنّما فعلوا ما فعلوا بعد تقرير الشرائع وتمهيد القواعد، والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة، والكعبة. والجميع يعلم أن هؤلاء قد ألحدوا في الحرم إلحادا بالغا عظيما، بما تبين من كتاب الله وسنة رسوله (ص) لهذا لم يفتقر الحال إلى معاجلتهم بالعقوبة، بل أخرّهم الربّ تعالى ليوم تشخص فيه الأبصار. والله سبحانه يمهل، ويملي، ويستدرج، ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر. كما قال رسول الله (ص): إنّ الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، إنّما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار (٢٠).

* * *



الهامش:

(١) الكافي ٢١٧/٤. شهداء الفضيلة/١٨٩.

(٢) أخبار مكة ٣٩٤/١.

(٣) البداية والنهاية ٣١/٩. أخبار مكة ٣٩٥/١. تاريخ الطبري ٢/٧ حوادث سنة ٨٠ هـ.

(٤) تاريخ الطبري ٣٤٧/٨. المنتقى في أخبار أمّ القرى/٣٠٢.

(٥) مرآة الحرمين ١٩٨/١. أخبار مكة ٣٩٧/١. شذرات الذهب ٢٠/٢.

(٦) مرآة الحرمين ١٩٩/١.

(٧) مروج الذهب ٣٠٧/٤.

(٨) المنتقى في أخبار أمّ القرى / ٣٠١ ــ ٣٠٥.

(٩) سلافة العصر/٦٥. شهداء الفضيلة/١٨٢.

(١٠) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٣٣٩/٤.

(١١) شهداء الفضيلة/١٨٤ ــ ١٨٩. دارالسلام ١١٦/٢.

(١٢) ترجم له في ــ أعيان الشيعة ١٤٠/٣٥. دارالسلام ١١٣/٢. الذريعة ٣٦٢/٢١. رياض العلماء ٣٩٩/٢. شهداء الفضيلة/١٨٠. مستدرك الوسائل ٤١٠/٣. نجوم السماء/٩٧.

(١٣) البداية والنهاية ٢١٧/٨. المنتقى في أخبار أمّ القرى/١٦٨. شهداء الفضيلة/١٩١.

(١٤) البداية والنهاية ٢٢٢/٨.

(١٥) ام عبدالله بن الزبير، هي أسماء بنت أبي بكر ولدت سنة ٢٧ قبل الهجرة، وماتت عام ٧٣ هـ ولها مائة سنة ولم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل.

(١٦) البداية والنهاية ٣٢٩/٨.

(١٧) تاريخ الطبري ٢٠٥/٧. المنتقى في أخبار أمّ القرى/١٧٠.

(١٨) الكافي ٢٢٢/٤. شهداء الفضيلة/١٩٣.

(١٩) البداية والنهاية ١٦٠/١١. شهداء الفضيلة/١٩٤. معجم البلدان ٢٢٤/٢. دائرة معارف فريد وجدي ٧١٣/٧. الإعلام بأعلام بيت الله الحرام/١٦٣ ــ ١٦٧.

(٢٠) سورة ابراهيم/٤٢.



مكة

في مخالب الوهّابية والصهاينة



ألولاة والحكام الذّين تقلدوا إمارة مكة وحكومتها، عبرالقرون الغابرة في الجاهلية، وحتى في العهد الإسلامي المشرق أولوا مكة... وسكنتها وزوارها وشعائرها ومآثرها الرعاية الكاملة، والعناية الفائقة لقدسيتها وعظمتها وجلالتها، وكبريائها المستمدّة من الواحد الأحد الفرد الصمد الذّي لم يلد ولم يكن له كفواً أحد... في المرتبة الأولى، ومن ثم لأنها بيت الله سبحانه الذّي جعله للناس مباركاً فيه آيات بينات، ومن دخله كان آمناً... منذ أن تدرج الإنسان على وجه البسيطة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فهي كما أسلفنا الحديث عنها لا تخص بعهد ولا طائفة ولا قبيلة ولا عشيرة ولا رجال ولاعصابة، و إنّما هي من دون أي تخاصم ومنازعة تتعلق بكافة المسلمين، وأفراد البشريّة على اختلاف لغاتهم، وتباين جنسياتهم، ومللهم. لذلك نجد الخلفاء والملوك في العهود الإسلامية يوفدون ويوّلون عليها حكاماً وولاة متحلئين بسمات الفضيلة والإيمان، والخير والصلاح، والورع والشرف، لكي لا يجعلوا مكة وشعابها كبقية الحواضر والمدن، من كافة الأبعاد والجهات، بل تكون لديهم منزلة رفيعة، تتميز عما سواها في جميع الجوانب، مع غض النظر عن سيرة أفراد حكموا فيها بالقوّة والسيف، وأخذوا سكانها بنوع من العسف إلاّ أن مكثهم وأقامتهم فيها لم تدم، وابدلوا بغيرهم بعد أيام قليلة.

وكيف لا تكون كذلك، وهي مهد الأنبياء والرسل، وكهف الأئمة والأوصياء، وملجأ العاكفين والراكعين والساجدين، وقد أوجب الله سبحانه حجها وزيارتها فرضاً لمن استطاع إليها سبيلا... بعد أن جعل في التوجه إليها في كل ساعة، وشهر، وعام، منافع وخيرات لا تحصى، سواء من الناحية الفردية الخاصة بوجود الإنسان وحده فيندفع بها من مراتع البهائم والفساد، صوب الحقيقة والواقع، ويتحرر من قيود ذلّ الناسوت، واسر الجبت والطاغوت. ويترّفع إلى مجاورة صقع الملكوت، والتخلي من رذائل الأخلاق ودنائتها، والتحلي بشرائف الصفات وفضائلها. وقد شاهدت الكثير الكثير من الشباب والشيوخ المنجرفين في طيات أمواج الفساد، وتيارات الفحشاء، أنهم بعد أن وفقوا إلى حج بيت الله الحرام، وأبصروا آيات الله وعظمته وجبروته. عادوا إلى بلادهم بإيمان كامل، وعقيدة راسخة. وتوجه بالغ للعبوديّة. وبذل المساعي والجهود في تطهير قلوبهم عن إدران المجتمع وأرجاسه، وتهذيب

نفوسهم عن أقذار البيئة والرواسب الدخيلة وانجاسها، مع الإعتراف أنهم قبل توجّههم إلى مكة كانوا تائهين في بيداء الضلال والميوعة فما عليه الآن إلّا أن يصرف جدّه، ويجتهد جهده في استخلاص نفسه عن لصوص القوى الأمارة بالسوء، مادام الإختيار بيده، والفرصة سانحة له اليوم إذ لا تنفعه الندامة والحسرة في غده، ولئلا يقول (ربّ ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنّها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون).[1]

فإذا رجع الإنسان وهو على هذه الحالة الشريفة، والصفة الكريمة، والتوجّه والإقبال إلى الخالق تعالى، فإنّ الله سبحانه مع اليقين سيتوجّه على عبده، ويكلله بالتوفيق ويغدق عليه عنايته ورحمته وبركاته، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وكلما تقرّب العبد إزدادت نعم الله سبحانه عليه، واكتنفته الإمدادات المعنويّة، وغدى من ذوي الكرامات، وخرق العادات، والسر في ذلك أن النفس كلما إزدادت يقيناً ازدادت تجرداً فتحصل لها ملكة التصرّف في موارد الكائنات. وإلى هذا يشير الإمام أبوعبدالله الصادق عليه السلام في قوله: ــ اليقين يوصل العبد إلى كل حال سني ومقام عجيب ــ.

هذه المرحلة يمكن الوقوف عليها واستحصالها إذا لم يلتفت العبد في أعماله بغيرالله سبحانه، ولا يكون إتكاله في مقاصده إلّا عليه، ولا ثقته في مطالبه إلّا به فيتبرى عن كل حول وقوّة، سوى حول الله وقوّته، ولا يرى لنفسه ولا لأبناء جنسه قدرة ومناعة على شيء ولا منشأية لأثر. ويعلم أن ما يرد عليه منه تعالى، وما قدّر له وعليه من الخير والشر سيساق إليه، فتستوى عنده حالة الوجود، والعدم، والزيادة والنقصان، والمدح والذّم، والفقر، والغنى، والصحة، والمرض، والعز، والذّل، ولم يكن له خوف ورجاء إلّا منه تعالى، والسر فيه إنه يرى الأشياء كلها من عين واحدة هو مسبب الأسباب، ولا يلتفت إلى الوسائط بل يراها مسخرّة تحت حكمه. وقد أشار الإمام أبوعبدالله الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى، فقال: من ضعف يقينه تعلق بالأسباب، ورخص لنفسه بذلك، واتبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة، والسعى في أمور الدنيا، وجمعها وامساكها، مقراً باللسان أنه لا مانع ولا معطى إلّا الله، وأن العبد لا يصيب إلّا ما رزق وقسم له، والجهد لا يزيد في الرزق، وينكر ذلك بفعله وقلبه. قال الله سبحانه: (**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون**)[2].

وقال عليه السلام: ــ ليس شيء إلّا وله حد، قيل: فما حد التوكل؟ قال: اليقين. قيل: فما حد اليقين؟ قال: ألا تخاف مع الله شيئاً ــ.

وقال أيضا عليه السلام: ــ من صحة يقين المرء المسلم ألا يرضى الناس بسخط الله، ولا يلومهم على مالم يؤته الله فإنّ الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا تردّه كراهية كاره، ولو

أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت ـ .

فإذا كان العبد في جميع الأحوال خاضعاً لله سبحانه، خاشعا منه قائماً بوظائف خدمته في السر والعلانية، ومواظباً على العبوديّة وامتثال ما أعطته الشريعة من الفرائض والسنن، متوجّهاً بشراشره إليه، متخضعاً متذللاً بين يديه، معرضاً عما في أيدى الناس وعن جميع ماعداه، مفرغاً قلبه عما سواه، منصرفاً بفكره إلى جناب قدسه، مستغرقا في لجة حبه وانسه. والسر أن صاحب اليقين عارف بالله وعظمته وقدرته، وبأن الله تعالى مشاهد لأعماله، وأفعاله، وحركاته، وسكناته، مطلع على خفايا ضميره وهواجس خاطره و إن (من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره (٣) فيكون دائما في مقام الشهود لديه والحضور بين يديه، فلا ينفك لحظة عن الحياء، والخجل، والإشتغال، بوظائف الأدب، والخدمة ويكون حينئذ سعيه في تخلية باطنه عن الرذائل، وتحليته بالفضائل، والقيم الرفيعة، لعين الله الكالئة أشد من تزيين ظاهره لأبناء نوعه.

هذا وقد ذكر الله منافع زيارة بيته الحرام، وأكد على خيراتها الوافرة في عدة آيات منها قوله:

(وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله). (٤)

و (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق. ولكل امة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله). (٥)

فقد ذهب أكثر المفسرون أن المنافع هنا اطلقت ولم تتقيد بالدنيويّة أو الاخرويّة لأن المنافع نوعان:

منافع دنيويّة، وهي التي تتقدم بها حياة الإنسان الإجتماعية، ويصفو بها العيش وترفع بها الحوائج المتنوعة، وتكمل بها النواقص المختلفة، من أنواع التجارة، والسياسة، والولاية، والتدبير، وأقسام الرسوم، والآداب، والسنن، والعادات، وشتى التعاونات، والتعاضدات الإجتماعية وغيرها.

فإذا اجتمعت أقوام وأمم وشعوب، من مختلف الحواضر والأقطار على ما هم عليه من تباين الأنساب، والألوان، والسنن والرسوم والدساتير، ثم تعارفوا بينهم وتداولوا الحديث والبحث حول مشاكلهم وقضاياهم على الصعيدين الإسلامي والوطني، لا شك أن الحالة هذه تحملهم على إتحاد الأرواح، وتقارب الأشباح، ووحدة القول على تشابه الفعل، فأخذ هذا من ذاك ما يرتضيه، وأعطاه ما يرضيه، واستعان قوم بآخرين في حل مشاكلهم، وأعانوهم بما في

مقدرتهم فيبدل كل مجتمع جزئي مجتمعاً أرقى، ثم امتزجت المجتمعات فكونّت مجتمعاً قوياً وسيعاً له من القوّة والعدة مالا تقوم له الجبال الرواسي، ولا تقوى عليه أي قوة جبارة طاحنة، ولا وسيلة إلى حل مشكلات الحياة كالتعاضد، ولا سبيل إلى التعاضد والتضامن والتكتل، كالتفاهم، ولا تفاهم كتفاهم الدين، وعلى صعيده الركين.

وبعبارة أوضح أن أصحاب السلطة ورجال الامة، وقادة الشعب في المسلمين إذا أرادوا أن يستخدموا الحج في إحداث الوحدة الإسلامية، وعرض مشاكلهم على الصعيد الدولي لنجحوا فإنّ اجتماع عشرات الألوف من الوفود في صعيد واحد، من كافة أقطار الأرض واتجاه قلوبهم وآذانهم في ذلك الموقف المهيب لكل ما يلقى اليهم يستوجب أن يتأثر الكل بروح واحدة، سيا إذا دعوا إلى ما فيه خيرالمسلمين وسعادتهم، فإذا رجعوا لأقطارهم وبلادهم وتشعبوا في قراهم وأمصارهم، أذاعوا ما تعلموه بين ذويهم، وكانوا لهم كأعضاء مؤتمر عام يضم من جميع الأجناس والأجيال، يجتمع أعضاؤه في كل سنة مرّة فأي أثر تقدره لذلك الحادث الجلل في حياة هذه الامة الضخمة، وأية نتائج جليلة ومثمرة ترجوها منه؟ إذا سوعد نهوض هذه الامة من رقدتها، فسيكون الحج من أكبر عواملها، ولا يسبقن فكرك أن الامم الأجنبية المحتلة لبعض بلاد المسلمين تمنع رعاياها عن الحج إذ ذاك فإنّ حركة الحياة لودبّت في الامم فلا يستطيع أن يوقفها شيء، ولله الأمر من قبل ومن بعد. (٦)

أما المنافع الاخروية، وهي وجوه التقرّب إلى الله تعالى، بما يمثل عبودية الإنسان من قول وفعل، وعمل الحج بماله من المناسك يتضمن أنواع العبادات، من التوجّه إلى الله وترك لذائذ الحياة، وشواغل العيش والسعي إليه بتحمل المشاق والطواف حول بيته والصلاة، والتضحية، والإنفاق والصيام وغيرذلك.

إنّ إتيان الناس إلى مكة وحضورهم عند البيت لزيارته، يستعقب شهودهم هذه المنافع أخرويها ودنيويها، و إذا شهدوها تعلقوا بها لأن الإنسان مجبول على حب النفع.

والواقع الذي ينبغى القول به وليس في الحق مغضبة... أن الحج بكامل أركانه، وجزئياته، ومراسمه، وطقوسه، لم يكن غيرمؤتمر متجوّل وصعيد عالمي، يجتمع فيه المسلمون كل عام في أيام معينة، لا للعبادة والعبوديّة فحسب، لأن هذه العبوديّة قد تتأتى بها في كل مكان وزمان، من دون أن يفتقر الإنسان بها إلى قطع المسافات الطويلة المتعبة والمنازل الوعرة المرهقة... و إنّما يتحمل الإنسان المشاق، والمصاعب، لتحقيق أهداف عالية، ومقاصد سامية، دنيويّة ودينية، لا يمكن تحققها إلّا في ذلك المؤتمر العام، والمجتمع الأخويّ الصادق الذي تتجلى فيه عظمة المسلمين، وتضامنهم وشخصيتهم، وتعاضدهم، ووحدتهم، واتحادّهم

المتين، واجتماع كلمتهم في التوحيد، والنبوّة، والقبلة، والكتاب، والتشريع الإسلامي المقدّس... ومن ثم الإستعانة من الله تعالى في حل المشاكل والعقد التي تشد الخناق على المسلمين في شرق الأرض وغربها، في كل فترة وزمان ومكان. والتعارف والتفاهم وتبادل الزيارات التي تتحقق بها معنى الآية الكريمة: **(يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عندالله أتقاكم إنّ الله عليم خبير)** (٧) ففرّق الله سبحانه أنساب الناس ليتعارفوا، لا ليتفاخروا فيعرف بعضهم بعضاً بنسبه وأبيه وقومه ولولا ذلك لفسدت المعاملات، وخربت الدنيا، ولما أمكن نقل حديث.

وقد ذكر المفسّرون أن الآية مسوقة لنفي التفاخر بالأنساب، وعليه فالمراد بقوله: ـ من ذكر وأنثى ـ آدم وحواء. والمعنى أنا خلقناكم من أب وام تشتركون جميعاً فيهما، من غير فرق بين الأبيض، والأسود، والعربي، والعجمي، وجعلناكم شعوباً وقبائل مختلفة لا لكرامة لبعضكم على بعض، و إنّما لأن تتعارفوا فيعرف بعضكم بعضاً، ويتم بذلك أمر إجتماعكم فيستقيم مواصلاتكم، ومعاملاتكم، فلو فرضنا ارتفاع المعرفة من بين الأفراد، إنفصم عقد الإجتماع، وبادت البشريّة ولم يثق أحد بآخر فيتلا شى المجتمع...

أجل إنّ المسلمين خلال أيام الحج القصيرة، يتمكنون من القيام بأعمال حيويّة وجهود موّفقة كبيرة مثمرة، من اظهار رسالتهم، ونشر الخير والصلاح، والاخوة وبث التعاليم الإسلامية بين الحجاج، وتبيان عوامل يقظتهم، ووثبتهم، وانتفاضتهم الظافرة، والتحدّث عن المراحل الشاذة والعواصف الهوجاء الدخيلة العارمة التي تنتاب أقطارهم، وأخيراً توجيه المشاعر والانظار، والأفكار العامة العالمية، نحو المشاكل والعقبات التي تختلقها الطغاة والمفسدون، وتضعها أمام سير عجلة زحفهم المنتصر بحول الله وقوّته... بعد أن إختارالله لهم التحرر والثورة كرامة لهم.

إنّ الشعب الإيراني المثابر، والمناضل، والمجاهد في سبيل رسالته التحرّرية الإسلامية، إستطاع أن ينفث روح اليقظة والتحرّك والإنطلاق في جسم الشعوب المسلمة المتآخية من هذا السبيل، ويدفعهم إلى الوثبة والثورة ضد الطغاة والمفسدين، خلال السنوات الأخيرة فقد تكلم، وتحدث خلال مواسم الحج للمسلمين، عن أهداف صرخاته الإنقلابية، ومقاصد رسالته الثوريّة بكل حكمة، وتدبر، وسياسة، وواصل نهجه هذا في كل عام فكانت النتيجة مثمرة ومنافعها يانعة، وتبلورت في النفوس بحيث لا تجد قطراً إسلامياً أو عربياً إلّا وفيه يقظة ونارًا وتحركاً ضد العملاء وأذناب الإستعمار... وتكتلا وتضامناً وثيقا بين أقشار الشعب المتطلع إلى شواطيء التحرر والإستقلال والتقدم والإزدهار، بعد أن تغلغلت الاخوة،

والتضامن، والعقيدة أعماق القلوب كما كان المسلمون عليه عند فجرالإسلام، حين ظهر التشريع الإسلامي على يد المشرّع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وجاء لهذا المجتمع البدويّ العقيدة التي فتحت عقول أبنائه ونفوسهم على قيم جديدة، غير القِيَم الجاهلية التي كانوا عليها... وعندما هداهم إلى نظرة للكون و إلى حياة الدنيا والآخرة، غير نظرتهم الجاهلية التقليدية، ففجرّ إمكاناتهم الهائلة تفجيراً، وحدّهم بعد طول شتات، وبدلّ من نظمهم الإجتماعية والسياسية، وجعل منهم إخوة متساوين لا يفضل الواحد منهم الآخر، إلّا بمقدار ما يمتاز عليه من وعي للعقيدة وتمسك بها، واتباع لأحكامها في حياته وتصرفاته، وعلاقاته مع الآخرين.

هذا وكما شملت الثورة الإيرانية المظفرة كافة نواحي حياة الشعب الفردية والإجتماعية، وأخرجتها من صبغتها الإستعمارية، وحررتها من قيود الأسر، وكابوس الإستعباد أحذت قضية الحج تتحرك وتتطلع أيضاً إلى عالم وصعيد جديد، وتحتل الصدارة وتأتي في الرعيل الأول من معطيات الثورة الإسلامية، وانتقلت من شكلها الضيق المحدود، وطابعها القديم إلى عالم القوّة والمناعة، والحيويّة، والتجدد، والنمو من ناحية الإتجاه والدعوة والجهاد والنضال، لئلا تقتصر الثورة بمعطياتها للشعب الإيراني فحسب، بل تتجاوز وتعم أرجاء شبه الجزيرة، وتتسرّب إلى البلاد المجاورة، وتتنعم بخيراتها الشعوب الإسلامية، وتسير على مناهجها وتتقدّم على هداها، وتستفيد من آثار وقيم ثورتها الشعبية.

ولم يكن التطلع والتحوّل الحادث في قضية الحج بشيء جديد في سياسة الجمهورية الإيرانية الإسلامية... و إنّما كان يخالج فكرة قائدها العظيم، منذ سنين وكان من بين سلسلة مشاريعه المتطورّة وأعماله وأهدافه التحرريّة، وخطواته المظفرة الناجعة، إذ كان يبعث بصرخاته المدويّة القامعة للإستعمار والعملاء، وبنداءاته العارمة والمدمّرة لعروش الطغاة والظالمين، في كل مواسم الحج، لتتلى على الحجاج المسلمين، وتلقى على مسامعهم عسى أن تتيقظ ضمائرهم وتتوقد نيران عزائمهم، ويستنهض فيهم الوعي السياسي، والحمية والغيرة الإسلامية، ويقدموا على مافيه صلاحهم وخيرهم وانتصارهم وشرفهم وكرامتهم في الدارين... لأن الإستسلام للإستعمار والشياطين، والرضوخ إلى الذلّ والهوان أحلام وهمية لا تجلب لهم شيئاً من الشرف والكرامة، دون أن تدفع بهم إلى شفير الهاوية، ومهابط الهلكة والشقوة والدمار.. والشرف الحقيقي، والعز الواقعي، هو الذي يوصل الإنسان إلى سعادته الحقيقية، وهو حياة النضال والكفاح والجهاد في سبيل العقيدة والنظام والتشريع الإسلامى، وهي الوسيلة الفذة والطريقة الوحيدة المؤدية الموصلة إلى سعادة الدار الآخرة وتتبعها سعادة

الدنيا.

إنّ قائد الثورة... وعملاق الإنقلاب... لم يكتف بتنظيم الخطابات وتحبير النداءات، بل نقلها وحوّلها إلى واقع محسوس فحوّل مجتمع إيران، من الجمود، والذلّ، والفساد، والتخلف، والفقر، والجهل إلى شعب علمه معنى المواطنة والإستقرار والإنطلاق والسيادة والكرامة، وأشاع بينهم روح المعرفة، وطلب العلم والفضيلة فكان بعمله الضخم هذا عمل تبديل مفاهيم مجتمع بأسره، ونقله من طور شديد التخلف إلى طور جديد، أكثر تقدماً وأعلى مستوى في سلم الحضارة البشريّة... وكانت ثورته وانتفاضته أعظم خطوة تحرريّة تقدمية، وعميقة عرفته الوطن الإسلامي الكبير في القرن الرابع عشر الهجري.

لقد وضع نواة مجتمع جديد... وساعد الثورات الوطنية الإسلامية في كل بلد إسلامي وعربي... ورعى حركات التحرر والإستقلال... وناهض الإستعمار ونازل الصهيونية... ونادى بالتضامن والتعاون الإسلامي.

ففي ذي الحجة عام ١٣٩٠ هـ، أوفد من النجف الأشرف بأوّل ندائه وخطابه الكريم، الداعي إلى مناهضة الإستعمار وتطهير الأراضي المقدسة، وتخليص الحرمين الشريفين، من جراثيم الوهابية المقيتة، والصهاينة العميلة المقبورة، و إليك نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة حجاج بيت الله الحرام أيدّهم الله تعالى

بعد السلام و وافر التحيات...

أليوم حيث نشبت براثن الإستعمار الخبيثة، بسبب تهاون وتساهل الشعوب الإسلامية في أعماق الأرض المترامية لأمة القرآن، لتنهب جميع الثروات الوطنية، والخيرات الطائلة، ولتنشر الثقافة الإستعمارية المسمومة في أعماق قرى وأرياف العالم الإسلامي، ولتقضى على ثقافة القرآن، وتجند الشباب أفواجا في خدمة الأجانب والمستعمرين، وتطلع علينا كل يوم بنغمة جديدة، وبأسماء خادعة تضلل بها شبابنا (في مثل هذه الظروف) عليكم يا أبناء الامة الأعزاء المجتمعين لأداء مناسك الحج في أرض الوحي هذه أن تستثمروا الفرصة وتفكروا في الحل.

تبادلوا وجهات النظر، وتعاونوا وتدارسوا في حلّ مسائل المسلمين المستعصية.

إعلموا أن هذا الإجتماع الكبير الذّي يعقد سنوياً بأمرالله تعالى، على هذه الأرض المقدسة يفرض عليكم أنتم المسلمين أن تبذلوا الجهود في تحقيق الأهداف الإسلامية المقدّسة، ومقاصد الشريعة المطهرّة الرفيعة، وفي سبيل تقدّم المسلمين، واتحاد المجتمع الإسلامي

وتلاحمه.

لتشترك أفكاركم وعزائمكم في طريق الإستقلال، واقتلاع جذور سرطان الإستعمار.

إنصتوا إلى مشاكل الشعوب المسلمة من لسان أهل كل بلد... ولا تؤلوا جهداً في اتخاذ أي إجراء لحل مشاكلهم.

تدارسوا أمر الفقراء والمساكين في العالم الإسلامي.

إبحثوا عن الطرق المؤدّية لتحرير أرض فلسطين الإسلامية من براثن الصهيونية، العدوّة اللدودة للإسلام والإنسانية.

لا تغفلوا عن مساعدة الرجال المجاهدين الذّين يناضلون من أجل تحرير فلسطين، ومن تقديم المساعدات إليهم.

على العلماء المساهمين في هذا الإجتماع من أي بلد كانوا أن يصدروا بعد تبادل وجهات النظر بيانات مستدلة في إيقاظ المسلمين، وأن يوزعوها في مهبط الوحي بين أبناء الامة الإسلامية، ومن ثم ينشروها في بلدانهم حين عودتهم إليها. وعليهم أن يطالبوا زعماء البلدان الإسلامية بوضع الإسلام نصب أعينهم، ويتجنبوا الإختلافات ويبحثوا عن علاج يؤدّي للتخلص من مخالب الإستعمار.

إنّ قادة البلدان الإسلامية إذا كفوا عن الإختلافات الداخلية، والنزعات الشخصية، وتفهموا أهداف الإسلام السامية، واتجهوا نحو الإسلام لما أصبحوا بهذه الحالة اسرى ذليلين بيد الإستعمار.. إنّ اختلافات زعماء البلدان الإسلامية هي التي خلقت مشكلة فلسطين، وتحول دون حلها... ولو أن سبعمائة مليون مسلم برقعتهم الأرضية المترامية الأطراف كانوا يمتلكون وعياً سياسياً، وكانوا متحدين متماسكين ومتضامنين في صف واحد لما تمكنت الدول الإستعمارية الكبرى أن تنفذ إلى بلدانهم، فما بالك بحفنة من اليهود من عملاء الإستعمار.

في هذا الإجتماع الكبير الحج الذّي ينبغي أن يستثمر لصالح الإسلام والمسلمين، يرى كثيراً مع الاسف أن بعض الأقلام المأجورة لعملاء الإستعمار، تنشر في مركز الوحي لسنوات أوراقاً باسم (الخطوط العريضة) وأمثالها للتفرقة بين صفوف المسلمين، خلافاً لمقاصد صاحب الوحي، وتساعد على ذلك المستعمرون، وتستهدف عن طريق الكذب والإفتراء أن تفصل ما يقارب من مائة وخمسين مليون مسلم عن صفوف المسلمين. إنّه لمن العجيب أن تسمح حكومة الحجاز بنشر هذه الأوراق المضللة في عاصمة الوحي.

على الشعوب الإسلامية تجنب مثل هذه الكتب والنشرات الإستعمارية المفرّقة.

وطرد هؤلاء الأشخاص المعارضين لوحدة المسلمين. وفى هذا الإجتماع المقدّس للحج عليهم أن يتبادلوا وجهات النظر في القضايا الإسلامية الأساسية أوّلا، وفي المسائل المتعلقة للحواضر الإسلامية ثانياً. وأن يروا ما يعانيه المسلمون داخل بلدانهم على يد الإستعمار وأذنابه.

وعلى أهالي كل بلد أن يشرحوا في هذا الإجتماع المقدّس مشاكل شعبهم للمسلمين.

وأنا بحكم الواجب أشير إلى جانب من مشاكل الشعب الإيرانى المظلوم، ليعلم مسلموا العالم ما يحل بالشعب المنكوب لهذا البلد الإسلامي.

إنّ آثار الإستعمار المشؤومة في هذا البلد مشهودة أكثر من سائر البلدان الاخرى.

إسرائيل عدوّة الإسلام والمسلمين اللدودة التي تحارب منذ أمد الشعوب الإسلامية، ولها عن طريق حكومة إيران الخبيثة... يد في جميع الشؤون الإقتصادية والعسكرية، والسياسية. ويجب القول أن إيران أصبحت قاعدة عسكرية لأسرائيل بل في الحقيقة لأمريكا.

والأجانب في هذا البلد يتمتعون بصيانة تامة، لكن العلماء والباحثين والأساتذة وبقية الفئات غير مصونين من أي ظلم وتطاول.

والتجار المحترمون يعلنون إفلاسهم تباعاً، والجهاز الحاكم يشدّد الخناق بكل قوّة على هذا الشعب المظلوم.

يسود الإضطهاد والسجن وتعسف القرون الوسطى.

وباسم كتائب التعليم، وكتائب الصحة، وغيرها من الأسماء الخادعة يجرى تنفيذ الأهداف الإستعمارية المشؤومة مقروناً بنشر الفحشاء في أعماق القرى والأرياف.

ومحاربة العلم والثقافة مستمرة بشدّة، وتستهدف أن تبقى الشعب البائس متخلفاً بأمر المستعمرين.

يتظاهرون أنهم مسلمون، ثم يشمرّون عن ساعد الجد باسم الإسلام للقضاء على الإسلام، و إبادة أحكام القرآن المقدّسة واحداً بعد آخر.

العلماء الأعلام، وطلبة العلوم الدينية يرسفون تحت ضغط عملاء الإستعمار.

يريدون أن يسيطروا على مدارس العلوم الدينية والمساجد، والمحافل الإسلامية، وقد نفذوا مقداراًمن هذا البرنامج. بحجج واهية، يهجمون على الجماعات، ويسوقون الشباب الأطياب من الجامعة إلى السجن والمعسكر. الحوادث الأخيرة في جامعات إيران، والهجوم الوحشي الشرس الذّي شنه الجهاز الحاكم المتجبر على الطلبة، قد جعلنا متأثرين جداً، وهذا الاسلوب اللاإنساني نموذج آخر من مخطط الإستعمار لقمع الجامعات والطلبة. إنّني أستنكر بشدّة هذه الأعمال المغولية المتخلفة. ولي ثقة أن الطلبة الغيارى الأوفياء لوطنهم سوف لا يتراجعون ولا يستسلمون أبداً.

هذه الثورة الدموية المخزية المسماة بالبيضاء التي أزهقت في يوم واحد بالدبابات والرشاشات أرواح خمسة عشر ألف مسلم. كما هو المعروف قد جعلت حياة الشعب أكثر ضنكا. وأبادت أكثر حياة الفلاحين والمزارعين المقهورين. واليوم تفتقد كثيراً من المدن، وأكثر القرى المستوصف والطبيب والدواء، وليس فيها مدرسة ولا حمام ولا ماء شرب سالم. وحسب اعتراف بعض المطبوعات، يؤخذ الأطفال الأبرياء إلى الإعتلاف من شدة الجوع. بينما ينفق الجهاز المتجبر مئات ملايين التومانات من ثروات هذا البلد على إقامة الإحتفالات المخزية... إحتفالات ميلاد هذا وذاك... ومهرجان مرور خمس وعشرين سنة على السلطنة... واحتفال التتويج... وأفظع من كل ذلك الإحتفال المنحوس لمرور ألفين وخمسمائة عام على الشاهنشاهية الذّي يعلم الله ماجرّه على الشعب من مصائب وويلات. وماوفره من وسيلة للنهب والسلب لا ذناب الإستعمار. الميزانية الضخمة الطائلة التي أنفقت على هذا الأمر التافه لو انفقت لإشباع البطون الجائعة وتوفير مستلزمات حياة البائسين، لقللت إلى حد ما من مصائبنا، لكن روح الإستغلال والإستبداد لا تدعهم يفكرون بالشعب. ألجهاز الحاكم المتجبر ينفق أموال الشعب للإحتفال و إقامة الزينة للملوك الإيرانيين الذين سحقوا الشعوب في كل عصر ببطشهم العسكري. وكانوا دوماً أعداء المذاهب الحقة. وناصبوا العداء الشديد للإسلام ومزقوا الرسالة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. هؤلاء الملوك الذين نشاهد بأعيننا نماذج منهم في عصرنا الراهن. لتعلم الدنيا أن هذه الإحتفالات وهذا البذخ لا ارتباط له بالشعب المسلم الإيرانى الشريف... القائمون بأمر هذه الإحتفالات والمشاركون فيها خائنون بالإسلام وبالشعب الإيراني.

أنا أشد على يد عامة أبناء الامة الإسلامية وأحرار العالم على طريق قطع جذور الإستعمار والمستعمرين، واستقلال البلدان الإسلامية وتحطيم قيود الاسر. وأسأل الله تعالى أن يدفع عنا شر الأنظمة المتجبرة وأذناب الإستعمار القذرين. وأسأله أن يتقبل منكم أعمالكم ومناسككم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

روح الله الموسوي الخميني

واستمرت النداءات والصيحات هذه في كل عام إلى أن كان البيان التاريخي الهام الذّي وجهه في ذي الحجة ١٤٠٧ هـ، كما جاء نصه في الصفحات السالفة، وتبلورت تلكم الخطابات والصرخات، وتفاعلت في أعماق الناشئة فاندفعت بقوّة الإيمان، وعزيمة العقيدة تشق أمواج الفتن والفساد، وتيارات الظلم والبغي، للقيام بالإنتفاضة والوثبة الإجتماعية وراح الجيل المعاصر، يصارع الطوفان ويقارع الزوابع الإستعمارية الدخيلة إلى أن يحقق

الله تعالى على يديه النصر والإنتصار للشعب المسلم الصامد المثابر.

إنّ آثار الإنتفاضات والوثبات الإجتماعية، في كل دور لا تظهر واضحة وجلية على الجيل المعاصر لها ممن استكملوا بناء شخصياتهم، وتقدمت بهم سنوات العمر. وإنّما تنعكس معطياتها بشكل جيد على الجيل الناشيء الجديد، فالكبار الذين ولد وا في ظل الحكم والواقع الفاسد، ونشأوا وعاشوا وترعرعوا في أجوائه وآفاقه، وتكاملت شخصياتهم من خلاله لا يمكنهم الإستجابة الفوريّة والمطلقة لمشاريع التغيير والتديل، ونداءات الثورة والتحرر إلّا من امتلك وعياً صادقاً وإرادة متينة أو إيماناً للعقيدة أو تديناً مخلصاً، لم يكن بينه وبين النظام الفاسد تجاوباً روحياً.

بالإضافة إلى هذه العوامل فإنّ جيل الكبار والشيوخ، لهم من المصالح والمنافع والإرتباطات مع الواقع الفاسد، ما يجعلهم يحسبون حساباً لحمايتها، وحفظها بكل قواهم الفردية والإجتماعية في الداخل والخارج، إلّا اللهم الرجال الذّين كانوا بمعزل عن الواقع الفاسد، يعيشون على هامش الحياة لئلا تصيبهم رواسب الفساد والعبث.. أما الشباب المتطلع والناهض بأعباء المستقبل، وهم رجال الغد المشرق، فإنّ علاقتهم بعد لم تتوفق ولم تلتأم وتتجاوب مع هذا الحكم والواقع الذي يعيش فيه، وليست لهم فيه مصالح ومنافع ومراتب يخشون خسارتها ويخافون أضرارها وأذهانهم وقلوبهم فارغة للإستيعاب والتقبل والإنطلاق والتحرر، كما يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في وصيته إلى إبنه الإمام الحسن السبط عليه السلام: (وإنّما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقى فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك) (٨) والمراد أنّ الصبي إذا لم يؤخذ بالآداب في حداثته، ولم ترض قواه لمطاوعة العقل، وموافقته كان بصدد أن يميل به القوى الحيوانية إلى مشتهياتها، وينجذب في قياد هواه إلى الإستعمال بها فيفتنه ويصرفه عن الوجهة الحقيقية، وما ينبغي له فيكون حينئذ كالصعب النفور من الإبل. ووجه التشبيه أنه يعسر حمله على الحق، وجذبه ودفعه إليه كما يعسر قود الجمل الصعب النفور، وتصريفه بحسب المنفعة. ثم نبه عليه السلام على وجوب المبادرة إليه بالأدب وزرعه في قلبه بضمير صغراه قوله: وإنّما قلب الحدث.

فقلب المحدث لما كان خالياً من الإنتفاش بالعقائد، وغيرها مع كونه قابلا لما يلقى إليه من خير وشر فينتقش به أشبه الخالية من النبات والزرع القابلة لما يلقى فيها من البذر. وتقدير الكبرى، وكل قلب كان كذلك فيجب أن يسبق إليه ببذر الآداب، وغرس الحكمة فلذلك بادره الإمام بالأدب قبل أن يقسو قلبه عن الإنقياد للحق والإشتغال بالأمور

الباطلة (٩) وقد قيل في المثل: (الغلام كالطين يقبل الختم مادام رطباً) وقال الشاعر:

إختم وطينك رطب إن قدرت فكم   قد أمكن الختم أقواماً فما ختموا

والمثل المعروف: (العلم في الصغر كالنقش في الحجر وفي الكبر كالخط على الماء (١٠).

هذا ولذلك نجد أن كل الرسالات والمبادئ إنّما تقوم على أكتاف الشباب، فهم الذين يسارعون إلى الإيمان بالأفكار الجديدة، ويستدعون للتضحية في سبيل العقيدة فنبي الله إبراهيم عليه السلام، حينما طرح دعوته التوحيدية في المجتمع، من الذي استجاب له وتجاوب معه؟ إستجابت له مجموعة من الشبان الفقراء كما يحكى عنهم القرآن الكريم، فقال: (فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك إلّا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلّا الذين هم أراذلنا بادى الرأي) (١١) أي أن الذين اتبعوك صغار وشبيبة لم تنضج عقولهم، وآراؤهم ولو فكروا لم يتبعوك.

وهكذا الدعوة المحمديّة، والتشريع الإسلامي، فقد سارع إلى الإيمان برسالة النبيّ الأعظم (ص) جماعة من الشباب والفتيات، بحيث أن شيوخ قريش اتهموا رسول الله (ص) بأنه قد أفسد شبابهم، وصرّحوا بذلك في شكواهم لعمه أبي طالب رضوان الله عليه، فقالوا له: إنّ ابن أخيك قد سب آلهتنا، وسفه أحلامنا، وأفسد شبابنا.

وتأكيداً لهذه الحقيقة الواضحة، يقول الرسول الأعظم (ص): ـ أوصيكم بالشبان خيراً فإنّهم أرقّ أفئدة... إنّ الله بعثني بشيراً ونذيراً، فحالفني الشبان، وخالفني الشيوخ ـ.

فالإنتفاضة الشعبية، والإنقلاب الإيراني الإسلامي التي حدثت في القطر الإيراني عام ١٣٩٨ هـ، رغم أنه ساهم وشاركت فيها كافة الأقشار والطبقات، وكل صنوف الشعب من الرجال، والنساء، والصغار، والكبار، والشيوخ، وكان لكل منهم دوراً فعالاً ناجعاً، وتركت تأثيراتهم على كل أبعاد المجتمع والوطن إلّا أن تفاعل الجيل الناشيء معهم، والتأثير الذي تركته في نفوسهم شيء عظيم بالغ يدعو إلى التفاؤل والأمل المشرق.

ومن أهم مظاهر هذا التأثير، التعبئة والتدعيم الديني والسياسي العارم، من إقبال الشباب منذ بداية العدوان والتحامل الإستعمارى من قبل الزمرة الحاكمة في العراق الجريح... على ساحات القتال، وجبهات المعركة بقوّة وعزم و إرادة ثابتة، وكذلك إهتماماتهم السياسية والإجتماعية والفكريّة والثقافية، يعتبر مكسباً كبيراً تحقق بفضل الإنتفاضة المظفرة... بعد أن كانت الشبيبة هذه تناضل وتكافح وتجاهد في العهد المباد، والواقع الأسود في الأسواق والبيوت والمحلات والشوارع وصفوف المدارس، وعلى مائدة الطعام، وكم حصل في الصفوف الدراسية من نقاش ومواقف سياسية لدى الطلبة، حين فوجأوا المدرسون بأسئلة

معارضة للسلطة، وفي النتيجة أن رفعت القضايا إلى إدارة المدرسة وحكمت الإدارة بفصل الطلبة من المدرسة أو إخراجهم من الكليات.

إنّ السلطة الحاكمة في الأمس الغابر المندثر، كانت تخشى هذا الجيل وتدرك جيداً مدى الخطر الذي يشكله على وجودها، لذلك كانت تضع شتى الخطط، وتمارس مختلف الأساليب لمواجهة إنعكاسات الإنتفاضة على هذا الجيل... ويخشاه الإستعمار، وتخافه أعداء الإسلام والمسلمين، وتهابهم العملاء والأذناب في المنطقة، بحول الله وقوّته.

أنتم متعتم بالسؤدد ... يا شباب اليوم أشياخ الغد
يا شباباً درسوا فاجتهدوا ... لينالوا غاية المجتهد
وعدالله بكم أوطانكم ... ولقد آن نجاز الموعد
أنتم جيل جديد خلقوا ... لعصور مقبلات جدد
كوّنوا الوحدة لا تفسخها ... نزعات الرأي والمعتقد
أنا بايعت على أن لا أرى ... فرقة ها كم على هذا يدي
عقد العالم شتى فاحصروا ... همكم في حلّ تلك العقد
لتكن آمالكم واضعة ... نصب عينيها حياة الأبد
لتعش أفكاركم مبدعة ... دأبها إيجاد مالم تجد
لا ينال الضيم منكم جانباً ... غير ميسور منال الفرقد
أو تحلون وأنتم سادة ... لأعاديكم مكان السيد
ألوفا حفظكم أو رعيكم ... بعد عهدالله عهد البلد
لا تمدوها يداً واهية ... ليد مفرغة في الزرد
تشبه الأرض التي تحمونها ... عبث الأعداء غاب الأسد
دبرّوا الأرواح في أجسادها ... فاق داء الروح داء الجسد
إنّ عقبى العلم من غير هدى ... هذه العقبى التي لم تحمد
من أتانا بالهدى من حيث لم ... يتأدب حائر لم يهتد
غير مجد إن جهلتم قدركم ... عدد العلم وعلم العدد
وإذا لم ترصدوا أحوالكم ... لم تفدكم درجات الرصد
وإذا لم تستقم أخلاقكم ... ذهب العلم ذهاب الزبد
عدّ عنك الروض لا أرتادلى ... غير أخلاق هي الروض الندى
بوركت ناشئة شرقية ... نشأت في ظل هذا المعهد
من جنى من علمه فائدة ... غير من عاش فلم يستفد
ما يرجى ليت شعري والد ... أهمل التعليم عند الولد

سـيـرة الآبـاء فـيـنـا قـدوة   كـل طـفـل بـأبـيـه يـقـتـدي

وحين أدركت العملاء الحاكمة في المنطقة بقوّة النار والحديد، مدى الخطر الذي يتجسد في وجود هذا الجيل وكيان الشباب، اختلقت مناهج ودساتير، وتصريف الملايين لتمييع الشباب وتلهيتهم، و إفسادهم و إشغالهم بالقضايا التافهة، والمسائل غير المجدية والمفيدة، وتوجيه أذهانهم عن المسئووليات الوطنية والدينية والإجتماعية، وطرح الأفكار القشرية والتبريرية، وتشويه سمعة الثائرين، وعناوين المجاهدين، وتلويث رصيدهم الوطني والشعبي، وأخيراً التشكيك في شرعية خطهم الجهادي، وأفكارهم الرسالية الإنسانية.

غير أن الواجب يحتم على المجتمع، والجيل المتصاعد المتطلع إلى شواطئ الحقيقة، والحريّة، والفضيلة، والمعرفة، والدين السعي والإجتهاد في إختراق كافة الحواجز والحدود والسدود التي تضعها الأذناب أمام زحف وركب التحرّك الذي يعين على الإنتفاضة والنهوض والتطوير، شريطة الحفاظ على الإيمان والقيم. فالمجتمع الحريص على العقيدة والقيم والتطوّر، والمتطلع إلى الأفضل لا بد أن يفيد ويستفيد من حكمة الشيوخ، وتجاربهم في الوقت نفسه، ومن توثّب شبابه وتطلعاته، وليس المقصود في البحث أن نضع الشيوخ جانباً لأن المجتمع يتكوّن من هذين العاملين الأساسيين. فكما أن حكمة الشيوخ وتجاربهم الحياتية، وحرصهم على دين المجتمع، وعقيدته وتقاليده، وطقوسه وقيمه، لا يجوز أن يكونوا عائقين للتطوير والوثبة والنهوض، و إنّما كابحين يقيان المجتمع والوطن أخطار الطفرة والقفزة، كذلك فإنّ توثّب الشباب يجب أن يبقى الوقود الذّي يولّد طاقة ومناعة في دفع المجتمع إلى الأمام، والصراط المستقيم، والمهيع الناجع وفق دستور ونظام صحيح مقدّس مشروع... لا اللهب الطائش المعوّج المنحرف الذّي يحرق المجتمع، ويخرجه من جادة الصواب، وصراط العقيدة، ويدمّر ويبيد إيمانه، ويذهب بقيمه ومثله وتقاليده وطقوسه الشريفة.

ومهما يكن من أمر فالحديث في هذا السبيل طويل وكثير، قد لا تستوعبه صفحات الكتاب هذا... إلّا أننا نعود إلى بداية حديثنا لنتابع ونواصل ما تبقى منه، وهو أن الولاة والحكام والأمراء الذين أوفدوا من جانب الخلفاء والملوك إلى الحرمين الشريفين، في العهود الإسلامية، كانوا على الأغلب من رجال الفضيلة والمعرفة والتقوى والخير والصلاح والإيمان والشرف والكرامة... لئلايجعلوا الحرمين وشعابهما، في عداد سائر البلدان والمدن الإسلامية، و إنّما عليهم رعاية مكة والمدينة بعين الإخلاص واليقين والصدق، لا من جانب واحد فحسب بل في كافة الجهات والشئوونات والمسؤوليات بصورة عامة، و إن تقلد ولايتها و إمارتها في بعض الفترات الشاذة بعض الشراذم بقوّة السيف والعسف، غير أن لم تطول حياتهم ومدّتهم،

ولم تمض على حكومتهم أيام قليلة إلّا وابدلوا برجال صالحين، فألقوهم في غيابة النسيان، ومزابل الإهمال.

وهذا الأمر كان مطرداً وسائداً حتى في عهد النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والعهود التي تليته فقد استخلف (ص) على مكة نفراً من خيرة أصحابه، وذلك حين فتح الله سبحانه على رسوله (ص) مكة، وقصد النبيّ (ص) الخروج منها إلى حنين في العشر الأول من شوال سنة ثمان من الهجرة (٨) فذكر المؤرخون أن رسول الله (ص) عند توجهه، إستعمل عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي... أسلم يوم الفتح، وكان صالحاً فاضلا وعمره حين استخلف نيفا وعشرين سنة، وكان شديداً على المريب لينا على المؤمنين، وكان يقول: والله لا أعلم متخلفاً عن هذه الصلاة في جماعة إلّا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عنها إلّا منافق، فقال أهل مكة يا رسول الله (ص)، استعملت على أهل الله أعرابياً جافياً؟ فقال: إنّي رأيت فيما يرى النائم إنه أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقعقعها حتى فتح له ودخل (١٢).

وروى أنه قال: أصبت في عملي الذي استعملني عليه رسول الله (ص) بردين معقدين، كسوتهما غلامي كيسان فلايقولن أحدكم أخذ مني عتاب كذا، فقد رزقني رسول الله (ص) كل يوم درهمين، فلا أشبع الله بطناً لا يشبعه كل يوم درهمان مات على عهد أبي بكر، وقيل: مات يوم مات أبوبكر (١٣).

ولما استعمله يومئذ على مكة قال (ص) لعتاب: أتدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيراً يقولها ثلاثا.

وهناك للمؤرخين نقاش وجدال، حول عتاب بن اسيد، وأنه لم يكن بأوّل من استعمله رسول الله (ص) على مكة، وأنه (ص) حين خرج إلى حنين استخلف معاذ بن جبل ابن عمرو بن أوس بن عابد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن عدي بن بابي بن تميم بن كعب بن سلمة أبوعبدالرحمن الأنصاري الخزرجي، المتوفى بالطاعون في الشام، سنة سبع عشرة أو التي بعدها، الإمام المقدّم في علم الحلال والحرام... قال أبوأدريس الخولاني: كان أبيض الوجه براق الثنايا أكحل العينين. وقال كعب بن مالك: كان شاباً جميلاً سمحاً من خير شباب قومه وشهد المشاهد كلها. أمرّه النبيّ (ص) على اليمن، وقال له لماودعه: ــ حفظك الله من بين يديك، ومن خلفك وعن يمينك، وعن شمالك، ومن فوقك، ومن تحتك، ودرأعنك شرور الإنس والجن.

وقال نوفل بن فروة: إنّا كنا نشبهه بإبراهيم عليه السلام. وقال أبونعيم في حلية

الأولياء: إمام الفقهاء، وكنزالعلماء، شهد العقبة وبدراً والمشاهد، وكان من أفضل شباب الأنصار حلماً وحياء وسخاء، وكان جميلا وسيماً روى عنه الصحابة، لا يسأل الله شيئا إلّا أعطاه. وقيل: أن رسول الله (ص) حين خرج إلى حنين استخلف معاذ بن جبل السلمي الأنصارى على أهل مكة وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين.

هذا ويمكن الجمع بين هذه الأقوال المتضاربة، بأن يكون النبيّ (ص) جعل عتاباً أميراً على مكة، ومعاذاً إماما ومتفقها لمن فيها. وهذا أولى من جعل الأخبار متعارضة في ولاية عتاب، ومات رسول الله (ص) وعتاب عامله على مكة. وذكر إبن عبدالبر ذلك أيضا، وزاد أنه أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبيّ (ص) على مكة يوم الفتح في حين خروجه إلى حنين، فأقام للناس الحج تلك السنة وهي سنة ثمان، وحج المشركون على ما كانوا عليه، ثم قال: فلم يزل عتاب أميراً على مكة حتى قبض رسول الله (ص) وأقرّه أبوبكر فلم يزل عليها إلى أن مات (١٤).

ثم تولى إمارة مكة الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب القرشي الهاشمي المتوّفى بالبصرة في خلافة عثمان.

إنتقل إلى البصرة واختط بها داراً في ولاية عبدالله بن عامر بن كريز، وولد له على عهده عبدالله بن الحارث الذي يقال ببة اصطلح عليه أهل البصرة حين مات معاوية. وقيل: إنّما النبيّ (ص) استعمل الحارث على جدة لهذا لم يشهد حنيناً. وكان أبوه إبن عم النبيّ (ص) صحب (ص) وولد له على عهده إبنه عبدالله، ومات عام ٣٥ هـ. وجاء في كتاب صفين لنصر بن مزاحم، أن أميرالمؤمنين عليه السلام جعله يوم صفين على قريش البصرة. وفي كتاب تجارب السلف تأليف هندوشاه بن سنجر بن عبدالله الصاحبي النخجواني ماتعريبه: ـ إنه كان السفير في الصلح بين الحسن بن علي عليهما السلام، ومعاوية ـ.

وروى إبن سعد في الطبقات بسنده، عن عبدالله بن الحارث عن أبيه أن رسول الله (ص) علمهم الصلاة على الميت ـ أللهم اغفر لأحيائنا ولأمواتنا، واصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا. أللهم عبدك فلان بن فلان لا نعلم منه إلّا خيراً وأنت أعلم به فاغفر لنا وله. فقلت وأنا أصغر القوم: فإن لم أعلم خيراً؟ فقال: لا تقل إلّا ما تعلم. ورواه الطبري في ذيل المذيل، بسنده عن عبدالله بن الحارث عن أبيه مثله. وروى الطبري أيضا في ذيل المذيل، بسنده عن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن أبيه أن النبي (ص) كان إذا سمع المؤذن يقول: اشهد أن لاإله إلّاالله أشهد أن محمداً رسول الله قال كما يقول. وإذا قال:

حيّ على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلّا بالله. وإذا قال: حيّ على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلّا بالله (١٥).

ومن بعده المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبدالعزي بن عبد شمس بن عبدمناف القرشي.

وقنفذ بن عمير بن جدعان التميمي.

ونافع بن عبدالحارث بن حبالة بن عمير بن الحارث بن عمروبن حسان الخزاعي... أسلم يوم الفتح، وكان من كبار الصحابة وفضلائهم.

وطارق بن المريقع الكناني بن الحارث بن عبدمناف.

وعبدالرحمن بن أبزي الخزاعي مولى خزاعة... أدرك النبيّ (ص) وصلى خلفه، وهو كو في تولاها نيابة عن مولا نافع بن عبدالحارث، وقد جاء أن عمر لما لقى نافع بعسفان، قال لنافع، من استعملت على مكة؟ قال: عبدالرحمن بن أبزى، قال: استعملت عليهم مولى؟ قال: إنّه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض. وأخرجه أبويعلى من وجه آخر وفيه: إنّي وجدته أقرأهم لكتاب الله، وفيه: وأفقههم في دين الله. فغضب عمر من ذلك وأنكر عليه استخلافه إبن ابزى لعظم قدر أهلها، وهنا سكن غيظ عمر على نافع.

وعلي بن عدّي بن ربيعة بن عبدالعزي بن عبدشمس بن عبدمناف القرشي العبشمي. سبط النبيّ (ص) أمه زينب، استرضع في بني غاضرة فافتصله رسول الله (ص) منهم، وأبوالعاص مشرك بمكة.

وخالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي.

وعبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس القرشي إبن أخي عتاب بن اسيد.

وعبدالله بن عامر العامري الحضرمي... وكان على مكة وقت قتل عثمان، فقد ذكر إبن الأثير في الكامل أن عائشة لما توجّهت من مكة بعد الحج في مدة السنة بلغها قتل عثمان، فرجعت إلى مكة وحرضت على الطلب بدمه، فقال لها عبدالله بن عامر العامري الحضرمي: وكان عامل عثمان على مكة، هائنذا أوّل طالب فكان أول مجيب، وتبعه بنوأمية على ذلك.

هذا ولما تقلد أميرالمؤمنين عليه السلام الخلافة، وبويع له يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ، وكان قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشر ليلة خلت من ذي الحجة، فكان بين قتله وبيعة علي بن أبي طالب (ع) سبعة أيام. فقد روى الحاكم في المستدرك بسنده إنه استخلف علي بن أبي طالب سنة خمس وثلاثين، وهو إبن ثمان وخمسين سنة وأشهر. كما قال

اختلفت الروايات في وقته، فقيل: إنّه بويع بعد أربعة أيام، من قتل عثمان، وقيل: بعد خمس، وقيل: بعد ثلاث، وقيل: بويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة. وقال: وأصح الروايات أنه امتنع عن البيعة إلى أن دفن عثمان، ثم بويع على منبر رسول الله (ص) ظاهراً، وكان أوّل من بايعه طلحة بن الزبير، فقال: هذه بيعة نكث.

وفي الوقت نفسه نظر في أحوال الولاة الحكّام الذين كانوا على مكة وغيرها، من المدن والحواضر فعزل عنها خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله المخزومي، وولى مكانه أبوقتادة الأنصاري فارس رسول الله (ص) الحارث بن ربعي بن بلدمة بن خناس بن سنان بن عبيد بن عدّي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي الأنصاري المدني مات سنة ٣٨ أو ٤٠ هـ، في خلافة علي عليه السلام. وكان محدثاً شهد احد، وما بعدها من المشاهد، وأنكر على خالد بن الوليد فعلته من قتله مالك بن نويرة، وإعراسه بامرأته فركب فرسه والتحق بأبي بكر، وحلف أن لا يسير في جيش تحت لواء خالد ابداوقص على أبي بكر القصة، فقال أبوبكر: لقد فتنت الغنائم العرب وترك خالد ما أمرته.

وروى أن النبي (ص) كان في سفر وكان عند أبي قتادة وضوؤه، فتوضأ وفضلت في الميضاة فضلة فلما حمى النهار، واشتد العطش بالناس ابتدروا إلى النبي (ص) يقولون: الماء، الماء، فسقاهم النبيّ (ص) جميعاً بفضل وضوئه الذّي كان في الميضاة. ثم قال لأبي قتادة: إشرب، فقال: لا بل إشرب أنت يا رسول الله، فقال: اشرب فإن ساقي القوم آخرهم، فشرب أبوقتادة ثم شرب رسول الله (ص)، الشهاب. قال (ص): ساقي القوم آخرهم شرباً، قال شارحه، صاحب ضوء الشهاب: هذا من مكارم الأخلاق التي لا يزال يأخذها بها أصحابه، ويتقدّم بها إليهم ويكررها إليهم، والأدب في ذلك أن الساقي للقوم، وهم عطاشى مجهودون إذا ابتدأ بنفسه، دلّ على جشعه وقلة مبالاته بأصحابه الذين ائتمن عليهم، وجعل ملاك أرواحهم، وقوام أبدانهم بيده، وأمر الماء عندهم شديد، إلى أن قال: وفائدة الحديث الحث على الأخذ بالأكرم من الأفعال، والتباعد عما يجلو الإنسان في معرض الانذال وليس الاذال.

وجاء في تهذيب التهذيب، وروى أهل الكوفة إنه مات أبوقتادة بالكوفة سنة ٥٤ هـ، وصلى عليه علي عليه السلام، فهو تصحيف لأن أمير المؤمنين (ع) استشهد رمضان عام ٤٠ هـ (١٦).

ثم عزله أمير المؤمنين (ع) وطلبه إلى الكوفة، وولى مكانه قثم بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمي إبن عم النبيّ (ص) وامه أم الفضل، وهو رضيع الحسن بن علي بن أبي طالب (ع). روى أن أم الفضل قالت لرسول الله (ص):

رأيت عضواً من أعضائك في بيتي، قال: خيراً رأيته تلد فاطمة غلاما ترضعينه بلبن قثم، فولد الحسن فأرضعنه بلبن قثم، وكان قثم يشبه النبيّ (ص) أخرج إبن الضحاك عن إبن العباس أن العباس رأى إبناً له يقال له قثم فوضعه على صدره وهو يقول:

حبي قثم	شبيه ذي الأنف الأشم
نبيّ ذي النعم	برغم من رغم

وروى إبن عبدالبر، عن عبدالله بن جعفر قال: كنت أنا وعبيدالله، وقثم إبني العباس نلعب فمر رسول الله (ص) راكباً، فقال: ادفعوا لي هذا الفتى، يعني قثم، فرفعه إليه فأردفه ثم جعلني بين يديه، دعالنا.

وقال أيضا: روى عبدالله بن عباس، قال: كان قثم آخر الناس عهداً برسول الله (ص) أي آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه، وكان المغيرة بن شعبة يدعى ذلك لنفسه فانكر علي بن أبي طالب (ع) ذلك وقال: بل آخر من خرج من القبر قثم بن العباس.

وقال: وكان قثم والياً لعلي على مكة، عزل عنها على خالد بن العاص بن هشام، وكان واليها لعثمان، وولاها أباقتادة الأنصاري ثم عزل عنها، وولى مكانه قثم بن العباس فلم يزل والياً حتى قتل علي (ع)، وقال الزبير بن بكار: استعمل علي قثم بن العباس على المدينة.

استشهد قثم بسمرقند، وقيل: مات بها في عهد عثمان، وقبره خارج سمرقند في قبة عالية معروفة بمزار شاه، يعني مرقد السلطان (١٧).

وفي قثم يقول داود بن سلم، مولى بن تميم بن مرّة، وكان يسكن المدينة وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأمويّة والعباسية:

نجوت من حلّ ومن رحلة	يا ناق إن قرّبتني من قثم
إنّك إن بلغتنيه غداً	حالفني اليسرومات العدم
في كفه بحروفي وجهه	بدروفي العرنين منه شمم
لم يدر مالا وبلى قد درى	فعافها واعتاض منها نعم
أصم عن قيل الخناسمعه	وما عن الخير به من صمم (١٨)

وبعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام. انتقلت الخلافة واغتصبتها الأمويون، ومن ورائهم العباسيون، فأخذوا يبعثون على ولاية الحرمين الشريفين الولاة والحكّام إلى أن تقلصت حكومتهم وسيطرتهم عن الحرمين، سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة (٣٣٨ هـ) أي في زمن الإخشيدية بالتغلب الأمير جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني الهاشمي، ولعل ولاية جعفر

هذا لمكة كانت بعد موت كافور الإخشيدي، وقبل أخذ العبيديين لمصر من الإخشيدية، فإنّ دولتهم لم تتلاش إلّا بعد موت كافور، وكان موت كافور في جمادى الاولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة (٣٥٦)، وقيل: في سبع وخمسين، فتكون ولاية جعفر في إحدى هذه السنين، أو فى سنة ثمان وخمسين، فإن فيها كان إنقضاء دولة الإخشيدية على يد القائد جوهر، مولى المعز الفاطمي صاحب المغرب، ولا تخرج ولاية جعفر عن أن تكون في هذه السنة، وكان يدعى له على المنابر بمكة فحكم فيها عدة أعوام ولما قضى، وليها بعده إبنه عيسى، ومن ذلك الوقت إبتدأ حكم الأشراف بمكة.

ثم ولى مكة بعده أخوه أبوالفتوح الحسن بن جعفر الحسني، وملك أيضا المدينة، وأزال عنها إمرة بني المهنا الحسينيين، في سنة تسعين وثلاثمائة، بأمر الحاكم وولاية أبى الفتوح، ودامت ولاية أبى الفتوح على مكة إلى أن مات في سنة ثلاثين وأربعمائة إلّا أن الحاكم العبيدي، ولى إبن عم أبي الفتوح تاج المعالي محمد، مكة في المدّة التي خرج فيها أبوالفتوح عن طاعة الحاكم، ثم أعاد أبا الفتوح إلى إمرة مكة لما رجع إلى طاعته، وأنفذ له ولشيوخ بني حسن، أموالا وهداياً وافرة، وحارب أهل المدينة، وملكها في بعض حروبه، وجمع بين الحرمين وملك الحجاز ثلاثاً وعشرين سنة.

وفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة، قدم على بن محمد الصليحي صاحب اليمن إلى مكة وانتزعها من بني أبي الطيب وسلمها إلى أبي هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبدالله بن أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى ابن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني، فوليها من قبل الصليحي، وكان من الأشراف الحسنين، واستعمل الجميل مع أهلها وأظهر العدل والإحسان والأمن، وطابت قلوب الناس ورخصت الأسعار، وكثرت له الأدعية، وكسى البيت ثياب بياض وردّبني شيبة عن قبح أفعالهم، وردّ إلى البيت من الحلى ماكان بنوأبي الطيب الحسنيون أخذوه، لما ملكوا بعد أبي الفتوح شكر، وكانوا قد عرّوا البيت والميزاب إلى أن وقع في مكة الوباء فعاد على بن محمد الصليحي إلى اليمن، وأقام محمد بن أبي هاشم بمكة نائباً عنه، فقصده الحسنيون والتفوا حوله وتداولت الولاية بينهم إلى أن تولاها فليتة بن القاسم بن محمد بن جعفر، سنة ثمان عشرة وخمسمائة، وكان قوياً شجاعاً ومن الأدباء الشعراء حسن السيرة أسقط المكوس وأحسن إلى الرعية.

وفي عام سبع وتسعين وخمسمائة إنتزع مكة الشريف أبوعزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد بن

موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني الينبعي، وهوجد الأشراف بمكة، ملك الحجاز سيفاً وطرد الهواشم عنها، وقتل الأمير محمد ابن مكثر بن فليتة، وكان قتادة جباراً فاتكا، فيه قسوة وتشدد وحزم، وكان الناصر العباسي أو أبوه المستنصر قد استدعى الأمير قتادة إلى العراق، ووعده ومناه فأجابه وسار من مكة إلى أن وصل العراق، فلما قارب الصعود من النجف جبن فلما وصل المشهد الشريف الغروي، خرج أهل الكوفة لتلقيه وكان من جملة من خرج في غمار الناس قوم معهم أسد قد ربطوه في سلسلة، فلما رآه قتادة تطير من ذلك، وقال: لا أدخل بلاداً تذلّ فيها الأسد. ثم رجع من فوره إلى الحجاز. وكتب إلى الخليفة الناصر لدين الله الأبيات:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة	ولو أنني أعرى بها وأجوع
ولي كف ضرغام إذا ما بسطتها	بها أشترى يوم الوغى وأبيع
معودة لثم الملوك لظهرها	وفي بطنها للمجد بين ربيع
أأتركها تحت الرهان وأبتغى	لها مخرجاً إنّي إذاً لرقيع
وما أنا إلّا المسك في غير أرضكم	أضوع وأما عندكم فأضيع (١٩)

وهو صاحب القصيدة الهائية المعروفة في مرثية الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها وأولها قوله:

ما لعيني قدغاب عنها كراها	وعراها من عبرة ماعراها
ألدار نعمت فيها زماناً	ثم فارقتها فلا أغشاها
أم لحي باتوا بأقمارتم	يتجلى الدجى بضوء سناها
أم لخود غريرة الطرف تهو	اني بصدق الوداد أم أهواها
أم لصافي المدام من مزّة الطعم	عقاراً مشمولة أسقاها
حاش لله لست أطمع نفسي	آخر العمر باتباع هواها (٢٠)

ولقتادة إخوة وعمومة لهم أعقاب، وأعقب هو من تسعة رجال، ويقال: لعقبه القتادات. فمن ولده الأمير حسن بن قتادة مات سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ولي مكة بعد أبيه وفي أيام حكومته وقعت فتنة بين أهل مكة وقافلة العراق، انجلت عن قتل حاكم القافلة فأخذ الشريف حسن بن قتادة رأسه وعلقه في ميزاب الكعبة. ثم سكنت الفتنة وأرسل الشريف حسن يعتذر إلى دارالخلافة. ومنهم الأمير راجح، مات عام أربع وخمسين وستمائة، وتولى إمارة مكة بعد أخيه الحسن وكان الأقشب مسعود بن كامل، قد تغلب على مكة وقتاً ثم طرد عنها الأمير راجح بن قتادة، وكان شجاعاً بطلا ثم شاركه في حكومة مكة بعد أخيه أبوسعد الحسن بن علي بن قتادة، ثم خلصت لأبي سعد وكان شجاعاً بطلا وأمه أم ولد حبشية

إلى أن مات سنة إحدى وخمسين وستمائة.

فيحكى أن أبا سعد في بعض حروبه للغزو ولغيرهم وأمرهم لا أتحققهُ ألآن إلّا أن غالب ظني أن تلك الحرب كانت مع الغزو ــ وأتوه بجمع كثير هائل، فلما ترائى الصفان جاءته أمه على بعير في هودج، وأمرت من استدعاه لها فلما أجابها، قالت له: إنّك قد وقفت موقفاً، إن ظفرت فيه أو قتلت، قال الناس، ظفر إبن رسول الله، أو قتل إبن رسول الله، و إن هربت، قال الناس: هرب إبن السوداء فانظر إي الأمرين تحب أن يقال لك؟ فقال: جزاك الله خيراً فلقد نصحت وأبلغت. ثم ردّها فقاتل قتالاً لم يسمع بمثله. حتى ظفر وملك مكة بعد أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، ابنه نجم الدين محمد أبونمي بن أبي سعد المتوفى سنة احدى وسبعمائة. وكان في غاية النجدة ونهاية الشجاعة شارك أباه في إمارة مكة صبياً، وذلك أن راجح بن قتادة في بعض حروبه مع إبن أخيه أبي سعد، إستنجد أخواله من بني حسين فخرجوا لمدده في سبعمائة فارس، ورئيسهم الأمير عيسى الملقب بالحرون فارس بني حسين في زمانه. وسمع بخروجهم أبوسعد وابنه أبونمي، بينبع فأرسل إليه يطلبه وعمر أبي نمي يومئذ سبع عشرة سنة أو أزيد بقليل، فخرج من ينبع قاصداً إلى مكة فصادف القوم سائرين إليها فلما صادفهم حمل عليهم، وهم سائرون فهزمهم، ورجعوا إلى المدينة مغلوبين. وفي ذلك يقول النقيب تاج الدين أبوعبدالله جعفر بن محمد بن معية الحسني، وهواذ ذاك لسان بني حسن بالعراق من قصيدة يذكر فيها تلك الواقعة، ويمدح أبانمي ويحسن أفعاله:

ألم يبلغك شأن بني حسين	وفرهم وما فعل الحرون؟
يصول بأربعين على مئين	وكم من فئة ظلت تهون

فلما قدم أبونمي على أبيه بمكة أشركه في ملكها، فلم يزل حاكماً على الحجاز مع أبيه وبعده، إلى أن مات وقد أناف على التسعين، وقد أخرج من مكة مراراً وحارب العساكر المصرية فظفر بهم، وكان من الشجاعة بحيث لم يرمثله في عصره، وكان له ثلاثون ذكراً منهم، الأمير أبوالغيث بن أبي نمي، قتله أخوه حميضة سنة أربع عشرة وسبع مائة. ومنهم الأمير عطيفة حكم بمكة شرفها الله، وكذا أخوه حميضة ثم قبض عليه وحمل إلى مصر، فاعتقل بها ثم هرب إلى العراق وتوجّه إلى السلطان اولجايتو بن أرغون، فأكرمه إكراما عظيماً، وبذل له عسكراً يذهب به إلى مكة، ومنها إلى الشام، أو إلى الشام أولا، لأنه وعده أن يملكها له، وأحس أولجايتو منه شجاعة عظيمة، وهمة عالية، فعين له عشرة آلاف فارس وأمر عليهم الأمير طالب الدلنقدي الأفطسي، وساروا من البصرة إلى القطيف، متوجّهين إلى أطراف الشام، وأرسل الشريف حميضة إلى أمراء العرب من كل قوم فأجابوه، وأهم ذلك أهل الشام فالتجأوا إلى

أمراء طيء وقومهم، وهم عرب كثيرون ليس في العرب مثلهم كثرة وتمولا، وأمراؤهم آل فضل، أمراء العرب، واتفق وفاة السلطان أولجايتو، وكاتب الوزير رشيدالدين الطبيب ذلك العسكر، أن يتفرقوا لعداوة كانت له مع السيد طالب، فتفرّق ذلك العسكر، وثارت بهم الأعراب الذين جمعهم السيد حميضة مع أعراب طيء فنهبوهم، وحارب السيد حميضة في ذلك اليوم حرباً لم يسمع بمثله، فيحكى عن السيد الطالب الدلنقدي أنه قال: مازلت أسمع بحملات علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى رأيتها من السيد حميضة معاينة.

ومنهم السيد عزالدين زيد الأصغر بن أبي نمي ملك سواكن، وكانت لجدّه لأمه، وهي من بني الغمر بن الحسن المثنى، ثم سم هناك ، وأخرج من سواكن فقدم العراق، وكان قد قدمه مرّة اخرى قبل أن يملك سواكن، وتولى النقابة الطاهرية بالعراق، وكان زيد كريماً جواداً وجيهاً، وتوّفي بالحلة ودفن بالمشهد الشريف الغروي بظهر النجف وليس لزيد بن أبي نمى عقب.

ومن ولد أبي نمي شميلة بن أبي نمي، وكان شاعراً شجاعاً فمن شعره:

ليس التعلل بالآمال من شيمي	ولا القناعة بالإقلال من هممي
ولست بالرجل الراضي بمنزله	حتى أطا الفلك الدوار بالقدم

ومن ولد شميلة بن أبي نمي محمد بن حازم بن شميلة بن أبي نمي، فارس شجاع شديد الأيد، وأمه بنت السيد حميضة بن أبي نمي، ورد العراق وتوجّه إلى تبريز ولا قى السلطان السعيد أويس بن الشيخ حسن، فأكرمه وأنعم عليه، ثم رجع إلى الحجاز وتوّفي هناك .

ومن ولد أبي نمي السيد رميثة، وإسمه منجد، ويكنى بأبي عرادة ويلقب اسد الدين ملك مكة وطالت إمرته بها، وفي ولده الإمارة دون ساير أولاد أبي نمي ، وكان له عدة أولاد: منهم، الشريف شهاب الدين أبوسليمان أحمد بن رميثة كان قد توجّه في زمن أبيه إلى العراق، وذهب إلى السلطان أبي سعيد بن السلطان أولجايتو بن أرغون، فاكرمه وأحسن مثواه فأقام عنده ثم توجّه صحبة القافلة، وحج في تلك السنة الوزير غياث الدين محمد بن الرشيد، وجماعة من وجوه العراق وأركان المملكة، وكان الشريف شهاب الدين أحمد قد أعد رجالا وسلاحا ودرّاهم مسكوكة، باسم السلطان أبي سعيد فلما بلغوا إلى عرفات، وزالت الشمس وتهيا الناس للوقوف لبس رجاله السلاح، وقدموا المحمل العراقي ــ وهو محمل السلطان أبي سعيد ــ مع أعلامه على المحمل المصري وأصعدوه جبل عرفات قبله، وأوقفوه أرفع منه، ولم تجر بذلك عادة منذ إنقضاء الدولة العباسية.

ولم يكن للمصريين طاقة على دفعه، فالتجأوا إلى الشريف رميثة أبيه، فاستنجد

بني حسن، والقواد فتخاذلوا عنه لمكان أبنه أحمد، ومحبتهم إياه ولإحسانه إليهم قديما وحديثاً، وأمر الشريف أحمد أن يتعامل بتلك الدراهم المسكوكة باسم أبي سعيد، فتعومل بها في الموسم خوفاً منه، وعاد إلى السلطان مصاحبا للقافلة العراقية فأعظمه السلطان أبوسعيد إعظاما عظيماً، وأحله مقاماً كريماً وفوّض إليه أمر الأعراب بالعراق. فأكثر فيهم الغارة، والقتل، وكثر أتباعه وعرض جاهه وأقام بالحلة نافذ الأمر، عريض الجاه كثير العون إلى أن توفي السلطان أبوسعيد فأخرج الشريف أحمد الحاكم الذي كان بالحلة، وهو الأمير على بن الأمير طالب الدقندى الحسيني الأفطسي، وتغلب على البلد، وأعماله ونواحيه، وجبى الأموال وكثر في زمانه الظلم والتغلب (٢١).

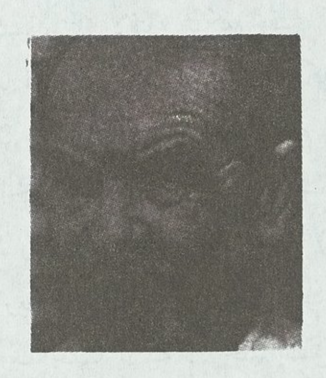
ثم ولي مكة أبوسعد بن على بن قتادة الحسنى إلى أن قتل سنة إحدى وخمسين وستمائة.

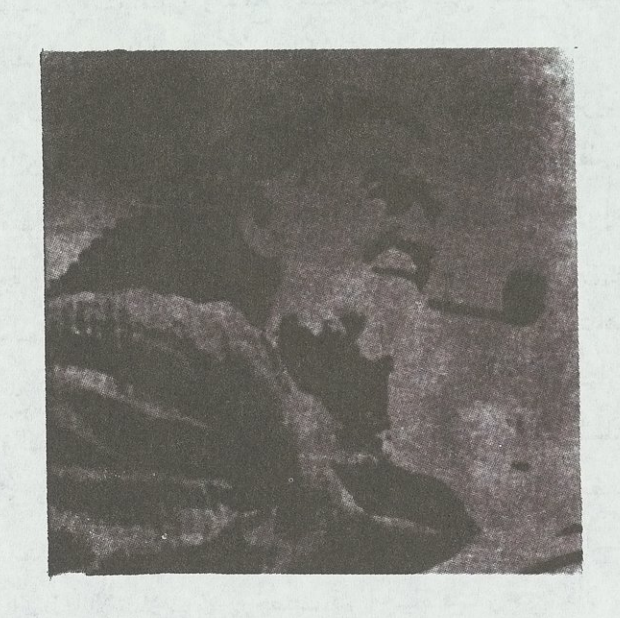
ووليها جماز بن حسن بن قتادة بمساعدة الملك الناصر صاحب مصر، ثم وليها راجح ابن قتادة وأخرج جمازاً من مكة بلا قتال. ثم وليها إبنه غانم بن راجح. ووليها سنة ست وخمسين وستمائة أولاد حسن بن قتادة، وأقاموا بها وهكذا استمرت التنقلات والولايات بينهم، لم تخرج من بيت الأشراف في عام سبع وعشرين وثمانمائة، وليها السيد علي بن عنان ابن مغامس بن رميثة الحسني، بمفرده ولاّه برسباى ملك مصر، فتوجّه السيد علي من مصر بصحبة العسكر المنصور الأشرفي واستولى على مكة بغير قتال، فدخلها لابساً خلعة الولاية وطاف بالكعبة المعظمة سبعاً، والمؤذن يدعوله على زمزم، وبعد فراغه من صلاة الطواف قرئ توقيعه بالولاية بظل زمزم.

وجاء من بعده الحسن بن عجلان سنة ٨٢٨ ومات بمصر عام ٨٢٩، وكان من العلماء الفضلاء. وخلفه مراراً وتولاها إبنه بركات بن الحسن، وكان أيضا من العلماء الأنجاب، وواصلت الاسرة الحسنية ولايتها على مكة إلى أن ظهرت في نجد الحركة الوهابية، وأخذت تعمل بقوّة وتجتهد في السيطرة على الحرمين، والحجاز بصورة عامة، وتعاونت مع الإستعمار وتحالفت مع أذنابه في المنطقة وصادقت على معاهدات وقرارات بمساعدة جون فيلبى، الذي سمي أولا باسم محمد بن عبدالله فيلبي، ومن ثم أصبح إسمه الحاج الشيخ عبدالله فيلبى، وكانت النتيجة أن تعاقد إثنان على المتاجرة بالدين وتضحيته وكان الاتفاق كالآتي:

ألطرف الأول ــ محمد بن سعود، أن يكون لأميرالمؤمنين محمد بن سعود... وذريته من بعده السلطة الزمنية، أي الحكم مدى الحياة.

الطرف الثاني ــ محمد بن عبدالوهاب، أن يكون للإمام محمد بن عبدالوهاب





جون فيلبي الجاسوس الانگليزي الذّي عرف في الحجاز بالحاج محمد بن عبدالله فيلبي. ثم بالحاج عبدالله فيلبي المكي

وذريته من بعده السلطة الدينية، أي الإفتاء بتكفير وقتل كل من لا يسير على نهجهم، ولا يصحبهم للقتال، ولا يدفع ما لديه من مال وثروة وقتل كافة الرفضة والرافضين لدعوتهم وكذلك الإستيلاء على أموالهم، ونهب خيراتهم وأبادة وتهديم مآثرهم... وهكذا تمت الصفقة وبدأت المشاركة والمساهمة الخسيسة الإستعمارية، وسمى الطرف الأول محمد بن آل مردخاي باسم (إمام المسلمين)، وسمي الطرف الثاني (إمام الدعوة) وكانت تلك هي البداية اللعينة العارمة في تاريخ الإسلام المجيد، والشعوب الإسلامية التي مازالت تأنّ من ويلاتها ومصائبها وجرائمها ومذابحها الأليمة... حينما إتفق الجانب الأول محمد بن سعود اليهودي، مع الجانب الثاني محمد بن عبدالوهاب قرقوزي، في مكافحة التشريع الإسلامى الخالد، وسارت شركتهما على ذلك النحو الفاسد، واختلاق مذهب جديد تتركز دعائمه وتقوم أركانه على الجرائم، وسفك الدماء الطاهرة ونهب الأموال، وتبذير الثروات، وأبادة المعالم، كل ذلك لصالح الإستعمار، ومنافع الشيطان، وخلق مجتمع وشعب يسوده الفوضى والإشتباك ، والصخب، والفقر، والكفر، والجهل، والتخلف.

أجل مرّت قرون وقرون، وتبعتها سنون وسنون، والحرمين الشريفين، وأرض الحجاز المقدسة تحتل المكانة الرفيعة والمنزلة العالية من العظمة والجلالة والتعظيم، والتقديس إلّا أن عوامل دخيلة وعواصف خارجية إجتاحت البلاد بشدّة بحيث أدت إلى إنتقال الدعوة، ودفة سفينة الحكومة الإسلامية إلى يد الأجانب، و إخراجها وانتزاعها من يد المسلمين والعلماء والفقهاء، وجعلها في يد من لا يؤمن بربّ الحرمين الشريفين، فبدأ التدهور سريعاً في المجتمع الإسلامى، وبلغ مداه في شبه الجزيرة الإسلامية خاصة، حتى إذا اجتازت عدة أعوام قليلة كانت القيم والفضائل التي إكسبها الإسلام للمجتمع الإسلامي والمسلمين، قد اضمحلت واندثرت أو كادت، وأضحت تعاليم الإسلام وأحكام القرآن التي تضبط المجتمع وتحكم روابطه نسيا منسياً،فعاد الغزو والنهب والسلب، و إراقة الدماء والبغي والقتل والظلم والعمالة إلى الوطن الإسلامى، ورخصت قيم الحياة فيها، حتى كأن الإسلام لم يظهر في شبه الجزيرة العربية، ولم يترك أثراً حضارياً لا على تربتها وصعيدها، ولا في عقول أبنائها، ونفوسهم، وقلوبهم.

لقد حكمت الاشراف الحسنيون في الحجاز ما يقرب من تسعة قرون، وحافظوا على الحرمين الكريمين، وصدوا عنهما كل تطاول وعدوان، ولم يمسهما عدو بسوء لا من قريب ولا من بعيد إلى أن انتزع الإستعمار ولايتهم، و إمارتهم عنهما وأودع الأرض المقدسة بأيدى العابثين، والأوغاد، والمناكير المتجردين، عن كل القيم، والمثل، والشرف، والطهارة عكس

ماكانت عليه الشرفاء، والأشراف في القرون الغابرة لأنهم كانوا ينتمون إلى الشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء... رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار(٢٢).

ومازالت فروع تلك الأسرة العريقة، والشجرة الميمونة تسكن العراق، وإيران، وساير الأمصار الإسلامية بعد أن مزقتهم العصابة الصدامية الحقيرة... وفرقتهم أيادي العمالة البعثية الدفينة... وجعلتهم طرائق قدداً، وفرقتهم في البلاد كقصاصات الورق، وهم السادة آل العطيفي الذين يقطنون مدينة الكاظمية. وآل السيد عيسى الحسني. وآل السيد حيدر. وآل السيد الحبوبي الحسني. وآل السيد زيني الحسني. وآل السيد حمندي الحسني. وآل السيد أحمد الحسني البغدادي العطار. وآل شرفاء مكة المكرّمة.

وهذه البيوتات من الأسر والعوائل الكريمة العريقة في التاريخ، والمستحقة للتقدير والإكبار والإعجاب والخلود، فمنهم شاعر محكم النسج، متخير اللفظ، مصقول العبارة، أنيق الديباجة قد خلعت على اسلوبه البلاغة زخرفها وكسته الفصاحة بجميل وشيها، ومنهم فقيه أجمعت أصحاب السير والتاريخ على إمامته في البلاغة، وبراعته في الترسل، وطول نفسه في العبارة، وافتتانه في تلوينها، وإبداع تصويرها على مدى العصور، فتجد في مطاوى كتبه وكلامه قبساً من الحكمة من أقوى أداة الكاتب والشاعر.

ومن هذا البيت من هم أساتذة مدرسة خاصة في الأدب والكتابة، وكانوا في الأخلاق الكريمة والتمسك بآداب الإسلام، ومجد العرب امة وحدهم، لا يعنيهم شيء في الحياة إلّا أن يحرسوا لغة القرآن ويحافظوا على التشريع والسنة الإسلامية، وأساليبها ثم كانوا لا يفتأون يعملون على إحياء الآداب الإسلامية، والأخلاق الدينية، لينشأ كل جيل على محبة لغته ودرس فنونها والتمرّس بآدابها... ثم يأخذ بأخلاق دينه، وصالح عاداته، إذ كانوا على علم أن الامة لا تنهض إلّا باستمساكها بأصول لغتها، وكريم أخلاقها، ثم لها بعد ذلك أن تأخذ من العلوم والفنون اليافعة في الحياة ما شاءت وشاء لها نظام العمران.

ومنه رجال جيوش وحروب وساسة رشيدة، افتخروا بشجاعتهم، وبسالتهم، وبلائهم في الحروب والمعارك . سيوفهم في كل وقت صاحبهم، وخلهم الوحيد، فكانوا موضع التقدير وحفاوة الأبطال والشجعان، يفدونهم بأنفسهم لأنهم وجدوهم قوالوّن وفعالون، وكانوا على حد قول الشاعر:

وأني لمقدام على الهول والردى ... بنفسي وفي الإقدام بالنفس مايردي

وإنّي لقوالٌ إذا التبس الهدى ... وجارت حلوم القوم عن سنن القصد

فإن صلت فداني الكمي بنفسه وإن قلت لباني الوليد من المهد
كذلك إنّي قائل ثم فاعل فعالي وغيري قد ينير ولا يسدى

ومنه وما أكثرهم شيخ وقور تنتظم في بيته حلقات الذكر، وتهب لديه النفحات الصافية، ثم هو عالم متفقه في دينه يعظ الناس كل عشية وضحاها، بما وعاه من الكتاب والسنة فيهز أوتار القلوب، ويأخذ بمجامع العقول هذا إلى عربيته الخالصة، ونسبه الواضح الصريح المشرّف.

إنّ الكثيرين من هذه البيوتات العريقة في العراق، قادوا جيوشاً عرمرمة، وخاضوا بأنفسهم ميادين القتال ضد الإنگليز، والمستعمرين، للذود عن الوطن، والشعب، والدين، واللغة، ووقفوا بوجه الطغاة، والعملاء وأعداء الشعوب المسلمة، وكتبوا وألفوا ودفعوا الشعب ووجهوه، نحو واجبه الديني من طرد الكفار.. واليهود... من بلادهم، وأراضيهم المقدسة التي تكالبت عليها شرذمة حقيرة من حثالة بني إسرائيل المجرمين الأوغاد، فاغتصبوها ونهبوا خيراتها ومنابعها الحية، وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وكذلك يفعلون.

لقد وقفت هاتيك البيوتات الإسلامية العربية الأصيلة، وراء الشعب الإيراني، وشاركوه في إنتصاره وطفرته التحررية، وفي جهاده ونضاله سنة ١٣٨٢ هـ ١٣٤١ شمـ، بكل صراحة وقوّة و إرادة، من غير خوف ووجل، واكتراث وهكذا هو المؤمن الحقيقي... إنّ المؤمن الحق المتغلغل في عروقه وشرايينه طبيعة الإيمان بالله الواحد الأحد... لا يكترث في يوم ما بأمر ليس له من دين الله سناد، وهو في إقدامه وجرأته على المعروف والتقاليد سوف يلاقى العنت والإضطهاد، والحر، والجوع، والتشريد، والنفي، بيد انّه لا ينبغي أن يخشى في الله لومة لائم، وأن يمضى إلى غايته لا تعنيه قسوة النقد، ولا جراحات الألسنة، ولا أبواق الدعايات الفاشلة و إسفافهم الهزيل:

سأمضي ولو أن الصباح صوارم وأسرى ولو أن الظلام جحافل
وإنّي جواد لم يحل لجامه ونصل يمان أغفلته الصياقل
ولي منطق لم يرض لي كنه منزلي على أنني بين السماكين نازل

فعلى ضوء هذه الخطوط، نجد الكثير من رجالات وشخصيات علمية من البيوتات هذه يجاهدون بأقلامهم، ويراعهم ويضعون التآليف ويجعلونها طريقاً إلى الخير المنشود، والصراط المستقيم، ويضحون العلاقات والإعتبارات العرفية، والشهوات جانباً في سبيل الله، و إسعاد المجتمع، وغرس الفضائل وتعهدها، حتى تؤتي ثمارها... وحين يقترب وقت العمل والجهاد، ينهضون كوثبة الأسد من عرينه، ويقولون بملاء أفواههم: لا بد أن يلعب السيف

الآن دوره... وإذا تكلم السيف فاسكت أنت أيها القلم... وسننتصر... وما النصر إلا من عندالله.

أعود بذاكرتي إلى عام ١٣٨٢ هـ ١٣٤١ شم، عندما كنت في النجُف الأشرف، وقد تعهدت الحركة المناهضة المقاومة يومذاك ضد العهد الملكي الإيراني المباد فيها، تجاوباً لا-نتفاضة الشعب الإيراني المسلم المثابر الصامد، الذي كان يقدّم الضحايا والقرابين في سبيل عقيدته، ورسالته في إيران، بعد أن ساهمت فيها النجف الأشرف مساهمة فعالة، ووقفت إلى جنب الشعب الإيراني المكافح، لأن نجاح الثورات والنضالات الشعبية التحررية في الوطن الإسلامي، منوط بتأييد النجف الكامل، ومساندتها مادياً ومعنوياً، وهكذا الحال في بقية الحركات العلمية والفكرية... وهذه المعالم واضحة في كل زمان، وقد ظهرت الشخصية النجفية على صعيد العلم والأدب والكفاح الشعبي، وكافة المجالات بوجه عام... فكنت على اتصال وثيق بزعماء الحوزة الدينية، وقادة الحركات العلمية، وأوقفهم على التغلغل الصهيوني في إيران، وأحثهم على استنكار الجرائم والحوادث الدامية المتتالية التي تجتاح الشعب، وفي خلال تلك الفترة أصدرت عدة بيانات حادة وقارصة ضد الحكم الملكي المباد، والإعتداء الصهيوني الغاشم، وتدخله السافر في قضايا الشعب الداخلية. والمجزرة الأثيمة التي وقعت بالشعب من لدن جلاوزة (بن غوريون) الطبقة الحاكمة على أكتاف الشعب والقتال، والتصادم، والأهوال والنكبات التي حلت بساحتهم... واعتقال زعماء الدين، والسياسة، والخطابة، والإقتصاد، وزجّهم إلى غياهب السجون، ولم يكن ذنباً لهم يحتسب غيركفاحهم في سبيل مثلهم العليا، والدفاع عن حومة الدين، وعن حريّة الوطن الشهيد... المذبوح بسكاكين هؤلاء الأوغاد... الذين أيدوا بالأمس اعتراف ملكهم القزم... بدولة اللقيطة إسرائيل.

أجل أعود إلى وراء بعض السنين الغابرة، فأتذكّر جيداً أن كان من بين الفقهاء والمجتهدين الذين تجندوا ضد الحكم الملكي الفاسد في إيران، وكنت على اتصال دائم معه، الفقيه المجاهد الإمام السيد محمد الحسني البغدادي المتوفّى ١٣٩٤ هـ، وكان من أحفاد أمير الحجاز الشريف قتادة بن إدريس. فحدّثته ذات يوم عن الظروف والحوادث الإيرانية، والتيار الصهيوني المقيت وأذنابه من القرود والأوغاد الذين ما برحت تنهش بأنيابها الدامية عروق الإسلام، وتفكك عرى القوّة العربية، والاخوة الإسلامية وقد بلغ السيل الزبى، فكان لا بد للسيد أن يثور وبالفعل فقد إستجاب لصيحة القرآن... واندفع على صداها يذود عن شرف الإسلام وحرماته، ليجعل الحد الفاصل لمهاترات شر ذمة إستحوذ عليهم الشيطان

الصهيوني فأنساهم ذكرالله.

فوقف في مجلسه الغاص بالجموع الثائرة الغاضبة على الحكم الملكي الفاسد، ورتّل الخطبة العربية المأثورة: ــ يا معشر المسلمين... هالك معذور خير من ناج فرور... إنّ الجزع لا يردّ القدر و إنّ الصبر من أسباب الظفر... المنية ولا الدنية، واستقبال الموت خير من إستدباره... فالجد الجد فما من الموت بد... ــ.

وعلى اثر النكبات، وفي وسط الأهوال والتنكيل بالشعب الإيراني بعث السيد... إستنكاره و إحتجاجه الشديد في برقية قارصة، قرأنا في سطورها آيات المجد والبطولة... وسور الخير والمحبة، والدعوة إلى الله وجمع الشمل ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

عاهل المملكة الإيرانية محمدرضا پهلوي ــ طهران

إنخداعكم لأعداء الإسلام الذين كان مقصدهم الوقيعة في شريعة سيد المرسلين (ص)، والقضاء على الإسلام والمسلمين، هو الذّي أدى إلى سوء صنيعكم بالشعب الإيراني وعلمائه الأبرار قتلا و إرهاباً وتبعيداً، وأعظم من ذلك بغيكم على علماء الدين وعلى رأسهم الإمام آية الله الخميني، الذين بهم تقام الدولة وتنتظم الرعية كيف لا، وهم حجج الله وآياته وأعلام الدين ودعاته، وقد يؤدى سوء صنيعكم إلى سوء عاقبتكم في الدارين هواناً وخسراناً، ومديح القرآن في كثير من آياته هو البطش والإنتقام من الجبابرة والطاغين، وأن فاجعة إيران اليوم لم تكن خاصة بهم بل عمت كافة المسلمين فإنّهم منكم ناقمون، وعليكم ساخطون، والأمر يحدث بعده الأمر.

محمد الحسني البغدادي النجفي

لقد كانت لهذه البرقية الدينية السياسية، أثرها الفعال في البلاد الإسلامية، فقد بادرت الصحف العراقية إلى نشرها وأذاعتها محطة إذاعة (صوت العرب) القاهرية، وفي إيران نقلت في حينه إلى الفارسية وطبعت مشفوعة بصورة السيد الحسني... والغريب المؤسف أن بعضاً ممن أرخوا إنتفاضة الشعب الإيراني، ودوّنوا مراحل إنقلابه المظفر نسوا أو تناسوا لعوامل هم أدرى بها الإشارة، ولو من طرف خفي إلى الموقف البطولي الرائع الذّي لعبته الشخصية النجفية بصورة خاصة في هذا الحقل، وجهودها، واجتهادها المتواصل، في نجاح الإنتفاضة، ودفعها إلى التطوّر والتقدّم والإزدهار. كما أنهم لم يذكروا مئاة البرقيات، والنشرات، والمقالات الصادرة في وقته هناك، وكانت للجميع آثارها البالغة وتأثيرها العميق في نضوج

الثورة، وتمهيد قاعدتها الشعبية والدولية.

ومهما يكن من أمر فبعد أيام مضت والكوارث والمحن في إيران... تزداد بطشة وشدة، وأذناب بن غوريون... تواصل بطشهم وفتكهم بالشعب الإيراني المنعزل عن كل سلاح، سوى سلاح الإيمان... وسلاح العقيدة المنتصر بإذن الله تعالى وقوّته... بعث السيد الحسني ببرقية اخرى، واستنكر أيضا بطش الطبقة الحاكمة الديكتاتوريّة في إيران وعبثهم وغيهم ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

عاهل المملكة الإيرانية محمدرضا پهلوي ــ طهران

أبرقنا لكم كما أبرق العلماء صيانة لمقامكم وشعبكم، فلم نجد منكم جوابا ولا هدى ولا صوابا، كانا من أعدائكم ولم نكن من أوليائكم، وما أدري أكان جهلا ونقصانا أو تمرداً وطغياناً، عصمنا الله وإياكم. فتمسكوا بالقرآن تلاوة واستماعا، تنالون به نجاحاً وارتفاعا، فاحذروا تخويفه، وتهديده، ووعيده، وبطشه... فالله... فالله... في حماية الدين. ألله... ألله... في دماء المسلمين، والسلام على من اتبع الهدى.

محمد الحسني البغدادي النجفي

وليت مهاترات هؤلاء المناكير... وقفت عند هذا الحد من تعذيب رجال الدين، وتشريدهم وقتلهم والتنكيل بهم وإيداعهم السجون والمعتقلات، بل تمادوا في غيهم فأصدرت عملاء الصهاينة... والبهائية أمرا بالقضاء على رجال الدين، وقتلهم تحت كل شجر ومدر، وبلغ عدد الضحايا من الشعب الإيراني المسلم ١٠/٠٠٠ آلاف. ويحلم الملك في الوقت نفسه باستمرار عرشه سنين عدّة، ولكن هل من المعقول إستمرار حاكم مراهق كهذا، إعتمد على أسياده المستعمرين من مصاصي الدماء، وأعداء الشعوب لإسناد كرسيه المحطم الجوانب، والذي صنع الشعب بضرباته الفولاذية منه تابوتاً للدكتاتورية المقبورة إلى أن يأتي أمرالله وكان أمرالله حتماً مقضيا.

يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوالله الواحد القهار. وترى المجرمين مقرنين في الأصفاد. سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار، ليجزي الله كل نفس ماكسبت إنّ الله سريع الحساب (٢٣).

وهكذا شاءت مشيئة الله سبحانه التي لا مردّ لها، أن تتبدلّ الأرض، سنة ١٣٩٨ هـ ١٣٥٧ شمـ، ومن عليها وتصبح إيران شرارة ونيرانا، وغضبة على أعداء الشعب، والوطن، والدين، وينزل الشعب بكامل أقشاره وطبقاته إلى الشوارع والطرقات بايمان راسخ واحد،

وقلب واحد، كالأسد الضاري، ويشق بزحفه التحرري الإسلامي، أمواج وتيارات الإتجاهات الدخيلة الكاذبة الوافدة من خارج الوطن الإسلامي، المتحكمة في ربوع بلادنا... فيحطم قيود الإستعمار والإستعباد، ويكسر كابوس الذلّ والتخلف، ويدمر عروش الطغاة بمعاول الشرف والكرامة والحرية، ويلف العملاء والأذناب في طي المآلي، ويلقى بهم في مزبلة التاريخ، والعدم، لا رجعة لهم ولا عودة.

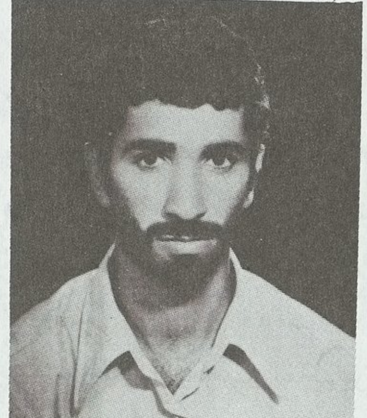
لقد حانت أن تنفجر بركان غضبة الشعب الإيراني المسلم... وحلت اللحظة المناسبة للجماهير الهادرة أن تعبر عن مشاعرها، وأحاسيسها، وعصيانها، للنظام الملكي الفاسد، وراحت تردّد الشعارات الثورية الإسلامية، وتحركت المظاهرات، وسارت المسيرات واندفعت القوات المسلحة تشارك وتضامن أخوانهم، في كافة المناطق مكبّرين الله أكبر... الله أكبر...

إنّ خواطر الإنتفاضة الشعبية الإيرانية، وذكرياتها اليانعة، والمثمرة، ستبقى إلى الأبد بعد أن أصبحت أغصانا وفروعاً وأوراقا في شجرة الحريّة التي سقتها دماء الشهداء من أبناءنا... دماؤهم الطاهرة التي صنعت تاريخاً يقرأ، وسطرت خواطر وذكريات لا تنسى، وركزت خواطر لن تغيب... فمن ينسى ضحايا المدرسة الفيضية المقدسة في مدينة قم... ومن سينسى الشباب والأطفال، ونداءات الثورة في كل جزء من المنطقة..؟ ومن سينسى تلك الصيحات التي اخترقت حاجز السكوت في ليالي محرم، في المحافل، والمساجد، ومرتفعات الدور، والسطوح تنادى الله أكبر... الله أكبر... فما وجدت تجاوباً غير صوت الرصاص من الهمجية الحاكمة جوابا لها..؟ وهل تغيب عن خواطر الشعب تلك المجازر الناصعة البياض التي، أرادت أن تبرز سواد العصابة الحاكمة في يوم الجمعة الأسود..؟ إنّها أيها القارئ كانت صوراً أعادت للحياة معناها، وللإنسان حريّته، وشرفه، وكرامته، وبالتالي سوف لن يهملها التاريخ، مادام التاريخ. ولن تنساها القلوب، ولن تغيب عن الخواطر والأذهان.

يا لغباء الطغاة والمستبدّين الظالمة... ألم يعلموا أن كل قطرة من دم الشهيد تصنع ألف شهيد وشهيد؟ و إنّ شجرة الحريّة والعقيدة لا يمكن لها أن تنمو وتثمر إلّا بتلك الدماء النقية؟ ألم تعلم إنّ أرادة الإنسان لا يمكن أن تتبلور وتتقوّى، إلّا في ظل الحراب والمعاناة؟ و إنّ الشهداء الذين تساقطوا على تربة هذا الوطن الزكية قد أطلقوا صرخة الرفض المشرق في زمن الصمت المظلم الخانق..؟ أولا تعلم إن دماء إبني المهندس الشهيد، مرتضى الأميني النجفي... ومن سار في دربه وهديه، من شباب هذا الشعب إمتزجت دماؤهم مع شظف العيش، وحرارة الواقع لتكون بركاناً لا يقرّ ولا يهدأ.

أيها الشهداء الأبرار... إنّكم بدمائكم أنرتم الطريق... وعبدّتم السبيل وأيقظتم

الراقدين، وأرشدتم التائهين الحائرين، وأوضحتم النهج، وجددّتم الأمل، وأصبحتم انشودة في فم التاريخ، وقضية يتحمل مسئوليتها الجميع.



يا شهداءنا الأبرار... في كل أرض إسلامية، وفي كل جزء من هذا الوطن الإسلامى الكبير.. صلوات الله، وتحياته، ورحمته، وبركاته عليكم يوم ولدتم، ويوم استشهدتم، ويوم تبعثون حياً، لتقفوا بين يدي الله قاصم الجبارين... تشكون إليه من سفك دمائكم الطاهرة، و إزهاق أرواحكم المطهرة، لا لشيء إلّا أنكم قلتم ربّنا الله... و اصبحتم في حياتكم ترفضون كل حاكم مستبد، يدعوا إلى غير عبادة الله... وهنيئا لكم يا شهداء مكة... يا من تساقطتم على أرض المقدسات، واسقيتم تربة الحرم الشريف بدمائكم، لأنكم توخيتم يومذاك التعبير عن إرادتكم العقائدية، ومناعتكم الدينية فما وجدتم وسيلة صادقة للتعبير إلّا الدماء.

ـ إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذّي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم. التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (٢٤).

ألوهابيّة في عقيدتها..؟

إقتضت الحكمة الاهية بعد خلق السموات والأرض، وتدرّج كل دابة على وجه الأرض، إفراز قسم، وفصل نوع منها، وأسماه بالأنسان، وشاء أن يتطوّر هذا الجنس من الحيوان في حياته، ويقطع مراحل التمدّن والحضارة ويتوصّل إلى صعيد المدينة الفاضلة، والتكامل النفسي، وذلك بعامل العقيدة والدين، فكانت بعثة الأنبياء، و إيفاد الرسل

و إنزال الكتب والصحف، لتمهد الإنسان وتصلحه لتبلور الإستعدادات والقابليات والمؤهلات فيه، ليتمكن الإنسان إجتياز المراحل، ويتوصّل من هذا الطريق والمنفذ إلى القمة والرّقي والحياة الأبدية التي تتجلى فيها الأحكام الشرعية، والتي يتميز بها الحق من الباطل، ويطهرّه من خبث الشرك والوثنية والهمجية من الأقوال والأفعال، وتدعوه إلى اتباع ما يجعله أن يكون به أزكياء أتقياء، وكل ذلك بالطاعة والإنقياد إلى الله سبحانه بكامل جسمه وقواه المعنويّة والماديّة لأن الدين والتشريع الالهي، الوسيلة الفذة التي تقود الإنسان إلى طريق الحياة الكاملة، وترفعه من الكمال إلى الدرجات المقدرّة له، لذلك حصل النزاع والخلاف بين الروحانيين، والماديين، فذهب الماديون إلى أن العلم والدين ضدان لا يجتمعان، ونقيضان لا يتفقان حسب مفهومهم القاصر و إدراكهم الضعيف... وذلك أنهم قصروا الحياة والكون على المحسوسات، والمشاهدات، وأنكروا ماوراءها جملة وتفصيلا. فلاروح، ولا حساب ولا ميزان، ولا خلود، ولا جنة، ولا نار، ولا عذاب، ولا ملائكة، ولا غير هذا من العوالم الغيبية (وقالوا ما هي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يلكنا إلّا الدهر وماهم بذلك من غلم إن هم إلّا يظنون. قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٥).

والواقع أنهم لو أمعنوا البحث والدقة، ودرسوا ما فتح الله به على العالم العصري من الحجج العيانية في إثبات عالم ماوراء المادة، ثم نظروا للدين في أصله ومصيره، ورسالته وينبوعه، وعلاقته بالروح الإنسانية، لأذعنوا على زلتم وعادوا إلى الدين بعد أن رجع الى الدين من كان أشد منهم بطشاً، ومضى مثل الأولين ولأيقن أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بلادين، لأن الإنسان قد ثبت مرتبط بالعالم الروحاني صلاحاً أو فساداً، بمعنى أن كل فرد منا معرض لتأثير الكائنات الروحانية، سواء كانت علويّة أو سفلية، فالسفلية تستولى عليه بالوسوسة والإغراء والتخلف والجهل، والعلويّة تمحصه النصيحة والإرشاد والتوجيه والدعوة، وهو بينهما في حالة تنازع وصراع يتأدى في نهايته إلى ما قدّر له من خير أو شر، أصلاح أو فساد.

أن من يؤمن ويعتقد بالعالم الروحاني يعتقد بالألوهية، وبالروح، والبعث، والحساب، والجزاء، ومن يعتقد بالخوارق يعتقد تبعاً لها بالضرورة بالأنبياء والرسل... ومن يعتقد بارتباطه بعوالم الغيب، يعتقد بضرورة الكمال الخلقي.

لم يكن الدين فلسفة لها أبواب وفصول، ولا هو فقها يعرف به المحق من المبطل من المتخاصمين، ولا هو علما تؤخذ منه أحوال الشمس والقمر، وطبائع الحيوانات، والنباتات،

والمعادن، وتاريخ الأمم... وإنّما هو ميل وإتجاه روحاني من النفس البشريّة للتخلص من أسر هذه المادة الأرضية، والعروج إلى سماء الكمال الأقدس. كان يظهر بهذا الميل في كل جيل أو أجيال، رجل يرسله الله تعالى إلى قوم يصيح بهم، ليربأوا بأنفسهم عن مشاكلة الحيوانات في عمايتها والجمادات في مواتها، ويريهم أن للإنسانية مجالا أعلى مما يتقاتلون عليه من حطام هذه الأرض الفانية، وزخارف الحياة الزائلة وملاذها الوقتية.

هذا الإتجاه الروحاني فطرة فطرالله تعالى عليها كل إنسان تزيدها العلوم قوّة وظهوراً، ولا يعقل أن دورا من ادوار الإجتماع أو حالا من أحوال التقدم الحضاري، أو التطور الصناعي يلاشى هذه الفكرة الإنسية الكريمة و إلى هذا أشارالله سبحانه بقوله: **﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرةالله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾** (٢٦) وذهب إليه ــ أرنس ورنان ــ في كتابه فقال: ــ من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شيء نحبه، وكل شيء نعده من ملاّذ الحياة ونعيمها. ومن الممكن أن تبطل حريّة إستعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحى التدين أو يتلاشى. بل سيبقى أبد الآباد حجة ناطقة على بطلان المذهب المادّي الذّي يودّ أن يحصر الفكر الانساني في المضايق الدنيئة للحياة الطينية ــ.

أجل يستحيل على أيّ حال من أحوال العالم، أو دور من الأدوار أن يتوصّل إلى أبادة وملاشاة فطرة التدّين في الإنسان، لأنها أشرف ميول النفس وأكرم عواطفها، ناهيك بميل يرفع رأس الإنسان ويجعله يتجرّى من حظيرة القدس مكانة يضع نفسه فيها آنفا من المادة وقدرها، غير راض أن تكون مرمى همه ومطمع نظره ومنتهى أربه.

وأنا أوكد، وأقول بصراحة أنه يستحيل أن يتلاشى هذا الميل في الإنسان، وأنه سيأخذ طريقه إلى النمو والتطوّر والإزدهار، رويداً رويداً حتى يضطر الإنسان لأن يخلع من عنقه نير وقيود، هذه المادة الصماء فيصبح متجرداً لسلطان الروح، ترفعه إلى أبعد ما يتوّهمه وهم الواهمين، من معارج الرّقي الإنساني.

من الناس من يتظاهر بأنه تخلص من أسر التدّين فيكتب ناعياً على المعتقدين عقائدهم، مصوراً نفسه بصورة الهازئ، ولو أنصرف لرآى نفسه من أكبر أسرى التديّن لأن اهتمامه باظهار إلحاده وتهافته بمناسبة وغير مناسبة على الإعلان عن نفسه بأنه تخلص من نير الإعتقادات، يدلّ دلالة صريحة على أن فطرته الدينية تطالبه بحاجتها فهو ينشئ لها شبحاً من أصول الحاديّة لتسكن إليها نفسه، فلما لا تسكن وتحزّه ليطلب لها مخرجاً يجأر ويملأ الأسفار طعناً على العقائد وتشهيراً بأهلها، طالباً مجادلا يجادله فيها ليكون ذلك لنفسه متروحا ولفطرته متنسما وهيهات (٢٧).

ففطرة التدين ستلازم الإنسان مادام ذاعقلْ يعقل به القبح، والجمال، والحسن، والحب، وروية يجيلها في الكون والكائنات، وستزداد فيه هذه الفطرة مناعة ووه وحيوية، حسب نسبة علو ونضوج مداركه، وسمو وتبلور معارفه غير أن الأمر الخطير الذّي يجب أن يعرف ويلاحظ بدقة، أن لا يوقع المرء في شراك الإتجاهات الدخيلة ومصائد الميول الإلحادية الحادة المتظاهرة بالصفات الإسلامية، والمتلثمة بالعباءة الدينية، فيخرجه من الصراط المستقيم، ويوقعه من حيث لا يدري ولا يدرك في حبائل الشيطان، والتخلي من قيود وأنظمة التشريع الإسلامي الصحيح، الذي جاء به المشرّع الأعظم (ص) فإنه سيعتقد حينئذ بالله تعالى، ولكن بغير ما أنزله الله، والذّي تعتقده المذاهب الإسلامية والمسلمون منذ بدأ الخليقة... كما وأنه سيعتقد بالأنبياء والمرسلين والأوصياء ولكن عكس الموازين والحدود التي حددها الأولون في هذا الباب... وسيعتقد بالكتاب والصحف السماويّة لكن غير مرتبطة بما فهمه وشرحه الأقدمون، من كيفيات وحيها وحدود سلطانها وموازينها العقلية، المستمدة من الكتاب والسنة، والخلاصة أن الشيطان سيسوّل له عقيدة دينية، وتشريعاً إسلامياً تعتبر في الحقيقة كفراً والحاداً، وزندقة وفسقاً، نحو ماجاءت به الوهابية، من تصريحات وأقوال ونظريات وآراء تتجسد في كل واحدة منها روح الشرك والإستهتار، والفساد والإلحاد والتطاول والخروج على الكتاب والسنة، والحكم والقول بغير ما أنزل الله سبحانه كما ستقف عليه في الصفحات التالية.

والغريب المضحك... أن تقوم عصابة من المرتزقة، وشرذمة من ذوي الأقلام المأجورة التي تستخدم لخدمة كافة المجالات والإتجاهات، والأغراض الدنيئة أزاء تسلم بعض النقود، من منافع البترول وعوائد الذهب الأسود... للدفاع عن الوهابية المقبورة، وتوصيفها بالإسلام الصافي... والإسلام الصحيح... وإنّ القائم بها أراد أن يخلص المسلمين من الضلالات والبدع والخرافات والأساطير المتحكمة في نفوس العامة وغير العامة، مكان القيم الصحيحة للإسلام ومبادئه، حتى أصبحت بعض الأشجار والكهوف والمغاور والقباب والأضرحة موضع قداسة وشفاعة أقرب إلى العبادة (٢٨).

إنّ الأديب المأجور... أحمد عسه..؟ ومن على شاكلته من المرتزقة القابعين على فضلات موائد آل سعود... لا يهمهم من الحياة والعيش غير تصاعد أرقام ودايعهم النقدية في البنوك، مهما كلف الأمر، وبكل وسيلة وطريقة وإن أدى إلى تشويه الواقع وقتل الحق والحقيقة، وانتصار الباطل والبغى، وإظهارهما بمظاهر الورع والتقوى مع وجود أدلة ظاهرة، وحجة دامغة في صفحات كتبهم على إبتعادهم من أطار الإسلام، وتخليهم من ربقة الدين،

وعدم رعايتهم للآداب الإسلامية، والموازين الشرعية، بالأضافة إلى التخلف والنفاق والمجاملة السافرة الظاهرة على صفحات مؤلفاتهم منذ البداية إلى النهاية.

ولهذه التصانيف أثرها السيّء، وتأثيرها الفاسد، عند أفكار السذّج من العامة فإنّهم يشاهدون كتاباً ضخما عليه كافة المحاسن الطباعية، من الورق الجيد، والتجليد، والإخراج، فيحسبونه سفراً جاء إليهم بخير الدارين، وقد ذهب عليهم أنّ الكتاب خلومن الواقع والصواب، ولم يستهدف مؤلفه منه غير إغفال القراء، وتشويه الحقايق، وسرد مواضيع خطها يراعه المحطم، لصالح جهة معينة، والدعاية لها مقابل دراهم معدودة، ولو جست خلال صحايفه لأوقفك البحث والمطالعة على العجب العجاب، والسم الممزوج بالعسل، والكذب الشائن والتحكم البارد، والتهكم الممض، والنسب المختلقة، والتضليل المفسد، والمدح الكاذب، وكأنه (ظلمات في بحر لجىّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكديراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) (٢٩).

ومهما يكن من أمر فالتاريخ والأجيال، ستحاسب أمثال هذا المؤلف المرتزق... على أكاذيبه ومختلقاته، ودجله، ومراوغته، وخداعه السافر الذّي يربو على عدد صفحات كتابه ــ معجزة فوق الرمال ــ البالغة ٨٥٣ و إنّ الله سبحانه له كذلك في الغد، لبلمرصاد و إنّه على صراط مستقيم.

وقبل الخوض في التحدث عن الوهابية... وعرض معتقداتها الرامية للوثنية، والشرك ، والكفر، والنفاق، لا بد لنا الوقوف على كنهه واضع لبنتها الأولى ومعرفة مراحل حياته من خلال دراسته وتلمذته، وسطور تآليفه، وفلتات لسانه، ونشأته لأن القضايا هذه تساعدنا للوقوف على أصالته الخبيثة، ونفسيته الجشعة الأمارة بالسوء، والجذور الدافعة به إلى شن غارته، وتحديّه ومحاربته الفاشلة للتشريع الإسلامي، وقتله الذريع للمسلمين، وتكفيره لكل من يخالفه في مسيره ومصيره الشيطاني، وكذلك العوامل الباعثة له لنشر الفوضى، والقتل، والنهب، والسلب، و إراقة الدماء، والكفر، والفساد، والتدمير في المنطقة، ودعوة العامة للتخلى عن القيم والفضائل الإنسانية بصورة عامة.

الرجل الوغد... الذّي كانت نتيجة حياته القذرة (١١١٥ ــ ١٢٠٧ هـ) إستيلاء الوهابيين من أعراب نجد على الحجاز، والحرمين الشريفين، وهدم معالم المسلمين، و إبادة قبور أئمة أهل الحق، من العترة الطاهرة، وجمع من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه، وكل نقطة ومحل يزار ويتبرّك به في الحجاز، وتشويه محاسن تلك المشاهد الشريفة، والمشاعر الآلهية التي يحن ويشتاق إليها قلب كل مسلم، في جميع الأنحاء المعمورة، لما لأهلها

ولأصحابها من المكانة العظيمة، والمنزلة الشريفة عندالله تعالى، وعند عامة المسلمين على اختلاف مللهم ونحلهم ولغاتهم، فجعل لتعصبه ونزعته الأموية المتأججة بالحقد، والحسد، والكفر، والشرك ... قبور قادة الدين، وأئمة الحق، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزّان العلم، ومنتهى الحلم، وأصول الكرم، وقادة الأمم، واولياء النعم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأمناء الرحمان، وسلالة النبيين، وصفوة المرسلين، وعترة خيرة ربّ العالمين، بعد تسويتها بالأرض معرضا لدوس الأقدام، ووقوع وتجمع المزابل والقذرات، وروث الدواب والكلاب، ووطئها بأرجلها وربضها فوقها، إلى غير هذا من أنواع الإهانات والتحقير والإستهانة... فآذوا الله سبحانه بأعمالهم الشريرة الوحشية هذه، وآذوا نبيه (ص) وأحرقوا قلوب المسلمين، وجرحوا مشاعر المؤمنين وعواطفهم، واستحقوا اللعنة الأبديّة المتواصلة المتلاحقة على امتداد التاريخ، إلى يوم الحساب (إنّ الذّين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً. والذّين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا و إثماً مبيناً (٣٠).

ومن المعلوم أن الله سبحانه منزّه من أن يناله الأذى، وكل ما فيه وصمة النقص والهوان والتطاول والوقيعة، فذكره مع رسول الله (ص) وتشريكه في إيذائه تشريف للنبيّ الأقدس (ص) و إشارة إلى أن من قصد رسوله بسوء، فقد قصده أيضا بالسوء، إذ ليس للرسول بما أنه رسول إلّا ربه، فمن قصده فقد قصد ربّه. وقد أوعدهم الله باللعن في الدنيا والآخرة، واللعن هو الإبعاد من الرحمة، والرحمة الخاصة بالمؤمنين، هي الهداية إلى الإعتقاد الحق، وحقيقة الإيمان ويتبعه العمل الصالح، فالإبعاد من الرحمة في الدنيا تحريمه عليه جزاء لعمله، فيرجع إلى طبع القلوب كما قال الله تعالى: **(ولعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية)** (٣١).

وأما اللعن في الآخرة فهو الإقصاء من رحمة القرب فيها فقال سبحانه: **(كلا إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون)** (٣٢) ثم أوعدهم بأنه أعد لهم الله في الآخرة عذاباً مهينا، ووصف العذاب بالمهين، لأنهم يقصدون باستكبارهم في الدنيا إهانة الله ورسوله فقوبلوا في الآخرة بعذاب يهينهم (٣٣) و إلى هذا يشير رسول الله (ص) في قوله:

من آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.

من آذى مسلما أذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.

من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة، لقى الله مكتوب بين عينيه (آيس من رحمة الله).

إنّ أوّل من زرع بذور المذهب الوهابي، هو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ريس ابن زاخر بن محمد بن علي بن وهيب التميمي، ولد في بلدة العينية، وهي بلدة صغيرة في وادي حنيفة في نجد، وذلك سنة ١١١١ هـ، وذهب بعضهم أنه ولد بالدقّة والتحديد عام ١١١٥ هـ، الموافق ١٧٠٣ م، وبعد أن قطع مراحل الطفولة حضر وأخذ في أول أمره عن كثير من علماء مكة والمدينة، ونشأ على العلم لأن بيت والده كان بيت علم، وفقه، ودراسة للمذهب الحنبلي... ولم يلحظ عليه أبوه وشيوخه في طفولته غير الضلال، والإضلال، وضعف العقل، والتخلف في دماغه وتفكيره. وكان والده عبدالوهاب من العلماء الصالحين إلّا أنه لم يزل يتفرّس في ولده محمد ذلك، ويذمّه كثيراً ويؤنبه ويسخر به، ويحذّر الناس والعامة والأسرة منه. وكذا أخوه سليمان بن عبدالوهاب النجدي المتوفى بعد سنة ١٢٠٦ هـ، فقد أنكر عليه ما أحدثه في كبره وألف كتبا في الردّ عليه ومنها: الصواعق الآلهية في الردّ على الوهابية. وفصل الخطاب في الردّ على محمد بن عبدالوهاب (٣٤) وبعد أن حصل على شيء من القراءة والكتابة، أصبح مولعاً بمطالعة و إستقصاء أخبار مدّعى النبوة أمثال:

١ ـ مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبوثمامة المتوفى ١٢ هـ، ولد ونشأ في نفس البلدة التي ولد بها محمد بن عبدالوهاب، وتسمى اليوم بالجبيلة بقرب العيينة بوادي حنيفة في نجد. وتلقب في الجاهلية بالرحمن، وعرف برحمان اليمامة، ولما ظهر الإسلام في غربى الجزيرة، وافتتح النبيّ (ص) مكة، ودانت له العرب جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: وكان مسيلمة معهم إلّا أنه تخلف مع الرحال خارج مكة، وهو شيخهم فأسلم الوفد، وذكروا للنبىّ (ص) مكان مسيلمة فأمر له بمثل ما أمر به لهم. ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسيلمة إلى رسول الله (ص) من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك أما بعد فإنّي قد أشركت في الأمر معك وإنّ لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون ـ.

فأجابه النبيّ (ص) بسم الله الرحمن الرحيم... من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين... وأكثر مسيلمة من اختلاق أسجاع يضاهي به القرآن، ومات النبيّ (ص) قبل القضاء على فتنته، وفي عهد أبي بكر توجّه جيش الإسلام نحوه وهاجم ديار بني حنيفة، وتقاتلوا وانتهت المعركة بقتل مسيلمة سنة ١٢ هـ، ولا تزال إلى اليوم آثار قبور الشهداء من الصحابة ظاهرة في قرية الجبيلة حيث كانت الواقعة (٣٥).

٢ ــ سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية، من بني يربوع أم صادر ماتت نحو ٥٥ هـ. كانت شاعرة أديبة عارفة بالأخبار نبغت في عهد الردّة، وادّعت النبوّة بعد وفاة النبيّ (ص) وكانت في بني تغلب بالجزيرة. وكان لها علم بالكتاب أخذته عن نصارى تغلب، فتبعها جمع من عشيرتها، فأقبلت بهم من الجزيرة تريد غز وأبي بكر فنزلت باليمامة فبلغ خبرها مسيلمة (المتنبيء أيضا) وقيل: له إنّ معها أربعين ألفا فخافها، وأقبل عليها في جماعة من قومه وتزوّج بها فأقامت معه قليلاً، وأدركت صعوبة الإقدام على قتال المسلمين، فانصرفت راجعة إلى أخوالها بالجزيرة. ثم تحوّلت إلى البصرة وماتت بها (٣٦).

٣ ــ الأسود ذوالخمار عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، من أهل اليمن المتوّفى ١١ هـ. متنبيء مشعوذ كان بطاشا جباراً أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبيّ (ص) فكان أوّل مرتد في الإسلام، وادعى النبوّة وأرى قومه أعاجيب، إستهواهم بها، فاتبعته مذحج وتغلب على نجران، وصنعاء، واتسع سلطانه حتى غلب على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف، إلى البحرين، والأحساء إلى عدن. فجاءت كتب رسول الله (ص) إلى من بقى على الإسلام في اليمن، بالتحريض على قتله فاغتاله أحدهم في خبر طويل، أورده إبن الأثير في تاريخه الكامل. وكان مقتله قبل وفاة النبيّ (ص) بشهر واحد. وكان له شيطان؟ يخبره بالمغيبات، فضل به الكثير من الناس وكان بين ظهوره وقتله نحو من أربعة أشهر (٣٧).

٤ ــ طليحة بن خويلد الأسدي. من أسد خزيمة مات ٢١ هـ. شجاع من الفصحاء يقال له (طليحة الكذّاب) كان من أشجع العرب، يعد بألف فارس قدم على النبيّ (ص) في وفد بني أسد سنة ٩ هـ، وأسلموا ولما رجعوا ارتد طليحة وادّعى النبوّة في حياة رسول الله (ص)، فوجّه إليه ضرار بن الأزور، فضربه ضرار بسيف يريد قتله فنبا السيف فشاع بين الناس أن السلاح لا يؤثر فيه. ومات النبيّ (ص) فكثر أتباع طليحة من أسد، وغطفان، وطيئ. وكان يقول: إنّ جبريل يأتيه. وتلا على الناس أسجاعاً أمرهم فيها بترك السجود، في الصلاة. وكانت رايته حمراء. وطمع بامتلاك المدينة فهاجمها بعض أشياعه فردّهم أهلها، وغزاه نفر من الصحابة فانهزم طليحة إلى بزاحة (بأرض نجد) وكان مقامه في سميراء (بين توز والحاجر في طريق مكة) فقاتلوه ففر إلى الشام ثم أسلم بعد أن أسلمت أسد، وغطفان كافة.

ووفد على عمر فبايعه في المدينة. وخرج إلى العراق، فحسن بلاؤه في الفتوح واستشهد بنهاوند (٣٨).

إلى غيرهم من المرتدين المشعوذين الذين ادّعوا النبوّة وأمثالهم.

وقال ملطبرون كونزاد المتوفى ١٢٤٢ هـ، ١٨٢٦م، من علماء الجغرافيا الإفرنسيين في كتابه (الجغرافيا العمومية): أصل المذهب الوهابي أن العرب سيما أهل اليمن، تحدّثوا بأن راعياً فقيراً إسمه سليمان رأى في منامه كأن شعلة نار خرجت منه وانتشرت في الأرض. وصارت تحرق من قابلها فقصها على معبر فعبرّها، بأن ولداً له يحدث دولة قوية تبيد كل من يقف في طريقها فتحققت الرؤيا في حفيده محمد بن عبدالوهاب، فلما كبر محمد صار محترماً عند أهل بلده بسبب تلك الرؤيا التي لا يعلم إنها كانت أم لا؟ فأول أمره بين مذهبه سراً فأتبعه جماعة ثم سافر إلى الشام فلم يتبعه أحد، فرجع إلى بلاد العرب بعد أن غاب عنها ثلاث سنين، وجاء إلى بلاد نجد، وأظهر هذا المذهب فتبعه عليه سعود، وكان شهماً حازماً وتقوّى كل منهما بالآخر، فقوى سعود إمارته من طريق الدين، باتباعه محمد بن عبدالوهاب على مذهبه، وقوى ابن عبدالوهاب دعوته من طريق السيف باتباع سعود له وانتصاره به، فكان سعود الأمير الحاكم، وابن عبدالوهاب الرئيس الديني، وصارت ذريّة كل منهما تتولى مرتبة سلفها، وبعد أن صار سعود حاكماً على قبيلته، تغلب على قبيلتين من اليمن، ودان بهذا المذهب قبائل كثيرة من العرب، وجميع أعراب نجد، واختاروا مدينة الدرعية قاعدة بلادهم، وهي في الجنوب الشرقي من البصرة، وبعد خمس عشرة سنة اتسعت ولاية سعود، وهو يطمع في الزيادة وكان يأخذ ممن يطيعه عشر المواشي والنقود والعروض بل والأنفس، فيأخذ عشر الناس بالقرعة فجمع أموالا عظيمة وصار جيشه يربو على مائة وعشرين ألف مقاتل (٣٩).

وقال شيخ الاسلام أحمد بن زيني بن أحمد دحلان المكي مفتي السادة الشافعية بمكة المتوفى ١٣٠٤ هـ. في كتابه (خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام) كان إبتداء ظهور محمد ابن عبدالوهاب سنة ١١٤٣ هـ، واشتهر أمره بعد الخمسين فأظهر العقيدة الزائفة بنجد، وقرأها فقام بنصره محمد بن سعود أمير الدرعية، فحمل أهلها على متابعته فتابعوه ومازال يطيعه كثير من أحياء العرب، حتى قوى أمره فخافته البادية وكان يقول لهم: إنّما أدعوكم إلى التوحيد، وترك الشرك بالله.

وقال أيضا في موضع آخر من كتابه: ـ إنّ الوهابيين أرسلوا في دولة الشريف مسعود ابن سعيد بن زيد المتوفى سنة ١١٦٥، ثلاثين من علمائهم فأمر الشريف أن يناظرهم علماء الحرمين فناظروهم، فوجدوا عقائدهم فاسدة. وكتب قاضي الشرع حجة بكفرهم، وسجنهم، فسجن بعضهم، وفرّ الباقون. ثم في دولة الشريف أحمد المتوفى سنة ١١٩٥ هـ، أرسل أمير الدرعية، بعض علمائه فناظرهم علماء مكة، وأثبتوا كفرهم فلم يأذن لهم في الحج (٤٠) إنتهى ملخصاً.

وقال محمود شكري الآلوسي البغدادي بن عبدالله بن محمود بن عبدالله بـن محمود الحسيني ١٢٧٣ــ١٣٤٢هـ، في كتابه (تاريخ نجد) الذي ألفه خلال إقامتـه في نجد، حين انتدبتـه الحكومة العثمانيـة للسفر إلى نجد والسعي لدى عبدالعزيز آل سعود، للقيام بمناصرتها ــ إنّ ابن عبدالوهاب نشأ في بلد العينية من بلاد نجد فقرأ على أبيه الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وكان من صغره يتكلم بكلمات لا يعرفها المسلمون، وينكر عليهم أكثر الذي اتفقوا على فعله، لكنه لم يساعده على ذلك أحد فسافر من العينية إلى مكة المشرّفة ثم إلى المدينة فأخذ عن الشيخ عبدالله بن ابراهيم بن سيف، وشدد النكير على الإستغاثة بالنبيّ (ص) عند قبره.

ثم رحل إلى نجد، ومنها إلى البصرة، يريـد الشام فلما ورد البصرة أقام فيها مدة، وأخذ فيها عن الشيخ محمد المجموعي، وأنكر على أهلها أشياء كثيرة فأخرجوه منها، فخرج هارباً ثم جاء بعد عدة تحـوّلات الى بلد حريملة من نجد، وكان أبوه بها فلازمه وقرأ عليه وأظهر الإنكار على مسلمي نجد في عـقائدهـم، فنهاه أبـوه فـلم ينـتـه حتى وقع بينهما نـزاع ووقع بـينه وبين المسلمين في حريملة جدال كثير، فأقام على ذلك سنتين حتى توّفي أبوه سنة ١١٥٣ هـ، فاجترأ على اظهار عقائده والإنكار على المسلمين فيما أطبقوا عليه، وتبعه حثالـة من الناس إلى أن غص أهل البلد من مقالاتـه، وهموا بقتله فـانتقل من حريملـة إلى العينيـة، ورئيسها يومئذ عثمان بن أحمد بن معمر فأطمعه ابـن عبدالوهاب في ملك نجد، فساعده عثمان وأعلن النكير على المسلمين، فـتبعه بـعض أهل العينية، وهـدّم قبة زيد بن الخطاب (٤١) التي عنـد الجبيلة فعظم أمره وبلغ خبره سليمان بن محمد بـن عزيز الحميـدي، صاحب الأحساء، والقطيف، وتـوابـعها فأرسل سـليمان كتاباً إلى عـثمان يأمره فيـه بقتله ويهدّده على المخالـفة فلم تسعه مخالفته.

فأرسل إليه وأمره بالخروج عن مملكته، فقال له: إن نصرتني ملكت نجدا فلم يسمع منه وخرج إلى الـدرعية سنة ١١٦٠، وهي بلاد مسيلمـة الكذّاب، وصاحبها يومئـذ محمد بن سعود، من قبيلة عنيزة فتوّسل بامرأة الحاكم إليه وأطمعه في ملك بلاد نجد، فتبعه وبايعه على قـتال المسلمين فكتـب إلى أهـل نجد ورؤسائهم، وقضاتهم يطلب الطاعة فأطاعه بعضهم، وبـعضهم لم يحفل به فـأمر أهل الدرعية بالـقتال فأجابوه، وقاتـلوا معه أهل نجد، والأحساء، مـراراً كثيرة حتى دخـل بـعضهـم في طاعتـه طوعاً أو كرهـاً، وصـارت إمـارة نجـد جميـعـها لآل سعود، بالـقـهر والغلبـة. ومات ابن عبدالـوهاب سنة ١٢٠٦، وقيـل: ١٢٠٧هـ، ثـم مات محمد بن سعود فخلفه ولده عبدالـعزيز، وقام بنصرة هذا المذهـب، وقاتل عليـه وبلغت سراياه

وعماله أقصى بلاد نجد، ثم مات عبدالعزيز فخلفه ولده سعود، وكان أشد من أبيه في التوهب، منع المسلمين عن الحج، وخرج على السلطان، وغالى في تكفير من خالفهم، ثم مات سعود وخلفه إبنه عبدالله (٤٢).

إنّ ماذكره المؤرخون في تضاعيف تصانيفهم، إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على أن إبن عبدالوهاب الشرير الساقط، كان طوال عمره دوامة للفساد، والعبث، والقتل، والتحريض، والصخب، لم تركن نفسيته الخبيثة الأمارة بالسوء إلى الهدوء والسلام لحظة من اللحظات، ولم يهدأ من اشعال الفتنة والتنازع والمخاصمة بين المسلمين في وقت ما، فهو في الواقع كان حرباً وتدميراً ومعولاً هداماً للقيم الإسلامية، والمثل الإنسانية تسانده القبائل والعشائر البدويّة الهوجاء، المناوئة لولاية الأشراف، والمعادية لأمارة الشرفاء المسلمين، المؤمنين، الرافضين لمخازي الوهابية الزعوفة... القبائل الوحشية المتخلفة عن سمات الحق، والخير، والفضيلة، والدين، وفي رأسهم آل سعود... مطية الوهابية، وحمالة الجرائم والرذيلة الخانعة لدستور وبرامج ذلك المخرف الأحمق الذّي حارب الإسلام، والقرآن، والشريعة، ومنع المسلمين من أداء فريضة الحج عدّة أعوام وانقطع الحج، والزيارة في أيامهم... وقد قيل من قبل: لا تولد الحية إلّا الحية... واليوم تعيد أبناء هٰؤلئك الجلاوزة الكرّة ثانية، فتعمل في منع المسلمين بشتى الوسائل، والحيل، والعوامل الواهية عن حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه (ص).

(وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد. إنّ الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذّي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٤٣).

لقد تأثرت عقلية إبن عبدالوهاب الفظة بفتاوى أحمد بن حنبل، وتخرصات ونظريات تلميذ مدرسته أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني الحنبلي، صاحب البدع والفتاوى، والعقائد الخراصة المعروفة الذّي حكم فقهاء المذاهب الأربعة، وأئمتهم بضلالته، وبفساد عقيدته، وبمؤلفاته السخيفة التي كانت تشغل باله في رحلاته العديدة وفي أحاديثه المختلفة، مع رجال الدين وغير رجال الدين، ففكر كثيرا ما بالوسيلة التي تعينه على تطبيق نظريات إبن تيمية... فاهتدى إلى أن خلق الفوضى، والإرعاب، والاضطراب، بالسيف والقوّة الوسيلة الفذة ولكن باسم العودة إلى الدين الإسلامي... وصفائه في أيامه الاولى، وإلى أخلاق الإسلام ونهجه في الحياة، لأغراء السذج، وتحكيم سيطرته الفاسدة ونشر إعتقاداته الباطلة، فنهج منهج أحمد بن حنبل،

وابن تيمية... لقناعته إنّ الدعوة الإسلامية التي نهضت بالمجتمع ونمته ودفعته إلى التطور والإزدهار، ورفعت من شأنه خلال إثنى عشر قرناً يمكن تحطيمها ودفعها إلى الوراء، وجعلها مجتمعا متخلفا يرفس على فراش الفقر والمرض والجهل والفساد.

وكان أول مكان جهر فيه الشيخ الأرعن... بدعوته الضالة مدينة البصرة، وهي مدينة عراقية مؤمنة ومكافحة ومناضلة في سبيل الولاء والحب للعترة الطاهرة عليهم السلام، وقد تأثرت هذه المدينة بما وفد عليها من معتقدات وتسرّبت إليها من أخبار وأحداث ومناقب وفضائل وأحاديث عن الأئمة الهادين المهديين عليهم السلام... من إيران. فلما انتقد تلكم الطقوس والمعتقدات والعادات وحمل على النبيّ (ص) وعترته وذريّته، بكلمات قارصة إصطدم بتقاليد المجتمع، وأدى هذا الإصطدام إلى ضجة عامة ساخطة أكرهت الشيخ..؟ على الفرار وترك البصرة مشياً على الأقدام متوجّها إلى مدينة الزبير، في يوم شديد القيظ لينجو بنفسه. وكان في نيته أن يذهب إلى بلاد الشام، ولكن إفلاسه وضنك يده من النقود حمله بعد ذلك إلى العودة لأهله في العينية كيف لا وقد تلاحقته الخيبة والخذلان.

عاد إلى العينية، وأخذ في الدعوة وبث أراجيفه وطلب من أميرالعينية أن يشاركه في رسالته، فبايعه كرها خوفا على نفسه و إمارته وعشيرته، وآزره في قطع بعض الأشجار، و إحراق البساتين العائدة للمخالفين له، وتهديم بعض القباب التي كان الناس يقدّسونها، ويتجهون إليها في أدعيتهم، وطلباتهم، وابتهالاتهم، ومشاكلهم، فأحدث تقطيع و إحراق الأشجار وتهديم القباب سخطا ملحوظا في ذلك المجتمع، فاجتمع نفر من رجال الدين وحرّضوا أمير الأحساء على طرد الشيخ، ونفيه فأرسل الأمير إلى عامله في العينية يطلب إليه أن ينذر المشعوذ بالعودة عن غيه وضلاله، وترك المجتمع يعيش وفق التقاليد التي يمارسها، وآمره بقتله إن لم ينفذ الشيخ ما طلب إليه.

كان من الطبيعي أن يصرّ ابن عبدالوهاب..؟ على غيه وضلاله وفسقه، ولا يبدّل رأيه فكذلك كان، ووجد أن أمير العينية ليس من منعة الجانب بحيث يقف في وجه أمير الأحساء، فخرج منها وتوجّه إلى الدرعية مقر إمارة آل سعود... لما له فيها بعض المغترّين بدعوته، ولم يكونوا كثرة، وهنا دعا أميرها إلى نصرته واتباع طريقه فتردد الأمير في الإضطلاع بهذه المهمة خوفاً من تألب الأمراء والعشائر في نجد عليه، ولكنه استشار زوجته (موضى بنت أبي وطيان) من آل كثير في هذا الأمر، حتى أشارت عليه أن يكرم وفادة الشيخ، ويحميه بعد أن كانت قد اجريت إتصالات في الخفاء، ووراء الستار بين الشيخ والمرأة بهذا الخصوص فأمرت زوجها أمير الدرعية بالإنضمام إلى دعوته وقالت له: ـ إنّ مجيء الشيخ إليك هو

عطية السماء لك... فاغتنم ما خصك الله به.

آل سعود... يحتضنون محمد بن عبدالوهاب...؟

عمل أمير الدرعية (وتعرف اليوم باسم أم الساهك) بنصيحة زوجته، وقصده مع رجاله الأشداء في بيت مضيفه أحمد بن سويلم، فرحب به وعاهده على حمايته.ونصرته، وتم الإتفاق بين محمد بن عبدالوهاب، والأمير محمد بن سعود، وتعاقد الاثنان على المتاجرة بالدين، وكان الإتفاق كالآتي:

١ ــ الجانب الأول محمد بن سعود... أن يكون له ولذريّته من بعده السلطة الزمنية أي الحكم. وأن ينصر دعوة الشيخ بسيفه إذا ما احتاجت نصرتها إلى الجهاد، والقتال.

٢ ــ الجانب الثاني محمد بن عبدالوهاب.. أن يكون له ولذريّته الإمامة والسلطة الدينية ــ أي الإفتاء بتكفير وقتل كل من لا يسير وفق نهجه، ولا يدفع ما لديه من مال وتجارة وأملاك، وقتل كافة الرافضين لدعوتهم والإستيلاء والسيطرة التامة على أموال المخالفين. وكان من بين بنود هذا العهد ألا يلجأ محمد إلى حمى أمير آخر.

وتم هذا الإتفاق عام ١١٥٨ هـ، الموافق عام ١٧٤٠ م، وهكذا تمت الصفقة وبدأت المشاركة وسمي محمد بن سعود إمام المسلمين..؟ وكذلك سمي محمد بن عبدالوهاب إمام الدعوة، وسارت شركتهما على هذا النهج الفاسد، غير أن الكثيرين من القبائل والأمراء، تألبوا عليهما وكان من بينهم أمير الرياض دهام بن دوّاس، وقبائل الوشم وسدير، إلّا أن ابن سعود، لم يجد بداً من اغتيالهم وقتلهم، فقد بدأت معارك طاحنة ومقاتلات عنيفة، وكانت بداية أعمالهما الإجرامية تلك إرسال عميل مرتزق إلى حاكم الرياض قرية العارض آنذاك لا غتياله فاغتالوه. وبذلك سيطروا على العارض، ثم ارسلوا بعض المرتزقة إلى حاكم بلدة العينية، فاغتالوه أثناء أدائه لصلاة الجمعة، وزعموا أن عثمان بن معمر حاكم العينية كان مشركا كافراً فلما تحقق أهل الإسلام من ذلك، تعاهدوا على قتله بعد إنتهائه من صلاة الجمعة وقتلوه، وهو في مصلاه بالمسجد في رجب سنة ١١٦٣ هـ، وفي اليوم الثالث لمقتله جاء محمد بن عبدالوهاب إلى العينية تصحبه شرذمة فعين عليهم مشارى بن معمر وهو من أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

أما كيف يكون حاكم العينية مشركا كافراً وهو مقتول في مصلاه بالمسجد ويوم الجمعة..؟ فذلك سؤال يمكن الإجابة عليه أن حاكم العينية كان يعبد ربّا خلاف ربّ اليهود... الربّ الأفاك السفاك الأثيم محمد بن عبدالوهاب، وزميله محمد بن سعود اليهودي،

ولكن أهالي العينية لم يصبروا على ظلم الباغيين، فثاروا عليها ثورة رجل واحد إلّا أن البطش السعودي، والباطل الوهابي، انتصرا على الحق والواقع، فدمرا بلدتهم العينية تدميراً شاملا عن آخرها، هدّموا الجدران وردموا الآبار، وأحرقوا الأشجار والحقول، واعتدوا على أعراض النساء، وبقروا بطون الحوامل منهن وقطعوا أيادي الأطفال وأحرقوهم بالنار، وسرقوا المواشي، وكل ما في البيوت وقتلوا كل الرجال...

كانت مساحة بلدة العينية تبلغ (٤٠ كيلومتراً) غاصة بالسكان، متراصة المساكن إلى حد أن النساء كن في أيام الأفراح والأعياد، والمناسبات الشعبية، يتبادلن التهاني والأحاديث، والأخبار، من طبق البيوت والنوافذ، وما تلبث هذه التهاني والمعلومات، والأخبار إلّا أن تعم كافة أنحاء البلدة بسرعة لا تتجاوز الساعة نظراً لا حتشادها بالسكان، ولكن البغي قد جعل من ابلدة العينية قاعاً صفصفاً خراباً تراباً. وكانوا بجريمتهم الصهيونية هذه، إيقاع الرعب في نفوس سكان بقية البلدان الاخرى. ليسهل إستيلاؤهم عليها، وهكذا بقيت العينية ولا زالت خراباً منذ عام ١١٦٣ هـ، حتى يومنا هذا (٤٤).

وعندما حمل آل سعود، مهمة الدعوة الوهابية في عهد محمد بن سعود، لم تكن حدود إمارتهم تتعدى بلدتين أو ثلاثا مع القرى التابعة لها في وادى حنيفة. ولما توفي محمد بن سعود، بعد أن قاتل المسلمين بسيفه وأباد معالمهم الإنسانية الخالدة واحداً وعشرين عاماً، إستلم راية الموت والتدمير من بعده إبنه عبدالعزيز بن محمد، فبسط سيفه وظلمه على كثير من البوادي والحواضر في شبه الجزيرة ناشراً وداعياً، حيثما حلّ تعاليم محمد بن عبدالوهاب حتى بلغ الرياض ففتحها بعد غزوات متوالية إستمرت خمس سنوات ثم اجتاز برجاله الأوغاد، فوصل إلى القصيم ودخل بريدة، وغزا الأحساء، وغار على بني خالد، وتوجّه نحو العراق، وكان قائد جيشه في هذه الحملة إبنه سعود، وقاتل مع قبائل كثيرة حتى بلغ إلى عريق الدسم، وملك بالقوة والقهر والجور عدّة من قرى نجد، وحاصر عنيزة قرية بسام فتصدى الشريف غالب أمير مكة إلى قتالهم وردّهم، وغزا الوهابيين ما ينوف على خمسين غزوة من سنة ١٢٠٥ ـ ١٢٢٠ هـ، واسترجع منهم المدن والقرى المغتصبه وقتل أتباع ابن سعود.

ثم جهز جيشا بامرة الشريف عبدالعزيز، لقتال القبائل التي دخلت في دين الوهابية، فوصل به إلى تربة ثم إلى رينة ثم إلى بيشة، فأطاعته كلها ثم عاد إلى مكة. ولم يتقاعس امراء مكة الشرفاء من محاربة الوهابية فقد أعادوا الكرة عليهم سنة ١٢٠٨ هـ، بجيش من العربان بامرة عثمان المضايفي، وصبح بن قيحان، بموضع يقال له: عقيلان، وحصلت بينهم، وبين الوهابيين معركة وملحمة دامية عظيمة انتصر فيها عثمان، وأخذ جميع ابل ابن قيحان ثم هزمه

ابن قيحان، ولم ينتزع منه الإبل. وفي سنة ١٢٠٩ هـ، جهز الشريف جيشاً بامرة أخيه عبدالمعين لغز وهادي بن قرملة، وكان ممن توّهب فنذر به وهرب فقصد ابن قطنان من أتباع ابن سعود، فحصره في قصره وقبض عليه وأرسله إلى الشريف غالب فسأله العفو فعفا عنه، وأطلقه فلما وصل إلى بلده غدر وأظهر العصيان، فدّس إليه من قتله، وتوجّه مواضع فيها أتباع ابن سعود فقتل منهم ثم عاد إلى مكة.

وفي سنة ١٢١٠ هـ، جهز جيشاً بامرة السيد ناصر فغزا جماعة من الوهابية فقتل ونهب، وعاد سالماً. وبعث أيضا جيشا بامرة السيد فهيد بن عبدالله، وغزا جماعة من الوهابية، وقبض على ثلاثة جواسيس أرسلهم هادي بن قرملة فقتل إثنين وأخبره الثالث بموضع القوم مخافة القتل، فعفا عنه وجد في السير، وفي اليوم الثاني وصل إلى محل هادي بن قرملة فقتل من أصحابه نحو المائة وانهزم الباقون. فتوجّه إلى طريق الفرشة فصادف جماعة من قحطان بامرة ابن قيحان، وهو ممن توّهب فقتل منهم، ونهب وصادف ابن شذير من شيوخ قحطان غازيا فقتل من أصحابه خمسة وأربعين، وأخذ ابن شذير و إبله وخمسة من الخيل وعشرين من جياد الركاب.

ثم جهز جيشاً بامرة أخيه عبدالمعين فأرسل العيون فوجد من يريده من العربان قد ترّفع وأبعد لما سمعوا به فأبقى جماعة في تربة، ورجع ثم جهز جيشاً كثيفا بامرة السيد ناصر، حتى أتى الشماس فدهمهم جيش الوهابيين فجرت ملحمة عظيمة، وقتل من الفريقين خلق كثير، ورجع السيد ناصر إلى مكة.

وفي سنة ١٢١١ هـ، جهز جيشا بامرة السيد فهيد، فأرسل سريّة إلى الخرمة فقتلت منهم، ثم أغار على قوم من حرب توّهبوا ثم ارتحل إلى روغ النعام، فدهمهم الحجيلاني أمير الخرج، بجند كثير فوقعت ملحمة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين، ثم غزا هادي بن قرملة بموضع يقال له: البقرة فقتل منهم، وأخذ فرس ابن قرملة، وابله ثم رجع إلى مكة.

وجهز له الشريف غالب جيشا، وأمره بالرجوع فملك رينة، ونهبها وأحرق دورها ثم أتى الجنينة وأرسل الجواسيس إلى قوم سماهم فأخبر بارتحالهم فعاد إلى مكة.

وفي سنة ١٢١٢ هـ، جهز جيشا بامرة السيد فهيد، على قوم من حرب في عريق الدسم توّهبوا فغنم وعاد سالماً.

ثم جهز جيشا بامرة السيد مبارك فأغار على قوم من حرب توّهبوا بموضع يقال له (العلم)، فغنم مواشيهم وصادف في طريقه خمسة وأربعين من الوهابية فقتلهم، وأراد الرجوع فمنعه الشريف غالب وأمدّه بجيش بامرة السيد سعد فاجتمعا على صلبة، وارتحلوا وأقاموا على

(مران) وبثوا الجواسيس فبلغهم أن الوهابي، جمع لهم مالا طاقة لهم به فأرادوا الرجوع فمنعهم الشريف غالب، وخرج بنفسه في جيش عظيم حتى وصل إلى (مران) واجتمع بهما ثم أغار على قوم من قحطان، وأخذ مواشيهم. ثم أغار على ابن قرملة في (القنصلية) وقتل منهم مقتلة عظيمة، وفرّ ابن قرملة منهزماً ثم عاد إلى (رينة) وحاربها وقطع نخلها فطلب أهلها الصلح، فعفا عنهم وارتحل إلى (بيشة) فأقربها جماعة أطاعوه، وفرّ آخرون فأحرق دورهم وارتحل إلى (الخرمة) فأبادها، وجاءه خبر بقدوم الوهابيين في جمع عظيم فاتّهم المخبر، وبعد يومين اقبلوا في جموعهم، والتحم القتال فقتل من الفريقين ماينوف عن ألفين، ومن الأشراف نيف وأربعون وكانت الغلبة للوهابية ثم رجع إلى مكة.

وفي سنة ١٢١٣ هـ، شهر جمادى الأولى، إنعقد الصلح بين الشريف غالب، وعبدالعزيز بن محمد بن سعود، بعد مكاتبات، وجعلوا حدودا للأراضي والقبائل التي تحت طاعة الشريف وطاعة ابن سعود، وأخذت العهود والمواثيق بينهم على ترك الحرب، وأن يحج الوهابيون ونودي بالأمان، وحج من علمائهم، حمد بن ناصر، ومعه شرذمة منهم ولم يحج أميرهم لأن سليمان باشا والى بغداد جهز عليه جيشاً بأمارة علي بك كتخدا فحاصرهم لكنهم دسوا دسائس أفسدوا بها أهل العسكر وفرّ أميره هارباً.

وفي سنة ١٢١٤ هـ، حج سعو بن عبدالعزيز ومعه أناس كثير، واجتمع بالشريف غالب في خيمة ضربت لهما بالأبطح.

وفي سنة ١٢١٥ هـ، حج سعود أيضاً ومعه جند يزيد على عشرين ألفاً، وأرسل قبل قدومه هديّة للشريف غالب مع حمد بن ناصر، وهي خمسة وثلاثون من الخيل، وعشر من النوق العمانيات، فقبلها الشريف وكافأهم عليها، وكان قداحترس قبل قدومهم خوفا من غدرهم، فبنى سور الطائف والأبراج التي في أطراف مكة ومداخلها، وطلب كثيرا من القبائل وترس جميع المداخل والأبراج، فلم يدخل سعود مكة بجيشه قبل الوقوف بل نزل بعرفة. وفي الثاني عشر من ذي الحجة وقع خصام بين عرب الشريف، وقوم سعود أدى إلى القتال بالرصاص، فمنع الشريف عربه، وكف القتال ونزل الناس من منى قبل الزوال ثم رحل سعود إلى بلاده (٤٥).

وحين جبن آل سعود وانعقد الصلح بينه وبين الشريف غالب، قرّر الغارة والحملة على العراق باسم (دعوة التوحيد لدين الله) والله تعالى منهم براء... وأنهم يحكمون باسم القرآن، ولكنهم كانوا يرتكبون أبشع المنكرات باسم القرآن نفسه، كل ذلك من أجل تسكين الحكم الملكي السعودي الوهّابي اليهودي البغيض في الجزيرة العربية، والأراضي المقدسة

فسارت تفتك بالناس، وتسلب الأموال وتعتدى على أعراض النساء، وتبقربطون الحوامل وتقتل الأطفال، وتأخذ ماتبقى من الأحياء سبايا، تسترّقهم رغم كفاح الشعب الحجازي الثابر، فقد كانت القبائل مع الحضر تقاتل بشدّة آل سعود، ودعوتهم الخبيثة التي جرت على المسلمين منذ ساعتها الأولى السوداء إلى يومنا هذا، أنواع الويلات والمصائب والتطاول والإعتداء والقتل والتدمير.

غز والوهابية لمدينتي النجف الأشرف وكربلاء:

حين تراجع آل سعود من الغارة على مدن وأرياف الحجاز، حسب الإتفاق الحاصل بينه، وبين الشريف غالب الحسني، لم تهدأ شرارة نفسيته الأمارة، ولم تسكن لهوب شهوته التوّسعية الإجرامية إذ لم يكن للدعوة السعوديّة الوهابية في الحياة من أول قيامها هدفاً غير التلاعب بمقدرات الدين، ونواميس الطبيعة، والنهب، والسلب، والسرقة، والكذب، والدجل، والفجور، والفسوق، كل ذلك باسم الدين الصحيح، والتوحيد الصحيح... فقرروّا الهجوم والغارة على مدينتي النجف الأشرف وكربلاء المقدّستين، بحجة تطهيرهما من آثار الشرك والأصنام والأوثان، بالأضافة إلى وجود بعض الشراذم في العراق، من الموالين للوهابية ومنهم التاجر اليهودي (الياهوكوهين ساسون) فقد كانت اليهود في العراق تدعم محمد بن عبدالوهاب وشركاه آل سعود، عن طريق هذا اليهودي.

ففي سنة ١٢١٦ هـ، جهزّسعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود الوهابي جيشاً عظيما، من أعراب نجد، وغزا به العراق وتوجّه إليه عن طريق الحايل، وحاصر مدينة كربلاء ثم دخلها عنوة، وأعمل في أهلها السيف، ولم ينج منهم إلّا من فرّ هارباً أو اختفى في مخبأ، أو تحت أنقاض، وحطب ونحوه، ولم يعثروا عليه، وهم جيران قبر ابن بنت رسول الله (ص) السبط الشهيد ونهبها، وهدّم قبر الحسين عليه السلام، واقتلع الشباك الموضوع على القبر الشريف، ونهب جميع ما في المشهد من الذخائر، ولم يرع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا لذريّته حرمة، وأعاد بجرائمه وجريرته ذكرى فاجعة كربلاء، ويوم الحرّة، وأعمال بني أمية، والمتوكّل العباسي. وقال أهل العراق وهم أعلم بماجرى وحدث عليهم في بلادهم، أنه ربط خيله في الصحن الشريف وطبخ القهوة ودقها في الحضرة الشريفة.

وقال الفقيه الحجة السيد محمد جواد بن السيد محمد بن السيد حيدر بن السيد إبراهيم الحسني الشقرائي النجفي العاملي ١١٦٠ ـــ ١٢٢٦ـهـ، صاحب كتاب (مفتاح الكرامة) وهو من كبار علماء الإمامية، وفطاحل فقائهم في القرنين الثاني عشر، والثالث عشر

الهجريين، وفي عصره كان غزوهم للعراق: إنّ سعودا الوهابي الخارج في أرض نجد إخترع ما اخترع في الدين، وأباح دماء المسلمين، وتخريب قبور الأئمة المعصومين، فأغار في السنة المذكورة على مشهد الحسين (ع) وقتل الرجال والأطفال، وأخذ الأموال، وعاث في الحضرة المقدسة فأفسد بنيانها وهدّم أركانها.

وقال: وفي الليلة التاسعة من شهر صفر سنة ١٢٢١ هـ، قبل الصبح هجم علينا سعود الوهابي، في النجف ونحن في غفلة حتى أن بعض أصحابه صعد السور، وكادوا يأخذون البلد فظهرت لأمير المؤمنين عليه السلام، المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة، فقتل من جيشه كثير ورجع خائباً.

قال: وفي جمادي الآخرة سنة ١٢٢٢ هـ، جاء الخارجي الذّي إسمه سعود إلى العراق بنحو من عشرين ألف مقاتل، أو أزيد فجاءت النذر بأنه يريد أن يدهمنا في النجف الأشرف غيلة فتحذرنا منه، وخرجنا جميعا إلى سور البلد، فأتانا ليلا فرآنا على حذر، قد أحطنا بالسور بالبنادق والأطواب، فمضى إلى الحلة، فرآهم كذلك ثم مضى إلى مشهد الحسين عليه السلام على حين غفلة نهاراً فحاصرهم حصاراً شديداً، فثبتوا له خلف السور، وقتل منهم وقتلوا منه، ورجع خائبا وعاث في العراق، وقتل من قتل، وقد استولى على مكة المشرفة، والمدينة المنوّرة، وتعطل الحج ثلاث سنين.

قال: وفي سنة ١٢٢٥ هـ، أحاطت الأعراب من عنزة القائلين بمقالة الوهابي بالنجف الأشرف، ومشهد الحسين عليه السلام وقد قطعوا الطريق ونهبوا زوّار الحسين (ع) بعد منصرفهم من زيارة نصف شعبان، وقتلوا منهم جماً غفيرا وأكثر القتلى من العجم، وربما قيل إنّهم مائة وخمسون، وبقى جملة من الزوار في الحلة، ما قدروا أن يأتوا إلى النجف فبعضهم صام في الحلة، وبعضهم ذهب إلى الحسكة، والنجف كأنها في حصار والأعراب ممتدة من الكفة إلى فوق مشهد الحسين (ع) بفرسخين أو أكثر(٤٦) إنتهى.

أجل هذه هى الوسيلة الوحيدة التي فكرها كثيراً ما محمد بن عبدالوهاب، لتعينه على النهوض بمجتمع شبه الجزيرة العربية فاهتدى إلى أن العودة إلى الدين الصحيح، و إلى صفاء الإسلام، و إلى أخلاق الإسلام ونهجه في الحياة هي الوسيلة لبعث هذا المجتمع من جديد، كما بعثه الإسلام أوّل مرة (٤٧) وهكذا يعمى الريال السعودي وعوايد البترول عيون عصابة من المرتزقة المأجورين، ويصم أسماعهم ليجعلوا الحق باطلا، والباطل حقاً فتعسا لهم (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذبا) (٤٨).

وهنا يقول شيخ التاريخ الفقيه المؤرخ العلامة الأميني ١٣٢٢ــ ١٣٩٠ هـ، في كتابه

عند ترجمته للفقيه المتكلم المولى عبدالصمد الهمداني: ــ إستشهد رحمه الله في هجمة الوهابيين على كربلاء المشرّفة، بعد ما اخرج من داره بالحيل وذلك في يوم الأربعاء ١٨ شهر ذي الحجة الحرام، يوم الغدير سنة ١٢١٦ هـ، وقيل: إن المترجم كان يقول ويكرر: ــ ستخضب شيبتي من دمي ــ وذكره وأطراه غيرواحد من أصحاب التواريخ ومعاجم الأعلام.

قتل مع المترجم جمع من أعلام الدين، والعلم، منهم علم العلم وعيلم الفضل الشيخ محمد، والحبر التقي الشيخ عين علي، والعلوي الشريف السيد صادق، والفتى السامي علي، وهؤلاء لم نعلم تفصيل تاريخ حياتهم.

(الوهابية) فئة منسوبة إلى محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي ولد سنة ١١١١ وتوفى سنة ١٢٠٦ كان من أعراب نجد مقيماً في البصرة تلميذاً للشيخ محمد مهدى البصري، مخالطا لعلماء عصره، محصلا للعلوم في أول أمره حتى آل أمره إلى اتباع الهوى والإغترار بالأباطيل والمنى، فاخترع مذهباً خارجا عن فرق الإسلام، بناه على إنقاض ما أسسه إبن تيمية الحراني، وتلميذه ابن القيم.

ومن مذهبهم تحريم الأحتفال بالموتى، حتى الأنبياء والأئمة عليهم السلام. وتحريم البناء على قبورهم. وزيارتهم، والتوسّل إلى الله. والإستشفاع بهم. وسوق النذور والقرابين التي يتقرتب بها إلى الله، ويهدى ثوابها لهم. والصلاة في تلكم المراقد الشريفة. ووجوب المنع عن جميع ذلك. وهدم البنايات القائمة على القبور المقدّسة. وأنه يجب اتباع من شهر السيف منهم متسمياً بأمام المسلمين. وأن المتبع هو رأيه حسب مقتضيات الظروف والأحوال، ولاعبرة بقول ميت أبدا، وقد بلغت به الجرأة حتى قال: (عصاي خير من محمد فإنّها تنفع ومحمد لاينفع) وهؤلاء يكفرون فرق المسلمين وينبزونهم بالشرك والإلحاد، ويبيحون دمائهم.

ثم إنّه تزلّف إلى عبدالعزيز وكان من مشايخ أعراب نجد حنبلياً، وقد اجتمع عليه خلق كثير فتابع أمره ونهب في أوّل أمره ذخاير المدينة المشرفة، وهدّموا قبور أئمة البقيع، وارتكبوا المآثم وبنوا في نجد حصناً وسموه (الدرعية) ثم لما قوى أمره وغدا ملك الحرمين الشريفين، قصد الاستيلاء على النجف الأشرف، وهاجمها مرتين، وقاتل ربيون كثير وأعانهم على ذلك شيعة بني خزاعة فدحروهم فردّوا على أعقابهم قهقرى.

ثم جاء سعود بن عبدالعزيز، بايعاز من أبيه فباغت كربلاء المشرّفة، وهاجمها في ذي الحجة صبيحة يوم الغدير سنة ١٢١٦ هـ، فورد عليها على حين غفلة من أهلها ومعه ١٢٠٠٠ ألفاً فأغاروا عليها ونهبوا ما وصلوا إليه، وأزهقوا النفوس وهتكوا الحرم، ولم يرقبوا

للمؤمنين إلاّ ولا ذمة، وأباحوا القتل فيها ست ساعات من النهار، قتل فيها سبعة آلاف من العلماء والفضلاء والأكابر والأشراف والملوك والسوقة، ومن شهداء تلك الواقعة المترجم ومن أوعزنا إليه، وقد انتهكوا حرمة رسول الله بتوهين الحرم القدسي، وهدّ أركانه ونهب نفائسه إلى جرائم لا يساعدني على إثباتها الدين، وشرف الإنسانية.

وفي الليلة التاسعة من صفر سنة ١٢٢١ هـ، هجم سعود على النجف فقتل كثير من جيشه ورجع خائباً. وفي سنة ١٢٢٢ جاء إلى العراق، بنحو من عشرين ألف مقاتل، فهجم على النجف، وكربلاء، ورجع خائباً واستولى على مكة بدون حرب سنة ١٢١٨ هـ، وهدّم القبور والقبب بها وحاصرها سنة ١٢١٩ هـ، وفي سنة ١٢٢١ هـ، هجم على المدينة المنوّرة ووردها وهدم القباب التي فيها. ومنها قبة أئمة البقيع عليهم السلام، ونهب ذخاير الحجرة النبويّة، وانقطع الحج من مصر، والشام، والعراق ثلاث سنين من سنة ١٢٢٠ هـ، وللوهابية في التاريخ حروب مع المسلمين تنيف على خمسين من سنة ١٢٠٥ هـ، إلى سنة ١٢٢٠ هـ (٤٩).

وجاء في مصدر تاريخي آخر ــ وهجمات الوهابي سنة ١٢١٦ هـ، فقد قصد النجف الأشرف للأستيلاء وهاجمها مرّتين، وقاتل ربيون كثير، وأعانهم على ذلك شيعة خزاعة فدحروهم وردّوا على أعقابهم القهقرى.

وفي عام ١٢٢١ هـ، هجم سعود على النجف فقتل كثير من جيشه ورجع خائباً. وفي ١٢٢٢ هـ، جاء إلى العراق بنحو من عشرين ألف مقاتل، فهجم على النجف، وكربلاء، ورجع خائباً، وفي آخر تلك السنة جاء أيضا للعراق، وقتل جملة من العلماء والمجاورين. وللوهابّي هذا سلسلة حوادث دامية متتابعة على النجف.

هذا وبالنسبة إلى غاراتهم وغزوهم لمدينة النجف الأشرف البطلة، ينبغى القول أن المراجع التاريخية الصحيحة بأجمعها تثبت إنتكاستهم، واندحارهم وخيبتهم وفشلهم، وجبنهم، مقابل مقاومة أبناء النجف الأشرف، بحيث لم يتمكنوا بكافة قواهم وعدّتهم إجتياز سور المدينة، وبعد أيام وقد تضاعف عدد قتلاهم ولوا هاربين إلى جهنم وبئس المصير.. والسبب أن أخبار وحوادث جرائمهم، وعبثهم، وعيثهم في الأراضي المقدسة، ومدينة كربلاء، كانت تصل إلى النجف الأشرف، وتعرض على زعيم الطائفة الشيعية الحقة، والمرجع الأعلى لها يومذاك الفقيه المجاهد شيخ مشايخ المسلمين، الشيخ جعفر بن الشيخ خضر بن الشيخ يحيى ابن سيف الدين المالكي النجفي ١١٥٤ ــ ١٢٢٧ هـ، صاحب كتاب (كشف الغطاء) فلقد بلغت زعامته القمة والذروة، وامتد نفوذها وسمت مكانتها، ودافع عن النجف الأشرف،

دفاعاً منيعاً صارماً، ووقف بوجه الغارات السعوديّة، وحملات الوهّابية، وكان بطل الدفاع والقائد والمخطط الرئيسي له، فأمر من فوره بشراء وابتياع ما في الأسواق من التمر، وحمله واختزانه في داره والدور المجاورة لها، ودعا أبناء النجف الأشرف، والقبائل، والشيوخ، والشباب إلى التدريب، والتسلح فجند الشباب، وسلحهم، وجعل بيته مشجباً للأسلحة وثكنة ومقراً للجنود، والمتطوّعين للدفاع عن قدسية أميرالمؤمنين (ع) وكرامته والذّب عن باب مدينة علم الرسول الأعظم (ص)، وباشر القتال والكفاح والجهاد إلى أن ردّ كيد الوهابيين اليهود إلى نحورهم.

ويقول الفقيه المؤرخ السيد محسن بن السيد عبدالكريم بن السيد علي الأمين العاملي الحسيني ١٢٨٢ ــ ١٣٧١ هـ، عند ترجمته للشيخ جعفر ما لفظه: ــ وكان شديد الغيرة على الطائفة عظيم العناية بأمورها، كثير المناهضة لخصومها، وقد انبرى للردّ على الوهابيين بيده ولسانه، لما عظم خطرهم على العراق، فردّ غاراتهم عن مدينة النجف وجمع الأسلحة، والذخائر في داره، ورتّب المقاتلة على السور، وباشر العلماء القتال بأنفسهم، وشجعوا المقاتلين بتحريضهم حتى ارتّد سعود وأصحابه عنها خائبين، وفتحوا كربلاء عنوة ونهبوها، وقتلوا أهلها، وهم أكثر من أهل النجف. وأوفد رسالة خاصة إلى سعود بين له فيها فساد ما ينتحلونه من تكفير المسلمين ورميهم بالشرك (٥١).

وجاء في مرجع تاريخي آخر، عند ذكر قتل السيد محمود بن السيد أحمد مير جمال الدين الرحباوي الصفوي غيلة في قصر (عين الرحبة) من قبل جماعة من النجفيين ــ أنه لما دخل سعود الوهابي العراق من ناحية القادسية غازياً النجف مارا بعين الرحبة، وقد دان له السيد محمود وأقرّه وأمره بقلع سقف قبة (قبرالعلوي) إلى جانب العين، وأعطى السيد كتاباً في أمانه على مذهبه، وأودع عنده سبعة رجال من أهل النجف قبضهم في سواد العراق، بطريقه لغزو النجف ولما رأى أهل النجف يقظين مستعدين للحرب، رجع خائبا إلى كربلاء، ودخلها عنوة وفعل ما فعل في البلد، ثم مضى إلى بلد السماوة وحاصرها ثلاثة أيام، ولما رجع ابن سعود عن السماوة، جاء جماعة من أهل النجف يطالبون برجالهم السجناء عند السيد محمود الرحباوي في القصر، وامتنع السيد من إطلاقهم بزعم أنه متعهد بحفظهم، وأنه إذا رجع ابن سعود، ولم يجدهم عندنا يقتلنا بجيشه، ويخرّب ديارنا كما هي عادة غزوه، وترادا بالقول فأطلق أحد المطالبين عليه ببندقيته، وقتله وأخذوا رجالهم سالمين (٥٢).

ومع هذه النصوص التارخية الثابتة يقول الأديب المرتزق ــ أحمد عسه ــ في بحثه عن قيام الدولة السعوديّة الأولى بقيادة محمد بن سعود، مانصه: ــ حتى بلغ بفتوحاته مدينة

كربلاء في العراق، وكان قائد جيشه في هذه الحملة إبنه سعود فبعد أن دخلها ظافراً، وهدّم بعض قبابها لتنافي قيامها مع دعوة التوحيد، سار إلى النجف حيث القبور الكثيرة والقباب الشامخة، ولكنه لم يدخلها بسبب المياه التي كانت تحيط بها، وتجعل منها أشبه بجزيرة، و إن كانت هذه المياه قد جفت الآن.

بقي الأمير عبدالعزيز بن محمد يحمل راية الجهاد تسعة وثلاثين عاماً، وامتدّت حدود الدولة السعوديّة أيامه في إتجاه الخليج العربي، حتى أصبحت تضم البحرين، وعمان، وقبائل (الجواسمة) في رأس الخيمة، مما جعل المؤرخين يقولون انّ الشاطئ العربي، للخليج قد أصبح في ذلك الوقت جزءاً من الدولة السعوديّة الأولى. فلما تقدّمت به السن خلد الأمير عبدالعزيز إلى الراحة والعبادة، وأخذ البيعة في حياته لأبنه سعود. بناء على نصيحة قدّمها إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب. فلما كان عام ١٨٠٣ م (١٢١٨ هـ) قتل في مسجد الدرعية غدراً وهو يصلي العصر، وقيل: إنّ الذّي اغتاله كان شيعياً من العراق، و إنّه أقدم على ذلك إنتقامالغزو كربلاء (٥٣)ــ.

(أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعدالله أفلا تذكّرون) (٥٤).

هكذا تلعب العملة السعوديّة في أدمغة المرتزقة، فيحرّفون الكلم عن مواضعها، ويختلقون معاذير مخالفة للتأريخ، والواقع والصحة، من غير خجل وحياء فيقول في أسباب عدم غز والسعودي الوهابي للنجف الأشرف: ــإنّه لم يدخلها بسبب المياه التي كانت تحيط بها، وتجعل منها أشبه بجزيرة، و إن كانت هذه المياه قد جفت ألآنــ.

توجيه وتبرير جيد..؟ يكذّبه ويفندّه الواقع، وهو أن الجميع يعلمون أن لم تكن في النجف الأشرف مياه تحيط بها لتجعلها أشبه بجزيرة... لأنها لوكانت حسب زعم الكاتب لما كانت تتقدّم أهالي النجف بمساعدة الحاج محمد حسين خان الصدر الأعظم الأصفهاني المتوفى بعد سنة ١٢٣١ هـ، ببناء البرج المثمن المستطيل، وهوالسور حول النجف لمنع غارات اللصوص، وقطاع الطرق، والقتلة أمثال محمد بن سعود، وشريكه في الكفر، والشرك ، والزندقة، محمد بن عبدالوهاب.

نعم في جانب واحد من مدينة النجف الأشرف، توجد مياه بصورة جدول صغير، تسقي الحقول، والبساتين، والنخيل، ويعرف ليومنا هذا بـ(جدول) ويبعد عن المدينة في حدود ٢ كيلومتر، أما جوانبها الثلاثة الاخرى فهي صحراء وأراضي رملية قاحلة تمتد إلى مدينتي كربلاء المقدسة، والكوفة التأريخية.

هذا بالنسبة إلى النجف الأشرف، وأما إغتيال محمد بن سعود، من قبل شيعي عراقي، أقدم على ذلك إنتقاما لغز وكربلاء... فكذبة اخرى فاحشة، يفندها ويضعفها ويخطأها السند التأريخي الذي يوضح عوامل إغتيال محمد بن سعود، ويشير إلى إسم القاتل ولفظه:

ـ في عام ١١٧٨ هـ، ١٧٦٥م، إتفق أبناء (يام) من أهالي نجران، وقبيلتي العجمان، وبني خالد، وتحالفوا على مقاومة الإحتلال السعودي، تحالفوا على سحق محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب في جحورهما. تحالف بني يام بأن يسيروا من (نجران) بقيادة السيد حسن بن هبة الله، ويسير بني خالد، والعجمان من الأحساء، بقيادة حاكم الأحساء آنذاك (عرعر الخالدي) وتواعد الجميع على الزحف على (الدرعية) من نجران والأحساء، للقضاء على محمد بن سعود اليهودي، وابن عمه محمد بن عبدالوهاب، وحصد دعوتها في مهدها (الدرعية) وبالفعل سارت جموع بني يام، من نجران والأحساء، ولكن السيد حسن هبة الله، قد وصل بأهالي نجران إلى ضواحي الدرعية، قبل وصول العجمان، وبني خالد وتمكن أهالي نجران وحدهم من سحق الجند السعودي الوهابي الباطل شرّ سحقة، وأسروا الأحياء منهم، واختفى محمد بن سعود، وكاد ينتهي أظلم وأقذر حكم دخيل في جزيرة العرب على أيدي أهالي نجران الأبطال، لولم يلجأ محمد بن عبدالوهاب للمكر والخداع.

لقد كاد يقضى على حكم الدخلاء، لولم يخرج محمد بن عبدالوهاب رافعاً راية الصلح على (أن يقف أهالي نجران عند حدّهم، ويمتنعوا من دخول الدرعية، وأن يسلموا ما تحت أيديهم من الاسرى السعوديين، ويتعهد كل من محمد بن عبدالوهاب، ومحمد بن سعود بدفع عشرة آلاف جنيه ذهب كتعويض لأهالي نجران عن رحلتهم هذه، وأن لا يتعدّى محمد ابن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب، حدود الدرعية وأن لا يرفعا راية هذه الدعوة السعودية الباطلة مرّة اخرى، وقد شهد محمد بن عبدالوهاب ببطلان دعوته أمام أهالي نجران) وهكذا جرى الإتفاق حرفياً بين أبناء يام، ومحمد بن عبدالوهاب معترفاً في آخر جملة من الإتفاقية ببطلان دعوته أمام أهالي نجران... إتفق محمد بن عبدالوهاب، نيابة عن محمد بن سعود، مع أهل نجران الشجعان على ذلك... وما أن وصلت جموع قبائل العجمان، وبني خالد من الأحساء، بقيادة عرعر الخالدي حتى فوجئوا بهذا الصلح غير المرضى للعجمان، وبني خالد لكنهم اضطروا لقبوله تمشياً مع ما اتخذه أبناء عمهم من بني يام من نجران.

وهكذا فشلت أول خطة ثورية رمزت إلى قوّة الإتحاد، بين جنوب الجزيرة وشرقها، ولم يكن سبب فشلها إلّا التصرفات الفرديّة للشيخ حسن بن هبة الله، ولولا ذلك لقضي على

الوجود السعودي الوهابي. حدثت هذه الخطة الثورية في سنة ١١٧٨ هـ، الموافق ١٧٦٥ م، رغم ما أحدثه محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب، من رعب في قلوب المواطنين حيث لم يتمكنا من الخروج لمبارزة أهالي نجران، والعجمان، وبني خالد، الذين أوقعوا الرعب في قلب اليهودي محمد بن سعود، وأصيب بإسهال ومرض مرضاً شديداً من جراء ما انتابه من رعب شديد، حينما شاهد أبناء يام يحاصرون الدرعية بعد سحقهم للجند السعودي... وقد تسبب ذلك في وفاة محمد بن سعود، من جراء المرض الذي أصابه من هذا الحادث ومات لسبعة أشهر من ذلك الحادث، وذلك عام ١١٧٩ هـ ـ ١٧٦٦ م، وهكذا توفي الإمام محمد بن سعود المؤسس الثاني لدولة آل سعود الخبيثة، وكان المؤسس الأول مرخاي أو مرخان كما قلنا. وبقي الطرف الثاني، والشريك محمد بن عبدالوهاب يدير شركتها المحدودة، وحيداً لتقتيل الآمنين باسم الدين، ولكن أكبر أولاد محمد بن سعود، وهو عبدالعزيز بن محمد بن سعود، قد تمكن من تولى منصب والده محمد بن سعود، والسير في خطة أبيه الأول، في عدم فسخ الشراكة وتأييد فتاوى محمد بن عبدالوهاب، شيخ الدعوة الباطلة للشعوذة والحكم الوراثي، رافعين راية الباطل لقتل المؤمنين ـ باسم الله ـ والله منهم ومن دعوتهم براء. وكان عبدالعزيز بن محمد ابن سعود، قد تزوّج إبنة محمد بن عبدالوهاب وامتزج النسب الباطل ببعضه أكثر من ذي قبل، وما أن ازداد محمد بن عبدالوهاب قوّة، حتى قام بالإتصال بيهود نجران طالباً دعمه مالياً، ثم أثارهم ضد الشعب في نجران. ثم أمر محمد بن عبدالوهاب جده بمواصلة غزواتهم على البلدان المجاورة في نجد، وأخذ شعبنا يقاوم ببسالة هذه الدعوة الباطلة، لكن الباطل السعودي كان أقوى فانتصر على حق الشعب المغلوب ويرجع ذلك لسببين:

١ ـ هو دعم اليهود في العراق عن طريق تاجر يهودي يدعى الياهوكوهين ساسون محمد بن عبدالوهاب وشركاه آل سعود.

٢ ـ هو تفكك الشعب... فاحتلوا القصيم، ومعظم أقطار نجد، ثم احتلوا الأحساء في عام ١٣٠٨ هـ، بعد مقاومة طويلة من شعبنا، فقتل آل سعود، ومحمد بن عبدالوهاب عدداً من شيوخ بني خالد، والعجمان، وفي الأحساء المطلة على شواطئ الخليج العربي، إجتمع عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب باثنين من رسول المخابرات الإنكليز عاقدين الإتفاق معهم ضد شعبنا، واستمر دعم الإنكليز لمحمد بن عبدالوهاب، ونسيبه عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وكانت زوجة عبدالعزيز بن محمد بن سعود، قد ولدت طفلا من إبنة محمد بن عبدالوهاب... وباسم هذا الطفل، واصل محمد بن عبدالوهاب زحفه إلى العراق بقيادة (إبن إبنته) وإسمه سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فاحتلوا كربلاء

في عام ١٢١٦ هـ، وهدموا مساجدها ومآذنها، وهدموا قبة الحسين، وصادروا أموال المواطنين واعتدوا على نسائهم، وأخذوهن سبايا. وبقروا بطون الحوامل منهن ــ وهي طريقة سعودية معتادة ــ ثم عادوا إلى الحجاز فاحتلوا مكة، وجدّة في ١٧ محرم ١٢١٨ هـ، وكانوا قبلها قد احتلوا جدة، والمدينة المنوّرة، ولكن أبناء الحجاز ما لبثوا مدّة شهر بعد عودة سعود، وخاله محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية، حتى استعادوا الحجاز. وطهروه من رجس الوهابية اليهودية السعودية. وفي ١٠ رجب ١٢١٨ هـ، قام أحد الأبطال ويدعى (محمد بن ناجي اليامي) بقتل (الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، بعدة طعنات من خنجره أودت بحياة عبدالعزيز، وقد أشاع آل سعود بعد ذلك ــ أن أحد الأجانب الكفرة المشركين، من كربلاء هو الذّي إغتال عبدالعزيز وهو في الصلاة إنتقاماً).

هكذا قال محمد بن عبدالوهاب... ولا نعلم كيف يبيح محمد بن عبدالوهاب وشركاه الإعتداء على الشعب في كربلاء، مادامت كربلاء أجنبية، ولايبيح الطغاة لأبناء كربلاء ردّ العدوان بالقصاص؟ إنّ آل سعود لم يقفوا عند هدم قبة قبر النبيّ محمد بن عبدالله في المدينة، و إنّما أوقفوا بالقوّة.

بعد قتل عبدالعزيز الأول لأنه لا يقل إجراماً عن حفيده الأخير الملك الطاغية عبدالعزيز جرماً وبطشاً بالآمنين ودجلا باسم الدين، والدين منهم براء. وبعد مقتل (الإمام) عبدالعزيز بن محمد بن سعود، توّلى من بعده إبنه سعود الأول (إبن بنت محمد بن عبدالوهاب) ولكن الشعب ابى ان يبايع سعود، وقاومه الشعب في العراق، حتى تحرّرت منه الأجزاء التي استولى عليها من العراق، وبقى يدعمه جدّه محمد بن عبدالوهاب بالفتاوى الباطلة، وأموال اليهود، والإنكليز، واستمر حكمه الطاغي إحدى عشر سنه من عام ١٢١٨ الى ١٢٩٩ هـ، سار خلالها لاحتلال الحجاز مرة اخرى ثم سار لاحتلال الشام، والعراق، ورأس الخيمة في عمان، ولكنه دحر في الشام، والعراق، وعمان، ثم سار لا حتلال اليمن، ووصل إلى زبيد، ولكن شعبنا المكافح في اليمن دحره وقتل الكثير من جنده الفاسد، وهرب مذعوراً رغم دعم الإنكليز، واليهود له. وكانت عقلية سعود الأول سخيفة لا تشابهها إلّا عقيلة بعض أخلافه، لقد كان مغروراً بخيوله... وكان يحب الحريم، والرقيق، والخيول، كان يدعمه الإنكليز، واليهود. وكان لكل واحد من أولاده حرس خيالة قدرهم (٢٠٠) يضاف إلى ذلك عدد من الإبل، والحريم التي يختطفهن ويسلبهن من ذويهن ظلماً وزوراً.

وبهذه الطريقة إحتل الحجاز مرّة اخرى عام ١٢٢٠ هـ، بعد مقاومة قاسية من أبناء الحجاز، وراح يهدّم في الأماكن المقدسة بحجة (أنه يخشى أن يعبدها الناس) وفرض على

أبناء الحجاز، أن يدرسوا رسائل جدّه محمد بن عبدالوهاب، والكتب السخيفة التي وضعها آل الشيخ، أي آل عبدالوهاب، والوهابيين، وبقى هذا الحكم السعودي يسوم الحجاز من عام ١٢٢٠ هـ، حتى عام ١٢٢٨ هـ، والأماكن المقدسة تلاقى من سعود وآله تجار دينهم في السابق ما تلاقيه الآن من آل سعود وتجار دينهم الباطل (٥٥).

إنّ الوثيقة التاريخية هذه تدين آل سعود، وعبيدهم من ذوي الأقلام المأجورة، وتفند مزاعمهم الباطلة كما قرأتها إذ ليس في عرفهم للقوانين التشريعية، والأنظمة الإسلامية، والموازين الدولية إحترام، ورعاية، ومفهوم، ومعنى فليس بعد هذا بغريب أن يستسيغوا لأنفسهم قتل أبناء مدينتي النجف الأشرف، وكربلاء المثابرة المجاهدة الأجنبية... أو يعاملوا الحجاج الأيرانيين المسلمين بتلك الطريقة الدامية البشعة، ويتركوهم على تربة مكة المقدّسة أشلاء ممزّقة وجرحى مضرّجة بدماءهم الطاهرة.

لا غرابة لأنهم ورثوا الخيانة من أسلافهم اليهود، الذين اعتبروا بأجمعهم من غير اليهود عبيداً لهم، تحل سلب ونهب وقتل نفوسهم، وأراقة دمائهم، والسيطرة والإستطالة والبغي فيهم. وبهذه الخيانة مختمرة طبيعتهم الخبيثة وذاتهم الخسيس منذ الفطرة، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: **(ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلّا مادمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)** (٥٦) فقد إتفق المفسرون من الخاصة والعامة، أن مراد الله تعالى هم اليهود، وهذا بقية كلام اليهود، والمعنى ولا تصدّقوا إلّا نبياً يقرر شرائع التوراة، فأما من جاء بتغيير شيء من أحكام التوراة فلا تصدقوه، وهذا هو مذهب اليهود إلى اليوم. فالله سبحانه حكى عنهم في الآية المتقدمة أنهم إدّعوا أنهم أوتوا من المناصب الدينية مالم يؤت أحد غيرهم مثله، ثم إنه سبحانه بين أن الخيانة مستقبحة عند جميع أرباب الأديان، وهم مصرّون عليها فدّل على كذبهم. بالإضافة إنه تعالى لما حكى عنهم في الآية المتقدمة قبائح أحوالهم فيما يتعلق بالأديان، وهو أنهم قالوا: (لا تؤمنوا إلّا لمن تبع دينكم) حكى في هذه الآية بعض قبائح أحوالهم فيما يتعلق بمعاملة الناس، وهو إصرارهم على الخيانة والظلم وأخذ أموال الناس في القليل والكثير.

وذهب نفر من المفسرين أن أهل الكتاب على قسمين، بعضهم أهل الأمانة، وبعضهم أهل الخيانة، وفيه أقوال:

١ ـ إن أهل الأمانة منهم، هم الذين أسلموا. أما الذين بقوا على اليهوديّة فهم مصرون على الخيانة لأن مذهبهم أنه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين، وأخذ أموالهم

وإمتلاكها بصورة عامة.

٢ ــ أن أهل الأمانة هم النصارى، وأهل الخيانة هم اليهود. والدليل عليه ما ذكرنا أن مذهب اليهود يحل قتل المخالف، ويحل اخذ ماله بأي طريق كان.

٣ ــ قال ابن عباس، أودع رجل عبدالله بن سلام ألفا ومائتي أوقية من ذهب، فأدى إليه. وأودع آخر فنحاص بن عازورا، ديناراً فخانه، فنزلت الآية. أما قول اليهود ليس علينا في الأمين سبيل... المعنى أنّ ذلك الإستحلال والخيانة، هو بسبب أنهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل. وهاهنا للمفسرين أيضاً أقوال في السبب الذّي لأجله اعتقد اليهود هذا الإستحلال:

ا ــ أنهم مبالغون في التعصب لدينهم، فلاجرم يقولون: يحل قتل المخالف، ويحل أخذ ماله بأي طريق كان. وروى في الخبر أنه لما نزلت هذه الآية قال عليه السلام: (كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهِلية إلّا وهو تحت قدمي) إلّا الأمانة فإنّها مؤداة إلى البر والفاجر.

ب ــ أن اليهود قالوا: (نحن أبناء الله وأحباؤه) والخلق لنا عبيد، فلا سبيل لأحد علينا إذا أكلنا أموال عبيدنا.

ج ــ أن اليهود إنّما ذكروا هذا الكلام لا مطلقاً لكل من خالفهم، بل للعرب الذين آمنوا بالرسول الأعظم (ص) فقد روي أن اليهود بايعوا رجالا في الجاهلية، فلما أسلموا طالبوهم بالأموال، فقالوا: ليس لكم علينا حق لأنكم تركتم دينكم. وكان من مذهب اليهود أن من انتقل من دين باطل إلى دين آخر باطل، كان في حكم المرتد. فهم وإن اعتقدوا أن العرب كفار إلّا أنهم لما اعتقدوا في الإسلام أنه كفر حكموا على العرب الذّين أسلموا بالردّة. ونفي السبيل هنا، نفي القدرة على المطالبة والإلتزام. مع علمهم أنهم في أعمالهم وأفعالهم خلاف ما جاء في التوراة، منها: انّ جواز الخيانة مع المخالف مذكور في التوراة، وكانوا كاذبين في ذلك وعالمين بكونهم كاذبين فيه، ومن كان كذلك كانت خيانته أعظم، وجرمه أفحش فهم يعلمون كون الخيانة محرّمة، كما يعلمون ما على الخائن من الإثم (٥٧).

لذلك تجد اليهود بكل بطشهم وظلمهم، يجتهدون في توسيع نطاق أراضيهم ومملكاتهم بأية صورة كانت، فاغتصاب أية أرض إسلامية وعربية، فهو جزء من مخططاتهم الحياتية التوّسعية التي فرضت على إسرائيل الأقامة ظلما وعدوانا فوق تراب فسطين أولا، ثم الزحف والتطاول في تحقيق بقية أهدافها التوّسعية والعدوانية في كل جزء وشبر من الأراضي الإسلامية، ومطاردة أصحابها الشرعيين، وإيذاء المسلمين، وتعذيب المؤمنين المجاهدين،

وتنحيتهم من عقر دارهم بالقوة والبغي، والقتل، ونتيجة الموقف المتردّد الذّي وقفه بعض المسؤولين في بعض البلاد العربية من القضية الفلسطينية ومحاولاتهم المتكررة الهادفة إلى تجميدها وجعلها جانباً.

ومن المؤسف أن تبلور بوادر الإستسلام في ذهن بعض من قادة العرب ورؤسائهم، من غير تفكير قليلا ما في إزالة آثار العدوانُ الإسرائيلي المقيت، ولو بالوسائل السياسية والديبلوماسية... والتضامن ودعم الصمود الإسلامي، والعربى، والمحافظة على القيادة الإسلامية الموحّدة، وخططها وتنسيقها، والمزيد من التوعية والشعارات والتوجيهات ومقتضيات الإثارة الجماهيرية، وتوحيد الصفوف للوصول إلى وحدة إسلامية، ويكون شعارهم وهدفهم:

لا صلح مع اسرائيل...

ولا تفاوض معها...

ولا اعتراف بها...

والتمسك بحق الشعب الفلسطيني الشرعي في وطنه...

والذّي ينبغي القول به هنا، أن اليهود وكافة أذنابهم المنتشرة في الأرجاء الإسلامية والعربية، مهما واصلوا سياستهم التوّسعية التعسفية واجتهدوا في تحقيق أحلامهم الخائبة الخاسرة الداعية إلى تكوين (أرض الميعاد) فإنّهم سوف لن يسكتوا على حال، ولم يرجعوا عن غيهم وبطشهم في يوم ما، مادام يتدرّج على وجه الأرض مسلم واحد... لأن الغرض الأساسي من هذا التناطح، والتكالب، والتخاصم الدموي، هو فرض شبح الإستسلام على الوطن الإسلامي، لا أراده الله تعالى... ومن ثم جعل المسلمين أذلآء وعبيداً حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون... ولم تكن الفكرة هذه، وليدة اليوم والأمس، و إنّما تمتد جذورها إلى عهد النبيّ الأقدس (ص) وقد صرحت الآية الكريمة بها حيث تقول: **(لتجدّن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذّين أشركوا)** (٥٨) فالله تعالى، ذكر في الآية أن اليهود في غاية العداوة مع المسلمين، ولذلك جعلهم قرناء للمشركين في شدّة العداوة، بل نبه على أنهم أشد في العداوة من المشركين من جهة أنه قدّم ذكرهم على ذكر المشركين، ولعمري أنهم كذلك وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ما خلا يهوديان بمسلم إلاّ همّا بقتله) وذكرالله تعالى أن النصارى ألين عريكة من اليهود، وأقرب إلى المسلمين منهم.

وقد سبق منا القول أن من مذهب اليهود، وجوب إيصال الشر إلى من يخالفهم في الدين بأي طريق كان، فإن قدروا على القتل فذاك ، وإلاّ فبغصب المال، أو بالسرقة أو

بنوع من المكر، والكيد، والحيلة، وهذا التمرّد والمعصية قد بينت لك أنه عادة قديمة لهم، ولذلك أراد الله سبحانه عرفان اليهود إلى الرسول (ص)، واللام في قوله: (لتجدنّ) لام القسم، والتقدير قسماً إنك تجد اليهود، والمشركين، أشد الناس عداوة مع المؤمنين فلا تبال بمكرهم وكيدهم.

وعلة هذا التفاوت بين اليهود، والنصارى، أن اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا، والدليل عليه قوله تعالى: **(ولتجدنّهم أحرص الناس على حياة ومن الذّين أشركوا)** (٥٩) فقرنهم في الحرص بالمشركين المنكرين للمعاد، والحرص معدن الأخلاق الذميمة لأن من كان حريصاً على الدنيا طرح دينه في طلب الدنيا، وأقدم على كل محظور ومنكر بطلب الدنيا، فلا جرم تشتد عداوته مع كل من نال مالا أوجاهاً. وأما النصارى فإنّهم في أكثر الأمر معرضون عن الدنيا، مقبلون على العبادة وترك طلب الرياسة، والتكبر، والترّفع. وكل من كان كذلك فإنّه لا يحسد الناس ولا يؤذيهم ولا يخاصمهم، بل يكون لين العريكة في طلب الحق، سهل الإنقياد له، فهذا هو الفرق بين هذين الفريقين، وهو المراد بقوله تعالى: **(ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون)** (٦٠)، وقد أوضحت هذا كله في كتابي (اليهود في القرآن).

وليت شعري ماذا سيكون موقف المسلمين من الإخطبوط الإسرائيلي، والموجة الصهيونية العاتية، بعد أن دلّت الآيات القرآنية المحكمات... وكذلك الأحاديث النبويّة الشريفة... بصراحة كما قرأتها آنفا من أن اليهود أشد الناس عداوة للمسلمين والمؤمنين من غير إمتياز واستثناء، ومازالوا يواصلون إجتهادهم في التطاول والإغتصاب والسيطرة، لجعل بلاد المسلمين موطيء قدم ونقطة إرتكاز للكيان الإسرائيلي، والإستيلاء على مراكز القداسات الإسلامية فيها: لا ستغلالها في التسلط فيمابعد على العالمين العربي والإسلامي، بالأضافة إلى إستلاب الثروات البترولية والمعدنية من كافة البلاد، وحرمان شعوبها من خيراتها.

إنّ الفريضة الدينية تحتم على كل فرد من المسلمين على الإطلاق أن يقف مقاتلا في وجه هذه الموجة العاتية التي تشق طريقها، متوجّهة إلى قلب الوطن الإسلامي... وإذا تخلى كل منا عن مسؤولية الدفاع والجهاد، فسوف تغتنم إسرائيل الفرصة وتعد لعدوان توّسعي جديد، ضد البلاد الإسلامية لذلك يجب أن ينهنه وتكسر حدّته مهما كان العناء، وغلت التضحيات لكي تسلم المنطقة كلها لأبنائها، وتسلم أماكن القداسات الإسلامية للمسلمين ويتحطم الكيان الصهيوني، لصالح كل شعوب بلاد الشرق الإسلامي والعربي. وتتحطم على صخرة الشريعة الإسلامية حدّة إسرائيل وأذنابه في المنطقة، ومؤامراتهم لتبقى بلاد المسلمين

للمسلمين... وثروات المسلمين للمسلمين... وتبقى لهم حريّاتهم، وسياداتهم، وكراماتهم، وعدم انحيازهم... ولترفرف للقيم الروحية والشريعة الإسلامية على بلادهم راية لا تعلوفوقها راية.

صحيح أن جرائم العدوان وآثاره، مازالت قائمة وشاخصة حتى يومنا هذا وهي آخذة بالتوسّع والازدياد... وأن إسرائيل مازالت تنكر على شعب فلسطين حقوقه المشروعة، ولكن الصحيح أيضا هو أن الاستسلام الذي حلمت بفرضه إسرائيل على البلاد الإسلامية والعربية آخذت طريقها بشكل إلى التحقق... فالصهيونية العالمية قد أقامت اسرائيل لتكون قاعدتها الأمامية، ورأس رمح الأطماع الصهيونية في تحقيق التوسّع الإستعمارى في بلاد العرب والمسلمين، لذلك يمكن القول بصراحة أن الحركة الصهيونية أشد خطراً من أية حركة أو موجة إستعمارية عرفها العالم، منذ أن اصيب بويلات الاستعمار الشرقي والغربي، لأن الإستعمار إذا كانت غايته استغلال خيرات البلاد المستعمرة وذخائرها ومعادنها بأبخس الأثمان، وتشغيل اليد العاملة الوطنية لصالح استثماراته بأجور زهيدة متدنية فإنّ الحركة الصهيونية تقتلع السكان الأصليين من جذورهم في بلادهم، وترمى بهم إلى القفار، والبراري، والوديان، وتستولى على كل ثرواتهم الطبيعية، وملكياتهم العامة والخاصة، وتضع نصب عينيها هدم وتدمير مقدسات الإسلام لتقيم على أنقاضها هيكل سليمان وتحل محل الشعب الأصلي الفلسطيني الذّي لم ينقطع وجوده على امتداد التاريخ، عصابات وشراذمة من يهود العالم، وتقيم للحركة الصهيونية بؤرا في كل بلد لليهود فيه وجود لتجعل من هاتيك البؤر حركات وتحركات منظمة ولو بوسائل الخداع والضغط والإرهاب، مربوطة بها وبقاعدتها الأمامية إسرائيل تجبى منها الضرائب بشكل منظم باسم المعونات، والتبرعات، وتحولها إلى قوى ضاغطة على حكومات بلادها، لتسيرها وفق أهدافها وأغراضها وتصدر إليها الأوامر بالإنتقال والهجرة إلى ما اغتصبته من أراضي عربية وإسلامية، وتفرض عليها أن تدين بالولاء لأسرائيل أولاً، جاعلة منها حكومات صهيونية مقنعة داخل بلاد كثيرة في العالم.

إنّ الصهيونية الدولية التي أوجدت إسرائيل بالتعاون مع الشرق الماركسي، والغرب الاستعماري... تضع دائماً نصب عينيها وفي أوّل قائمة مخططاتها الجهنمية، الاستيلاء على أكبر مساحات أرضية من بلاد المسلمين، وما بلاد المسلمين إلّا بلاد العرب لتضمها إلى إسرائيل. كما تضع في الوقت نفسه نصب عينيها الوصول إلى السيطرة على كل ما تستطيع من مصادرة الثروة الطبيعية الإسلامية لتقبض بيد من حديد على الكثير من مصادر الثروة التي يفتقر إليها العالم والشعوب لتتحكم بهم، بالأضافة إلى أنها تنفذ برنامجاً إستعماريا آخر وضعته بدقة

وعناية تامة، وهو برنامج التغلغل في بلاد القارتين الآسيوية والإفريقية، وقلبهما يعني بلاد الإسلام... من أجل أن تسيطر على مواردها الأولية وتجعل من شعوبها سوقاً لا ستهلاك، وتصريف بضائعها، ولتخضعها بالتالي إلى نفوذها مادام التغلغل الإقتصادي هو مفتاح النفوذ السياسي،.والوسيلة الناجعة للتسلط والتسرّب الإستعماري.

ولتنفيذ وتحقيق هذه الخطة الإستعمارية تجهد الصهيونية العالمية في كافة الميادين، والحقول، والجانب، أن تجعل بلاد العرب والإسلام مفككة، ومتمزّقة، ومتصارعة، ومتناطحة، ومتخاصمة، ومتخلفة، وضعيفة، ومتخاذلة، وقدرأت أن من أهم الوسائل وأقوى الدعائم التي تعينها على تحقيق وتنفيذ خطتها هذه زرع بذور الماركسية في البلاد العربية والإسلامية، مادامت الماركسية تدعو إلى محاربة الطبقات ومكافحتها، وتصرف الإنسان عن أهداف التحرر والإنطلاق.

ويؤيد القول هذا منا أن كل حركة ماركسية قامت ووجدت في أي بلد إسلامي وبقعة عربية حملها إليها في الأصل يهوديّ صهيوني، واحتضنها في مراحلها الأولى، ريثما سلمها إلى أفراد وعناصر ارتبطت مع مراكز الشيوعية في العالم بالولاء.

ومهما يكن من أمر فالحديث طويل وذوشجون، يخرجنا عن منهج الكتاب وخطته المرسومة له ويبعدنا عن صلب البحث الذي عقدنا له هذا الفصل... لذلك ينبغي العودة إليه، ولعلنا نعود إلى متابعته ومواصلته في مجال آخر، فمعذرة للقارئ الكريم.

* * *

مرّ القول منا في بداية البحث أن واضع العقيدة الوهابية السياسية... محمد بن عبدالوهاب كان في أول أمره مولعاً ومغرماً، بمطالعة وقراءة أخبار مدعي النبوّة أمثال: مسيلمة الكذاب، وسجاح بنت الحارث، والأسود العنسي، وطليحة بن خالد الأسدي، وأضرابهم من المشعوذين الذين إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكرالله... ثم واصل دراسته في الفقه وتعاليم الإسلام على نهج فتاوى أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي المتوفى ٢٤١ هـ ومن بعده على منهاج تلميذ مدرسته، وصاحب البدع والفتاوى والمعتقدات الباطلة في القرنين السابع والثامن الهجريين، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني الحنبلي المتوفى في سجن مراكش عام ٧٢٨ هـ، وتلميذ إبن تيمية في الضلال والفساد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الحنبلي المتوفى سنة ٧٥١ هـ... وابن عبدالهادي يوسف بن حسن بن أحمد الصالحي الحنبلي الصوفي المتوفى ٩٠٩ هـ، ومن نسج على منوالهم من الذين أجمعت المذاهب الإسلامية على كفرهم، وخروجهم عن الدين وارتدادهم،

وزندقتهم، وألفوا كتباً ورسائل في الردّ عليهم، وانتقاد معتقداتهم الباطلبة، وفسادها، وضلالها، وحذروا العامة والخاصة من التقرّب إليهم ومطالعة رسائلهم المفسدة وتعاطيها، وحتى من النظر إليها.

فقد كانت مؤلفات إبن تيمية الحراني الحنبلي السخيفة الضحلة، تشغل في المرتبة الأولى بال محمد بن عبدالوهاب في كافة مراحل حياته، ويلهج بمحتوياتها، ويتحدث بمضامينها، ويأخذ بمفاهيمها، حتى في حله وترحاله، وأحاديثه، وبحثه، وكلماته، فشغلت عقليته وأثرّت فيها تأثيراً بالغاً بحيث أنه اعتقد وآمن أن الإسلام الصحيح، يجب أن يلتمس من منبعه الصافي الصحيح، المتجسد في منهج وكتب، أحمد بن حنبل، وابن تيمية الحراني... ومن هنا يمكن القول بصراحة أن العقيدة الوهابية العاتية السياسية، وإن كان ظهورها في زمن محمد بن عبدالوهاب النجدي الحراني في القرن الثاني عشر الهجري، إلاّ أن بذورها قد بذرت قبل ذلك في زمن أحمد بن تيمية الحراني في القرن السابع، وعلى يد تلميذه ابن القيم الجوزية.

وإذا دققنا النظر، والدراسة في تاريخ التشريع الإسلامى، والسيرة المطردة منذ صدر الإسلام، وحتى في عصر الصحابة الأولين والتابعين لهم باحسان، لألفناه صحيحاً واضحاً تسالمت على مفاهيمه، ودساتيره، ونظمه، وأصوله، وفروعه جميع فرق المسلمين من دون أي نكير من آحادهم، وأي غمز من أحد منهم، على تباين مذاهبهم واختلاف جنسياتهم على ما فيهم من أئمة المذاهب، والفقهاء، والعلماء، والعظماء، وقادة الدين ورجالات المذهب، حتى ولد الدهر إبن تيمية الحراني عام ٦٦١ هـ، فجاء كالمغمور مستهتراً يهذي، ولا يبالي، فتره وأنكر التشريع الإسلامي، والسنة الجارية سنة الله التي لا تبديل لها، ولن تجد لسنة الله تحويلا، وخالف السيرة المطردة وناهض القيم والمثل الإسلامية، وشذ عن تلكم الآداب الحميدة وشدد النكير عليها، بلسان بذيّ قارص وبيان واسلوب تافه، ووجوه خارجة عن نطاق العقل السليم، وألفاظ بعيدة عن معايير الأدب، ومقاييس النزاكة وأعلن التهريج، والتشهير، والنيل، الحط من الدين ورجال العلم والفضيلة بعيداً عن أدب العلم والأدب... أدب الكتابة والتأليف... أدب العفة والرزانة... وأفتى بمسائل وجاء بخزعبلات وأفتى وقال: بالتجسم في الله تعالى... وحرمة شد الرحال لزيارة المرقد الشريف النبويّ (ص) وحسب السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة إلى غيره من الأباطيل.

فخالفه وناهضه أعلام عصره، ورجال مذهبه الحنبلي، وقادة قومه وفرقته، فقابلوه بالطعن والرّد الشديد، فأفرد كل واحد منهم تأليفاً حافلا في تزييف أراءه، ومعتقداته،

وبدعه، وضلالاته، وكذلك أفتى قضاة قضاة المذاهب الأربعة في عصره على كفره وفسقه، وأنه يجب أن يزجر إبن تيمية عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء، ويمنع من الفتاوى الغريبة، ويحبس إذا لم يمتنع من ذلك ويشهر أمره ليحتفظ الناس من الإقتداء به.

فهناك الكتب الكثيرة التي وضعت في الرّد عليه، وتزييف آراءه ومعتقداته، أمثال: كتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي الشافعي الأشعري المصري المتوّفى ٧٣٣ هـ. وكتاب الدرّة المضيئة في الرّد على إبن تيمية للسبكي أيضاً. وكتاب المقالة المرضية لقاضي قضاة المالكية تقي الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن عيسى ابن بدران السعدي المالكي الأخنائي المتوّفى عام ٧٥٠ هـ. وكتاب نجم المهتدى ورجم المقتدى لفخرالدين بن المنير المالكي المتوّفى ٧٣٣ هـ. وكتاب دفع الشبه لتقي الدين أبي بكر بن محمد ابن عبدالمؤمن بن حريز بن معلى الحصني الشافعي المتوّفى ٨٢٩ هـ. وكتاب التحفة المختارة في الرّد على منكر الزيارة لتاج الدين عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي المالكي الفاكهاني المتوفى ٧٣١ هـ. إلى غيرهم من الأعلام الذين تحدّثوا عن أباطيله في ثنايا وصفحات تآليفهم.

وقد أصدر الشاميون فتوى وكتب عليها البرهان ابن الفركاح الفزاري نحن أربعين سطراً بأشياء إلى أنّ قال بتكفيره، ووافقه على ذلك الشهاب بن جهبل، كتب تحت خطه كذلك المالكي، ثم عرضت الفتوى على قاضي القضاة الشافعية بمصر بدرالدين محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكناني، حاكم الإقليمين مصراً وشاماً المتوّفى ٧٣٣ هـ، فكتب على ظاهر الفتوى ــ الحمدلله هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قول إبن تيمية، إنّ زيارة الأنبياء والصالحين بدعة. وماذكره من نحو ذلك ومن أنه لا يرخص بالسفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه، وقد نقل جماعة من العلماء أنّ زيارة النبيّ (صث) فضيلة وسنة مجمع عليها، وهذا المفتى المذكور (يعني ابن تيمية) ينبغي أن يزجرعن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء، ويمنع من الفتاوى الغريبة، ويحبس إذا لم يمتنع من ذلك ويشهر أمره ليحتفظ الناس من الإقتداء به (٦١).

وكان من معاصريه من ينهاه عن غيه وبغيه وكفره وفسقه، أمثال: الإمام الحافظ شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشافعي الذهبي المتوّفى سنة ٧٤٨ هـ، المتعصب المعروف فإنّه كتب إليه رسالة ينصحه فيها وإليك نصها:

(الحمدلله على ذلّتي، يارب ارحمني، وأقلني عثرتي، واحفظ عليّ إيماني، واحزناه على قلة حزني، وواأسفاه على السنة وأهلها: واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء، واحزناه على فقد اناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى، وكنوز الخيرات، آه على وجود

درهم حلال، وأخ مونس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتبّاً لمن شغله عيوب الناس عن عيبه، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك، وتنسى الجذع في عينيك؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك، وتذّم العلماء وتتبع عورات الناس؟ مع علمك بنهي الرسول (ص): ـــ لا تذكروا موتاكم إلّا بخير فإنّهم قد أفضوا إلى ما قدموا ـــ بل أعرف إنّك تقول لي لتنصر نفسك، إنّما الوقيعة في هؤلاء الذين ماشموا رائحة الإسلام، ولاعرفوا ما جاء به محمد (ص) وهو جهاد بل، والله عرفوا خيراً كثيراً مما إذا عمل به فقد فاز، وجهلوا شيئا كثيراً مما لا يعنيهم ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه.

يارجل، بالله عليك كفّ عنا، فإنّك محجاج عليم اللسان، لا تقرّ ولا تنام، إيّاكم والغلوطات في الدين، كره نبيك (ص) المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال، وقال: ـــ إنّ أخوف ما أخاف على امّتي كل منافق عليم اللسان ـــ وكثرة الكلام بغير زلل، تقسى القلب إذا كان في الحلال والحرام، فكيف إذا كان في عبارات اليونسية، والفلاسفة، وتلك الكفريات التي تعمى القلوب، والله قدصرنا ضحكة في الوجود، فإلى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية؟ لنرّد عليها بعقولنا.

يارجل، قد بلعت سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرّات، وكثرة استعمال السموم يد من عليه الجسم، ونكمن والله في البدن، واشوقاه إلى مجلس يذكر فيه الأبرار، فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، بل عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء واللعنة، كان سيف الحجاج، ولسان ابن حزم (٦٢) شقيقين فواخيتهما، بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس، وأكل الحبوب، وجدّوا في ذكر بدع كنا نعدّها من أساس الضلال، قد صارت هي محض السنة وأساس التوحيد، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار، ومن لم يكفر فهو أكفر من فرعون، وتعد النصارى مثلنا، والله في القلوب شكوك إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فإنت سعيد، ياخيبة من اتبعك فإنّه معرض للزندقة، والإنحلال، لا سيا إذا كان قليل العلم، والدين باطولياً شهوانياً، لكنه ينفعك ويجاهد عندك بيده ولسانه، وفي الباطن عدوّلك بحاله وقلبه، فهل معظم أتباعك إلّا قعيد مربوط، خفيف العقل؟ أو عاميّ كذّاب بليد الذهن؟ أو غريب واجم قويّ المكر؟ أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدّقني ففتشهم وزنهم بالعدل.

يا مسلم، أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها، وتعادى الأخيار؟ إلى كم تصادقها، وتزدرى الأبرار؟ إلى كم تعظمها، وتصغر العباد؟ إلى متى تخاللها، وتمقت الزهاد؟ إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح والله بها أحاديث الصحيحين، ياليت أحاديث الصحيحين تسلم منك.

بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والأهدار، أو بالتأويل والإنكار، أما آن لك أن ترعوى؟ أما حان لك أن تتوب وتنيب؟ أما أنت في عشر السبعين، وقد قرب الرحيل؟ بلى والله ما ادّكر إنّك تذكر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت، فما أظنك تقبل على قولي، ولا تصغى إلى وعظي، بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات، وتقطع لي أذناب الكلام، ولا تزال تنتصر حتى أقول ألبتة سكتّ. فإذا كان هذا حالك عندي، وأنا الشفوق المحب الوادّ، فكيف حالك عند أعدائك؟ وأعداؤك والله فيهم صلحاء، وعقلاء، وفضلاء، كما أن أولياءك فيهم، فجرة، وكذبة، وجهلة، وبطلة، وعور، وبقر، قد رضيت منك بأن تسبني علانية، وتنتفع بمقالتي سرّا ـ فرحم الله إمراءاً أهدى إلي عيوبي ـ فإنّي كثير العيوب غزير الذنوب، ألويل لي إن أنا لا أتوب، ووافضيحتي من علاّم الغيوب، ودوائي عفوالله ومسامحته، وتوفيقه، وهدايته، والحمدلله ربّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين (٦٣).

إنّ محتويات الرسالة هذه إن دلّت على شيء فإنما تدّل على أن إبن تيمية الحراني... حسب أئمة المذاهب الأربعة، رجل مهزار، وخرّاص، وساقط، وهرش، ومهتار، وفحاش، وسبّاب، ولعّان، لا يؤمن بأصول الدين وبما أتى به المشرّع الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه حليف سيف الحجاج، ولسان إبن حزم، إذ لم يسلم أحد من فتكه وبطشه وشتمه وقوصه وأذاه، و إنّ معظّم أتباعه ماهم من دون إستثناء إلّا قعيد مربوط،خفيف العقل أو عامي كذّاب بليد الذهن أو غريب واجم قوّي المكر، أو ناشف صالح عديم الفهم... والحجة على صحة هذه المفاهيم والدلالة الصادقة على ثبوتها وصدقها، وجود محمد بن عبدالوهاب الحراني اليهودي الذّي تطوّع بعد مضى خمسة قرون على وفاة شيخه إبن تيمية الحراني السخيف، إلى إنتشار و إذاعة آرائه وسخافاته وبدعه وضلالاته... إذ لم نجد منذ وفاة إبن تيمية سنة ٧٢٧ هـ، إلى يوم ولادة محمد بن عبدالوهاب عام ١١١١ هـ، من اقتفى أثر إبن تيمية ونهض بأعباء دعوته العاتية الداعية للقول والتصريح بالتجسم، والجهتية لا من المسلمين فحسب، وحتى لم نجد واحداً من الفجرة، والكذبة، والجهلة، والبطلة، والعور، والبقر..؟

و إذا كان إبن تيمية الحراني... مصيباً في مقالته، وصادقا في تقولاته، فلماذا بادوا عليه هنا و هناك ما ابتدعته يده الأثيمة، من المخاريق التافهة، والآراء المحدثة الشاذة عن الكتاب، والسنة، والاجماع، والقياس، ونودى عليه في مدينة دمشق، بمسمع من أئمة المذاهب الأربعة، وبمشهد منهم (من إعتقد عقيدة إبن تيمية حلّ دمه وماله) (٦٤) فذهبت تلكم البدع السخيفة إدراج الرياح (كذلك يضرب الله الحق والباطل. فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما

ينفع الناس فيمكث في الأرض) (٦٥).

أجل إنّ الله سبحانه لرؤف بعباده، ولم يتركهم سدى، تنهش بلحومهم كلاب الأموية المهارشة، وذئاب العباسية المستهترة لدة إبن حزم الاندلسي... وإبن تيمية الحراني... وابن القيم الجوزية... ومحمد بن عبدالوهاب اليهودي...

كلا وألف كلا... لقد قيض الله تعالى في كل قرن، وفي كل قطر رجالاً نصروا الحقيقة، وأحيوا كلمة الحق وجعلوها العليا، وأماتوا بذرة الضلال وقابلوا تلكم الأضاليل المحدثة، والأقاويل الواهية المفسدة بحجج قويّة، وبراهين دامغة وأدلة ساطعة فجاءت الامة الإسلامية تتبع الطريق المهيع، وتسلك الصراط المستقيم، تباعاً وراء الكتاب والسنة، تعظم شعائرالله، ومن يعظم شعائرالله فإنّها من تقوى القلوب، إلى أن ألقى الشر جوانه، وجاد الدهر بولائد الجهل، وربّتهم أيدى الهوى، وأرضعتهم امهات الضلال، وشاغلتهم رجالات الفساد، وتمثلوا في الملاء بشراً سويّا، وسجيتهم الضلال فجاسوا خلال الديار، وضلوا وأضلوا، واتبعوا سبيل الغي، وصدوا عن سبيل الله، ومن اولئك الجماهير الضالة، محمد بن عبدالوهاب... فقد حذا حذو ابن تيمية، واتخذ وتيرته، واتبع هواه فجاء في القرن الثاني عشر كشيخه والهه يموّه، ويدجل، ويتسدّج، ويتحرّش بالسباب المقذع، ويقذف مخالفيه ومناوئيه بالكفر والردّة، ويرميهم بكل معرّة ومسبة، ويرى المجتمع حسب عقله الضعيف، وحسبانه الدبير أن هاتيك الطقوس، والتقاليد، والشعائر الدينية، من الزيارة، والدعاء، والتوسّل، والبكاء عند القبور المشرفة، والصلاة لديها، والتبرك والإستشفاع بها، كلها من آفات البدعة، والتخلف، والجهل.

ولعل السذّج من الناس يحسب أنّ لابن تيمية... وأقرانه من شدّتهم وحدّتهم في النكير والجلبة واللغط في أقواله ومخاريقه موضعاً من الحقيقة، ولخرافاته مقيلا من الصواب ورمزاً من الصدق والصحة، ذاهلا عن أن أعلام المذاهب الإسلامية في القرون الخالية منذ القرن الثامن الهجري، من يوم ابن تيمية، وبعده يوم محمد بن عبدالوهاب الذّي جدّد وأعاد لتلكم الدوارس جدّتها، وحتى العصر الحاضر أنكروا على هذه السفسطات والمفاسف، وحكموا بكفر من ذهب إلى هذه الآراء المضلة، والمعتقدات الشاذة، عن سيرة المسلمين، وشنوا عليهم الغارة تلو الغارة، وبالغوا واجتهدوا في الرّد عليهم.

إنّ الجلبة، واللغط، والشتم المودوع في كتب إبن تيمية... والوهابية... بألسنة حداد، تكفير مستهتر خارج عن أدب المناظرة والجدال، شنشنة يعرف بها ابن تيمية شيخ البدع والأهواء، والضلال، والمناكير، والمصدر الوحيد لهاتيك الخزايات، والخزعبلات توارثها عنه

شرذمة من عملاء الإستعمار والسائرين في ركاب عقيدته الخاوية.

هذا وقد أباح ابن تيمية... وابن عبدالوهاب... وأتباعهما حمى التوحيد، وهتكوا ستوره، وخرقوا حجابه، ونسبوا إلى الله سبحانه مالا يليق بقدس جلاله، تقدّس وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فقد أثبتوا لله تعالى، جهة الفوق، والاستواء على العرش الذي، هو فوق السماوات والأرض، والنزول إلى سماء الدنيا، والمجيء والقرب، وغيرذلك بمعانيها الحقيقية، وأثبتوا لله تعالى الوجه واليدينّ، اليد اليمنى، واليد الشمال، والأصابع والكف، والعينين كلها بمعانيها اللفظية، من غير تأويل فذهبوا إلى القول بالتجسيم الصريح.

كما حملوا ألفاظ الصفات الواردة في القرآن والأحاديث، على معانيها الحقيقية فأثبتوا من هذا الطريق لله سبحانه، المحبة، والرحمة، واللطف، والرضا، والغضب، والشفقة، والانتقام، والبطش، وغيرذلك بمعانيها الحقيقية، من دون تأويل وإنّه تعالى يتكلم بحرف وصوت كالأنسان فجعلوا الله، محلا للحوادث وهو يستلزم الحدوث كما بين في محله من علم الكلام.

إنّ ابن تيمية.. قال: بالجهة، والتجسيم، والإستواء على العرش حقيقة، والتكلم بحرف وصوت. وهو في الواقع أول من زقا بهذا الرأي وصنف فيه رسائل مستقلة، كالعقيدة الحمويّة والواسطية وغيرهما، واقتفاه في ذلك تلميذاه إبن القيم الجوزية، وابن عبدالهادي، وأتباعهم ولذلك حكم علماء عصره بضلاله وكفره، وألزموا السلطان بقتله أو حبسه فأخذ إلى مصر، ونوظرفحكموا بحبسه فحبس، وذهبت نفسه محبوساً بعد ما أظهر التوبة والندامة ثم نكث. وإليك ما قاله العلماء وأئمة المذاهب عنه لتقف على قيمة ابن تيمية عندهم:

قال العالم السياح، أبوعبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن بطوطة الطنجي المتوفى بمراكش سنة ٧٧٩ هـ، في رحلته (وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية، كبير الشام يتكلم في الفنون إلّا أن في عقله شيئاً، وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم، ويعظهم على المنبر، وتكلم مرّة بأمر أنكره عليه الفقهاء، ورفعوه إلى الملك الناصر فأمر باشخاصه إلى القاهرة، وجمع القضاة والفقهاء، بمجلس الملك الناصر، وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي، وقال: إنّ هذا الرجل قال كذا وكذا، وعدّد ما أنكر على ابن تيمية، وأحضر العقود بذلك، ووضعها بين يدي قاضي القضاة.

وقال قاضي القضاة لابن تيمية، ماتقول؟ قال: لااله إلّا الله. فأعاد عليه فأجاب بمثل قوله. فأمر الملك الناصر بسجنه فسجن أعواماً، وصنف في السجن كتاباً في تفسير

القرآن، سمّاه بالبحر المحيط في نحو أربعين مجلداً.

ثم إنّ أمه تعرّضت للملك الناصر، وشكت إليه فأمر باطلاقه إلى أن وقع منه مثل ذلك ثانية. وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة، وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكّرهم فكان من جملة كلامه أن قال: إنّ الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر. فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته، وظهر على رأسه شاشية حرير فأنكروا عليه لباسها، واحتملوه إلى دار عزالدين بن مسلم قاضي الحنابلة فأمر بسجنه وعزرّه بعد ذلك، فأنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره، ورفعوا الأمر إلى ملك الأمراء سيف الدين تنكيز، وكان من خيار الأمراء وصلحائهم، فكتب إلى الملك الناصر بذلك، وكتب عقداً شرعياً على ابن تيمية بأمور منكرة، منها: أن المطلق بالثلاث في كلمة واحدة لا تلزمه إلّا طلقة واحدة. ومنها المسافر الذّي ينوى بسفره زيارة القبر الشريف زاده الله طيباً لا يقصر الصلاة، وسوى ذلك مما يشبهه. وبعث العقد إلى الملك الناصر فأمر بسجن ابن تيمية، بالقلعة فسجن بها حتى مات في السجن (٦٦).

وقال أحمد بن حجر الهيثمي المكي الشافعي، صاحب الصواعق المحرقة في كتابه (الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرّم) ما لفظه ـ: فإن قلت كيف تحكى الإجماع على مشروعية الزيارة والسفر إليها، وطلبها، وابن تيمية من متأخري الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كله كما رآه السبكي في خطه، وقد أطال إبن تيمية فى الإستدلال لذلك بماتمجه الأسماع وتنفرعنه الطباع، بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً، و إنّه لا تقصر فيه الصلاة و إنّ جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه؟.

قلت: من هو إبن تيمية حتى ينظر إليه أو يعول في شيء من امور الدين عليه؟ وهل هو إلّا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة، وحججه الكاسدة حتى أظهروا أعوار سقطاته، وقبائح أوهامه، وغلطاته كالعز بن جماعة، عبد أظله الله تعالى وأغواه وألبسه رداء الخزي وأرداه وبوأه من قوّة الإفتراء والكذب، ماأعقبه الهوان، وأوجب له الحرمان، ولقد تصدى شيخ الإسلام وعالم الأنام، المجمع على جلالته واجتهاده، وصلاحه، و إمامته التقى السبكي قدّس الله روحه ونوّر ضريحه، للرّد عليه في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد، وأصاب، وأوضح بباهر حججه طريق الصواب.

ثم قال: هذا وماوقع من ابن تيمية مما ذكر، وان كان عثرة لا تقال أبداً ومصيبة يستمر شؤمها سرمداً ليس بعجيب فإنّه سوّلت له نفسه وهواه وشيطانه، إنّة ضرب مع

المجتهدين بسهم صائب ومادرى المحروم إنه أتى بأقبح المعائب إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس المنزّه سبحانه عن كل نقص، والمستحق لكل كمال انفس فنسب إليه الكبائر والعظائم، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة على المنابر، من دعوى الجهة، والتجسيم، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدّمين والمتأخرين، حتى قام عليه علماء عصره، وألزموا السلطان بقتله أوحبسه، وقهره فحبسه إلى أن مات وخمدت تلك البدع، وزالت تلك الضلالات ثم انتصر له أتباع لم يرفع الله لهم رأساً، ولم يظهر لهم جاهاً ولا بأساً بل ضربت عليهم الذلّة والمسكنة، وباؤا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٦٧).

وقال ابن حجر أيضا: إنّ الناس افترقت في إبن تيمية، فنهم، من نسبه إلى التجسيم لما ذكره في العقيدة الحمويّة والواسطية وغيرهما، من ذلك بقوله: إنّ اليد، والقدم، والساق، والوجه، صفات حقيقية لله، وأنه مستوعلى العرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام، فقال: أنا لا أسلم أن التحيز والإنقسام من خواص الأجسام، فألزم بأنه يقول بالتحيز في ذات الله.

ومنهم: من ينسبه إلى الزندقة لقوله: أن النبيّ (ص) لا يستغاث به، وإنّ في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله (ص)، وكان أشد الناس عليه في ذلك النور البكري، فإنّه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قابل بعض الحاضرين، يعزر. فقال البكري، لا معنى لهذا القول، فإنّه إن كان تنقيصاً يقتل وإن لم يكن تنقيصاً لا يعزر.

ومنهم: من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي: إنّه كان مخذولا حيث ما توجّه، وإنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنّما قاتل للرياسة لا للديانة، وإنّه كان يحب الرياسة. وإنّ عثمان كان يحب المال. ولقوله: أبوبكر أسلم شيخاً يدري ما يقول، وعليّ أسلم صبياً، والصبي لا يصح إسلامه على قول. ولكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل، وما نسبه من الثناء على قصة أبي العاص بن الربيع، وما يؤخذ من مفهومها فإنّه شنع في ذلك فألزموه بالنفاق لقوله (ص): لا يبغضك إلّا منافق.

ونسبه قوم إلى أنه يسعى في الإمامة الكبرى، فإنّه كان يلهج بذكر ابن تومرت (٦٨) ويطريه وكان ذلك مولداً لطول سجنه. وكان إذا حوقق والزم، يقول: لم أرد هذا إنّما أردت كذا فيذكر إحتمالاً بعيداً (٦٩).

وقال المفتى صدرالدين في كتابه (منتهى المقال في شرح حديث لا تشد الرحال) قال الشيخ الإمام الحبر الهمام، سند المحدّثين، الشيخ محمد البرلسي في كتابه إتحاف أهل العرفان

برؤية الأنبياء والملائكة والجان: وقد تجاسر إبن تيمية الحنبلي عامله الله تعالى بعد له، وذكر تحريمه للسفر إلى زيارة النبيّ (ص) إلى أن قال: حتى تجاوز الجناب الأقدس المستحق لكل كمال أنفس، وخرق سياج الكبرياء والجلال، وحاول إثبات ما ينافي العظمة والكمال، بادعائه الجهة، والتجسيم، ونسبة من لم يعتقدهما إلى الضلالة والتأثيم، وأظهر هذا الأمر على المنابر، وشاع وذاع ذكره بين الأكابر والأصاغر. وقد خالف الأئمة المجتهدين في مسائل كثيرة، واستدرك على الخلفاء الراشدين، باعتراضات سخيفة حقيرة، فسقط من أعين علماء الأمة، وصار مثلة بين العوام فضلا عن الأئمة، وتعقب العلماء كلماته الفاسدة، وزيفوا حججه الداحضة الكاسدة وأظهروا عوار سقطاته، وبينوا قبائح أوهامه وغلطاته (٧٠).

وعن صاحب أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل: إنّه قال في بيان إرخاء العمامة بين الكتفين. قال ابن القيم، عن شيخه ابن تيمية: انه ذكر شيئاً بديعاً وهو انه (ص) لما رأى ربّه واضعاً يده بين كتيفه أكرم ذلك الموضع بالعذبة. قال العراقي: ولم نجد لذلك أصلا ـــ أقول: بل هذا من قبيل رأيهما وضلالهما إذ هو مبني على ماذهبا إليه وأطالا في الإستدلال له، والحط على أهل السنة في نفيهم له، وهو إثبات الجهة، والجسمية لله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. ولهما في هذا المقام من القبائح وساء الإعتقاد، ما يصم عنه الآذان ويقضى عليه بالزور والكذب والضلال والبهتان، وقبح من قال بقولهما، والامام أحمد وأجلاء مذهبه مبرؤون عن هذه الوصمة القبيحة كيف وهي كفر عند كثيرين ـــ.

وعن المولى عبدالحليم الهندي في حل المعاقد، حاشية شرح العقائد: كان تقى الدين ابن تيمية حنبلياً لكنه تجاوز عن الحد، وحاول إثبات ما ينافي عظمة الحق تعالى وجلاله، فأثبت له الجهة، والجسم. وله هفوات أخر كما يقول إنّ أميرالمؤمنين سيدنا عثمان (رض) كان يحب المال، وأنّ أميرالمؤمنين سيدنا عليّ (رض) ماصح إيمانه فإنّه آمن في حال صباه، وتفوّه في حق أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وعليهم، مالا يتفوّه المؤمن المحق. وقد وردت الأحاديث الصحاح، في مناقبهم في الصحاح، وانعقد مجلس في قلعة الجبل، وحضر العلماء الأعلام والفقهاء العظام، ورئيسهم قاضي القضاة زين الدين المالكي، وحضر ابن تيمية، فبعد القيل والقال بهت ابن تيمية، وحكم قاضي القضاة بحبسه سنة ٧٠٥ هـ، ثم نودي بدمشق وغيرها، من كان على عقيدة إبن تيمية، حلّ ماله ودمه. كذا في مرآة الجنان للإمام أبي محمد عبدالله اليافعي. ثم تاب وتخلص من السجن سنة ٧٠٧ هـ، وقال: إنّي أشعريّ ثم نكث عهده وأظهر مرموزه فحبس حسباً شديداً، ثم تاب وتخلص من السجن، وأقام في الشام وله هناك، واقعات كتبت في كتب التاريخ، وردّ أقاويله وبين أحواله الشيخ ابن حجر في

المجلد الأوّل من الدرر الكامنة. والذهبي في تأريخه وغيرهما من المحققين والمرام أنّ ابن تيمية، لما كان قائلا بكونه تعالى جسماً، قال: بأنه ذو مكان فإنّ كل جسم لا بد له من مكان على ما ثبت. ولما ورد في الفرقان الحميد (الرحمن على العرش استوى) قال: إنّ العرش مكانه، ولما كان الواجب أزلياً عنده وأجزاء العالم حوادث عنده اضطر إلى القول بأزلية جنس العرش وقدمه، وتعاقب اشخاصه الغير المتناهية فمطلق التمكن له تعالى أزلي، والتمكنات المخصوصة حوادث عنده، كما ذهب المتكلمون إلى حدوث التعلقات) (٧١) إنتهى.

وقال الإمامَ أبومحمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمنى المكي المتوّفى ٧٦٨ هـ. وفي سنة ٧٠٥ وقعت فتنة شيخ الحنابلة ابن تيمية، وسؤالهم عن عقيدته، وعقدوا له ثلاث مجالس، وقرئت عقيدته الملقبة بالواسطية، وأضايقوه وثارت غوغاء الفقهاء له وعليه، ثم انّه طلب على البريد إلى مصر، واقيت عليه دعوى عند قاضي المالكية فاستخصمه ابن تيمية المذكور، وقاموا فسجن هو وأخوه بضعة عشر يوماً. ثم أخرج ثم حبس بحبس الحاكم ثم ابعد إلى الإسكندرية فلما تمكن السلطان سنة تسع طلبه فاحترمه وصالح بينه وبين الحاكم، وكان الذّي ادّعى به عليه بمصر، انه يقول أنّ الرحمن على العرش استوى حقيقة، وأنّه يتكلم بحرف وصوت. ثم نودى بدمشق وغيرها من كان على عقيدة إبن تيمية حلّ ماله ودمه (٧٢).

وقال أبوالفداء عمادالدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى البصري الدمشقي الفقيه الشافعي المتوفى ٧٧٤ هـ، في حوادث سنة ٧٠٥ هـ، وفيها استدعى تقي الدين بن تيمية من دمشق إلى مصر، وعقد له مجلس وقرئت فيه عقيدته الواسطية وامسك واودع الإعتقال بسبب عقيدته فإنّه كان يقول: بالتجسيم، وأنّ الله فوق العرش حقيقة، وأن الله يتكلم بحرف وصوت فحبس في برج أياماً، ثم نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجب. ومن عاد إلى تلك العقيدة حلّ ماله ودمه (٧٣).

وجاء في المنشور الصادر بحقه من السلطان، وكان الشقي ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه ومدّعنان كلمه، وتحدّث في مسائل القرآن والصفات ونص في كلامه على أمور منكرات، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام، وانعقد على خلافه إجماع العلماء الأعلام، وخالف في ذلك علماء عصره، وفقهاء شامه ومصره، وعلمنا انه استخف قومه فأطاعوه حتى اتصل بنا إنّهم صرّحوا في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم (٧٤).

وعن العالم الخبير مصطفى بن عبدالله الحاجي خليفة المتوّفى ١٠٦٨ هـ، أن بعضهم بالغ في الرّد على إبن تيمية حتى صرّح بكفر من أطلق عليه شيخ الإسلام.

هذه هي معتقدات ابن تيمية في التوحيد، القائل بالتجسيم، والإستواء، والجهة، وله

في إثبات قوله مؤلفات ورسائل، وهكذا القول في النبوّة، وبمعصية من زار مرقد النبيّ الأعظم (ص) وصلى لديه، ودعا عنده، وتبرّك وتوسّل به، وتقرّب إلى الله، وابتغاء الزلفة لديه، وكفر زيارة قبور ضمنت في كنفها نبياً مرسلاً أو إماماً طاهراً، أو ولياً صالحاً، أو عظيما من عظماء الدين، وحتى زيارة مشاهد العترة الطاهرة عليهم السلام، لذلك حكم بتهديم وأبادة كافة المقابر بصورة عامة. مع العلم واليقين أن أئمة المذاهب الأربعة وحفاظها أخرجت في الصحاح والمسانيد، أحاديث جمة في زيارة قبر النبيّ الأقدس صلوات الله عليه وآله، وسائر القبور الشريفة (٧٥).

أمّا نظرته السقيمة بالنسبة للطائفة الشيعية، الإمامية الحقة، فكلها العداء والحقد الاموّي الدفين، واللهجة القارصة يحذو فيها حذوشيخه في ضلاله إبن حزم الاندلسي... فراح في تآليفه يعربد، ويشتم، ويهرج، وليس هذا بغريب وعجيب منه لأن شنشنة الرعونة وصبغة الإحن والشحناء هي شيمة كلّ أمويّ لف عجاجته على الشيعة، وعلى أئمتها (فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) (٧٦).

فقال في كتابه (منهاج السنة) وهو الحرّي بأن يسمى منهاج البدعة، وهو كتاب حشوه ضلالات وأكاذيب، وتحكمات وإنكار المسلمات، وتكفير المسلمين، وأخذ بناصر المبدعين، ونصب وعداء محتدم على أهل بيت الوحي عليهم السلام، فليس فيه إلّا تدجيل محض، وتمويه على الحقائق، وتحريف الكلم عن مواضعه، وقول بالبذاء، ورمي بالمقذعات، وقذف بالفواحش، وتحكك بالوقيعة، وتحرّش بالسباب: ــ اصول الدين عند الإمامية أربعة: ألتوحيد. والعدل. والنبوّة. والإمامة هي آخر المراتب، والتوحيد، والعدل، والنبوّة، قبل ذلك، وهم يدخلون في التوحيد نفي الصفات، والقول بأن القرآن مخلوق، وأنّ الله لا يرى في الآخرة. ويدخلون في العدل التكذيب بالقدرة. وأنّ الله لا يقدر أن يهدى من يشاء، ولا يقدر أن يضل من يشاء، وأنّه قد يشاء مالا يكون ويكون مالا يشاء. وغير ذلك فلا يقولون أنّه خالق كل شيء ولا أنه على كل شيء قدير، ولا أنه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ــ (٧٧).

وقال أيضا في كتابه: ــ تجد الرافضة يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فلا يصلون فيها جمعة ولا جماعة، وليس لها عندهم كبير حرمة، وإن صلوا فيها صلّوا فيها وحدانا، ويعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين، ويحجون إليها كما يحج الحاج إلى البيت العتيق. ومنهم من يجعل الحج إليها أعظم من الحج إلى الكعبة. بل يسبّون من لا يستغنى بالحج إليها عن الحج الذّي فرضه الله تعالى على عباده، ومن

لا يستغنى بها عن الجمعة والجماعة، وهذا من جنس دين النصارى والمشركين (٧٨).

وقال أيضا: ــ الرافضة يعمرّون المشاهد التي حرّم الله ورسوله بناءها، يجعلونها بمنزلة دور الأوثان، ومنهم من يجعل زيارتها كالحج، كما صنف المفيد كتاباً سماه ــ مناسك حج المشاهد ــ وفيه من الكذب والشرك ما هو جنس شرك النصارى وكذبهم (٧٩).

هذه نماذج تافهة من كلماته الهزيلة البائرة، وعلى هذه فقس ماسواها... وإنّني لا أتصدى بالأجابة عليها لأن الوقت أثمن وأغلى من أن تصرف حول هاتيك المخاريق والخزعبلات، بعد أن تصدى بالإجابة عليها جمع من فطاحل العلماء، والمجاهدين... وإجابتي هو قول الشاعر:

لوكل كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخر مثقالاً بدينار

وليت شعري فماذا سيكون قول ابن تيمية، وتلاميذ مدرسته المقبورة في توجيه صفاته جلّ جلاله الثبوتية الذاتية، وصفاته السلبية المنزّه عنها، بعد أن أختلق للباري تعالى، التجسيم، والجهة، والإستواء، وأنه يرى يوم القيامة... إلى غيره من الأقاويل الدالة على جهله باصول الدين، وأحكام التشريع الإسلامي، ومفاهيمه لدى المذاهب الإسلامية. ثم بطلق على تخرصاته وخزعبلاته كلمة الإسلام الصحيح، ومنبعه الصافي الصحيح..؟

إنّ الرجل المخرف بتخرصاته وهذيانه السافر، يفرض على الأمم والشعوب إعتناق وقبول ماجاء به' والعمل طبق رأيه ليدفع بهم إلى شفير الهاوية والكفر والضلال والزندقة والإلحاد... وأخيراً التخلي، والتجرّد عن كافة القيم، والمثل. ثم كيف يجيز لبيانه وقلمه تعريف الله تعالى ووصفه، بهذه الصورة وقد قيل من قبل: ــ إن المعرِّف يجب أن يكون أعرف وأجلى من المعرف ــ فهو بجهله وخبثه وحمقه يريد تعريف الله سبحانه..؟

إنّ المسلمين ومن قبلهم الأنبياء، والمرسلين، والأوصياء، والأوتاد، والزّهاد، والعباد، والأئمة، والعلماء، والجهلة، والأغبياء، والسماوات، والأرض، وكل دابة، وملك، ونجم، وشمس، وقمر، والأفلاك، والبحار، والأشجار، منذ بداية خلق الإنسان لم يعبدوا ربّاً بهذا الشكل الذي اصطنعه إبن تيمية... ولم يتخذوه خالقاً لهم ولم يسبحوه بكرة وأصيلا... وإنّما عبدوا (الله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادّون، ولا يؤدّي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن. الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتّد بالصخور ميدان أرضه.

أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال

توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنها غيرالموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنه غيرالصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال (فيم) فقد ضمنه، ومن قال (علام) فقد أخلى منه.

كائن لاعن حدث، موجود لاعن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة. فاعل لا بمعنى الحركات، والآلة. بصير إذ لا منظور إليه من خلقه. متوحّد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق إنشاءوابتدأه إبتداء بلارويّة أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها. أحال الأشياء لأوقاتها ولأم بين مختلفاتها، وغرّز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها (٨٠).

لقد صرّح علماء الكلام أن معرفة الصانع سبحانه على مراتب، فأوليها وأدناها: أن يعرف العبد أن للعالم صانعاً. الثانية: أن يصدّق بوجوده. الثالثة: أن يترّقى بجذب العناية الالهية إلى توحيده، وتنزيهه عن الشركاء، الرابعة: مرتبة الإخلاص له. الخامسة: نفي الصفات التي تعتبرها الأذهان له عنه. وهي غاية العرفان، ومنتهى قوّة الإنسان فالله سبحانه الواحد الأحد الصمد الذّي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.. منزّه عن جميع الصفات التي عليها الأجسام، والأعراض. فالمراد بالإخلاص له هاهنا هو نفي الجسمية، والعرضية، ولوازمها عنه لأن الجسم مركب وكل مركب ممكن، وواجب الوجود ليس بممكن. وأيضا فكل عرض مفتقر، وواجب الوجود غير مفتقر، فواجب الوجود ليس بعرض. وأيضا فكل جرم محدث، وواجب الوجود ليس بمحدث، فواجب الوجود ليس بجرم. وأيضا فكل حاصل في الجهة إما جرم أو عرض، وواجب الوجود ليس بجرم ولا عرض، فلا يكون حاصلا في جهة. فمن عرف وحدانية الباري ولم يعرف هذه الامور كان توحيده ناقصاً، ومن عرف هذه الامور، بعد العلم بوحدانيته تعالى فهو المخلص في عرفانه جلّ إسمه ومعرفته تكون أتم وأكمل.

هذا وفي كتب الكلام بحوث طريفة ودراسات ممتعة، وأدلة واضحة وصريحة في هذا الحقل، إلّا أن دائرتها تقريبا اتسعت بعد مزاعم ابن تيمية، فقد تصدى للإجابة والرّد عليه جمع من علماء المذاهب الإسلامية، منذ بداية القرن الثامن الهجري، وأجمعت كافة العقلاء، وحكمت أنه تعالى يستحيل أن يرى لأن الضرورة قاضية بإن ماليس بجسم ولا حال في جسم، ولا في جهة ولا مكان ولا حيز، ولا يكون مقابلاً ولا في حكم المقابل، فإنّه لا يمكن رؤيته،

ومن كابر في ذلك فقد أنكر الحكم الضروري، وكان في إرتكاب هذه المقالة سوفسطائيا، مخالفاً أيضا لآيات القرآن الكريم الدالة على إمتناع رؤيته تعالى، أمثال الحنابلة فإنّهم قالوا: إنّ الله تعالى جسم يجلس على العرش، ويفضل عنه كل جانب ستة أشبار بشبره وأنه ينزل في كل جمعة على حمار ينادي إلى الصباح، هل من تائب هل من مستغفر؟

والسبب في ذلك قلة تمييزهم وعدم تفطنهم بالمناقضة التي تلزمهم، وانكار الضروريات التي تبطل مقالتهم. فإنّ الضرورة قاضية بأن كل جسم لا ينفك عن الحركة والسكون، وقد ثبت في علم الكلام أنهما حادثان، والضرورة قاضية بأنّ مالا ينفك عن المحدث فإنه يكون محدثاً، فيلزم حدوث الله تعالى، والضرورة قاضية بأن كل محدث فله محدث، فيكون واجب الوجود مفتقراً إلى مؤثر، ويكون ممكنا فلا يكون واجباً وهذا خلف.

وقد تمادى أكثرهم فقال: إنّه تعالى يجوز عليه المصافحة، وان المخلصين في الدنيا يعانقونه في الدنيا. وقال داود بن علي بن خلف الإصبهاني الظاهري ٢٠١ ــ ٢٧٠ هـ، اعفوني عن الفرج، واللحية، واسألوني عما وراء ذلك. وقال: إنّ معبوده جسم، ذولحم، ودم، وجوارح، وأعضاء، وأنه بكى على طوفان نوح، حتى رمدت عيناه، وعادته الملائكة لما اشتكت عيناه ــ.

فلينصف العاقل من نفسه، هل يجوز له إتباع وتقليد مثل هؤلاء، وهل للعقل مجال في تصديقهم، وتأييدهم في هذه الخرافات الرديّة، والإعتقادات الفاسدة؟ وهل تثق النفس بإصابة هؤلاء في شيء ألبتة..؟

ولم يكن ابن تيمية وحده في هاتيك المناكير، وإنّما هي ممتدة منذ ظهور أحمد بن محمد ابن حنبل ١٦٤ ــ ٢٤١ هـ، الرجل الذي لا تخلو حياته من الأساطير، والحكايات، والأطياف، والخرافات، والأوهام، مما لا تتفق مع الواقع والإسلام، ولا يمكن قبولها من دون تمحيص إلى جانب آراء وعقائد بعيدة عن الإعتقاد الصحيح، لذلك لم ينل المذهب الحنبلي شهرة كغيره من المذاهب، وكانت خطى إنتشاره قصيرة جداً، أما في بغداد فلم تكن له شهرة إلّا بين طبقة عرفوا بالشدّة والشر، والعنف، في سيرتهم، وتحاملهم على غيرهم من المذاهب. أما خارج بغداد فهو غيرمعروف ولا منتشر، وهكذا في سائر الأقطار الإسلامية، وقد قام الحنابلة بدور صراع عنيف مع الشيعة، ولكن لم يستطيعوا التغلب عليه.

وفي سنة ٣٢٣ هـ، عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم، وصاروا يكبسون دور القواد والعامة، وإن وجدوا نبيذاً أراقوه، وإن وجدوا مغنية ضربوها، فأرهجوا بغداد، وأقلقوا بال الحكومة، كما استظهروا بالعميان الذين يأوون إلى المساجد فإذا مرّ بهم غير حنبلي ضربوه

بعصيهم حتى يموت.

فخرج توقيع الخليفة الراضي ينكر على الحنابلة فعلهم، ويوبّخهم باعتقاد التشبيه، وغيره فمنه: (تارة إنّكم تزعمون صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال ربّ العالمين، وهيئتكم الرذيلة على هيئته، وتذكرون الكف، والأصابع، والرجلين، والنعلين المذهبين... والصعود إلى السماء، والنزول إلى الدنيا تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيرا. ثم طعنكم على خيار الامة ونسبتكم شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلى الكفر والضلال، ثم استدعاؤكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة، والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن، و إنكاركم زيارة قبور الأئمة وتشنيعكم على زوّارها بالإبتداع، وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام ليس بذي شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله، وتأمرون بزيارته، وتدعون له معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. فلعن الله شيطاناً زيّن لكم هذه المنكرات وما أغواه.

وأمير المؤمنين (أي الراضي بالله) يقسم بالله قسماً جهدا إليه يلزمه الوفاء به، لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوّج طريقتكم ليوسعنكم ضرباً وتشريداً وقتلاً وتبديداً، وليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالكم (٨١).

ومن هنا نستظهر أن أفكار المجسمة، والحشويّة، كان انتشارها في الحنابلة مشهوراً، وهذا مما يؤدى إلى نفرة كثير من النفوس على ما في الحنابلة من شدّة في الدعاية لنشر مذهبهم السخيف، و إثارة الفتن وغلظة المعاملة والعنف والقسوة كما هي الحالة اليوم في الحجاز بصورة عامة.

كما أن وقوع الفتن بين الحنابلة وبقية المذاهب، أدت إلى تقلصه ودفنه، ووقفت دون انتشاره وخصوصاً أن العامة من الحنابلة قد اشتهروا في الأمر الذي يعتقدونه، واتخذوا العنف ذريعة لاظهار ذلك التشدد، وان مقابلتهم للشيعة ونسبتهم لهم إلى تهم وامور لا تليق بهم، قد أثر أثره في انتكاس الحنابلة وعدم إنتشار مذهبهم، لأن أغلبية بغدادهم بصورة وافرة شيعة، والحنابلة قلة اتخذوا العنف والشدة وسيلة وذريعة لانتصار مذهبهم و إنتشاره.

وحين قامت الدولة الأيوبية، كان ملوكها شديدي التعصب للمذهب الشافعي، فحاربوا غيره من المذاهب ولم يسمحوا لغيره من المذاهب إلّا ماكان له من العامة كالمذهب المالكي.

وعندما أخذ نفوذ الدولة الأيوبية يضعف ويتقلص أخذ المذهب الحنبلي ينتشر في أنحاء مصر. فلقد قال تقي الدين أحمد المقريزي في خططه: إنّه لم يكن للمذهب الحنبلي،

والحنفي كبير ذكر بمصر في الدولة الأيوبية، ولم يشتهر إلّا في آخرها.

ولما امتد سلطان العثمانيين أصاب المذهب الحنبلي، ضربة قاضية وأخذ ذلك يتضائل شيئاً فشيئاً. أما في مصر فلم يكن له أي شهرة هناك ، فقد كان في العصور المتأخرة عدد شيوخ الأزهر ٣١٢ شيخاً من جميع المذاهب، وعدد طلابه ٩٠٦٩ وكان من بينهم ٢٨ طالباً من الحنابلة، و ٣ شيوخ منهم فقط. وما أكثر الحوادث التاريخية التي دلّت على أن حركتهم في غالب الأحوال كانت حركة جماهيرية وهى لا شعورية. وكانت نشوة الإنتصار على خصومهم قد جعلتهم يتشددون ويتعصبون، وقد استمسكوا بألفاظ لا يفهمون معانيها، و إلى إيجاد أمور لا تتمشى مع روح الإسلام من التهجم على من لا يوافقهم في الرأي. وطعنوا بكثير من الشخصيات وكفروا من شاؤوا تكفيره بدون ميزان شرعي.

ومهما يكن من أمر فالشواهد التاريخية تثبت أن لم يكن المذهب الحنبلي من المذاهب المنتشرة، وذات أهمية وكاد يمحى أسوة بغيره من المذاهب المختلقة، ولولا قيام ابن تيمية وانتصاره لمذهب أحمد، وربطه بعقائد السلف الذين لا يرون تأويل ماورد في الصفات، وفي حينه ثارت ثورة الإسلام على ابن تيمية ولفظته وحاربت معتقداته الباطلة، وألقاها في مزبلة النسيان إلى أن قام في القرن الثاني عشر الهجري محمد بن عبدالوهاب، وجاء بعقائد ابن تيمية من جديد، وأنكر على الناس استغاثتهم بالنبيّ (ص) عند قبره وأظهر أنه يأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو يعتنق في العقائد والفقه مذهب ابن تيمية... مع العلم أن إبن تيمية لم يكن مقلداً بل كانت له مسائل ينفرد بها، ويفتى على رأيه مع أن أقواله وفتاواه تخالف المذاهب الأربعة أو تخالف المشهور منها، فمن ذلك:

القول بقصر الصلاة في كل ما يسمى سفراً طويلا كان أو قصيرا.

القول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء كما يشترط للصلاة.

من أكل في شهر رمضان معتقداً أنه ليل فبان نهاراً لا قضاء عليه.

وجواز الوضوء بكل ما يسمى ماء مطلقا كان أو مضافا.

إنّ المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه. إلّا أن يتغير قليلا كان أو كثيرا.

ولما كانت الرسائل في الرّد على ابن تيمية كثيرة وعديدة، فقد تفرّدت بذكر واحدة منها، وهى رسالة وضعت في مناقشة رأيه في التجسيم، والاستواء، والجهة، وهي من تآليف الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن جبريل الكلابي الحلبي المتوفّى ٧٣٣ هـ. المعروف بابن صهبل، وكان حافظا إماماً شيخاً مؤلفاً (٨٢) و إليك نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

ألحمدلله العظيم شأنه، القويّ سلطانه، القاهر ملكوته، الباهر جبروته، الغنى عن كل شيء، وكل شيء مفتقر اليه فلا معوّل لشيء من الكائنات إلّا عليه، أرسل محمدا (ص) بالحجة البيضاء، والملة الزهراء فأتى بأوضح البراهين، ونور محجة السالكين، ووصف ربّه تعالى بصفات الجلال، ونفى عنه مالا يليق بالكبرياء والكمال، فتعالى الله الكبير المتعال، عما يقوله أهل الغي والضلال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطيف قدرته، مقهورون في قبضته، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، مطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، فسبحانه ما أعظم شأنه، وأعز سلطانه، يسأله من في السماوات والأرض، لا فتقارهم إليه، كل يوم هو في شأن، لا قتداره عليه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ومبلغ أنبائه وعلى آله وصحبه وسلم *

أما بعد فالذي دعا إلى تسطير هذه النبذة ماوقع في هذه المدة مما علقه بعضهم، في إثبات الجهة، واغترىها من لم يرسخ في التعليم قدمه، ولم يتعلق بأذيال المعرفة ولا كبحه لجام الفهم، ولا استبصر بنور الحكمة، فأحببت أن أذكر عقيدة أهل السنة والجماعة، ثم أبين فساد ماذكره مع أنه لم يدع دعوى إلا نقضها، ولا اطرد قاعدة إلا هدمها، ثم أستدل على عقيدة أهل السنة وما يتعلق بذلك، وها أنا أذكر قبل ذلك مقدمة يستضاء بها في هذا المكان. (فأقول) وبالله المستعان، مذهب الحشوية في إثبات الجهة، مذهب واه ساقط يظهر فساده من مجرد تصوره، حتى قالت الائمة لولا اغترار العامة بهم لما صرف إليهم عنان الفكر، ولا خط القلم في الرد عليهم، وهم فريقان فريق لايتحاشى في اظهار الحشو ويحسبون أنهم على شئ ألا انهم هم الكاذبون، وفريق يتستر بمذهب السلف لسحت يأكله أوحطام يأخذه أو هوى يجمع عليه الطغام الجهلة، والرعاع السفلة لعلمه أن إبليس ليس له دأب إلا خذلان أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك لا يجمع قلوب العامة إلا على بدعة وضلالة يهدم بها الدين، ويفسد بها اليقين، فلم يسمع في التواريخ أنه خزاه الله جميع غير خوارج أو ملاحدة أو قرامطة، واما السنة والجماعة فلا تجمع إلا على كتاب الله المبين وحبله المتين * وفي هذا الفريق من يكذب على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويزعم أنهم يقولون بمقالته، ولو أنفق ملء الارض ذهباً ما استطاع أن يروج عليهم كلمة تصدق دعواه، وتستر هذا الفريق بالسلف حفظاً لرياسته، والحطام الذي يجتلبه، يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم، وهؤلاء يتحلون بالرياء والتقشف فيجعلون الروث مفضضاً، والكنيف مبيضاً ويزهدون في الذرة ليحصلوا الدرة أظهروا للناس نسكا وعلى المنقوش داروا، ومذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه،

دون التجسيم والتشبيه، والمبتدعة تزعم أنها على مذهب السلف:

وكل يدعون وصال ليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

وكيف يعتقد في السلف أنهم يعتقدون التشبيه، أويكتمون عند ظهور أهل البدع، وقد قال الله: ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون * وقال الله تعالى: وإذ أخذنا ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه * وقال الله تعالى: لتبيين للناس ما نزل اليهم، ولقد كانت الصحابة رضى الله عنهم، لا يخوضون في شيء من هذه الأشياء لعلمهم أن حفظ الدهماء أهم الامور، مع أن سيوف حججهم مرهفة ورماحهم مشحونة، ولذلك لما نبغت الخوارج راجعهم حبر الأمة وعالمها وابناعم رسولها أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب، وعبدالله بن عباس، فاهتدى البعض بالمناظرة وأصر الباقون عناداً فتسلط عليهم السيف:

ولكن حكم السيف فيكم مسلط ... فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا

وكذلك مما نبع القدر، ونجم به معبد الجهمي قيض الله تعالى له زاهد الامة، وابن فاروقها عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولو لم تنبع هذان البدعتان، لما تكلمت الصحابة رضي الله عنهم، في رد هذا ولا إبطال هذا ولم يكن دأبهم إلا الحث على التقوى، والغزو وأفعال الخير، ولذلك لم ينقل عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم، أنه جمع الناس في مجمع عام ثم أمرهم أن يعتقدوا في الله تعالى كذا وكذا، وقد صدر ذلك في أحكام شتى وإنما نتكلم فيها بما يفهمه الخاص ولا ينكره العام، وبالله أقسم يمينابرة ماهي مرة بل ألف ألف مرة، أن سيد الرسل صلى الله عليه وسلم، لم يقل أيها الناس اعتقدوا ان الله تعالى في جهة العلو، ولا قال: ذلك الخلفاء الراشدون، ولا أحد من الصحابة، بل تركوا الناس وأمر التعبدات والاحكام، ولكن لما ظهرت البدع قمعها السلف، أما التحريك للقائد والتشمير لاظهارها وإقامة ثائرها فما فعلوا ذلك بل حسموا البدع عند ظهورها *

ثم الحشوية إذا بحثوا في مسائل أصول الدين مع المخالفين، تكلموا بالعقول وتصرفوا في المنقول، فإذا وصلوا الى الحشو تبلدوا وتأسوا فتراهم لا يفهمون بالعربية ولا بالعجمية، كلا والله والله لو فهموا الهاموا ولكن اعترضوا بحر الهوى، فشقوه وعاموا وأسمعوا كل ذي عقل ضعيف وذهن سخيف، وخالفوا السلف في الكف عن ذلك، مع العوام ولقد كان الحسن البصري رضي الله عنه، إذا تكلم في علم التوحيد أخرج غير أهله وكانوا رحمهم الله تعالى لايتكلمون فيه إلا مع أهل السنة منهم، إذ هي قاعدة أهل التحقيق، وكانوا يضنون به على الاحداث، وقالوا الأحداث هم المستقلون الامور المبتدؤن في الطريق، فلم يجربوا الامور ولم

يرسخ لهم فيها قدم، وإن كانوا أبناء سبعين سنة، وقال سهل رضي الله عنه لا تطلعوا الاحداث على الأسرار قبل تمكنهم من اعتقاد أن الآله واحد، وأن الموجد فرد صمد منزه عن الكيفية، والاينية لاتحيط به الافكار، ولا تكيفه الألباب، وهذا الفريق لا يكتفى من ايمان الناس إلا باعتقاد الجهة وكأنه لم يسمع الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا، لاإله إلاالله-الحديث.

أفلا يكتفى بما اكتفى به نبيهم صلى الله عليه وسلّم حتى انه لم يأمر بالخوض في بحر لا ساحل له ويأمرهم بالتفتيش عما لم يأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفتيش عنه، ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم، ولا يشارك واكتفى بما نقل عن امامه الامام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه، حيث قال: لا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تتجاوز القرآن، والحديث، ونعلم أن ماوصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز، ولا أحاج بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، وهو مع ذلك ليس كمثله شيء في نفسه المقدسة المذكورة باسمائه وصفاته ولا في افعاله وكامه ينبغى ان الله سبحانه له ذات حقيقة وافعال حقيقة وكذلك له صفات حقيقية، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثا فإن الله عزوجل منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، وممتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقاً لعدم، وافتقار المحدث الى المحدث وجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى.

هذا نص امامه فهلا اكتفى به ولقد أتى امامه في هذا الكلام بجوامع الكلم، وساق ادلة المتكلمين على ما يدعيه هذا المارق بأحسن ردو أوضح معان مع أنه لم يأمر بما أمر به هذا الفريق، وقد قال الشافعي رضي الله عنه سألت مالكاً عن التوحيد، فقال: محال إن نظن بالنبي صلى الله عليه وسلم، أنه علم أمته الإستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، وقد قال صلى الله عليه وسلم، أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلاالله-الحديث، فبين مالك رضي الله عنه أن المطلوب من الناس في التوحيد، هو ما اشتمل عليه هذا الحديث، ولم يقل من التوحيد اعتقاد أن الله تعالى في جهة العلو، وسئل الشافعي رضي الله تعالى عنه عن صفات الله، فقال: حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحدوا على الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط الا ماوصف به نفسه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ومن تقصى وفتش وبحث وجد أن الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين والصدر الأول لم يكن دأبهم غير الامساك عن الخوض في هذه الامور، وترك ذكرها في

المشاهد، ولم يكونوا يدسونها إلى العوام، ولا يتكلمون بها على المنابر، ولا يوقعون في قلوب الناس منها هواجس، كالحريق المشعل، وهذا معلوم بالضرورة من سيرهم، وعلى ذلك بنينا عقيدتنا وأثبتنا نحلتنا وسيظهر لك إن شاء الله تعالى موافقتنا للسلف ومخالفة المخالف طريقتهم وان إدعى الاتباع فما سالك غير الابتداع، وقول المدعى انهم أظهروا هذا ويقول علم النبي (ص) كل شيء حتى الخزأة وما علم هذا المهم هذا التبهرج لا يمشى على الصير في النقاد أو ما علم أنّ الخزأة يحتاج اليها كل واحد، وربما تكررت الحاجة اليها في اليوم مرات وأي حاجة بالعوام الى الخوض في الصفات، نعم الذي يحتاجون إليه من التوحيد، قد تبين في حديث أمرت أن أقاتل الناس.

ثم هذا الكلام من المدعى يهدم بنيانه ويهد أركانه فان النبي صلى الله عليه وسلم علم الخزأة تصريحاً، وما علم الناس أن الله في جهة العلو، وماورد من العرش، والسماء، في الإستواء قد بنى المدعى مبناه، وأوثق عرى دعواه على أن المراد بهما شيء واحد وهو جهة العلو، فما قاله هذا المدعى لم يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم، أمته وعلمهم الخزأة، فعند المدعى يجب تعليم العوام حديث الجهة وما علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما نحن فالذي نقوله انه لا يخاض في مثل هذا، ولنسكت عنه كما سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه ويسعنا ما وسعهم ولذلك لم يوجد منا أحد يأمر العوام بشيء من الخوض في الصفات، والقوم قدجعلوا دأبهم الدخول فيها والأمر بها فليت شعري من الاشبه بالسلف *

وها نحن نذكر عقيدة أهل السنة (فنقول): عقيدتنا أن الله قديم أزلى لا يشبه شيئاً، ولا يشبه شيء ليس له جهة ولا مكان ولا يحتوى عليه وقت، ولا زمان، ولا يقال له أين ولا حيث يرى، لا عن مقابلة ولا على مقابلة كان ولا مكان، كون المكان ودبر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان هذا مذهب أهل السنة وعقيدة مشايخ الطريق رضي الله عنهم، قال الجنيد رضي الله عنه متى يتصل من لا شبيه ولا نظير له بمن له شبيه ونظير، وكما قيل ليحيى بن معاذ الرازي أخبرنا عن الله عزوجل فقا إله واحد فقيل له كيف هو. فقال: ملك قادر، فقيل له أين هو. فقال: بالمرصاد فقال السائل: لم أسألك عن هذا، فقال: ما كان غير هذا كان صفة المخلوق، فاما صفته فما أخبرت عنه، وكما سأل ابن شاهين، الجنيد رضي الله عنهما، عن معنى مع فقال مع على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة. قال الله تعالى: إنني معكما أسمع وأرى، ومع العالم بالعلم والاحاطة، قال الله تعالى: مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، فقال ابن شاهين مثلك يصلح دالا للامة على الله، وسئل ذوالنون المصري رضي الله عنه، عن قوله: الرحمن على العرش استوى، فقال: أثبت ذاته ونفى مكانه، فهو موجود بذاته.

والأشياء بحكمته كما شاء، وسئل عنه الشبلي رضي الله عنه، فقال: الرحمن لم يزل، والعرش محدث، والعرش بالرحمن استوى، وسئل عنها جعفر بن نصير، فقال: استوى علمه بكل شيء، وليس شيء نقيم الحجة على نفي الجهة، والتشبيه، وعلى جميع ما يدعيه وبالله المسعان.

فأقول: ادعى أولا أنه يقول بما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم، ثم انه قال ما لم يقله الله، ولا رسوله، ولا السابقون الاولون من المهاجرين والانصار، ولا شيأ منه فاما الكتاب والسنة فسنبين مخالفته لهما، وأما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، فذكره لهم في هذا الموضع استعارة للتهويل، وإلا فهو لم يورد من أقوالهم كلمة واحدة لانفيا ولا اثباتاً، واذا تصفحت كلامه عرفت ذلك. اللهم إلا أن يكون مراده بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، مشايخ عقيدته دون الصحابة. وأخذ بعد هذه الدعوى في مدحه صلى الله عليه وسلم، وفي مدح دينه وأن أصحابه أعلم الناس بذلك، والامر كما قاله وفوق ما قاله، وكيف المدائح تستوفي مناقبه، ولكن كلامه كما قال أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل، ثم أخذ بعد ذلك في ذم الائمة وأعلام الامة حيث اعترفوا بالعجز عن إدراكه سبحانه وتعالى، مع أن سيدالرسل صلى الله عليه وسلم قال: لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وقال الصديق رضي الله عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك. وتجاسر المدعى على دعوى المعرفة وأن ابن الحيض قد عرف القديم على ماهو عليه ولا غرور ولا جهل أعظم ممن يدعى ذلك، فنعوذ بالله من الخذلان ثم أخذ بعد ذلك في نسبة مذهب جمهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى أنه مذهب فراخ الفلاسفة وأتباع اليونان واليهود، ستكتب شهادتهم ويسئلون، ثم قال: كتاب الله تعالى من أوله الى آخره، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها الى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الائمة مملوء بما هو، إما نص واما ظاهر في الله تعالى أنه فوق كل شيء وعلى كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، وقال في أثناء كلامه وأواخر ما زعمه انه فوق العرش حقيقة، وقاله في موضع آخر عن السلف، فليت شعري أين هذا في كتاب الله تعالى على هذه الصورة التي نقلها عن كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وهل في كتاب الله تعالى كلمة مما قاله حتى يقول انه فيه نص، والنص هو الذي لا يحتمل التأويل البتة وهذا مراده، فإنه جعله غير الظاهر لعطفه له عليه، وأى آية في كتاب الله تعالى نص بهذا الاعتبار، فأول ما استدل به قوله تعالى: إليه يصعد الكلم الطيب، فليت شعري أي نص في الآية أو ظاهر على أن الله تعالى في السماء، أو على العرش ثم نهاية

مايتمسك به أنه يدل على علويفهم من أقرب اليه من شيء. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء فقد أشرك ، اذلو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان علي شيء لكان محمولا، ولو كان من شيء لكان محدثاً. وقال محمد بن محبوب، خادم أبي عثمان المغربي، قال لي أبوعثمان المغربى يوماً، يا محمد لوقال لك قائل أين معبودك ايش تقول؟ قلت، أقول: حيث لم يزل، قال: فإن قال فأين كان في الأزل ايش تقول؟ قلت: حيث هو الآن، يعني أنه كان ولا مكان فهو الآن كما كان، قال فارتضى ذلك مني ونزع قميصه وأعطانيه، وقال أبوعثمان المغربى: كنت أعتقد شيأ من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي فكتبت إلى أصحابى بمكة إني أسلمت جديداً، قال: فرجع كل من كان تابعه على ذلك.

فهذه كلمات أعلام أهل التوحيد، وأئمة جمهور الامة سوى هذه الشرذمة الزائغة، وكتبهم طافحة بذلك، وردهم على هذه النازعة لا يكاد يحصر وليس غرضنا من ذلك تقليدهم لمنع ذلك في أصول الديانات، بل إنما ذكرت ذلك ليعلم أن مذهب أهل السنة ما قدمناه، ثم إن في قولنا أن آيات الصفات وأخبارها على من يسمعها وظائف التقديس والايمان بما جاه عن الله تعالي، وعن رسول صلى الله عليه وسلم، على مراد الله تعالى، ومراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتصديق والاعتراف بالعجز والسكوت والامساك عن التصرف في الالفاظ الواردة، وكف الباطن عن التفكر في ذلك واعتقاد أن ماخفى عليه منها لم يخف عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وسيأتى شرح هذه الوظائف إن شاء الله تعالى.

فليت شعرى في اي شيء نخالف السلف هل هو في قولنا كان ولا مكان أو في قولنا أنه تعالى كون المكان أو في قولنا وهو الآن على ما عليه كان أو في قولنا تقدس الحق عن الجسمية ومشابهتها، أو في قولنا يجب تصديق ما قاله الله ورسوله بالمعنى الذي أراد، أو في قولنا يجب الاعتراف بالعجز أو في قولنا نسكت عن السؤال والخوض فيما لا طاقة لنابه، أو في قولنا يجب إمساك اللسان عن تغيير الظواهر بالزيادة والنقصان. وليت شعرى فيما ذا وافقوا هم السلف هل في دعائهم إلى الخوض في هذا، والحث على البحث مع الاحداث الغرين والعوام الطغام الذين يعجزون عن غسل محل النجو، واقامة دعاء الصلاة، أو وافقوا السلف في تنزيه البارى سبحانه وتعالى عن الجهة، وهل سمعوا في كتاب الله أو أثارة من علم عن السلف أنهم وصفوا الله تعالى بجهة العلو، وان كل ما لا يصفه به فهو ضال مضل، من فراخ الفلاسفة، واليهود، واليونان، انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا، ونحن

الآن نبتدئ بافساد ماذكره ثم بعد ذلك الصعود، وهيهات زل حمار العلم في الطين فإن الصعود في الكلام كيف يكون حقيقة مع أن المفهوم في الحقائق أن الصعود من صفات الأجسام فليس المراد الا القبول ومع هذا لاحد ولا مكان وأتبعها بقوله تعالى: إني متوفيك ورافعك الي، وما أدري من أين استنبط من هذا الخبر أن الله تعالى فوق العرش من هذه الآية، هل ذلك بدلالة المطابقة، أو التضمن، أو الالتزام، أو هو شيء أخذه بطريق الكشف والنفث في الروع، ولعله اعتقد أن الرفع إنما يكون في العلو في الجهة، فإن كان كما خطر له فذاك أيضا لا يعقل إلا في الجسمية والحدية، وانه لم يقل بهما فلا حقيقة فيما استدل به، و إن قال بهما فلا حاجة الى المغالطة *

ولعله لم يسمع الرفع في المرتبة والتقرب في المكانة مع استعمال العرب، والعرف ولا فلان رفع الله شأنه، وأتبع ذلك بقوله أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض وخص هذا المستدل من بالله تعالى، ولعله لم يجوز أن المراد به ملائكة الله تعالى ولعله يقول إن الملائكة لا تفعل ذلك، ولا أن جبريل عليه السلام خسف بأهل سدوم، فلذلك استدل بهذه الآية، ولعلها هي النص الذي أشار إليه وأتبعه بقوله تعالى: تعرج الملائكة والروح اليه، والعروج والصعود شيء واحد ولا دلالة في الآية على أن العروج إلى سماء ولا عرش ولا شيء من الاشياء التي ادعاها بوجه من الوجوه، لأن حقيقته المستعملة في لغة العرب في الانتقال في حق الأجسام إذ لا تعرف العرب إلا ذلك، فليته أظهره واستراح من كتمانه وأردفه بقوله تعالى: يخافون ربهم من فوقهم، وتلك ايضاً لا دلالة له فيها على سماء ولا عرش، ولا أنه في شيء من ذلك حقيقة.

ثم الفوقية ترد لمعنيين، أحدهما: نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى، والآخر أسفل، بمعنى أن أسفل الأعلى من جانب رأس الأسفل وهذا لا يقول به من لا يجسم، وبتقدير أن يكون هو المراد وأنه تعالى ليس بجسم فلم لا يجوز أن يكون من فوقهم صلة ليخافون، ويكون تقدير الكلام يخافون من فوقهم ربهم أي أن الخوف من جهة العلو، وأن العذاب يأتي من تلك الجهة *

وثانيهما: بمعنى المرتبة كما يقال الخليفة فوق السلطان، والسلطان فوق الأمير، وكما يقال جلس فلان فوق فلان، والعلم فوق العمل، والصباغة فوق الدباغة، وقد وقع ذلك في قوله تعالى حيث قال: ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات، ولم يطلع أحدهم على أكتاف الآخر، ومن ذلك قوله تعالى: وانا فوقهم قاهرون. وماركبت القبط أكتاف بني اسرائيل ولا ظهورهم، وأردف ذلك بقوله تعالى: الرحمن على العرش استوى وورد هذا في كتاب الله في

ستة مواضع من كتابه، وهي عمدة المشبهة وأقوى معتمدهم، حتى أنهم كتبوها على باب جامع همذان فلنصرف العناية الى إيضاحها، فقول: اما انهم يعزلون العقل بكل وجه وسبب، ولا يلتفتون الى ما يسمى فهماً و إدركاً فرحباً بفعلهم، وتقول: الرحمن على العرش استوى، وان تعدوا هذا، وقالوا هذا يدل انه مستو على العرش فلاحباً ولا كرامة، فإن الله تعالى ما قاله مع أن علماء البيان كالمتفقين على أن في اسم الفاعل من الثبوت مالا يفهم من الفعل، و إن قالوا: هذا يدل على انه فوقه فقد تركوا ما التزموه، وبالغوا في التناقض والتشهي والجرأة، و إن قالوا: بل ننفي العقل ونفهم ماهو المراد، فنقول لهم ما هو الاستواء في كلام العرب، فإن قالوا الجلوس، والاستقرار، قلنا: هذا ما تعرفه العرب إلا في الجسم، فقولوا يستوى جسم على العرش، و إن قالوا جلوس واستقرار نسبته إلى ذات الله تعالى، كنسبة الجلوس الى الجسم، فالعرب لا تعرف هذا حتى يكون هو الحقيقة.

ثم العرب تفهم استواء القدح الذي هو ضد الاعوجاج، فوصفوه بذلك وتبرؤا معه من التجسيم، وسدوا باب الحمل على غير الجلوس، ولا يدونه في قوله تعالى: وهو معكم أين ما كنتم. وقوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، ولا تقولوا معهم في العلم وان قلتم ذلك فلم تحلونه عاماً وتحرمونه عاماً، ومن أين لكم أن ليس الاستواء فعلا من أفعاله تعالي في العرش، فإن قالوا: ليس هذا كلام العرب، قلنا ولا تصرف العرب استوى بالمعنى الذي تقولونه بلاجسم، ولقدرام المدعى التفلت من شرك التجسيم بما زعمه من أن الله تعالي في جهة، وانه استوى على العرش استواء يليق بجلاله، فنقول له قدصرت الآن إلى قولنا في الاستواء.

وأما الجهة فلا تليق بالجلال وأخذ على المتكلمين قولهم ان الله تعالى لوكان في جهة فإما أن يكون أكبر، أو أصغر، أو مساوياً، وكل ذلك محال، قال: فلم يفهموا من قول الله تعالى على العرش إلا مايثبتون لأي جسم كان على أى جسم كان، قال: وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم، وأما استواء يليق بجلال الله، فلا يلزمه شيء من اللوازم، فنقول له أتميمياً مرة، وقيسياً أخرى، إذا قلت استوى استواء يليق بجلال الله فهو مذهب المتكلمين، و إذا قلت استوى هو استقرار واختصاص بجهة دون أخرى، لم يجد ذلك تخلصاً من الترديد المذكور، والاستواء بمعنى الاستيلاء وأشهد لله في هذه الآية أنها لم ترد قط إلا في اظهار العظمة والقدرة والسلطان والملك، والعرب تكنى بذلك عن الملك فيقولون فلان استوى على كرسي المملكة، و إن لم يكن جلس عليه مرة واحدة، ويريدون بذلك الملك، وأما قولهم فإن حملتم الاستواء على الاستيلاء، لم يبق لذكر العرش فائدة فإن ذلك في حق كل المخلوقات فلا يختص

بالعرش.

فالجواب عنه: أن كل الموجودات لما حواها العرش كان الاستيلاء عليه استيلاء على جميعها ولا كذلك غيره، وأيضا فكناية العرب السابقة ترجحه، وقد تقدم الكلام عن السلف في معنى الإستواء، كجعفر الصادق، ومن تقدم. وقولهم استوى بمعنى استولى إنما يكون فيما يدافع عليه قلنا واستوى بمعنى جلس أيضا إنما يكون في جسم، وأنتم قد قلتم إنكم لا تقولون به، ولو وصفوه تعالى بالاستواء على العرش لما أنكرنا عليهم ذلك، بل نعدهم الى مايشبه التشبيه أو هو التشبيه المحظور والله الموفق *

واستدل بقوله تعالى حكاية عن فرعون: ياهامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى، فليت شعري كيف فهم من كلام فرعون أن الله تعالى فوق السموات وفوق العرش يطلع إلى إله موسى، أما ان إله موسى في السموات، فما ذكره وعلى تقدير فهم ذلك من كلام فرعون فكيف يستدل بظن فرعون وفهمه مع اخبار الله تعالى عنه: انه زين له سوء عمله وانه حاد عن سبيل الله عزوجل، وأن كيده في ضلال مع انه لما سأل موسى عليه السلام وقال: وما رب السموات؟ لم يتعرض موسى عليه السلام للجهة بل لم يذكر إلا أخص الصفات وهي القدرة على الاختراع، ولو كانت الجهة ثابتة لكان التعريف بها أولى، لان الاشارة الحسية من أقوى المعرفات حساً وعرفاً، وفرعون سأل بلفظة ما فكان الجواب بالتحيز أولى من الصفة، وغاية ما فهمه من هذه الآية، واستدل به فهم فرعون فيكون عمدة هذه العقيدة كون فرعون ظنها فيكون هو مشيدها.

فليت شعري لم لا ذكر النسبة إليه كما ذكر أن عقيدة سادات أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين خالفوا اعتقاده في مسألة التحيز والجهة الذين ألحقهم بالجهمية متلقاة من لبيد ابن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وختم الآيات الكريمة بالاستدلال بقوله: تنزيل من حكيم حميد، منزل من ربك بالحق، وما في الآيتين لا عرش، ولا كرسي، ولا سماء، ولا أرض، بل فيهما مجرد التنزيل وما أدري من أي الدلالات استنبطها المدعي، فإن السماء لا تفهم من التنزيل فإن التنزيل قد يكون من السماء، وقد يكون من غيرها، ولا تنزيل القرآن كيف يفهم منه النزول الذي هو انتقال من فوق إلى أسفل، فإن العرب لا تفهم ذلك في كلام سواء كان من غرض أو غير غرض، وكما تطلق العرب النزول على الانتقال، تطلقه على غيره كما جاء في كتابه العزيز، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد * وقوله تعالى: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج، ولم ير أحد قطعة حديد نازلة من السماء في الهواء، ولا جملا ينزل من السماء إلى الارض فكما جوزنا هنا أن النزول غير

الإنتقال من العلو إلى السفل، فلنجوزه هناك هذاما استدل به من الكتاب العزيز.

وقد ادعى أولا أنه يقول ما قاله الله وان ما ذكره ممن الآيات دليل على قوله إما نصاً و إما ظاهراً، وأنت اذا رأيت ما ادعاه وأمعنت النظر فيما قلناه واستقريت هذا الآيات لم تجد فيها كلمة على وفق ما قاله أولا لا نصا ولا ظاهراً البتة، وكل أمر بعد كتاب الله تعالى، والدعوى عليه خلل، ثم استدل من السنة بحديث المعراج، ولم يرد في حديث المعراج أن الله فوق السماء أو فوق العرش حقيقة، ولا كلمة واحدة من ذلك، وهو لم يسرد حديث المعراج ولا بين الدلالة منه حتى نجيب عنه فإن بين وجه الدلالة عرفناه كيف الجواب.

واستدل بنزول الملائكه من عند الله تعالى * والجواب عن ذلك أن نزول الملائكة من السماء، إنما كان لان السماء مقرهم، والعندية لا تدل على أن الله في السماء لانه يقال في الرسل الآدميين إنهم من عند الله وان لم يكونوا نزلوا من السماء، على أن العندية قد يراد بها الشرف والرتبة، قال الله تعالى: و إن له عندنا لزلفى وحسن مآب وتستعمل في غيرذلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عزوجل: أنا عند ظن عبدي بي، وذكر عروج الملائكة، وقد سبق وربما شد فقار ظهره وقوى منته بلفظة إلى ربهم، و إن الى لانتهاء الغاية وانها في قطع المسافة، واذا سكت عن هذا لم يتكلم بكلام العرب فإن المسافة لا تفهم العرب منها إلا ما تنتقل فيه الأجسام وهو يقول إنهم لا يقولون بذلك، وقد قال الخليل صلى الله عليه وسلم: إني ذاهب إلى ربي، وليس المراد بذلك الإنتهاء الذي عناه المدعى بالاتفاق، فلم يجترئ على ذلك في كتاب الله تعالى ولا يجاب به في خبر الواحد *

وذكر قوله صلى الله عليه وسلم: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر من في السماء صباحاً ومساء، وليس المراد بمن هو الله تعالى، ولا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، ولا خصه به ومن أين للمدعى انه ليس المراد بمن الملائكة فإنهم أكبر المخلوقات علماً بالله تعالى، وأشدهم اطلاعاً على القرب، وهم يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين وهو عندهم في هذه الرتبه، فليعلم المدعى أنه ليس في الحديث ما ينبغى هذا ولا يثبت ما ادعاه.

ثم ذكر حديث الرقية ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض، كما رزقك في السماء الحديث وهذا الحديث بتقدير ثبوته فالذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيه، ربنا الذي في السماء تقدس اسمك ماسكت النبي صلى الله عليه وسلم على في السماء فلاى معنى نقف نحن عليه، ونجعل تقدس اسمك كلاماً مستأنفاً، هل فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أو أمر به؟ وعند ذلك لا يجد المدعى مخلصاً إلا أن

يقول الله تقدس إسمه في السماء والأرض، فلم خصصت السماء بالذكر؟ فنقول له: ما معنى تقدس إن كان المراد به التنزيه من حيث هو تنزيه فذلك ليس في سماء ولا أرض، إذ التنزيه نفي النقائص وذلك لا تعلق له بجرباء ولا غبراء، فإن المراد أن المخلوقات تقدسه وتعرفه بالتنزيه فلا شك أن أهل السماء مطبقون على تنزيه تعالى، كما أنه لا شك أن في أهل الأرض من لم ينزه وجعل له ندأ ووصفه بما لا يليق بجلاله، فيكون تخصيص السماء بذكر التقديس فيها لانفراد أهلها بالاطباق على التنزيه، كما انه سبحانه لما انفرد في الملك في يوم الدين عمن يتوهم ملكه خصصه بقوله تعالى: ملك يوم الدين. وكما قال سبحانه وتعالى بعد زمان من ادعى الملك والملك، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار. وأعاد هذا المدعى الحديث من أوله ووصل إلى أن قال فليقل ربنا الذي في السماء، قال: وذكره ووقف على قوله في السماء، فليت شعرى هل جوز أحد من العلماء أن يفعل مثل هذا، وهل هذا إلا مجرد إيهام أن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعليهم قال: ربنا الله الذي في السماء *

وأما حديث الاوغال وما فيه من قوله والعرش فوق ذلك كله، والله فوق ذلك كله، فهذا الحديث قد كثر منهم إيهام العوام إنهم يقولون به، ويروجون به زخارفهم، ولا يتركون دعوى من دعواتهم عاطلة من التحلى بهذا الحديث، ونحن نبين أنم لم يقولوا بحرف واحد منه ولا استقر لهم قدم بأن الله تعالى فوق العرش حقيقة، بل نقضوا ذلك وايضاح ذلك بتديم ما أخر هذا المدعى، قال في آخر كلامه، ولا يظن الظان أن هذا يخالف ظاهر قوله تعالى: وهو معكم أينما كمنتم، و قول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه ونحو ذلك، قال: فإن هذا غلط ظاهر. وذلك أن الله تعالى ممنا حقيقة فوق العرش حقيقة قال كما جمع الله بانهما في قوله هو الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير. قال هذا المدعى بملء ما ضغيه من غير تكتم ولا تلعثم: فقد أخبر الله تعالى أنه فوق العرش ويعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا، كما قال قال صلى الله عليه وسلم في حديث الأوغال والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه، فقد فهمت أن هذا المدعى ادعى أن الله فوق العرش حقيقة، واستدل بقوله تعالى: ثم استوى على العرش، وجعل أن ذلك من الله تعالي خبر أنه فوق العرش، وقد علم كل ذي ذهن قويم، وفكر مستقيم، أن لفظ استوى على العرش ليس إلا مراد فاللفظ فوق العرش حقيقة، وقد سبق منا الكلام عليه ولا في الآية ما يدل على الجمع الذي إدعاه، ولا بين التقريب في الاستدلال بل سرد آية من كتاب الله تعالى، لا يدرى هل حفظها أو نقلها من المصحف.

ثم شبه الآية في الدلالة على الجمع بحديث الأوغال كما قال صلى الله عليه وسلم فيه، والله فوق العرش وقد علمت أنه ليس في الحديث ما يدل على المعية بل لا مدخل لمع في الحديث، قال وذلك ان مع اذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة ولا محاذاة عن يمين أو شمال، فاذا قيدت بمعنى من المعانى دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال مازلنا نسير والقمر معنا، والنجم معنا، ويقال هذا المتاع معنا وهو لمجامعته معك، و إن كان فوق رأسك فإن الله مع خلقه حقيقة. ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بماتعملون بصير، دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، عالم بكم، قال: وهذا معنى قول السلف انه معهم بعلمه، قال: وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته، قال: وكذلك في قوله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة. الآية، وفي قوله تعالى: لاتحزن إن الله معنا، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. إنني معكما أسمع وأرى، قال: ويقول أبوالصبى الذي فوق السقف لاتخف أنا معك تنبيهاً على المعية الموجبة لحكم الحال، فليفهم الناظر أدب هذا المدعى في هذا المثل، وحسن ألفاظه في استثمار مقاصده، ثم قال ففرق بين المعية وبين مقتضاها المفهوم من معناها الذي يختلف باختلاف المواضع، فليفهم الناظر هذه العبارة التي ليست بالعربية ولا بالعجمية، فسبحان المسبح باللغات المختلفة، قال: فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضى في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر، هذه عبارته بحروفها، ثم قال: فأما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها و إن امتاز كل موضع بخاصية فليفهم تقسيم هذا المدعى وحسن تصرفه، قال: فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن يكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال صرفت عن ظاهرها، ثم قال في موضع آخر من علم: أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات، كاضافة الربوبية مثلا وأن الاستواء على العرش ليس إلا العرش، وان الله تعالى يوصف بالعلو والفوقية الحقيقة، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا تحقيقة ولا مجازاً علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف، فليفهم الناظر هذه المقدمات القطعية، وهذه العبارات الرائقة الجلية، وحصر الاستواء على الشيء في العرش مما لا يقوله عاقل، فضلا عن جاهل، ثم قال: من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب، إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحداً نقله عن أحد، فليستفد الناظر أن الفهم يسمع.

قال: ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، إن الله تعالى في السماء أنها تحويه لبادر كل أحد منهم الى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالا لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله، قال: بل عند المسلمين ان الله في السماء، وهو على العرش واحد إذ السماء إنما يراد بها العلو، فالمعنى الله في العلو لا في السفل، هكذا قال هذا المدعى فليشد الناظر على هذه بالخناصر، وليعضى عليها بالنواجذ، وليعلم أن القوم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين، قال: وقد علم المسلمون أن كرسيه تعالى وسع السموات والأرض، وأن الكرسى في العرش، كحلقه ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله تعالى لا نسبة له إلا قدرة الله وعظمته، وكيف يتوهم متوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه، وقد قال تعالى: ولا صلبنكم في جذوع النخل، وقال تعالى: فسيروا في الارض بمعنى على، ونحو ذلك وهذا كلام عربى حقيقة لا مجاز، وهذا يعلمه من عرف حقائق معنى الحروف، وأنها متواطئة في الغالب، هذا آخر ما تمسك به. فنقول: أولا ما معنى قولك إن مع في اللغة للمقارنة المطلقة، من غير مماسة ولا محاذاة، وما هي المقارنة؟ فإن لم يفهم من المقارنة غير صفة لازمة للجسمية، حصل المقصود وإن فهم غيره فليتنبه حتى ينظر هل تفهم العرب من المقارنة ذلك أولا؟ ثم قوله: فإذا قيد بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فنقول له: ومن نحا ذلك في ذلك، قوله إنها في هذه المواضع كلها بمعنى العلم، قلنا: من أين لك هذا؟ فإن قال من جهة قوله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، الآية دل ذلك على المعية بالعلم، وأنه على سبيل الحقيقة فنقول له: قد كلت بالصاع الوافي، فكل لنا بمثله، واعلم أن فوق كما يستعمل في العلو في الجهة، كذلك يستعمل في العلو في المرتبة، والسلطنة، والملك، وكذلك الاستواء فيكونان متواطئين كما ذكرته حرفاً بحرف، وقد قال الله تعالى: وهو القاهر فوق عباده. وقال تعالى: وفوق كل ذي علم عليم. وقال الله تعالى: يد الله فوق أيديهم. وقال تعالى حكاية عن قوم فرعون: وانا فوقهم قاهرون. وقال تعالى: ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات. ومعلوم أنه ليس المراد جهة العلو، فاعد البحث وقل فوق العرش بالإستيلاء، وكذا في حديث الأوغال، وما فعلته في مع فافعله في فوق، وخرج هذا كما خرجت ذلك والا اترك الجميع.

ثم قوله: ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات، وان الاستواء على الشيء ليس إلا العرش، قلنا: حتى نبهر لك رجلا استعملها يعلم ما تقوله من غير دليل فانك إن لم تقم دلالة على ذلك وإلا أبرزت لفظة تدل على تختم فوق للاستواء في جهة العلو،

فليت شعري من أين تعلم أن المعية بالعلم حقيقة، وان آية الاستواء على العرش، وحديث الاوعال دالان على صفة الربوبية بالفوقية الحقيقة، اللهم غفراً هذا لا يكون إلا بالكشف وإلا فالأدلة التي نصبها الله تعالى لتعرف بها ذاته وصفاته وشرائعه لم يورد هذا المدعى منها حرفاً واحداً على وفق دعوى، ولا ثبت له قدم إلا في مهوى.

ثم قوله: لا يوصف الله تعالى بالسفول والتحتية لا حقيقة ولا مجازاً، ليت شعري من ادعى له هذه الدعوى حتى يكلف الكلام فيها، ثم إن قوله بعد ذلك من توهم كون الله تعالى في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب، ان نقله عن غيره، وضال ان اعتقده في ربه، أيها المدعى، قل ماتفهم، وافهم ماتقول، وكلم الناس كلام عاقل لعاقل، تفيد وتستفيد، إذا طلبت أن تستنبط من لفظة في الجهة وحملتها على حقيقتها هل يفهم منها غير الظرفية أو ما في معناها، وإذا كان كذلك فهل يفهم عاقل أن الظرف ينفك عن إحاطته ببعض، أو جميع أو ما يلزم ذلك وهل جرى هذا على سمع وهل من يخاطر أن في على حقيقتها في جهة، ولا يفهم منها احتواء ولا إحاطه ببعض ولا كل، فإن كان المراد أن يعزل الناس عقولهم وتتكلم أنت وهم يقلدون ويصدقون، ثم تأمن أن بعض المسؤلين من المخالفين لا مسألة يأمرك بذلك أو يثبت الباطل عليك.

ثم قولك لوسئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله تعالى ورسوله: إن الله في السماء تحويه لبادر كل واحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، فنقول: ما الذي أردت بذلك، إن أردت ان هذا اللفظ لا يعطى هذا المعنى فإياك أن تسأل عن هذا من هو عارف بكلام العرب فإنه لا يصدقك في أن هذا اللفظ لا يعطى هذا مع كون في للظرفية، وإنها على حقيقتها في الجهة وإن أردت أن العقول تأبى ذلك في حق الله تعالى، فلسنا نحن معك إلا في تقرير هذا ونفي كل ما يوهم نقصاً في حق الله تعالى ثم قولك عند المسلمين ان الله في السماء، وهو على العرش واحد لا ينبغي أن تضيف هذا الكلام إلا الى نفسك، أو الى من تلقيت هذه الوصمة منه، ولا تجعل المسلمين يرتبكون في هذا الكلام الذي لا يعقل، ثم استدللت على أن كون الله في السماء وعلى العرش واحد، بأن السماء إنما يراد بها العلو فالمعنى الله في العلو لا في السفل، قل لي هل قال الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين، أن الله تعالى في العلو لا في السفل، وكل ما قلت من أول المقدمة الى آخرها لو سلم لك، لكان حاصله أن الله تعالى وصف نفسه بأنه استوى على العرش، وأن الله تعالى فوق العرش.

وأما ان السماء المراد بها جهة العلو فما ظفرت كفاك بنقله، ثم قولك، قد علم

المسلمون أن كرسيه تعالى وسع السموات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، فليت شعري إذا كان حديث الأوغال يدلك على أن الله فوق العرش فكيف يجمع بينه وبين طلوع الملائكة إلى السماء التي فيها الله؟ وكيف يكون مع ذلك في السماء حقيقة، ولعلك تقول أن المراد بها جهة العلو توفيقا، فليت شعري أيمكن أن تقول بعد هذا التوفيق العاري عن التوقيف والتوفيق أن الله في السماء حقيقة، وعلى السماء حقيقة، وفي العرش حقيقة، وعلى العرش حقيقة، ثم حقيقة السماء هي هذه المشاهدة المحسوسة يطلق عليها هذا الإسم من لم يخطر بباله السمو، وأما أصل الإشتقاق فذلك لامزية لهافيه على السقف،والسحاب، فتبارك الله خالق العقول.

ثم قولك بعد ذلك: العرش من مخلوقات الله تعالى لانسبة له إلا قدرة الله وعظمته وقع إلينا إلا قدرة الله فإن كانت بألف لام الف كما وقع الينا فقد نفيت العرش، وجعلت الجهة هي العظمة والقدرة، وصار معنى كلامك جهة الله عظمته وقدرته، والآن قلت مالا يفهم ولا قاله أحد، وان كان كلامك بألف لام ياء فقد صدقت وقلت الحق، ومن قال خلاف ذلك لعمري، ولعمري لقد رممنا لك هذا المكان ولقناك إصلاحه.

ثم قلت: كيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره أو يحويه، قلنا: نعم ومن أي شيء بلاؤنا إلا ممن يدعى الحصر أو يوهمه. ثم قلت: وقد قال الله تعالي: ولأصلبنكم في جذوع النخل، أو ماعلمت أن التمكن والاستقرار حاصل في الجذع، فإن تمكين المصلوب في الجذع كتمكين الكائن في الظرف، وكذلك الحكم في قوله تعالى: قل سيروا في الأرض، وهذا الذي ذكرنا هو الجواب عن حديث الأوغال، وحديث قبض الروح، وحديث عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، وحديث أمية بن أبي الصلت، وما قال من قوله:

مجدوا الله فهو أهل لمجد ... ربنا في السماء أمسى كبيراً

فيقال للمدعي إن كنت ترويه في السماء فقط ولا تتبعها أمسى كبيراً فربما يوهم ماتدعيه لكن لايبقى شعراً ولا قافية، وإن كان قال ربنا في السماء أمسى كبيراً فقل مثل ما قال أمية وعند ذلك لا يدرى هل هو كما قلت إن الله كبير في السماء؟ فإن قلت: وهو كبير في الأرض فلم خصت السماء؟ قلنا: التخصيص بما أشرنا إليه من أن تعظيم أهل السموات أكثر من تعظيم أهل الارض له، فليس في الملائكة من ينحت حجراً ويعبده، ولا فيهم دهري، ولا معطل، ولا مشبه، وخطاب أمية لكفار العرب الذين اتخذوا هبل، ومنات، واللات، والعزى، وغيرذلك من الأنداد وقد علمت العرب أن أهل السماء أعلم منهم، حتى كانوا يتمسكون بحديث الكاهن الذي كان يتلق من الجني الذي يسترق الكلمة من الملك فيضيف

إليها مائة كذبة، فكيف إعتقادهم في الملائكة، فلذلك احتج عليهم أمية بالملائكة هذا ليس ببعيد ولا خلاف قطعى.

ثم قال: من المعلوم بالضرورة أن الرسول المبلع عن الله ألقى إلى أمته المذعنين أن الله تعالى على العرش وانه فوق السماء فنقول له: هذا ليس بصحيح بالصريح بل ألقى إليهم أن الله استوى على العرش، هذا الذي تواتر من تبليغ هذا النبي صلى الله عليه وسلم، وما ذكره المدعى من هذا الاخبار فأخبار آحاد لا يصدق عليها جمع كثرة ولا حجة له فيها، وذلك واضح لمن سمع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، ونزله على استعمال العرب واطلاقاتها، ولم يدخل عليها غير لغتها. ثم قلت: كما فطر الله جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام الامن اجتالته الشياطين عن فطرته، هذا كلام من أوله الى آخره معارض بالميل والترجيح معنا. ثم قلت عن السلف في ذلك من الأقوال مالو جمعت لبلغت مائتين ألوفاً، فنقول: إن أردت بالسلف سلف المشبهة كما سيأتي في كلامك، فربما قارب و إن أردت سلف الأمة الصالحين فلا حرف ولا شطر حرف، وها نحن معك في مقام مقام ومضمار مضمار بحول الله وقوته.

ثم قلت: ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله، ولا عن أحد من سلف الامة لامن الصحابة ولا من التابعين، حرف واحد يخالف ذلك لا نص ولا ظاهر، قلنا: ولا عنهم كما ادعيت أنت، ولا نص ولا ظاهر، وقد صدرت أولا أنك تقول ما قال الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ثم دارت الدائرة على أن المراد بالسابقين الأولين من المهاجرين والانصار، مشايخ عقيدتك وعزات العترة، وأهل بدر، والحديبية، عن السلف والتابعين عن المتابعة، وتولى هؤلاء غيرالله، والله أعلم حيث يجعل رسالاته. ثم قولك لم يقل أحد منهم انه ليس في غير السماء ولا انه ليس على العرش، ولا انه في كل مكان ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا انه داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل. قلنا: لقد عممت الدعوى فذكرت ما لم تحط به علماً * وقد ذكرنا لك عن جعفر الصادق، والجنيد، والشبلي، وجعفر بن نصير، وأبي عثمان المغربي رضي الله عنهم، ما فيه كفاية فإن طعنت في نقلنا أو في هذه السادة طعنا في نقلك، وفيمن اسندت إليه من أهل عقيدتك خاصة، فلم يوافقك على من ادعيته غيرهم.

ثم إنك أنت الذي قد قلت ما لم يقله الله ولا رسوله ولا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ولا من التابعين ولا من مشايخ الامة الذين لم يدركوا إلا هؤلاء فما نطق أحد منهم بحرف في أن الله تعالى في جهة العلو. وقد قلت، وصرحت، وبحثت، وفهمت، بأن

ماورد من انه في السماء وفوق السماء، وفي العرش وفوق العرش المراد به جهة العلو، فقل لنا من قال هذا؟ هل قاله الله أو رسوله أو السابقون الأولون من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان، فلم تهول علينا بالامور المغمضة وبالله المستعان.

ثم استدل على جواز الاشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها بما صح انه صلى الله عليه وسلم في خطبة عرفات، جعل يقول ألا هل بلغت؟ فيقولون: نعم، فيرفع اصبعه إلى السماء وينكثها إليهم، ويقول: اللهم اشهد غير مرة، ومن أي دلالة يدل هذا على جواز الإشارة اليه هل صدر منه صلى الله عليه وسلم، إلا أنه رفع إصبعه ثم نكثها اليهم، هل في ذلك دلالة على أن رفعه كان يشير به إلى جهة الله تعالى، ولكن هذا من عظيم ما رسخ في ذهن هذا المدعى من حديث الجهة، حتى انه لو سمع مسألة من عويص الفرائض، والوصايا، وأحكام الحيض، لقال هذه دالة على الجهة، ثم أتى بالطامة الكبرى والداهية الدهياء وقال: فإن كان الحق ما يقوله هؤلاء السابقون النافون من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً أو ظاهراً، كيف يجوز على الله تعالى، ثم على رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم على حبر الامة انهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذى يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه لا نصاً ولا ظاهرا، حتى يجيء أنباط الفرس والروم وأفراخ اليهود يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مؤلف أو فاضل أن يعتقدها، لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلفون هو الإعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أحيلوا على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا المقتضى قياس عقولهم، مادل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصول الدين، فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد، لا تطلبون معرفة الله تعالى، وما يستحق من الصفات نفياً ولا إثباتاً لا من الكتاب ولا من السنة، ولا من طريق سلف الامة، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن و ما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه بها، ثم قال: هما فريقان أكثرهم يقول ما لم تثبته عقولكم فأبقوه، ومنهم من يقول بل توقفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون إختلافا أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض فانفوه و إليه عند الشارع فارجعوا، فإنه الحق الذي تعبدتكم به، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت ما لم تدركه عقولكم علي طريقة أكثرهم فاعلموا إنني امتحنتكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة، ووحشى الألفاظ، وغرائب الكلام، أو تسكتوا عنه

مفوضين علمه إلي هذا حقيقة الامر على رأى المتكلمين، هذا ما قاله وهو الموضح الذي صرح فيه وتخبطه الشيطان من المس.

فنقول له: ما تقول فيما ورد من ذكر العيون بصفة الجمع، وذكر الجنب، وذكر الساق الواحد، وذكر الأيدى، فإن أخذنا بظاهر هذا يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد عليه عيون كثيرة، وله جنب واحد عليه أيد كثيرة، وله ساق واحد وأي شخص يكون في الدنيا أبشع من هذا و إن تصرفت في هذا بجمع وتفريق بالتأويل فلم لا ذكره الله، ورسوله، وسلف الامة، وقوله تعالى في الكتاب العزيز: الله نور السموات والارض. فكل عالم يعلم أن النور الذي على الحيطان، والسقوف، وفي الطرق، والحشوش، ليس هو الله تعالى، ولا قالت المجوس بذلك، فإن قلت بأنه هادي السموات والارض ومنورها، فلم لا قاله الله تعالى ولا رسوله ولا سلف الامة، وورد قوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، وذلك يقتضى أن يكون الله داخل الرزدمة فلم لا يبينه الله، ولا رسوله، ولا سلف الامة. وقال تعالى: واسجد واقترب. ومعلوم أن التقرب في الجهة ليس إلا بالمسافة، فلم لا بينه الله تعالى، ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا سلف الامة. وقال تعالى: فاينما تولوا فثم وجه الله. وقال تعالى: وجاء ربك. وقال تعالى: فاتى الله بنيانهم من القواعد. وقال تعالى: وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث. وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربّه عز وجل: من تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشى أتيته هرولة. وما صح في الحديث أجد نفس الرحمن من قبل اليمن، ومن قوله صلى الله عليه وسلم: الحجر الاسود يمين الله في الأرض. ومن قوله صلى الله عليه وسلم، حكاية عن ربه سبحانه وتعالى: أنا جليس من ذكرني، وكل هذه هل تأمن من المجسم أن يقول لك، ظواهر هذه كثيرة تعدت الحصر أضعاف أحاديث الجهة فإن كان الأمر كما يقولون في نفى الجسيمة مع أنه لم يأت في شيء من هذه مابين خلاف ظواهرها، لا عن الله تعالى، ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا عن سلف الامة، فحينئذ يكيل لك المجسم بصاعك، ويقول لك لوكان الأمر كما قلت لكان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم، و إن قلت ان العمومات قد بينت خلاف ظواهر هذه لم نجد منها نافياً للجسمية إلا وهو ناف للجهة، ثم ما يؤمنك من تناسخى يفهم من قوله: في أي صورة ماشاء ركبك، مذهبه ومن معطل يفهم من قوله تعالى: مما تنبت الأرض مراده فحينئذ لا تجد مساغا لمانقص به من ذلك إلا الأدلة الخارجة عن هذه الألفاظ.

ثم صار حاصل كلامك أن مقالة الشافعية والحنفية والمالكية يلزمها أن يكون ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم، أفترا هم يكفرونك بذلك أم لا ثم جعلت أن مقتضى

كلام المتكلمين أن الله تعالى، ورسوله، وسلف الامة، تركوا العقيدة حتى بينها هؤلاء، فقل لنا إن الله ورسوله وسلف الامة بينوها، ثم نقل عنهم أنهم قالوا: كما تقول ان الله تعالى في جهة العلو، لا في جهة السفل، وأن الاشارة الحسية جائزة إليه، فإذا لم تجد ذلك فى كتاب الله تعالى، ولا كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا كلام أحد من العترة، ولا كلام أحد من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فعد على نفسك باللائمة، وقل: لقد ألزمت القوم بما لا يلزمهم، ولو لزمهم لكان عليك اللوم.

ثم قلت: عن المتكلمين إنهم يقولون ما يكون على وفق قياس العقول فقولوه، و إلا فانفوه والقوم لم يقولوا ذلك، بل قالوا صفة الكمال يجب ثبوتها لله وصفة النقص يجب نفيها عنه، كما قاله الامام أحمد رضي الله عنه، قالوا وما ورد من الله تعالى، ومن رسوله صلى الله عليه وسلم، فليعرض على لغة العرب التي أرسل الله تعالى محمداً بلغتها كما قال تعالي: وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، فما فهمت العرب فافهمه ومن جاءك بما يخالفه فانبذ كلامه نبذ الحذاء المرقع واضرب بقوله حائط الحش.

ثم نعقد فصلا إن شاء الله تعالى بعد افساد ما نزع به في سبب ورود هذه الآيات على هذا الوجه، فانه إنما تلقف ما نزع به في مخالفة الجماعة، وأساء القول على المسألة من حثالة الملاحدة الطاعنين فيالقرآن وسنبين إن شاء الله تعالى ضلالهم، ويعلم إذ ذاك من هو من فراخ الفلاسفة واليهود، ثم لو استحيى الغافل العرف مقدارعلماء الأمة رحمهم الله تعالى، ثم هل رأى من رد على الفلاسفة، واليهود، والروم، والفرس، غير هؤلاء الذين جعلهم فراخهم وهل اتكلوا في الرد على هذه الطوائف على قوم لا عقل لهم ولا بصيرة ولا إدراك ثم يدرونهم يستدلون على اثبات الله تعالى في الحجاب على منكره بالنقل وعلى منكري النبوة بالنقل، حتى يصير مضغة للماضغ وضحكة للمستهزئ وشماتة للعدو، وفرحاً للحسود، وفي قصة الحسن بن زياد اللؤلؤي عبرة للمعتبر.

ثم أخذ بعد هذا في أن الأمور العامة إذا نفيت عنها إنما يكون دلالتها على سبيل الألغاز، قلنا وكذلك المجسم يقول لك دلالة الأمور العامة على نفى الجسمية الغاز، ثم قال بعد هذا، يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، فيقال له ما الذي دلت عليه حتى يقولوا انه لا يعتقد هذا تشيع بحت، ثم يقول لك المجسم يا سبحان الله لم لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من سلف الأمة ان الله تعالى ليس بجسم، ولا قالوا لا يعتقدون من الأحاديث الموهمة للجسمية ظواهرها، ثم استدل بقوله صلى الله عليه وسلم في صفة الفرقة

الناجية، ومن كان عليه مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى، قال المدعى: فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن في آيات الاعتقاد فهو ضال، وانما الهدى رجوعكم الى مقاييس عقولكم، فليعلم الناظر أنه هاهنا باهى وتزخرف وتشيع بما لم يعطه فإنه قدثبت أن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، الكف عن ذلك فما نحن الآمرون به وانه هو ليس بساكت بل طريقة الكلام وامر الدهماء يوصف الله تعالى بجهة العلو، وتجويز الاشارة الحسية إليه، فليت شعري من الموافق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولكن صدق القائل: (رمتني بدائها وانسلت) ثم المجسم يقول له حذ والنعل بالنعل ما قاله لنا ونقول له لم لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناجية، من قال إن الله في جهة العلو، وان الاشارة الحسية اليه جائزة، فإن قال هذه طريقة السلف وطريقة الصحابة قلنا من أين لك هذا ثم لا تأمن من كل مبتدع أن يدعى ذلك. ثم أفاد المدعى وأسند أن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، قال: فإن أول من حفظ عنه هذه المقالة الجعد بن درهم، وأخذها عنه جهم بن صفوان، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه، والجعد أخذها عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد اليهودي الذي سحر النبى صلى الله عليه وسلم، قال: وكان الجعد هذا فيما يقال من أهل حران، فيقال له أيها المدعى أن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة اليهود قد خالفت الضرورة في ذلك، فإنه ما يخفى على جميع الخواص وكثير من العوام أن اليهود مجسمة مشبهات فكيف يكون ضد التجسيم والتشبيه مأخوذاً عنهم، وأما المشركون فكانوا عباد أوثان وقد بينت الأئمة أن عبدة الأصنام تلامذة المشبهة، وأن أصل عبادة الصنم التشبيه، فكيف يكون نفيه مأخوذاً عنهم، وأما الصابئة فبلدهم معروف واقليمهم مشهور، وهل نحن منه أو خصومنا، وأما كون الجعد بن درهم من أهل حران فالنسبة صحيحة وترتيب هذا السند الذى ذكره سيسأله الله تعالى عنه، والله من ورائه بالمرصاد، وليت لو اتبعه أن سند دعواه وعتقيدته أن فرعون ظن أن إله موسى في السماء، ثم أضاف المقالة إلى بشر المزنى، وذكر أن هذه التأويلات هي التى أبطلتها الائمة، ورد بها على بشر وأن ماذكره الأستاذ أبوبكر بن فورك، والامام فخرالدين الرزاي قدس الله روحها، هو ماذكره بشر وهذا بهرج لا يثبت على محك النظر القويم، ولا معيار الفكر المستقيم، فإنه من المحال أن تنكر الأئمة على بشر أن يقول ما تقوله العرب، وهذان الامامان ما قالا إلا ما قالته العرب. وما الانكار على بشر إلا فيما يخالف فيه لغة العرب، وأن يقول عنها ما لم تقله.

ثم أخذ بعد ذلك في تصديق عزوته الى المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وشرع في

. النقل عنهم، فقال قال الأوزاعى: كنا والتابعون متوافرون نقول ان الله تعالى ذكره فوق عرشه فنقول له أول ما بدأت به الاوزاعى وطبقته ومن بعدهم فأين السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وأما قول الاوزاعى فأنت قد خالفته ولم تقل به، لانك قلت ان الله ليس فوق عرشه، لإنك قررت أن العرش والسماء ليس المراد بهما إلا جهة العلو، وقلت: المراد من فوق عرشه والسماء ذلك فقد خالفت قول الأوزاعي صريحاً، مع أنك لم تقل قط ما يفهم فان قررت أن السماء في العرش كحلقة ملقاة في فلاة، فكيف تكون هي بعد ثم من أين لك صحة هذا النقل عن الاوزاعى، وبعد مسامحتك في كل ذلك ما قال الأوزاعي الله فوق العرش حقيقة، فمن أين لك هذه الزيادة، ونقل عن مالك بن أنس، والثوري، والليث، والاوزاعى، انهم قالوا في أحاديث الصفات أقروها كما جاءت، فيقال له لم لا أمسكت على ما مُرت به الائمة بل وصفت الله بجهة العلو، ولم يرد بذلك خبر، ولو بذلك قراب الأرض ذهباً على أن تسمعها من عالم رباني لم تفرح بذلك بل تصرفت ونقلت على ما خطر لك، وما أمررت ولا أقررت ولا امتثلت ما نقلته عن الأئمة.

وروى قول ربيعة، ومالك، الاستواء غير مجهول فليت شعري من قال انه مجهول، بل أنت زعمت أنه لمعنى عينته وأردت أن تعزوه إلى الامامين، ونحن لا نسمح لك بذلك ثم نقل عن مالك أنه قال للسائل الايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً فامر به فأخرج، فيقال له ليت شعري من إمتثل منا قول مالك هل امتثلناه نحن حيث أمرنا بالإمساك وألجمنا العوام عن الخوض في ذلك أو الذي جعله دراسته يلقيه ويلفقه ويلقنه ويكتبه ويدرسه ويأمر العوام بالخوض فيه، وهل أنكر على المستفتى في هذه المسألة بعينها وأخرجه كما فعل مالك رضي الله عنه فيها بعينها، وعند ذلك يعلم أن ما قاله عن مالك حجة عليه لا له، ثم نقل عن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون أنه قال وقد سئل عما جحدت به الجهمية.

ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير، وكلت الألسن عن تفسير صفته وانحصرت العقول دون معرفة قدرته ردت عظمته العقول فلم تجد مساغاً فرجعت خاسئة وهي حسيرة، و إنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير وانما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان، فأما الذي لايحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو الاهو، وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى وكيف يكون لصفته لشيء منه حداً ومنتهى يعرفه عارف أو بحد قدره واصف، على أنه الحق المبين لا حق أحق منه، ولا شيء أبين منه، والدليل على عجر العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق

صفة أصغر خلقه، فلا تكاد تراه صغيراً يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر بل ما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين، وخالقهم وسيد السادات وربهم.

ثم نقل عنه الاحاديث الواردة في الصفات وذكره قوله: والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه. قال: فوالله مادلهم على عظيم ماوصف من نفسه، وما نحيط به قبضته الاصغر نظرها منهم عندهم، إن ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم فما وصف من نفسه فسماه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه كما سماه، ولا لم يتكلم منه صفة ماسواه لا هذا ولا هذا لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يتصف، وبسط الماجشون كلامه في تقرير هذا فنقول لهذا الحاكي نعم الحجة أتيت بها ولكن لنا ونعم السلاح حملت ولكن للعدى، أما كلام عبدالعزيز رضي الله عنه، وما ذكر من كبرياء الله وعظمته وانها تحير العقول وتبز الفهوم فهذا قاله العلماء نظماً ونثراً، وأنت أزريت على سادات الائمة، وأعلام الأمة في ثانى صفحة ترغب بها حيث اعترفوا بالعجز والتقصير وتعيب عليهم ذلك وعددته عليهم ذنباً وأنت معذور وهم معذورون، وجعلت قول عبدالعزيز حجة وقد ذكرنا في القضية ما يقوله المتكلمون في كل موضع، وأمر عبدالعزيز أن يصف الرب بما وصف به نفسه وأن يسكت عما وراء ذلك وذلك قولنا وفعلنا وعقيدتنا، وانت وصفته بجهة العلو، وما وصف به نفسه وجزت الاشارة الحسية إليه وما ذكرها ونحن أقررنا الصفات كما جاءت، وأنت جمعت بين العرش والسماء بصفة العلو، وقلت في السماء حقيقة، وفي العرش حقيقة، فسبحان واهب العقول، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطوراً.

ثم ذكر عن محمد بن الحسن اتفاق الفقهاء على وصف الرب بما جاء في القرآن وأحاديث الصفات فنقول له نحن لا نترك من هذا حرفاً وأنت قلت أصف الرب تعالى بجهة العلو، وأحوز الاشارة الحسية إليه فاين هذا في القرآن وأخبار الثقات، ما أفدتنا في الفتيا من ذلك شيئاً، ونقل عن أبي عبيد القاسم بن سلام رضى الله عنه أنه قال: إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها وأنه قال ما أدركنا أحداً يفسرها فنقول له: الحمدلله حصل المقصود، ليت شعري من فسر السماء والعرش، وقال: معناهما جهة العلو، ومن ترك تفسيرهما وأمرهما كما جاء، ثم نقل عن ابن المبارك رضي الله عنه أنه قال: يعرف ربنا بأنه فوق سمأه على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهيمة انه هاهنا في الارض، فنقول له قد نص عبدالله انه فوق سمائه على عرشه، فهل قال عبدالله ان السماء والعرش واحد؟ وهي جهة العلو، ونقل عن حماد بن زيد انه قال هؤلاء الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء فنقول له

أيضاً أنت قلت بمقالتهم، فانك صرحت بأن السماء ليس هي ذاتها بل المعنى الذي اشتقت منه وهو السمو، وفسرته بجهة العلو فالاولى لك أن تنعى على نفسك مانعاه حماد على الجهمية.

ونقل عن ابن خزيمة أن من لم يقل ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ثم ألقى على مزبلة لئلايتأذى به أهل القبلة وأهل الذمة، فيقال له الجواب عن مثل هذا قد تقدم على أن ابن خزيمة قد علم الخاص والعام حديثه في العقائد والكتاب الذى صنفه في التشبيه وسماه بالتوحيد ورد الأئمة عليه أكثر من أن يذكر وقولهم فيه ما قالوه له هو في غيره معروف * ونقل عن عباد الواسطي، وعبدالرحمن بن مهدي، وعاصم ابن علي بن عاصم، نحواً مما نقله عن حماد وقد بيناه ثم ذكر بعد ذلك ماصح عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات، فنقول ليس في هذا الحديث أن زينب قالت: إن الله فوق سبع سموات، بل ان تزويج الله اياها كان من فوق سبع سموات.

ثم نقل عن أبي سليمان الخطابى مانقله عن عبدالعزيز الماجشون وقد بينا موافقتنا له ومخالفته لذلك * وحكاه أيضاً عن الخطيب، وأبي بكر الاسماعيلي، ويحي بن عمار، وأبى اسماعيل الهروى، وأبي عثمان الصابوني * وحكى عن أبي نعيم الاصبهانى أن الاحاديث الثابتة في الاستواء يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه * وحكاه عن معمر الاصبهاني وقد بينا لك غير ما مرة أنه مخالف لهذا، وأنه ما قال به طرفة عين إلا ونقضه لان السماء عنده ليست هى المعروفة، وأن السماء والعرش لا معنى لهما إلا جهة العلو. وحكى عن عبدالقادر الحيلى أنه قال: الله بجهة العلو مستو على عرشه، فليت شعري لم احتج بكلامه وترك مثل جعفر الصادق، والشبلى، والجنيد، وذي النون المصرى، وجعفر ابن نصير، وأضرابهم رضي الله عنهم؟ وأما ما حكاه عن أبي عمر بن عبدالبر، فقد علم الخاص والعام مذهب الرجل ومخالفة الناس له ونكير المالكية عليه أولا وآخرا مشهور، ومخالفته لامام المغرب أبى الوليد الباجي معروفة، حتى ان فضلاء المغرب يقولون لم يكن أحد بالمغرب يرى هذه المقالة غيره، وغير ابن أبى زيد، غير أن العلماء منهم من قد اعتذر عن ابن أبي زيد بما هو موجود في كلام القاضي الاجل أبي محمد عبدالوهاب البغدادى المالكى رحمه الله، ثم انه قال ان الله فوق في السماء على العرش من فوق سبع سموات، ولم يعقل ما معنى في السماء على العرش من فوق سبع سموات. ثم ان ابن عبدالبر ما تأول هذا الكلام ولا قال بمقالة المدعى ان المراد بالعرش والسماء جهة العلو* ثم نقل عن البيهقي

رحمه الله، ما لا تعلق له بالمسألة وأعاد كلام من سبق ذكره، ثم ذكر بعد ذلك شيخنا أبا الحسن علي بن إسماعيل الاشعري، وأنه يقول الرحمن على العرش استوى، ولا نتقدم بين يدى الله تعالى في القول، بل نقول استوى بلا كيف * وهذا الذي نقله عن شيخنا هو نحلتنا وعقيدتنا، لكن نقله لكلامه ما أراد به إلا قصد الإيهام أن الشيخ يقول بالجهة فإن كان كذلك فقد بالغ في البهت، وكلام الشيخ في هذا أنه قال: كان ولا مكان فخلق العرش والكرسي فلم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه، وكلامه وكلام أصحابه رحمهم الله يصعب حصره في إبطالها * ثم حكى ذلك عن القاضي أبي بكر، وامام الحرمين، ثم تمسك برفع الأيدى الى السماء * وذلك إنما كان لاجل أن السماء منزل البركات والخيرات، لأن الانوار إنما تنزل منها والامطار، واذا ألف الإنسان حصول الخيرات من جانب، مال طبعه إليه فهذا المعنى الذي أوجب رفع الأيدى إلى السماء * وقال الله تعالى: وفي السماء رزقكم وما توعدون. ثم اكتفى بمثل هذه الدلالة في مطالب أصول العقائد فما يؤمنه من مدع يقول الله تعالى في الكعبة لأن كل مصل بوجه وجهه اليها ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض، أو يقول الله في الارض فإن الله تعالى قال: كلا لا تطعه واسجدوا تقترب، والاقتراب بالسجود في المسافة إنما هو في الارض. وقال النبى صلى الله عليه وسلم: أقرب ما يكون العبد في سجوده * ثم ذكر بعد ذلك ما أجبنا عنه من حديث الأوغال.

وذكر بعد ذلك ما لا تعلق له بالمسئلة وأخذ يقول انه حكى عن السلف مثل مذهبه، والى الآن ما حكى مذهبه عن أحد لا من سلف ولا من خلف غير عبدالقادر الجيلى. وفي كلام ابن عبدالبر بعضه، وأما العشرة وباقى الصحابة رضي الله عنهم فما ثبت عنهم بحرف ثم أخذ بعد ذلك في مواعظ وأدعية لا تعلق لها بهذا، ثم أخذ في سب أهل الكلام ورجمهم وما ضر القمر من نجه، وقد تبين بما ذكرناه أن هذا الحبر الحجة، رجم فتياه أنه يقول ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار، ولم ينقل مقالته عن أحد من الصحابة، واذ قد أتينا على إفساد كلامه وايضاح إيهامه، وازالة ابهامه، ونقض ابرامه، وتنكيس أعلامه وأخذ بعد هذا فيما يتعلق بغرضنا، وايضاح نحلتنا فنقول وبالله التوفيق * على سامع هذه الآيات والاخبار المتعلقة بالصفات، ما قررناه من الوظائف، وهي التقديس والايمان والتصديق والاعتراف بالعجز والسكوت والامساك عن التصرف في الالفاظ الواردة، وكف الباطن عن التفكر في ذلك واعتقاده أن ما خفى عنه لم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن الصديق ولا عن أكابر الصحابة رضي الله عنهم،

ولنأخذ الآن في ابراز اللطائف من خفيات هـذه الوظائف، فأقول وبالله المستعان.

أما التقديس فهو أن يعتقد في كل آية أو خـبر معنى يليق بجلال الله تعالى، مثال ذلك إذا سمع قولـه صلى الله عليه وسلـم، إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وكان النزول يطلق على ما يفتقر الى جسم عال، وجسم سافل، وجسم منتقل، من العالي إلى السافل، وإلى انتقال جسم من علو إلى سفل، ويطلق على معنى آخر لا يفتقر إلى انتقال ولا حركة جسم، كما قـال تعـالى: وأنزل لكم من الانـعام ثمانية أزواج، مع أن النعم لم تنزل من السماء بل هي مخلوقة في الأرحـام قطعاً، فالنزول له معنى غير حركة الجسم لا محالة، وفهم ذلك من قول الامام الشافعي رضي الله عنه، دخلت مصر فلم يفهموا كلامى، فنزلت ثم نزلت ثم نزلت ولم يـرد حينئذ الانـتقال من علو إلى سفل، فليتحقق السامع أن النزول ليس بالمعنى الأول في حق الله تـعالى، فإن الجسم على الله محال، وإن كان لايفـهم من النزول الانتقال، فيقال له من عجز عن فهم نزول البعير فهو عن فهم نزول الله عزوجل اعجز، فاعلم أن لهذا معنى يليق بجلاله * وفي كلام عبدالعزيز الماجشون السابق الى هذا مزامر *

وكذلك لفظة فوق الواردة في القرآن والخبر فليعلم أن فوق تارة تكون للجسمية، وتارة للمرتبـة، كما سبق فليـعلم أن الجسميـة على الله محال، وبعد ذلك أن لـه معنى يليق بجلاله تعـالى * وأما الايمـان والتصديق به فـهو أن يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، صادق في وصف الله تعالى بذلك و ما قاله حق لا ريب فيه بالمعنى الذي أراده والوجه الذي أراده، وان كان لا يـقف على حقيقته ولا يتخبطه الشيطان، فيقول: كيف أصدق بأمر جمل لا أعرف عينه بل يخزى الشيطان، ويقول: كما اذا أخبرني صادق أن حيوانا في دار فقد أدركت وجوده وان لم أعرف عينه فكذلك ههنا *

ثم ليعلم أن سيدالرسل صلى الله عليه وسلم قد قـال: لا أحصى ثناء عليـك أنت كما أثنيت على نفسك. وقال سيـد الصديقين رضي الله عـنه: العجز عن درك الإدراك إدراك * وأما الاعتراف بالعجز فواجب على كل من لا يقف على حقيقة هذه المعانى الإقرار بـالعجز، فإن ادعى المعرفة فقد كلف، وكل عـارف وان عرف فـمـا خفى عليه أكثر* وأما السكوت فـواجب على العموم لانه بالسؤال يتعرض لما لا يطيقه فهو ان سأل جاهلا زاده جهلا، وإن سأل عالماً لم يكن العالم إفهامه، كما لا يمكن البالغ تعليم الطفل لذة الجمـاع، وكذلك تعليمه مصلحة البيت وتدبيره، بل يفهمه مصلحته في خروجه الى المكتب، فالعامي اذا سأل عنه مثل هذا يزجر ويردع ويـقال له لـيس هذا بـعشك فادرجي، وقد أمر مالك باخراج من سأله فقال: ما أراك الارجـل سوء وعلاه الرحضاء، وكذلك فعل عمر رضي الله

عنه بكل من سأل عن الآيات المتشابهة * وقال صلى الله عليه وسلم: إنما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال، وورد الامر بالإمساك عن القدر فكيف الصفات * وأما الامساك عن التصرف في هذه الأخبار والآيات، فهو أن يقولها كما قالها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يتصرف فيها بتفسير ولا تأويل ولا تصريف ولا تفريق ولا جمع *

فأما التفسير فلا يبدل لفظ لغة بأخرى فانه قد لا يكون قائماً مقامه فربما كانت. الكلمة تستعار في لغة دون لغة، وربما كانت مشتركة في لغة دون لغة وحينئذ يعظم الخطب بترك الاستعارة، وباعتقاد أن أحد المعنيين هو المراد بالمشترك ، وأما التأويل فهو أن يصرف الظاهر ويتعلق بالمرجوح، فإن كان عامياً فقد خاض بحرا لا ساحل له، وهو غير سابح وان كان عالماً لم يجز له ذلك إلا بشرائط التأويل ولا يدخل مع العامي فيه لعجز العامي عن فهمه، وأما كف باطنه فلئلا يتوغل في شيء يكون كفراً ولا يتمكن من صرفه عن نفسه ولا يمكن غيره ذلك *

وأما اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم، يعلم ذلك فليعلمه ولا يقس نفسه به ولا بأصحابه ولا بأكابر العلماء، فالقلوب معادن وجواهر * ثم الكلام بعد هذا في فصلين أحدهما في تنزيه الله تعالى عن الجهة فنقول:

الاول أن القوم ان بحثوا بالاخبار والآثار فقد عرفت ما فيها، وأنهم ماظفروا بصحابي ولا تابعي يقول بمقالتهم على أن الحق في نفس الأمر أن الرجال تعرف بالحق ولا يعرف الحق بالرجال، وقد روى أبوداود في سننه عن معاذ رضي الله عنه أنه قال اقبلوا الحق من كل من جاء به وان كان كافراً او قال فاجراً، واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم ان الكافر يقول الحق؟ قال: ان على الحق نوراً ولقد صدق رضى الله عنه، ولو تطوقت قلادة التقليد لم نأمن ان كافرا يأتينا بمن هو معظم في ملته، ويقول اعرفوا الحق بهذا واذ قد علمت أن القوم لا مستروح لهم في النقل فاعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يخاطب إلا أولى العقول والألباب والبصائر، والقرآن طافح بذلك ، والعقل هو المعرف بوجود الله تعالى ووحدته ومبرهن رسالة أنبيائه، إذ لا سبيل الى معرفة اثبات ذلك بالنقل، والشرع قد عدل العقل وقبل شهادته واستدل به في مواضع من كتابه كالاستدلال بالانشاء على الاعادة وقوله تعالى: وضرب لنا مثلا ونسىٰ خلقه، ولقد هدم الله تعالى بهذه الآية مباحث الفلاسفة في انكار المعاد الجسماني، واستدل به على التوحيد فقال الله تعالى: لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقال تعالى: وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض. وقال تعالى: أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وقال تعالى: انظروا ما ذا في السموات والارض. وقال تعالى:

قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا. وقال تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم. فياخيبة من رد شاهداً قبله الله وأسقط دليلا نصبه الله فهم يلقون مثل هذا ويرجعون إلى أقوال مشايخهم الذين لو سئل أحدهم عن دينه لم يكن له قوة على اثباته، واذا ركض عليه في ميدان التحقيق جاء سكيتا، وقال سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته. وفي صحيح البخارى في حديث الكسوف ما يعرف به حديث هؤلاء في قبورهم، وبعد ذلك يقول العقل الذي هو مناط التكليف وحاسب الله تعالى الناس به وقبل شهادته في نصه، وأثبت به اصول دينه وقد شهد بخبث هذا المذهب وفساد هذه العقيدة وانها آلت إلى وصفه تعالى بالنقائص، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا، وقد نبهت مشايخ الطريق على ما شهد به العقل، ونطق به القرآن بأسلوب فهمته الخاصة ولم تنفر منه العامة وبيان ذلك بوجوه.

البرهان الاول، وهو المقتبس من ذي الحسب الزكى والنسب العلي سيد العلماء ووراث خير الانبياء جعفر الصادق رضي الله عنه، قال: لو كان الله في شيء لكان محصوراً، وتقرير هذه الدلالة انه لو كان في جهة لكان مشاراً اليه بحسب الحس وهم يعلمون ذلك ويجوزون الاشارة الحسية اليه، واذا كان في جهة مشاراً اليه لزم تناهيه، وذلك لانه اذا كان في هذه الجهة دون غيرها فقد حصل فيها دون غيرها ولا معنى لتناهيه الا ذلك، وكل متناه محدث لان تخصيصه بهذا المقدار دون سائر المقادير لابد له من مخصص، فقد ظهر بهذا البرهان الذي تبديه العقول أن القول بالجهة يوجب كون الخالق مخلوقا، والرب مربوباً وان ذاته متصرف فيها وتقبل الزيادة والنقصان تعالى الله عما يقول الظالمون علو اكبيراً.

البرهان الثانى، المستفاد من كلام الشبلى رضي الله عنه شيخ الطريق، وعلم التحقيق في قوله الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى، وتقريره أن الجهة التى يختص الله تعالى بها على قولهم تعالى الله عنها وسموها العرش، اما أن تكون معدومة أو موجودة، والقسم الاول محال بالاتفاق وأيضا فانها تقبل الاشارة الحسية، والاشارة الحسية الى العدم محال فهى موجودة، واذا كانت موجودة فان كانت قديمة مع الله فقد وجد قديم غير الله وغير صفاته، فحينئذ لا يدرى أيهما الا له وهذا خبث هذه العقيدة وان كانت حادثة فقد حدث التحيز بالله تعالى فيلزم أن يكون الله قابلا لصفات نفسية حادثة تعالى الله عن ذلك.

البرهان الثالث، المستفاد من لسان الطريقة وعلم الحقيقة وطيب القلوب والدليل على المحبوب أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه قال متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير بمن له شبيه ونظير هيهات هذا ظن عجيب، وتقرير هذا البرهان أنه لو كان في جهة فاما أن

يكون أكبر أو مساويا، أو أصغر والحصر ضروري، فاذا كان أكبر كان القدر المساوى للقدر منه للجهة مغايرا للقدر الفاضل منه فيكون مركباً من الأجزاء والابعاض، وذلك محال لان كل مركب فهو مفتقر إلى جزئه وجزؤه غيره، وكل مركب مفتقر الي الغير وكل مفتقر الى الغير لا يكون إلها، وان كان مساوياً للجهة في المقدار والجهة منقسمة لا مكان الاشارة الحسية إلى ابعاضها فالمساوي لها في المقدار منقسم وان كان أصغر منها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فإن كان مساوياً لجوهر فرد فقد رضوا لا نفسهم بأن إلههم قدر جوهر فرد، وهذا لا يقوله عاقل وان كان مذهبهم لا يقوله عاقل لكن هذا في بادئ الرأى يضحك منه جهلة الزنج، وإن كان أكبر منه إنقسم فانظروا الى هذه النحلة وما قد لزمها تعالى الله عنها.

البرهان الرابع، المستفاد من جعفر بن نصير رحمه الله، وهو أنه سئل عن قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى، فقال استوى علمه بكل شيء فليس شيء أقرب اليه من شيء، وتقرير هذا البرهان أن نسبة الجهات اليه على السوية فيمتنع أن يكون في الجهة وبيان أن نسبتها إليه على السوية أنه قد ثبت أن الجهة أمر وجودي فهي ان كانت قديمة مع الله لزم وجود قديمين متميزين بذاتها لأنهما إن لم يتميزا بذاتيهما فالجهة هى الله تعالى، والله هو الجهة، تعالى الله عن ذلك. وإن لم تكن قديمة فاختصاصه بها إما أن يكون لان ذاته اقتضت ذلك فيلزم كون الذات فاعلة في الصفات النفسية أو غير ذاتية فنسبة الجهات إلى ذاته على السوية فمرجح جهة على جهة أمر خارج عن ذاته، فلزم افتقاره في اختصاصه للجهة إلى غيره، والاختصاص بالجهة هو عين التحيز، والتحيز صفة قائمة بذات المتحيز، فلزم افتقاره في صفة ذاته إلى غيره وهو على الله تعالى محال *

ثم أعلم أن هذه البراهين التي سردناها وتلقيناها من مشايخ الطريق فانما استنبطناها من الكتاب العزيز، ولكن ليس كل ما في الكتاب العزيز يعرفه كل أحد وكل يغترف بقدر انائه، وما نقصت قطرة من مائه، ولقد كان السلف يستنبطون ما يقع من الحروب والغلبة من الكتاب العزيز، ولقد استنبط ابن برجان رحمه الله من الكتاب العزيز فتح القدس، على يد صلاح الدين في سنته، واستنبط بعض المتأخرين من سورة الروم اشارة الى حدوث ما كان بعد ثلاث وسبعين وستمائه، ولقد استنبط كعب الاحبار رضي الله عنه من التوراة، أن عبدالله بن قلابة يدخل إرم ذات المعاد ولا يدخلها غيره، وكان يستنبط منها ما يجرى من الصحابة رضي الله عنهم، وما يلاقيه أجناد الشام وذلك مشهور والله تعالى أنزل في كتابه ما يفهم أحد الخلق منه الكثير ولا يفهم الآخر من ذلك شيأ، ولقد تختلف المراتب في استنباط الاحكام من كلام الفقهاء، والمعانى من قصائد الشعراء، فاما ما ورد في الكتاب العزيز مما ينفي الجهة

فتعرفه الخاصة ولا تشمئز منه العامة، فمن ذلك قوله تعالى: ليس كمثله شيء، ولو حصرته جهة تكان مثلا للمحصول في ذلك البعض، وكذلك قوله تعالي: هل تعلم له سمياً قال ابن عباس رضي الله عنه هل تعلم له مثلا، ويفهم ذلك من القيوم وبناء المبالغة في أنه قائم بنفسه وماسواه قائم به، فلو قام بالجهة لقام بغيره، ويفهم من قوله تعالى: المصور، لانه لوكان في جهة لتصور فاما أن يصور نفسه أو يصوره غيره، وكلاهما محال ويفهم من قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، ولوكان على العرش حقيقة لكان محمولا. ويفهم من قوله تعالى: كل شيء هالك الا وجهه، والعرش شيء يهلك فلوكان سبحانه وتعالى لا في جهة ثم صار في جهة لوجد التغير وهو على الله محال. والمدعى لما علم ان القرآن طافح بهذه الأشياء وبهذه الاشارات، قال: هذه الاشياء دلالتها كالالغاز أو ما علم المغرور أن أسرار العقائد التي لاتحملها عقول العوام، لا تأتى إلا كذلك وأين في القرآن ما ينفى الجسمية إلا على سبيل الألغاز، وهل تفتخر الاذهان إلا في استنباط الخفيات كاستنباط الشافعي رضي الله عنه، الإجماع من قوله تعالى: ويتبع غير سبيل المؤمنين. وكاستنباط القياس من قوله تعالى: فاعتبروا يا أولى الأبصار. وكاستنباط الشافعي خيار المجلس من نهيه صلى الله عليه وسلم عن البيع على بيع أخيه، وزبدة المسألة أن العقائد لم يكلف النبي صلى الله عليه وسلم الجمهور منها إلا بلا إله إلاالله محمد رسول الله. كما أجاب مالك، الشافعي رضي الله عنهما، ووكل الباقي إلى الله وما سمع منه ولا عن أصحابه فيهاشيء إلا كلمات معدودات فهذا اللذي يخفى مثله ويلغز في إفادته.

الفصل الثاني، في إبطال مامومه به المدعى من أن القرآن والخبر اشتملا على ما يوهم ظاهره ما تنزه الله تعالى عنه على قول المتكلمين، فنقول: قال الله تعالى: هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ. الآية دلت هذه الآية على أن من القرآن محكم ومنه متشابه، والمتشابه قد أمر العبد برد تأويله إلى الله والى الراسخين في العلم، فنقول بعد ذلك إنما لم تأت النبوة بالنص ظاهراً على المتشابه، لأن جل مقصود النبوة هداية عموم الناس فلما كان الأكثر محكماً وألجمت العامة عن الخوض في المتشابه، حصل المقصود لولا أن يقيض الله تعالى لهم شيطاناً يستهويهم، ويهلكهم ولو أظهر المتشابه لضعفت عقول العالم عن إدراكه.

ومن فوائد المتشابه، رفعة مراتب العلماء بعضهم على بعض كما قال تعالى: (وفوق كل ذي علم عليم...) وتحصيل زيادة الاجور بالسعي في تفهمها، وتفهيمها، وتعلمها، وتعليمها. وأيضاً لوكان واضحاً جلياً مفهوماً بذاته لما تعلم الناس سائر العلوم، بل هجرت

بالكلية ووضح الكتاب بذاته، ولما احتيج إلى علم من العلوم المعينة على فهم كلامه تعالى. ثم خوطب في المتشابه بما هو عظيم بالنسبة إليهم، وإن كان في الأمر أعظم منه كما نبه عليه عبدالعزيز الماجشون. وكما قال تعالى في نعيم أهل الجنة: (في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب...) الآية فهذا عظيم عندهم وإن كان في الجنة ما هو أعظم منه كما قال (ص) حكاية عن الله عزّوجل: ــ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

نسأل الله العظيم أن يجعل قرارنا، وأن ينوّر بصيرتنا وأبصارنا، وأن يجعل ذلك لوجهه الكريم بمنه وكرمه ونحن ننتظر ما يرد من تمويهه وفساده، لنبين مدارج زيغه وعناده، ونجاهد في الله حق جهاده والحمدلله ربّ العالمين.

* * *

هذا واقتفى محمد بن عبدالوهاب الحنبلي، واتباعه إثر شيخه في الضلال إبن تيمية، وأخذ بنظرياته في كل المباحث وذهب في رسائله إلى القول، بالتجسيم، والإستواء، والجهة، وتكفير المسلمين، وقتلهم، وتعذيبهم، وأخذهم بألوان العذاب ومعصية زيارة مرقد النبيّ الأعظم (ص) وهكذا زيارة بقية القبور، والتوسّل، والتشفع وبنى على أساس أقواله عقيدته، وزاد فيها وحث على تهديم القبور، والمراقد، والبقاع المقدسة، وأثبت كل ذلك في رسائله المطبوعة في الحجاز وقرّر لله تعالى جهة الفوق، والإستواء على العرش الذّي هو فوق السماوات والأرض، والجسمية، والرحمة، والرضا، والغضب، واليدين اليمنى، والشمال، والأصابع، والكف كلها بمعانيها الحقيقة من دون تأويل.

قال في كتابه (التوحيد الذّي هو حق على العبيد) في باب قوله تعالى: **(حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير)** (٨٣) العشرون إثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة قال الشارح ــ: الأشعرية الفرقة المنتسبة لأبي الحسن الأشعري أنكرت كثيراً من الصفات:

منها علو الله تعالى، واستواؤه على عرشه، بائنا عن خلقه ومحبته لعباده الصالحين، ورحمته لهم، ورضاه، وغضبه، وغير ذلك خلافاً لما جاء عن رسول الله (ص) وأصحابه وسائر السلف الصالحين. ثم استدلّ على ذلك بالأحاديث فقال باب ما جاء في قوله تعالى: **(وما قدّروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة)** (٨٤) الآية عن إبن مسعود (رض) جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله (ص) فقال: يا محمد إنّا نجدن الله يجعل السماوات في إصبع والأرضين في إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبعه، وسائر الخلق

على إصبع فيقول: أنا الملك. فضحك النبيّ (ص) حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ: (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية. وفي رواية لمسلم، والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزّهن فيقول: أنا الملك أنا الله.

وفى رواية للبخاري، يجعل السماوات على إصبع والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع. أخرجاه. ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: يطوى الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارّون أين المتكبرّون، ثم يطوى الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارّون أين المتكبرون.

وروي عن إبن عباس، ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلّا كخردلة في يد أحدكم. وعن ابن مسعود: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. أخرجه إبن مهدي. وعن العباس بن عبدالمطلب (رض) قال رسول الله (ص): هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة. وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم. أخرجه أبوداود، وغيره. إنتهى.

أنا لا اجيب على هذا الكلام المضحك السخيف الذي لا يتفوّه به متخبل عديم العقل والشعور، فكيف من الذي يجعل نفسه في عداد ذوي العقائد، ويزّج شخصه في صفوف أئمة المذاهب وزعماء الإسلام..؟ وهو صريح في إثبات جهة الفوق لله تعالى، والإستواء على العرش الذّي هو فوق السماوات والأرض، وإثبات المحبة، والرحمة، والرضا، والغضب وإثبات اليدين، والأصابع، واليد اليمنى، واليد الشمال، والكف له تعالى، كلها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل. أما نسبة الأشعرية الذّين يؤلونها إلى التعطيل، وهو عين التجسيم الذّي أطبق المسلمون على كفر معتقده لا ستلزامه التركيب، والتحيز، والوجود في جهة دون جهة، وكل ذلك يستلزم الحدوث كما قرأت فيما سبق. كما وينتج من إثبات المحبة، والرحمة، والرضا، والغضب، بمعانيها الحقيقية ميل القلب وانتقاله، وتنقلاته ورقّته وعدم هيجان النفس وهيجانها ـ كونه سبحانه محلا ومعرضاً للحوادث الموجب حدوثه كما علم من علم الكلام. مع أن حديث خبر اليهود ردّ عليه لا تأييد لقوله الغث فإنّ الضحك لم يكن لتصديق قول الحبر كما توّهم إبن عبدالوهاب الحنبلي... بل للرّد عليه فهوضحك تعجب من

نسبة ذلك إليه تعالى، مع بطلانه في العقول ويدلّ عليه قراءته (ص) وما قدروا الله حق قدره، أي ما قدروه حق قدره بنسبتهم إليه سبحانه الجسمية والأعضاء.

قال أبوالقاسم الزمخشري في ذيل هذه الآية: ــ والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله، لا غير من غير ذهاب بالقبضة لا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز. وإنما ضحك أفصح العرب (ص) وتعجب لأنه لم يفهم منه إلّا ما يفهمه علماء البيان، من غير تصوّر إمساك ولا إصبع ولا هزّ ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أوّل شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة، وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان، ولاتكتنفها الأوهام هينة عليه هواناً لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلّا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل، ولا ترى باباً في علم البيان أدّق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن، وسائر الكتب السماوية، وكلام الأنبياء. فإنّ أكثره وعليته تخييلات قد زلّت فيها الأقدام قديماً، وما أتى الزالون إلّا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علماً، لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه، إذ لا يحل عقدها المؤربّة، ولا يفك قيودها المكربة إلّا هو. وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة، لأن من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير، ولا يعرف قبيلا منه من دبير (٨٥).

أما أتباع ابن عبدالوهاب فقد حذوا حذوه فاثبتوا لله تعالى جهة العلو، والاستواء على العرش، والوجه، واليدين والعينين، والنزول إلى سماء الدنيا، والمجيء والقرب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية. قال محمد بن عبداللطيف حفيد محمد بن عبدالوهاب، في الرسالة الرابعة من الرسائل الخمس الموسومة بالهديّة السنية عند ذكر بعض إعتقادات الوهابية: ــ وأنّها مطابقة لعبارة أبي الحسن الاشعري، قال: وإنّ الله تعالى على عرشه كما قال: (الرحمن على العرش استوى) وأنّ له يدين بلا كيف كما قال: (لما خلقت بيدي بل يداه مبسوطتان) وإنّ له عينين بلا كيف، وإن له وجهاً كما قال: (ويبقى وجه ربّك ذوالجلال والإكرام).

ويصدّقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله (ص) إنّ الله ينزل إلىسماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر ــ إلى أن قال ــ ويقرّون أنّ الله يجيء يوم القيامة كما قال: (وجاء ربّك والملك صفاً صفاً) وأنه يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد).

وقال في الرسالة الخامسة: ونعتقد أن الله تعالى مستو على عرشه، عال على خلقه، وعرشه فوق السماوات قال تعالى: (الرحمن على العرش استوى) فنؤمن باللفظ ونثبت حقيقة الإستواء ولا نكيف ولا نمثل (٨٦).

أما اعتقادهم في الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم، انّ الإستغاثة به وطلب الشفاعة منه إلى الله، والتوسّل به إليه بقول: يا رسول الله، أو يا رسول الله اشفع لي، أو أتوسل بك إلى الله، والتبرّك بقبره، والصلاة والدعاء عنده، وتعظيمه، كل ذلك شرك ، وكفر، وعبادة للأصنام والأوثان، موجبة لحل المال، والدم. وأنه يحرم السفر لزيارته، ويجب هدم ضريحه وقبته، ويحرم التبرّك بتربته، ولمس ضريحه، وتقبيله، وأن ضريحه صنم من الأصنام، ووثن من الأوثان، بل هو الصنم الأكبر، والوثن الأعظم، وكذلك سائر الأنبياء والصالحين.

وفي كتاب خلاصة الكلام، كان محمد بن عبدالوهاب يقول عن النبيّ (ص) إنّه طارش، وإن بعض أتباعه كان يقول: عصاي هذه خير من محمد، لأنه ينتفع بها في قتل الحية ونحوها، ومحمد قدمات ولم يبق فيه نفع وإنّما هو طارش ومضى. وكان يقال بحضرته ذلك أو يبلغه فيرضى وكان يقول: وجدت في قصة الحديبية كذا كذا كذبة — إنتهى.

وقد أرسل إبن عبدالوهاب سنة ١٢١٨ هـ، كتاباً إلى شيخ الركب المغربي، ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته، وفيها بعد المقدمة ما نصه: (إنّ الرسول (ص) أخبرنا بأن امته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه (ص) لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحرضب لدخلتموه، قالوا يا رسول الله: اليهود، والنصارى؟ قال: فمن. وأخبر في الحديث الآخر أنّ امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلّا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي. إذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الامور التي أعظمها الإشراك بالله، والتوجّه إلى الموتى، وسؤالهم النصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتفريج الركبات التي لا يقدر عليها إلّا ربّ الأرض والسماوات. وكذلك التقرّب إليهم بالنذر، وذبح القربان، والإستغاثة بهم في كشف الشدائد، وجلب الفوائد، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح ألاّ لله، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كصرف جميعها لأنه سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلّا ما كان خالصاً كما قال تعالى: (**فاعبدوا الله مخلصين له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلّا ليقربونا إلى الله زلفى**) فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلّا ما كان خالصاً لوجهه. وان المشركين يدعون الملائكة، والأنبياء، والصالحين، ليقربوهم إلى الله زلفى.

ويشفعوا لهم عنده. وأخبر أنه لا يهدى من هو كاذب كفار. وقال تعالى: **(ويعبدون من دون الله مالا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله إلى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون)** فأخبر أنّه جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم، وذلك أن الشفاعة كلها لله (من ذا الذي يشفع عنده إلّا باذنه) فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم. يومئذ لا تنفع الشفاعة إلّا من أذن له الرحمن ورضى له قولا. وهو لا يرضى إلّا التوحيد (وفي مفهوم ابن عبدالوهاب لا موحّد في الحياة إلّا الوهابيين فلا شفاعة إلّا لهم ولأتباعهم الأوغاد) ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى. فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلّا من الله كما قال: (وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً (٨٧) ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرّك) فإذا كان الرسول (ص) وهو سيد الشفعاء، وصاحب المقام المحمود، وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع إلّا بإذن الله لا يشفع ابتداء بل يأتى فيخر لله ساجداً، فيحمده بمحامد يعلمه إياها، ثم يقال ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع ثم يحد له حداً، فيدخلهم الجنة فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء، وهذا الذّي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذبا) بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم.

وأما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم، وتعظيم قبورهم، ببناء القباب عليها واسراجها والصلاة عندها، واتخاذها أعياداً، وجعل السدنة والنذور لها، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بها النبيّ (ص) كما في الحديث: لا تقوم الساعة حتى يلحق حيّ من امتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من امتي الأوثان وهو (ص) حمى جناب التوحيد أعظم حماية، وسد كل طريق يؤدى إلى الشرك فنهى أن يجصص القبر وان يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم، من حديث جابر، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب وأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلّا سواه ولا تمثالا إلّا طمسه. ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لأنها اسست على معصية الرسول (ص) فهذا هو الذّي أوجب الإختلاف بيننا وبين الناس، وهو الذّي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله (ص)، وإجماع السلف الصالح من الامة ممتثلين لقوله تعالى: **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)** إلى أن قال: ونعتقد أيضاً أن امة محمد المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة، وانه لا تزال طائفة من امته على الحق منصورة لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتى أمرالله وهم على ذلك ــ إنتهى.

انّ ما جاء في الكتاب هذا إغواء و إغراء و إيهام وكذب وتدجيل، وألفاظ فارغة

وكلمات جوفاء، وتعابير خالية فتراهم يتمسكون بالفروع، ويتركون الجذور والاسس التي تنددهم، ولا يلتفتون إلى أقاويل النبيّ (ص) ولا يعملون على هديها، ويضربون جميعها عرض الحائط إلّا أنهم يتقنون سرد ألفاظ وذكر آيات متشابهات ومنسوخات، تخدم مآربهم الدنيئة وأطماعهم الخبيثة، وأفعالهم الدامية الهدامة، وأخيراً يفترون على الله تعالى ورسوله (ص) والصحابة والتابعين والسلف الصالح... الكذب والإفتراء والاختلاق، لتمشية دعوتهم اليهوديّة الوهابية، وانتصار سياستهم التعسفية، وهذه السيرة متخذة من قول أعداء الاسلام: (الغاية تبرّر الواسطة) مع العلم أن الله سبحانه، والأنبياء، والصحابة، والتابعين، والأئمة المذاهب، وكافة المسلمين براء منهم، ومن تخرصاتهم كبراءة الذئب من دم يوسف (ع).

وإنّهم لاغراء السذج من الناس يتشدّقون بكلمة الإجماع، والسلف الصالح، والصحابة، والصحا ح..؟ لأنهم يدرون أنّ الناس سوف لن يراجعوا الصحاح، والمراجع المختصة فيتضح كذبهم، ودجلهم، واختلافُهم... ومع غض النظر عن هذا كله فإنّ سيرتهم العنيفة الشديدة، ومعاملتهم الهمجية الفتاكة، وأخذهم المسلمين بأنواع العذاب، والقتل، والسّلب، والضرب ومقابلة الحجاج بالسباب، والشتم، والجرح، والطرد، والتطاول، والنهب، والتمزيق دليل سافر على كذبهم الصريح وكفرهم بالله ورسوله (ص) والأولياء، ونفاقهم وزندقتهم في الدين... والحوادث الدامية التي حدثت على يد الحنابلة منذ القرن الثالث الهجري، ومن بعدهم على يد الوهابية الصهاينة إلى يوم الناس هذا على امتداد التاريخ، حجة قاطعة تدين قادتهم وتدمغ أتباعهم.

وإنّ في المجلد الخامس من كتاب (الغدير) بحوث شافية، ومواضيع قيمة، ومناعة قويّة، تتحطم عليه تخرصات إبن عبدالوهاب الحنبلي، وأباطيل شيوخه في الضلال أمثال إبن تيمية... وابن القيم الجوزية... وابن الحزم... فعليك بمراجعته ومطالعته، لئلا تستحوذ عليك شياطين الكفر والإلحاد، فتنسيك ذكر الله تعالى، وتخرجك عن جادة الصواب، وتبعدك عن الصراط المستقيم، وقد أعذر من أنذر.

هنا يقول المؤرخ الفقيه السيد محسن الأمين العاملي، والجواب عماتضمنه هذا الكتاب مما روى عنه (ص) من اتباع هذه الامة سنن الأمم قبلها كاليهودوالنصارى، أنه لا يبعد أن يكون النبيّ (ص) أشار به إلى الوهابية... فأولئك اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون‌الله، وقد ورد في الحديث أنهم ما صاموا لهم ولا صلوا، وإنما أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً، فاتبعوهم، وهؤلاء قلدوا محمد بن عبدالوهاب في كل ما يقوله فحرّم عليهم حلالاً كالتشفع، والتوسّل، بذوي المكانة عندالله ونحو ذلك. وحللّ لهم حراماً وهو سفك

دماء المسلمين، واستباحة أموالهم، وأعراضهم فاتبعوه بدون تحقيق، ولا تمحيص للأدلة حتى كأن كلامه وحي منزل، وهو ممن يجوز عليه الخطأ وأدلته التي يستدل بها كلها ضعيفة واهية، كما بيناه في هذا الكتاب (كشف الأرتياب في إتباع محمد بن عبدالوهاب) وهم يأخذونها بالقبول ولا يقبلون عليها ردّا، ولا في مقابلها دليلاً، ولا يحيدون عنها قيد انملة ولا يزيدون عليها، ولا ينقصون منها كلمة واحدة، ويتوارثها آخرهم عن أولهم بلفظ واحد، ومعنى واحد، ويسمّون أنفسهم بالسلفيين، أي أنهم أتباع السلف و إذا أورد عليهم شيء من أقوال السلف يخالف معتقدهم، لا يتحاشون من نسبة قائله إلى الشرك والكفر، ويقولون مقتدانا الكتاب والسنة فهم في خطأ على الحالين.

فإنّ أقوال السلف ليست وحياً منزلا، ولا أصحابها معصومون من الخطأ، حتى تقلدهم على كل حال، و إذا جاز تقليدهم فما بالنانقلدهم تارة ونكفرهم اخرى. وستعرف في الفصول الآتية مخالفة السلف للوهابيين في الشفاعة، والتوسّل، وزيارة القبور، والبناء عليها، وغير ذلك مما تجده في تضاعيف هذا الكتاب.

وأما ما تضمنه الكتاب المذكور من الحديث القائل، أنّ الفرقة الناجية هي من كان على مثل ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، فهو من البديهيات والضروريات التي لا تحتاج إلى الإستدلال بالأحاديث، و إطالة الكلام إذ لا شك في أن متبع النبيّ (ص) ناج، ومخالفه هالك، و إلّا لم يكن نبياً، وقد قال الله تعالى: **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** (٨٨) وماكان عليه النبيّ (ص) هو دين الإسلام، وأصحابه اقتدوا به، واتبعوه عليه فالميزان في الحقيقة هو ماكان عليه النبيّ (ص) فقط لأن اتباع أصحابه النبيّ (ص) المتبعين له أتباع له (ص) و إن خالفوه لم يجز اتباعهم. وأي مسلم يشك في وجوب إتباع النبيّ (ص) دون غيره، أللهم إنا لا نتبع إلّا طريقة رسولك وسنته، ونبرأ إليك ممن خالفها ولو ظهرلنا انّ الاستغاثة، والتشفع، والتوسّل، بذوي المكانة عندك، وتعظم قبور الأنبياء والصالحين تخالف سنة نبيك (ص) لكنا أول من تبرأ منها، وهذا ليس محلاً للكلام، ولا محطاً للانظار و إنّما محل الكلام معرفة ماكان عليه النبي (ص) واتبعه عليه أصحابه، فقد وقع الإختلاف الكثير فيه بين المجتهدين، وعلماء المسلمين، فما أثبته هذا نفاه ذلك (وكل يدعي وصلاً بليلى) وكل يقول: ان قوله هو ماكان عليه الرسول (ص) وأصحابه، ولا يوجد من يقول إنّي لا أتبع ما كان عليه الرسول (ص) وأصحابه، بل الصحابة أنفسهم اختلفوا في مسائل عديدة ليس هذا محل تفصيلها، وستعرف أنّ الاستغاثة بذوي المكانة طلباً لدعائهم، والإستشفاع بهم إليه، والبناء على القبور، والصلاة عندها، سيرة المسلمين خلفاً عن سلف،

وسيرة الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين. وقد اعترف صاحب الكتاب بحجية اجماع السلف الصالح، وأن الامة لا تجتمع على ضلالة، وتقييده الامة بالمتبعين للسنة لا يظهر له معنى ولا فائدة، إذ لا يوجد مسلم تظهر له سنة رسول الله (ص) ويقول لا أتبعها، و إنما أراد بذلك أن يحفظ لنفسه خط الرجعة فيحصر اتباع السنة بالوهابيين فقط، حينما يحتج عليه أحد بإجماع الامة وأنّي له لذلك فإن ثبت قول الرسول (ص) لا تجتمع امتي على ضلالة كان ذلك دالا على أن ما اتفقوا عليه، هو من سنته وعلى طبق شريعته، فهذا القيد الذّي قيد به فضول فاسد، ومرّ في المقدمات أن سيرة المسلمين و إجماعهم كاشف عن أن ذلك مما كان عليه النبيّ (ص).

وقوله: وهذا الذّي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين، وأجمع عليه السلف الصالح، من الصحابة والتابعين الأربعة، ستعرف في الفصول الآتية عدم صحة هذه الدعوى، وأن الذّي أجمع عليه السلف الصالح، وعلماء المسلمين، خلاف ماعليه الوهابية (٨٩).

تكفير الوهابية عموم المسلمين

أما اعتقادهم في عموم المسلمين على الإطلاق، من دون إستثناء مذهب وملة، فاعتقادهم أنّهم كفروا بعد إيمانهم، أشركوا بعد توحيدهم، أو أنهم كفار بالكفر الأصلي، بل شر من الكفار، فيجب قتالهم وتحل دماؤهم، وأموالهم، وعلى بعض الأقوال تسترق ذراريهم، وهذا الكفر والشرك حصل منهم، منذ ستمائة سنة، قبل إبن عبدالوهاب على ما في كتاب (خلاصة الكلام) وذلك لمحاربة المسلمين ابن تيمية، ولفظهم له عن أرجائهم المعمورة، وعدم الإنتصار له، وأنهم أبدعوا في دين الإسلام، وهذا هو محور وأساس مذهب الوهابية الذّي يدور عليه.

إنّ عوامل كفرهم، وشركهم، فبعبادتهم الأنبياء، والصالحين، بل وغير الصالحين ممن يعتقدون فيهم الولاية والإمامة، وهم من فسقة الناس وعبادتهم قبورهم، فكانوا بذلك كمشركي قريش. وغيرهم الذين عبدوا الأصنام والأوثان من الأحجار والأشجار وغيرها. وعبدوا الملائكة والجن، وكالنصارى الذين عبدوا المسيح وامّه، وذلك باستغاثتهم بالأموات ودعائهم لكشف الملمات والهتاف بأسمائهم، والتشفع بهم إلى الله، بقول: يا رسول الله اسألك الشفاعة، ونحو ذلك. والنذر والذبح لهم، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها، وعمل الأضرحة لها، ووضع الجوخ وغيره عليها، وعمل الستور لها، و إسراجها، وتخليقها، والعكوف

عليها، كما كان المشركون يعكفون على أصنامهم، والنذر لها، وتزيينها بالقناديل، والذهب، والفضة، وغيرها، وجعل الخدمة والسدنة لها، وعمل أعياد، ومواسم لها، وتقبيلها والطواف حولها، والتمسح بها، وأخذ ترابها تبركاً، والصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وشدالرحال إليها، وكتب الرقاع عليها، يا مولاي إفعل كذا وكذا، ونحو ذلك فإنّ ذلك كله عبادة لها، ولأهلها، وصرف شيء من أنواع العبادة لغيرالله كصرف جميعها موجب للشرك والكفر.

وفرعوا على ذلك وجوب هدم قبور الأنبياء والصالحين، والقباب المبنيةعليها، وعدم جواز تعميرها، وتعليق المعلقات فيها، والوقف عليها بل هو باطل، وعدم جواز لمسها والتبرّك بها، والصلاة والدعاء عندها، و إيقاد السرج عليها، وغير ذلك. وقسموا التوحيد إلى توحيد الربوبية، وهو الإعتقاد بإنّ الخالق الرازق المدّبر للأمر هوالله. وتوحيد العبادة، وهو صرف العبادة كلها إلى الله قالوا ولا ينفع الأول بدون الثاني، لأن مشركي قريش كانوا يعتقدون بالأول فلم ينفعهم لعدم اقرارهم بالثاني، كذلك المسلمون، لا ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية لعبادتهم الأنبياء والصالحين وقبورهم بنفس الأشياء التي مرّ ذكرها التي كان المشركون يعبدون أصنامهم بها.

وقال المسلمون أيضاً الكفر نوعان، مطلق ومقيد، فالمطلق أن يكفر بجميع ما جاء به الرسول (ص)، والمقّيد أن يكفر ببعضه، وهوكفر المسلمين الذين هم باعتقادهم مشركون. وقسموا الشرك إلى قسمين أكبر وأصغر، فالأكبر هو الذّي تقدّم، والأصغر كالرياء والحلف بغير الله تعالى ـ.

وفرع الوهابية على هذا الإعتقاد الذّي إعتقدوه من إشراك جميع المسلمين. وجوب قتالهم، واستحلال دمائهم، وجعل بلادهم دار حرب، وقتالهم جهاداً في سبيل الله وبلادهم بلاد شرك تجب الهجرة منها إلى بلاد الإسلام التي أهلها وهابية موحدّون كما كانت هذه الأشياء ثابتة في حق عبدة الأوثان والأصنام.

قال محمد بن عبدالوهاب في رسالة (ثلاثة الاصول) والهجرة فريضة على هذه الامة من بلده الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة ـ.

أما سبي ذراري المسلمين، فهو مقتضى قواعد المذهب الوهابي الذّي أساسه ومبناه ومحوره الذّي يدور عليه التسوية بين عبدة الأصنام، وبين المسلمين فى الإشراك بالعبادة. وقد صرّح بذلك زميل ابن عبدالوهاب ومعاصره محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني الكحلاني ١٠٩٩ ـ ١١٨٢ هـ في كتابه (تطهير الإعتقاد عن إدران الإلحاد) في عدة مواضع بما يدلّ على ذلك فقال: ـ ومن فعل ذلك (أي الإستغاثة وما يجرى مجراها) لمخلوق فهذا شرك في

العبادة وصار من تفعل له هذه الامور إلها لعابديه، وصار الفاعل عابداً لذلك المخلوق، و إن أقر بالله وعبده فإنّ إقرار المشركين بالله وتقرّبهم إليه لم يخرجهم عن الشرك ، وعن وجوب سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، ونهب أموالهم.

وجاء في موضع آخر: ــ فمن رجع وأقر حقن عليه وماله وذراريه، ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسول الله (ص) من المشركين ــ إنتهى (٩٠).

وما إبداع المسلمين في الدين، فباحداثهم أشياء لم تكن على عهد النبيّ (ص) والصحابة. والبدعة حسب عرفهم العفن، هي ما حدثت بعد القرون الثلاثة أي قرن الرسول (ص) وما بعده مذمومة مطلقاً جاء ذكرها في الرسالة (الهدية السنية) مثل ــ المحاريب الأربعة في المساجد للأئمة الأربعة، وجعل أئمة للصلاة من أهل المذاهب الأربعة. والترحيم، والتذكير الذّي يفعل في المآذن ليلة الجمعة ويومها، وليلة الأثنين، وبين الأذان والاقامة، وقبل الفجر. ورفع الصوت في مواضع الأذان بغير الأذان، من قراءة القرآن أو صلاة على النبيّ (ص). أو ذكر بعد أذان أو في ليلة جمعة، أو رمضان، أو العيدين، وقراءة حديث أبي هريرة قبل خطبة الجمعة، والإجتماع على قراءة سيرة المولد النبوّي الشريف. وقراء ة المولد النبوّي بقصائد بألحان، وتخلط بالصلاة عليه، وبالأذكار، والقراءة، وتكون بعد التراويح، والتظاهر باتخاذ المسابح. والإجتماع على رواتب المشائخ برفع الصوت، وقراءة الفواتح كراتب السمان والحداد وغيرهما. وقراءة الفواتح للمشائخ بعد الصلاة الخمس، وكصلاة الخمسة فروض بعد آخر جمعة من رمضان. ورفع الصوت بالذكر عند حمل الميت. وعند رشّ القبر بالماء. وكاتخاذ الطرائق وتعليق الأسلحة والبيارق في التكايا والزوايا. وعمل الذكر المتعارف. ونقر الدفوف وما يتخلل ذلك من الشهيق والنهيق والنعيق. وتكرار لفظ الجلالة (الله الله) وغير ذلك .

وأحرق الوهابية كتاب (دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبيّ المختار) للشيخ أبي عبدالله محمد بن سليمان بن أبي بكر الجزولي السملاني المتوفى ٨٥٤ هـ، بدعوى إشتماله على البدعة أو الشرك (٩١).

وفي خلاصة الكلام: أنّ محمد بن عبدالوهاب، كان ينهى عن الإتيان بالصلاة على النبيّ (ص) ليلة الجمعة، وعن الجهر بها على المنابر، وأنه قتل رجلا أعمى كان مؤذناً صالحاً، ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبيّ (ص) في المنارة بعد الأذان فلم ينته، فأمر بقتله فقتل. ثم قال: إنّ الربابة في بيت الخاطئة أقل إثما ممن ينادي بالصلاة علي النبيّ (ص) في المنائر

وذلك لأن الربابة في بيت الخاطئة لا يتجاوز إثمها صاحبها أما الصلاة على النبيّ (ص) بتلك الكيفية فهي بزعمه بدعة فيتعدى إثمها لكل من يقتدي بفاعلها.

وكان محمد بن عبدالوهاب إذا تبعه أحد، وكان قد حج حجة الإسلام يقول له: حج ثانياً فإنّ حجتك الأولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل، ولا تسقط عنك الفرض. و إذا أراد أحد الدخول في دينه يقول له بعد الشهادتين: إشهد على نفسك إنّك كنت كافراً، وعلى والديك إنهما ما تا كافرين، وعلى فلان وفلان، ويسمى جماعة من أكابر العلماء الماضين أنهم كانوا كفاراً. فإن شهد قبله و إلّا قتله. وكان يصرّح بتكفير الامة منذ ستمائة سنة، ويكفر من لا يتبعه ويسميهم المشركين ويستحل دماءهم وأموالهم

والذي يمكن القول في هذه الكلمات بكل صراحة أن قائلها مجنون، وأنها ثرثرة وهذيان، وأضغاث أحلام. فالبدعة مثلا هي إدخال ما ليس من الدين في الدين، كأباحة محرم أو تحريم مباح، أو إيجاب ما ليس بواجب أو ندبه أو نحو ذلك سواء كانت في القرون الثلاثة أو بعدها، وتخصيصها بما بعد القرون الثلاثة لا وجه له. ولو سلمنا حديث خير القرون قرني... فإنّ أهل القرون الثلاثة غيرمعصومين بالإتفاق، وتقسيم بعضهم لها إلى حسنة وقبيحة أو إلى خمسة أقسام ليس بصحيح، بل لا تكون إلّا قبيحة. ولا بدعة فيما فهم من إطلاق أدلة الشرع أو عمومها أو فحواها أو نحو ذلك، و إن لم يكن موجوداً في عصر النبيّ (ص) فتقبيل يد العالم أو الصالح، أو الأبوين، بقصد التعظيم والاحترام، تقرّباً إليه تعالى جائز وراجح. و إن لم يكن ذلك في عصره (ص) ولا ورد فيه نص خاص فإنه بعد أن صار نوعاً من التعظيم عادة، وفهم من أدلة الشرع رجحان تعظيم المؤمن بوجه العموم، يكون جائزاً وراجحاً. وكذا القيام عند ذكر ولادة النبي (ص) أو ذكر إسم رجل عظمه الشرع هو من هذا القبيل، ما لم يكن التعظيم بفعل حرمه الشرع كالغنا، وآلات اللهو، والكذب في المدح، والبغي، والظلم، والإفتراء ونحو ذلك.

كما أنه لا بدعة فيما فعل لا بقصد الخصوصية أو العبادة، ومنه يعلم عدم صحة الحكم بالبدعة في كل ما ذكروه، وصحته في البعض فرفع الصوت بالأشياء المذكورة لا مانع منه لعموم أدلتها أو اطلاقها، وعدم تقييدها برفع الصوت، ولا بخفضه خصوصاً إذا كان في رفع الصوت فائدة كالإعلان بذكر الله، واتعاظ السامع ونحو ذلك. نعم لوفعلت بقصد الخصوصية والورد كانت بدعةً.

و دعوى أنّ السامع يتوّهمها، كذلك لا تسمع لأن السامع عليه الفحص و سؤال أهل المعرفة، و كذا التذكير، والترحيم، يشمله عموم ذكر الله ودعائه، والترّحم على المؤمنين

والصحابة، و نحو ذلك، وعد ذلك بدعة جمود وقلة فقه فلو أن رجلا إصطلح على أن يصلي على النبيّ (ص) عند ظلوع الشمس عشر مرات أو أن يكبر بعد العصر سبعين مرّة مثلا، أو نحو ذلك ولم يقصد أن هذا مأمور به بخصوصه، لم يكن مبدعاً في الدين بعد دلالة الأدلة الشرعية بعمومها، أو اطلاقها على إستحباب الصلاة على الرسول الأكرم (ص) في أي وقت كان، واستحباب ذكر الله بالتكبير و غيره ولو فرضنا أنّه يلزم فعل العبادات بجميع الخصوصيات التي كان يفعلها النبيّ (ص) بها، ولا يجوز فعلها بدونها بل تكون بدعة، لكانت الصلاة بالطربوش، أو الشال الهندي، أو البنطلون، أو العقال أو الكشيدة، أو المنديل بدعة، ولكانت الخطبة في الجمعة، والعيدين بدون قلنسوة بدعة، إذا فرض أنه (ص) كان يفعلها متقلنساً، وبقلنسوة بيضاء بدعة إذا فرض كان يفعلها بقلنسوة حمراء مثلا، وهكذا جميع التطورات، والصناعات، وركوب الطائرات، والسيارات، والقاطرات، و وسائل المآكل، والمشروبات، والراحة، والمنام، والإستحمام، وأكل الفواكه المتنوعة، ولبس الأقمشة المختلفة، وجميع وسائل الحياة بدعة لأنها لم تكن على عهد النبيّ (ص) وهذا لا يقول به من عنده أدنى معرفة بأدلة الشرع، ومن لديه ذرّة عقل ودين وتديّن.

وكأنهم منعوا الترحيم الذي يقال فيه يا أرحم الراحمين بجاه فلان إرحمنا... أو إغفرلنا... لأن ذلك عندهم من التوسّل الموجب للكفر. إلى غيره من الأعمال المفيدة ذات المنافع الدنيويّة والاخرويّة، كالأجتماع على قراءة سيرة المولد الشريف فيه تعظيم للنبيّ (ص)، واستبشار بخبر ولادته التي كانت سببا لسعادتنا الأبدية، فيشمله عموم مادّل على رجحان ذلك، وقراءة المولد مع قصائد، وصلاة عليه لا مانع منها إن لم تشتمل على الغناء المحرّم، لعموم الأدلة والتظاهر بحمل المسابح لا محذور فيه، لما فيها من الفوائد من عدّ الأذكار الموظفة بعدد خاص.

أما المحاريب الأربعة، والأئمة الأربعة للصلوات الخمس فأنّها لوكانت بدعة لكانت المذاهب الأربعة بدعة، ومع كونها سنة فلا بد أن تكون المحاريب سنة.

والواقع الذّي لا محيص عنه أن الوهابيّة اليهودية... ومن قبلهم شيوخهم في الغي والضلالة إبن تيمية، ومن لف لفهم من أذناب الأمويّة الممقوتة... لا يرغبون في أن تتوجّه الناس لحظة من لحظات حياتهم إلى خالقهم، وعبادته، وطاعته، و إنّما يكونوا كما كانت عليه الأ وائل في العصور الجاهلية، أو كالذّين كانوا يعيشون في الكهوف والمغاور لأن إقبال الناس و إند فاعهم إلى الله سبحانه، وعبادته، وتعظيم شعائره، صخرة تتحطم عليه مآرب الوهابية، ومكائدهم، ورئاستهم، وتنهار في ظلالها عروشهم الخاوية، كما هم أيضا على هذه

الحالة من الوحشية والبربرية فإنّك لا تجد على وجوه كافة أفرادهم بصيصاً من سماة الخير، والصلاح والفلاح، والعبادة، والهداية، (ألله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النارفهم فيها خالدون) (٩٢).

إنّ الأنبياء، والمرسلين، والأوصياء، والخلفاء، والصحابة، والتابعين، والسلف الصالح، منذ الخليقة إلى يوم الناس هذا كانوا ولم يزالوا يتوجهّون إلى خالقهم بالصلاة، والأذكار والأوراد، والختوم، والتسبيح، ويقضون شطراً كبيراً من حياتهم في عبادة الله سبحانه، و دونك تاريخ حياة أئمة الشيعة الإمامية عليهم السلام، وعلمائها، و رجالها، فإنّهم على كثرة ماهم عليه من المشاغل، والمسؤوليات العلمية والفكرية، كانوا في الوقت نفسه و على الدوام لا تنفك ألسنتهم عن الذكر والتلاوة، والتسبيح، والتقديس، والتهجد، والصلاة على النبيّ الأعظم (ص) و آله الطاهرين... و رفع الصوت في الأذان و الأقامة، والبسملة، والفاتحة، وأتذكر جيداً أن المغفور له حجة التاريخ و إمام الحديث الشيخ الأكبر العلامة الأميني (صاحب كتاب الغدير) كان يختم في كلّ يوم من شهر رمضان قرآنا بكامله، و يصلي في كل ليلة منه ألف ركعة. وكانت له ختومات وأوراد، وأذكار، وهكذا كافة فقهاء ورجالات وأفراد الشيعة، فهم جميعاً على نصيب كبير من العبادة والتوجّه إلى الله تعالى.

ومن المضحك أنّ الوهابية اليهوديّة... مع محاربتهم لله تعالى، و نسبة التجسيم، والجهة، والإستواء إليه... و مخالفتهم الصريحة للسنة النبويّة يجعلون حالهم في الدعوة إلى مذهبهم الكاسد، و إلى تجديد التوحيد، و رفع البدع حال رسول الله (ص) والأنبياء قبله في الدعوة إلى الإسلام، والتوحيد. فكما جاءت الأنبياء لتلزم الناس بالتوحيد و تمنعها من الشرك ، و ترفع من بينها البدع و كما دعا النبيّ (ص) مشركي قريش ومن ضارعهم من عبدة الأوثان إلى إخلاص التوحيد، و استحل دم، ومال، من أبى فكذلك الوهابيون، يدعون جميع المسلمين الذين هم جميعاً عندهم من عبدة الأوثان إلى إخلاص التوحيد، وترك الشرك والبدع، ومن أبى ولم يتوهّب حلّ ماله ودمه، كما حلّ مال ودم عبدة الأصنام، و مشركي قريش في زمن النبيّ (ص).

فقد صرّح إبن عبدالوهاب النجدي الحنبلي... في رسالته (كشف الشبهات) إسم المشرك والشرك والمشركين على عامة الناس، عدى الوهابيين فيما يزيد على أربعة و عشرين موضعاً. و أطلق عليهم إسم الكفر والكفار وعبادة الأصنام، والمرتدين، والمنافقين، و جاحدي التوحيد، و أعدائه و أعداء الله، و مدّعي الإسلام، و أهل الباطل، والذين في قلوبهم

زيغ، والجهّال، والجهلة، والشياطين، و إن جهال الكفار عبدة الأصنام، أعلم منهم، و إن ابليس إمامهم و مقدّمهم، إلى غير ذلك من الألفاظ الشنيعة فيما يزيد على خمسة وعشرين موضعاً.

وأطلق على المسلمين الصنعاني في كتابه الأسود (تطهير الإعتقاد) إسم الشرك فيما يزيد عن ثلاثين موضعاً. وأطلق عليهم إسم الإلحاد، والكفروالكفر الأصلي، وأنهم عبدواغيرالله، وزادوا على عبادة الأصنام، وأنهم مثل أصحاب مسيلمة والسبائية، واليهود، والخوارج، وأهل الجاهليه، فيما يزيد على خمسة و عشرين محلاً. وأطلق إسم الآله، والصنم، والوثن، و الندلله، على من يستغيثون ويتبركون به، في نحو من عشرة مواضع. وأطلق أصحاب الهدية السنية، على المسلمين إسم الشرك ، والإشراك ، والشرك بالله، والشرك الأكبر، وأعظم الشرك ، والشرك الوخيم، ومتخذّي الشرك ، والشرك الموجب لحلية المال، والدم، والمشركين، والمشركات، و أقبح المشركين، وأنهم مشركون شأوا أو أبوا، و إن شركهم أقبح و أشنع ممن قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، وأعظم واكبر من شرك الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم، أرباباً. وأن الوهابيين لما جاؤا إلى مكة عبدوا الله وحده، فيما يزيد على ستين موضعاً. و إسم الكفر والكفار، و أنهم كاليهود والنصارى، و السبائية، و عباد الملائكة، والشمس، والقمر، والقائلين إجعل لنا ذات أنواط بل شرّ منهم. و عباد اللات، والعزى، و عباد الأصنام، والأوثان، و أن ماهم عليه هو دين الجاهلية فيما يزيد على عشرين محلاً. و وصفوهم بعبادة غير الله، فيما يزيد عن عشرة مواضع. و سموا من يتوسّل ويتبرّك بهم المسلمون، وبقبورهم بالأصنام، والأوثان، والأنداد لله تعالى، فيا يزيد على إثنى عشر موضعاً.

و أطلق حفيده محمدبن عبد اللطيف، على المسلمين إسم الكفر في ثلاثة مواضع. والشرك في أربعة. و مدّعى الإسلام. و أنهم يحبون مع الله محبة تأله. و أنهم شرّ من جاهلية العرب. و أنّ شركهم أشد و أشنع و أكبر من شركها. و أنه لم يبلغ شرك الجاهلية الأولى شركهم. و نسبهم إلى الفساد. و أنهم من أجهل الخلق و أضلهم. و خارجون عن الإسلام. و عابدون لغير الله. و خارجون عن الملة إلى غير ذلك من الألفاظ الشنيعة، والكلمات القارصة، و الأباطيل والتهم المختلفة المنبعثة عن حقد و بغض دفين للمشرّع الأقدس (ص) و للمسلمين... كفى الله سبحانه الإسلام والمسلمين إلى يوم القيامة شرّهم، و بغيهم، و ضلالهم، و عيثهم، و فسادهم.

يا عصبة رأت الضلالة سنة	**عمياء تاهوا في البحار المتلفه**
والسنة الغراء أضحت عندهم	**مردودة مهجورة مستنكفه**

عميت بصائرهم كما أبصارهم ذهبت لتعمى في شواطى السفسفه
نفوا الصفات عن الاله و أثبتوا جسماً كإنسان له كل الصفه
هم فرقة زعموا الإله كخلقه هذا لعمري بدعة مستأنفه
قد حاولوا نكراً لجهل فيهموا عن غير علم منهموا والمعرفه
أنى لهم علم بهذا إنّهم حمر لدى أهل الحقائق موكفه
برهانه لا شك لولا أنهم حمر لكان لهم عقول منصفه
شهواتهم غلبت عقولهم لذا أبداً ترى أقوالهم مستضعفه
فتجمعت آراؤهم في غيهم و تفرقت عن رشدهم متحرّفه
هم فرقة تركوا الهداية وامتطوا طرق الضلالة والهوى متعسفه
ركبوا بحار عماية و غواية غرقت مراكبهم بريح معصفه
هم زمرة هامت بهم أهواؤهم كالهيم في الأرض الفلاة مخلفه
عزة أذلهم الإله بعزة تبت ذو واحبورة متغطرفه
لعصابة لعبت بهم أهواؤهم عمى تناهت في العمى متلهفه
قالوا برؤية ربّهم ثم الجهة و أتوا بأقوال ترد مزيفه
هم عصبة قد حكموا آرأهم في الدين تلقاها غدت متصرّفه
هم صحفوا القرآن في آياته فلذا مصاحفهم تكون مصحفه
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم جعلوا أحاديث النبيّ مضعفه
ملئوا صحائفهم بكل قبيحة من بدعة شنعاء غير مؤلفه
أقوالهم ألفاظ زور مالها معنى و صوت كالطبول مجوّفه
ما عندهم إلاّ البلادة والفهاءة والسفاهة والخنا والعجرفه
يا عصبة خضعت لشيطان لهم جعل الأنام عن الهدى متحرّفه
فلذا افتضحتم في الأنام فأصبحت عوراتكم بين الورى متكشفه
أنتم عبيد بطونكم و فروجكم و نفوسكم في كل شرّ مسرفه
ما تعرفون سوى القدور و همكم أن تغرفوا منها الطعام بمغرفه
فمتى نهضتم للهداية يا بني اللحم السمين ويا اسارى الأرغفه
أرواحكم مسحورة و عقولكم مسلوبة أبصاركم متخطفه
و ركبتموا متن الغواية ثم قد قفيتموها بالضلالة مردفه
زلّت بكم أقدامكم بمزلة تهوى إلى درك الشقا متزحلفه
سدئت مراياكم فأنى تجتلى فيها عرائس بالجمال مشرّفه
و متى تكون لكم هداية ربّكم و قلوبكم عن طرقها محرورفه

و مهما نقول و نكتب في هذا المجال، فإننا بعد لن نوفي البحث حقه ، ولم نقف عند حد،

ولم نتوصّل إلى نقطة نهاية، لأن البحث والحديث عن مآسي، و مخاريق الوهابية، و حوادثهم، و قضاياهم، و سيرتهم الدامية، و تاريخهم الأسود طويل و طويل، يفتقر إلى مجلدات و إن هي والحمدلله تعالى و منه... قبرت و اندثرت ولم تجد لهم أثراً في البلاد الإسلامية، وانحصر وجودهم في الحجاز، ولكن شرّهم و وبالهم و فسادهم يصل بين آونة و اخرى إلى بعض الأنحاء النائية عن نظم التشريع الإسلامي، وذلك بجهود و مساعي اسرة بدويّة عرفت منذ القدم بالعيث والعبث والميوعة والإنحلال والبطش والجشع، و اشتهرت بولأها و إخلاصها وعمالتها لليهوديّة... و مساندتها لها، و أقامتها أحلاف و معاهدات عسكرية تخدم مصالحها، و سياستها التوّسعية... و دعم الرجعيين و تجار الحروب، و أذناب الإستعمار مادياً و عسكرياً في كل أنحاء المنطقة، و آسيا، و إفريقيا، والغاء الحريات، و مقارعة الثورات و الإنتفاضات الشعبية في الخليج، كل ذلك باسم الدين، والإسلام، والمسلمين، و تحطيم معنويّات الشعوب و إباحة مقدّساتهم، و حرماتهم، و أراضيهم، و أعراضهم، و كرامتهم، و التآمر ضد كل تقدّم، و وثبة اسلامية، و يقظة عربية أينما كانت، و مقاتلة الأحرار و اغتيالهم و إبادتهم... و منع الحجاج والمسلمين، من زيارة و حج بيت الله الحرام، مالم يدفعوا أموالا طائلة، و ثروات جسيمة كضريبة لآل سعود... و استغلال مواسم الحج في عقد مؤتمرات، و مجالس معادية للإسلام والمسلمين.

عقد المؤتمرات المتآمرة على الحريات، والتحرر، والاستقلال، والأنظمة الإسلامية التقدّميه. و منع المسيحيين من زيارة و مشاهدة مكة والمدينة بحجة أنّهم (مشركون) لا يحق لهم دخول الحرمين ما عدا الامريكان، خدم الصهاينة و شركاء آل سعود... الذين لا ينطبق عليهم هذا الشرك والكفر.

إنّ الوهابية العميلة... لا تهدف من برامجها الشيطانية غير إعادة المسلمين إلى عصور الإنحطاط الذّي مازال الشعب الحجازي يعيش في مخلفاتها، و ما من إنتفاضة أو ثورة قامت في الأرض المقدّسة إلاّ و حطمها و أبادها و دمرّها آل سعود بأموال الشعب المسروقة، و ثرواته المنهوبة... و ما برح أعداء الإسلام والمسلمين، والعروبة والعرب، يعملون يداً واحدة و في صف واحد إلى جنب عملاء الاستعمار، والدول الباغية لدفن الشعوب المتيقظة، والمتوثبة، والمتحررة في احداث الفقر والمرض والجهل والإستعباد والإستثمار والتأخر والتخلف، والموت البطئ كل ذلك للمحافظة والحراسة على مفاسد و منافع و مصالح أعداء المسلمين المشتركة في أراضينا.

أجل دعهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الّذي يوعدون... إنّ التاريخ

سيكشف للأجيال و العالم بأسره، كيف أن آل سعود، ومن لف لفهم من العملاء لا يتورعون عن إرتكاب أي رذيلة، و عن إقتراف أية فعلة نكراء، و كيف إنهم منعوا المسلمين من زيارة الحرمين الشريفين..؟ و دنسوا الأرض المقدّسة بأقدام أعداء الإسلام والمسلمين من الامريكان، و الإنكلين، و اسرائيل... و كيف بذلوا و بددوا أموال الشعب بين أصحاب الجاه والنفوذ و لكل من يكتب عن تاريخهم الأسود، و يزيف التاريخ بقدر الإمكان ليجعلهم من ذرية النبيّ العربي القرشي، و يجعلهم من نسل عدنان حيناً، و من نسل قحطان حينا آخر... و هكذا كتب الكتّاب عنهم، و تنافسوا في تزوير تأريخهم، و نسب بعض الكتبة المأجورين، تاريخ جد هذه العائلة المنفورة ـ مرد خاي إبراهيم موسى اليهودي ـ إلى ربيعة، و قبيلة عنزة، و عشيرة المساليخ.

ولم تقف الأقلام المأجورة عند هذا الحد من التطاول والتزوير، و إنما تعدّى الحدود، والموازين بحيث أنّ مدير مكتبات المملكة السعودية... محمد أمين التميمي... وضع و صنع شجرة لآل سعود، و آل عبدالوهاب آل الشيخ، معاً في شجرة واحدة زاعماً أنهم من أصل النبيّ (محمد) بعد أن تسلم هذا المدير اللئيم مبلغ ٣٥ ألف جنيه مصري عام ١٣٦٢ هـ ١٩٤٣ م، من السفير السعودي في القاهرة (عبدالله إبراهيم الفضل) والمعروف أن هذا الرجل الزائف الحقير محمد أمين التميمي، هو الذّي وضع أيضا شجرة الملك فاروق ـ البولوني ـ الّذي طردته ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م، من مصر زاعماً هو الآخر بأنه من ذرية رسول الله (ص) و أن أصله عربي نبويّ جاء من ناحية أمه... وقد قلت في الصفحات السالفة أن الغاية تبرر الواسطة خاصة إذا كان القصد والهدف من ذلك، تبرير إستعباد شعوب بكاملها، لاسرة دخيلة فاسدة.

هذا ولم ينفرد حكام السعوديّة في مثل هذا الإختلاق والتبرير، و إنّما تجد عليه أكثر عملاء الإستعمار في المنطقة يحذون حذوهم، و يسيرون على نهجهم، و يرتكبون أبشع الجرائم الوحشية في سبيل المحافظة على منافع أسيادهم و مصالحهم الجشعة التوسّعية، لأن الّذي يهم العملاء على الإطلاق كما قلنا إكتساب مرضاة أسيادهم مهما كلف الأمر، و إن إقتضى إبادة شعب بكامله، و قصف الأحياء السكنية، والمصانع، والمحلات، والمستشفيات، والجوامع، والمآثر التاريخية والدينية، و ذبح الأطفال والنساء والشيوخ بكرة أبيهم بالصواريخ، كما حدث أخيراً على يد جزار العراق الجريح... فقد قصف أذنابه الأوغاد مدينة (حلبچه) المؤمنة المسلمة، وضواحيها بالقنابل الكيمياوية السامة المحرقة، و ذهبت ضحية هذه الجريمة الوحشية، ما ينيف على عشرين ألف مواطن كردي مسلم، بين رجال و نساء و صغير و كبير، من غير

ذمة و شرف في الوقت الذي كانوا منصرفين إلى قضاء أعمالهم اليومية.

إنّني عليم و واقف على حال جزار العراق الجريح... و عارف صفاته، و عنصره، و طينته، و طبيعته، ففيه من القسوة والغلظة، والشدة، والتلهف على إراقة الدماء، والتدمير، والفساد، والعبث، والذبح، والقتل، مالم يعهد التاريخ له مثيلا سوى آبائه و أسلافة الأمويين السفاكين السفاحين، عليهم لعنة الله و ملائكته والناس الجمعين.

شبه الوهابيين بالخوارج

يعتقد علماء المذاهب والأديان، أن بين الوهابيين والخوارج، تشابه قويّ في الحركات والأقوال والأفعال بشكل واضح، وذلك من عدة وجوه:

١ــ كما أن الخوارج شعارهم (لا حكم إلاّ لله) و هي كلمة حق يراد بها باطل. كذلك الوهابيون شعارهم لا دعاء إلّا لله. لا شفاعة إلّا لله. لا توسّل إلّا بالله. لا إستغاثة إلّا بالله. و نحو ذلك من كلمات حق يراد بها باطل. كلمات حق لأن المدعو والمتوسّل به حقيقة لدفع الضر، و جلب النفع والمغيث الحقيقي، و مالك أمر الشفاعة هو الله. يراد بها باطل وهو منع تعظيم من عظمه الله تعالى بدعائه، والتوسّل به ليشفع عندالله سبحانه، و يدعوه لنا و عدم جواز التشفع و الإستغاثة والتوسّل، بمن جعله الله شافعاً مغيثاً، و جعل له الوسيلة. و هذا تمويه و تضليل يراد به باطل، إذ لا يوجد أحد يعتقد أن محمداً(ص) أو غيره بيده الأمر أصالة، و إنّما هو التوسّل و طلب الشفاعة ممن له الوسيلة والشفاعة و إعتراضهم هذا يرجع إلى الإعتراض على الله الذي جعل الشفاعة للنبيّ (ص).

و هذا مثل قولهم لمن يقبل ضريح النبيّ (ص) أو المنبر الموضوع في مسجده، و في مكان منبره إنما تقبّل حديداً أو خشباً جئ به من بلاد الإفرنج، ولم يعلموا أنّه كما يحترم جلد الشاة بعمله جلداً للمحصف والورق والمداد، بكتابة القرآن عليه، و به كذلك يحترم الحديد والخشب الذي وضع على قبر الرسول (ص).

٢ــ إنّ الخوارج متصلبون في الدين، مواظبون على الصلوات، و تلاوة القرآن، والعبادة حتى اسودّت جباههم من طول السجود. كذلك الوهابيون متصلبون في الدين، يؤدون الصلاة لأوقاتها، و يواظبون على العبادة، و يطلبون الحق وإن أخطأوه، ويتورعون عن المحرمات حتى بلغ من تورّعهم المصطنع أنهم توّقفوا في إستعمال (التلغراف).

٣ــ إنّ الخوارج كفروا من عداهم من المسلمين، وقالوا إنّ مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار، واستحلوا دمائهم، وأموالهم، وسبي ذراريهم، وقالوا إنّ دارالإسلام تصير بظهور

الكبائر فيها دار كفر، حتى أنّهم قتلوا عبدالله بن خباب، أحد أصحاب رسول الله (ص) صائماً في شهر رمضان، والقرآن في عنقه، وقتلوا زوجته وهي حبلى، وبقروا بطنها لأنه لم يتبرأ من علي بن أبي طالب، وقالوا له هذا الّذي في عنقك يأمرنا بقتلك فذبحوه على شاطئ النهر. وكانوا إذا أسروا نساء المسلمين، يبيعونهم فيما بينهم، حتى أنهم تزايدوا في بعض الوقائع على إمرأة جميلة وغالوا في ثمنها، فقام بعضهم فقتلها، وقال، إنّ هذه الكافرة كادت تقع فتنة بسببها بين المسلمين. وقالوا للحسن بن علي يوم ساباط المدائن: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك.

كذلك الوهابيون، حكموا بشرك من خالف معتقدهم من المسلمين، واستحلوا ماله ودمه، وبعضهم إستحل سبي الذريّة، ولم يخاطبوه إلّا بقولهم يا مشرك. وجعلوا دار الإسلام دار حرب، ودارهم دار إيمان تجب الهجرة إليها، وحكموا بقتال تارك الفرض وإن لم يكن مستحلا.

٤ـ كما أنّ الخوارج إستندوا في شبهتهم هذه إلى ظواهر بعض الآيات، والأدلة التي زعموها دالة على أن كل كبيرة كفر. كذلك الوهابيون إستندوا في هذه الشبهة إلى ظواهر بعض الآيات، والأدلة التي توهموها دالة على أنّ الإستغاثة، والإستعانة بغير الله شرك، وعلى غير ذلك من معتقداتهم، كما يظهر من إستشهاداتهم بالآيات التي لا دلالة فيها على معتقداتهم.

٥ـ إنّ الخوارج إستحلوا قتال ملوك الإسلام، والخروج عليهم لأنهم باعتقادهم أئمة ضلال. كذلك الوهابيون استحلوا قتال ملوك الإسلام وامرائه، لأنهم باعتقادهم أئمة ضلال ناصرون للشرك، والبدع، والكفر.

٦ـ كما أنّ الخوارج لا يبالون بالموت، ويقدمون على الحرب لأنهم يذهبون بزعمهم إلى الجنة حتى أنّ بعضهم طعن برمح فمشى والرمح فيه إلى طاعنه فقتله، وهو يتلوا: (وعجلت إليك ربّي لترضى) كذلك الوهابيون يظهرون بسالة وشجاعة و إقداماً ولا يبالون بالموت، لأنهم وافدون على الجنة، ويقولون في حروبهم مع المسلمين:

هبت هبوب الجنة ... وين أنت يا باغيها

٧ـ الخوارج على جانب من الجمود، والغباوة، فبيناهم يتورّعون عن أكل تمرة ملقاة في الطريق. ويرون قتل الخنزير الشارد في البر فساداً في الأرض، تراهم يرون قتل الصحابي الصائم، وفي عنقه القرآن طاعة لله تعالى، ويكفرّون جميع المسلمين، ويرون كل كبيرة كفراً. كذلك الوهابيون على جانب كبير من الجمود، فبيناهم يحرّمون الترحيم، والتذكير لأنه بزعمهم بدعة، ويتوقّفون في إستعمال التلغراف لعدم وقوفهم على نص فيه،

ويحرمون التدخين، ويعاقبون عليه تراهم يكفرّون المسلمين، ويشركونهم، ويستحلون أموالهم، ودمائهم، ويقاتلونهم بالبنادق، والرشاشات، والقنابل المسيلة للدموع لطلبهم الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة، وتوسّلهم بمن له عندالله الوسيلة.

٨ــ كما أن الخوارج قال فيهم رسول الله (ص): يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. و في رواية اخرى يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه، كما يخرج السهم من الرمية. كذلك الوهابيون أشار إليهم رسول الله (ص) بما رواه الإمام أحمدبن حنبل في مسنده، بإسناده عن إبن عمر أنّ النبيّ (ص) قال: أللهم بارك لنا في شامنا، أللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: وفي نجدنا، قال: أللهم بارك لنا شامنا أللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: وفي نجدنا، قال: هنالك الزلازل، والفتن منها. أو قال: بها يطلع قرن الشيطان.

وأخرج البخاري في كتاب الفتن، عن إبن عمر، ذكر النبيّ (ص) أللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله و في نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل، والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان.

وأخرج أحمد في مسند عبدالله بن عمر، و مسلم في صحيحه قول النبيّ (ص) وهو مستقبل المشرق، يقول: رأس الكفر من هاهنا، من حيث يطلع قرن الشمس.

وأخرج البخاري في كتاب الفتن في باب قوله (ص): الفتنة من قبل المشرق عن إبن عمر إنه (ص) قام إلى جنب المنبر فقال: الفتنة هاهنا، الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان، أو قال: قرن الشمس.

وأخرج البخاري عن إبن عمر، انه سمع رسول الله (ص) وهو مستقبل المشرق يقول: الا إنّ الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان.

وأخرج مالك في الموطاه عن ابن عمر، رأيت رسول الله (ص) يشير إلى المشرق، ويقول: هاهنا الفتنة إنّ الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان. وفي القاموس: قرن الشيطان، و قرناه امته والمتبعون لرأيه، أو قوّته وانتشاره وتسلطه (٩٣).

وقال القسطلاني: قيل أن الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها، لتقع سجدة عبدتها له. وأخرج مسلم في صحيحه قوله (ص)، رأس الكفر نحو المشرق. وفي رواية: الإيمان يمان، والكفر قبل المشرق. وفي رواية: غلظ القلوب والجفاء في المشرق، والإيمان في أهل الحجاز. والخبر الأولان القائلان بأنّ طلوع قرن الشيطان بنجد، يفسران باقى الأخبار، ويدلان على أن المراد بالمشرق فيها هو نجد. وكذا قوله: من حيث يطلع قرن الشيطان أو قرن الشمس، المراد به نجد، وذلك لأن نجداً في شرقي المدينة. ومنه يعلم أن المراد بالمشرق المقابل به الحجاز

في الرواية الأخيرة هو نجد.

قال مؤلف كتاب (قاموس الأمكنة والبقاع)، بلاد نجد هي الواقعة شرقي بلاد الحجاز، وهي قسمان نجد الحجاز ونجد العارض، وقد خرج منها القرامطة، ومسيلمة الكذّاب، والوهابيون، وعاصمتها مدينة الرياض، سكانها ثلاثون ألفاً. فالزلازل والفتن و طلوع قرن الشيطان التي أشار(ص) إلى وقوعها في نجد، هي خروج مسيلمة الكذاب، والقرامطة، والوهابيّة.

وقال الشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدي أخو محمدبن عبدالوهاب في كتابه الّذي يردّ فيه على أخيه ــ ومما يدلّ على بطلان مذهبكم (يعني أخاه وأتباعه) مافي الصحيحين (رأس الكفر نحوالمشرق) وفي رواية الإيمان يماني والفتنة من هاهنا حيث يطلع قرن الشيطان. وفي الصحيحين، أنه(ص) قال، وهو مستقبل المشرق ألا إنّ الفتنة هاهنا. وللامام أحمد: أللهم بارك لنا في مدينتنا وفي صاعنا وفي مدنا ويمننا وشامنا، ثم إستقبل مطلع الشمس فقال: هاهنا يطلع قرن الشيطان. وقال: هاهنا الزلازل والفتن.

ثم قال الشيخ سليمان: أشهد أن رسول الله(ص) لصادق لقد أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة ثم حكى عن إبن تيمية إنه قال: المشرق عن مدينته(ص) شرقاً، ومنها خرج مسيلمة الكذّاب الّذي إدعى النبوّة، وهو أول حادث حدث بعده(ص) و أتبعه خلائق. ثم قال سليمان، وجه الدلالة من هذا الحديث من وجوه نذكر بعضها:

منها: قوله(ص) الاسلام يماني، والفتنة تخرج من المشرق ذكرها مراراً للتعقل.

ومنها: إنه دعا للحجاز وأهله مراراً و أبى أن يدعو لأهل المشرق لما فيهم من الفتن خصوصاً أهل نجد.

ومنها: أنّ أول فتنة وقعت بعده(ص) بأرضنا هذه (يعني نجد) فنقول الامور التي تجعلون المسلم بها كافراً ملأت مكة، والمدينة، واليمن، من سنين متطاولة بل بلغنا أنه ما فى الأرض أكثر منها في اليمن، والحرمين، وبلدنا هذه أول بلد ظهرت فيها الفتن، ولا نعلم أن في بلاد المسلمين أكثر من فتنها قديماً وحديثاً. وأنتم الآن مذهبكم أن يتبع العامة مذهبكم، وأن من اتبعه ولم يقدر على إظهاره في بلد وعلى تكفير أهل بلده، وجبت عليه الهجرة إليكم وأنكم الطائفة المنصورة وهذا خلاف هذا الحديث.

فإنّ رسول الله(ص) أخبره الله بما هو كائن على امته إلى يوم القيامة وهو(ص) أخبر بما سيجرى عليهم، ومنهم فلو علم أن بلاد المشرق خصوصاً نجداً (بلاد مسيلمة الكذاب) تصير دارالإيمان، وأن الطائفة المنصورة تكون بها وأنها بلاد يظهر فيها الإيمان، ويخفى في غيرها، وأن

الحرمين الشريفين، واليمن تكونان بلاد الكفر تعبد فيها الأوثان، وتجب الهجرة منها لأخبر بذلك، ولدعا لأهل المشرق خصوصاً أهل نجد، ولدعا على أهل الحرمين واليمن وأخبر أنهم يعبدون الأصنام، وتبرأ منهم مع أنه لم يكن إلّا ضد ذلك فإنه(ص) عمّ المشرق وخص نجداً، وان فيها يطلع قرن الشيطان. وأن منها وفيها الفتن، وامتنع من الدعاء لها وهذا خلاف زعمكم. وان اليوم عندكم الذين دعالهم رسول الله(ص) كفار والذين أبى أن يدعولهم. وأخبر أن منها يطلع قرن الشيطان. وأن منها الفتن هي بلاد الإيمان يجب الهجرة إليها، وهذا بين واضح من الأحاديث إن شاء الله ــ إنتهى.

ومن الأخبار المرجح ورودها في الوهابية قوله(ص) في ذي الخويصرة التميمي: ان من ضئضئي هذا قوماً يقرأون القرآن، لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أدركتهم لقتلتهم قتل عاد. والضئضئ: الأصل والمعدن فيكون المراد من ضئضئه أي من أصله وعشيرته، لا من نسله وعقبه لأن عشيرة الرجل هي أصله ومعدنه، وذوالخويصرة وابن عبدالوهاب من أصل واحد، وعشيرة واحدة، فكلاهما تميمي.

كما أن جملة كبيرة من رؤساء الخوارج، كانوا من بني تميم، كشيث بن ربعي. و مسعربن فدكي. وغيرهما فبعد إنطباق اكثر صفات الخوارج على الوهابية يترّجح كون هذه الأخبار شاملة لهم أيضاً.

٩ــ كما أن الخوارج عمدوا إلى الآيات الواردة في الكفار والمشركين، فجعلوها في حق المسلمين والمؤمنين، كذلك الوهابيون جعلوا الآيات النازلة في المشركين منطبقة على المسلمين من غير جائز ولا فارق.

١٠ــ إنّ الخوارج سيماهم التحليق أو التسبيد كذلك الوهابيون سيماهم التحليق. فقد جاء عن النبيّ (ص) أن اناساً من امتي سيماهم التحليق، يقرّون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. و رواية اخرى، يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه. قيل ماسيماهم؟ قال: سيماهم التحليق.

وفي خلاصة الكلام: في قوله(ص): سيماهم التحليق، تنصيص على هؤلاء الخارجين من المشرق التابعين لمحمدبن عبدالوهاب لأنهم كانوا يأمرون من اتبعهم، ان يحلق رأسه لا يتركونه يفارق مجلسهم إذا أتبعهم حتى يحلقوا رأسه، قال ولم يقع من أحد قط من الفرق التي مضت أن يلتزموا مثل ذلك. فالحديث صريح فيهم. قال: وكان السيد عبدالرحمن

الأهدل مفتى زبيد، يقول: لا يحتاج إلى التأليف في الرّد على إبن عبدالوهاب بل يكف في الرّد عليه قوله(ص) سيماهم التحليق، فإنّه لم يفعله أحد من المبتدعة.

وقال: وكان ابن عبدالوهاب يأمر أيضا بحلق رؤوس النساء اللاتي يتبعنه، فدخلت في دينه امرأة وجددت إسلامها بزعمه فأمر بحلق رأسها، فقالت: شعر رأس المرأة بمنزلة اللحية للرجل، فلو امرت بحلق لحى الرجال لساع أن تأمر بحلق رؤوس النساء فلم يحر جوابا.

١١ـ كما أن الخوارج يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان كما أخبر النبيّ(ص) عنهم بما رواه في السيرة الحلبية ١٤٠/٢ط ١٣٢٠ هـ، من قوله(ص) في الخوارج: ـ يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم أو تراقيهم، لا تفقهه قلوبهم ليس لهم حفظ منه إلّا تلاوة الفم، وأنهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان.

كذلك الوهابيون يقتلون أهل الإسلام والقرآن، ويدعون أهل الأوثان، ولم ينقل عنهم خلال مدة عقيدتهم أنهم حاربوا أحداً سوى المسلمين أو قتلوا احداً من أهل الأوثان. وفي قتلهم للحجاج الإيرانيين المسلمين عام ١٤٠٧ هـ، بلا ذنب واعتداؤهم عليهم بالضرب وفتح الرصاص عليهم، ومطاردتهم، وتشريدهم، وتخويفهم، دليل ناطق على ما ذهبنا إليه فقد وجهوا بأسهم وحربهم كله إلى المسلمين خاصة، مع العلم أن أهل الأوثان إستعمرت بلادهم وممالكهم وامتلأت اراضيهم كفراً والحاداً، واصبح الإسلام والمسلمين غريباً في وطنه(٩٤).

هذه هى الوهابية... الحاكمة في الأرض المقدسة، والمتربعة على دست الخلافة الإسلامية بمشهد من الشعب الحجازي المغوار، وبمسمع من المسلمين من دون ان يستنكروا الحالة هذه، ويوّحدوا صفوفهم ويتضامنوا في حلّ المشكلة الخطيرة الآخذة بخناق القبلة الشريفة الثانية ـ كعبة ـ وتحريرها، وتطهيرها، و إنقاذها، وانتزاعها، من مخالب اليهودية، وبراثن حليفتها الوهابية. لئلا تغدو كاختها فلسطين عاراً آبديا وذلا دائماً للامة الإسلامية، وسيظلّ هذا العار وذلك الذّل يسر بلان الشعوب الإسلامية إلى أن يأتي اليوم الّذي تغسل فيه الامة عارها بالسيف، بعد ان تذكو في النفوس روح الثّار والإقدام والتضحية.

وما النصر إلّا من عندالله إنّ الله عزيز حكيم.

أهامش

(١) سورة المؤمنون/٩٩ — ١٠٠.

(٢) سورة آل عمران/١٦١.

(٣) سورة الزلزال/٨ — ٩.

(٤) سورة الحج/٢٧ — ٢٨.

(٥) سورة الحج/٣٢ — ٣٣.

(٦) دائرة المعارف القرن العشرين ٣/٣٥٠.

(٧) سورة الحجرات/١٤.

(٨) نهج البلاغة محمد عبده ٣/٤٠.

(٩) شرح ابن ميثم البحراني ٥/١٥.

(١٠) شرح إبن أبي الحديد ١٦/٦٧.

(١١) سورة هود/٢٨.

(١٢) الإصابة ٢/٤٥١. الإستيعاب ٣/١٥٣. جمهرة أنساب العرب/١١٣. الكامل في التأريخ ١٣/٢٢٩.

(١٣) اسد الغابة ٣/٣٥٨.

(١٤) الأصابة ٣/٤٢٦. المنتقى في أخبار أم القرى/١٥٨. الاصابة ٣/١٥٣.

(١٥) أعيان الشيعة ١٨/١٠٥. تاريخ الطبري ١٣/٢٤. جمهرة أنساب العرب / ٢٠ و ٧٠. تنقيح المقال ٢/١٧٦.

(١٦) الإستيعاب ١/٢٩٤. الإصابة ١/٢٧٨. أعيان الشيعة ٤/٣٠٥. تاريخ بغداد ١/١٥٩. الجرح والتعديل ٣/٧٤. جمهرة أنساب العرب/٣٦٠.

(١٧) الدرجات الرفيعة/١٥١. أصحاب ورواة أمير المؤمنين (ع) خ. الإستيعاب ٣/٢٧٥. اسدالغابة ٤/١٥٧.

(١٨) معجم الأدباء ٦/٩٧.

(١٩) عمدة الطالب/١٤١. المجالس السنية ٥/١٠١. شذرات الذهب ٥/٧٦. الكامل في التأريخ ١٢/٧٩. النجوم الزاهرة ٦/٢٠٢. البداية والنهاية ١٣/٤١. المنتقى من أخبار أم القرى/٢١٤.

(٢٠) فاطمة الزهراء/١٢١، والقصيدة ٧٢ بيت.

(٢١) عمدة الطالب/١٤٦.

(٢٢) سورة النور/٣٧.

(٢٣) مخطوطات مكتبة البغدادي/٦٠—٦٢.

(٢٤) سورة التوبة/١١١—١١٢.

(٢٥) سورة الجاثية/٢٤و٢٦.

(٢٦) سورة الروم/٣٠.

(٢٧) دائرة المعارف فريد وجدى ١١١/٤.

(٢٨) معجزة فوق الرمال/١٦.

(٢٩) سورة النور/٤٠.

(٣٠) سورة الأحزاب/٥٧ ــ ٥٨.

(٣١) سورة المائدة/١٣.

(٣٢) سورة المطففين/١٥.

(٣٣) تفسيرالميزان ٣٣٩/١٦.

(٣٤) إيضاح المكنون ٧٢/٢ و ١٩٠. معجم المؤلفين ٢٦٩/٤.

(٣٥) سيرة إبن هشام ٧٤/٣. شذرات الذهب ٢٣/١. تأريخ الخميس ١٥٧/٢. الأعلام ١٢٥/٨.

(٣٦) جمهرة أنساب العرب/٢٢٦. أعلام النساء٢/١٧٧. الأعلام ١٢٢/٣. الدرالمنثور/٢٤٠.

(٣٧) الكامل في التأريخ ٣٣٦/٢. جمهرة أنساب العرب/٣٨١. تأريخ الخميس ١٥٥/٢. الأعلام ٢٩٩/٥.

(٣٨) الكامل في التأريخ ٣٤٣/٢. شذرات الذهب ٣٢/١. الأخبار الطوال /١١٩. الإصابة ٢٣٤/٢. معجم البلدان ١٤٠٨/١.

(٣٩) كشف الإرتياب/٤ ــ ٥.

(٤٠) خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام/٨٣ــ٨٦.

(٤١) زيدبن الخطاب بن نفيل العدوي. أمه أسماء بنت وهب من بني أسد، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله وشهد المشاهد واستشهد باليمامة سنة اثنتي عشرة، وكانت راية المسلمين معه. الإصابة ٥٦٥/١. الإستيعاب ٥٤١/١. جمهرة أنساب العرب /١٥١ و ٣١١.

(٤٢) كشف الإرتياب/٥ ــ ٦.

(٤٣) سورة الحج/٢٤ ــ ٢٥.

(٤٤) تاريخ آل سعود/٢٠ ــ ٢٢.

(٤٥) كشف الإرتياب/١٠ــ١٣ نقلا عن كتاب خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام.

(٤٦) كشف الإرتياب/١٣ــ١٤.

(٤٧) معجزة فوق الرمال/١٧.

(٤٨) سورة الكهف/٥.

(٤٩) شهداء الفضيلة/٢٨٧ ــ ٣٠٣.

(٥٠) معجم رجال الفكر في النجف/٧.

(٥١) أعيان الشيعة ٣١٠/١٥.

(٥٢) معارف الرجال ٢٩٩/٣.

(٥٣) معجزة فوق الرمال/٢٠ــ٢١.

(٥٤) سورة الجاثية/٢٣.

(٥٥) تاريخ آل سعود/٢٩ــ٣٣.

(٥٦) سورة آل عمران/٧٥.

(٥٧) تفسير الفخر الرازي الكبير ١٠٠/٧ ــ ١٠٢.

(٥٨) سورة المائدة/٨٢.

(٥٩) سورة البقرة/١٩٦.

(٦٠) سورة المائدة/٨٢. التفسير الكبير للفخر الرازي ٦٦/١٢.

(٦١) الغدير ٨٧/٥.

(٦٢) أبو محمد علي بن أحمدبن سعيدبن حزم الاندلسي مات ٤٥٦ هـ، كان جدّه من موالي يزيدبن أبي سفيان صخربن حرب الأموي. وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم أحد من لسانه، حتى قيل في حقه كان لسان إبن حزم: و سيف الحجاج بن يوسف الثقفي شقيقين، فنفرت منه القلوب، واستهدف لفقهاء وقته فتمالأوا على بغضه و ردّوا قوله، وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه، وحذروّا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه قصته الملوك وشرّدته عن بلاده، حتى إنتهى إلى بادية لبلبة الاندلسية فمات بها. وقد أفرد أخى الاستاذ محمد الأميني دراسة خاصة عن إبن حزم أوضح فيها عقيدته الفاسخة وموقف علماء الإسلام منه، وقد نشرت في مجلة (كيهان) في عددها ١٢٦٣٢ــ سنة ١٤٠٦ شمـ.

(٦٣) تكملة السيف الصفيل/١٩٠. الغدير ٨٧/٥ ــ ٨٩.

(٦٤) الدررالكامنة ١٤٧/١.

(٦٥) سورة الرعد/١٧.

(٦٦) رحلة إبن بطوطة/٩٥ ــ ٩٦.

(٦٧) كشف الإرتياب/٤٦٩.

(٦٨) أبوعبدالله محمدبن عبداللهبن تومرت المصمودي البربري المتلقب بالمهدي ٤٨٥ــ٥٢٤ هـ واضع أسس الدولة المؤمنية الكومية. سافر إلى مكة فاخرج منها فخرج منها إلى مصر فطردته حكومتها، فذهب إلى المغرب ونزل بالمهدية، فكسر ماراه من آلات اللهو وأوني الخمر فأخرج منها، وانتقل إلى احدى قراها، وطرد منها ونزل بموضع حصين من جبال (تينملل) زاد في أذان الصبح (أصبح ولله الحمد). الأعلام ١٠٤/٧.

(٦٩) الدرر الكامنة ١٤٧/١.

(٧٠) كشف الإرتياب/٤٦٧.

(٧١) المصدر السابق/١٣١.

(٧٢) مرآة الجنان ٢٤٠/٤.

(٧٣) البداية والنهاية ٣٦/١٤. المختصر في أخبار البشر ٥٢/٤.

(٧٤) كشف الإرتياب/١٣٣.

(٧٥) الغدير ٨٦/٥ ــ ٢٠٧ فصل زيارة المشاهد.

(٧٦) سورة الأعراف/١٧٦.

(٧٧) منهاج السنة ٢٣/١.

(٧٨) نفس المصدر ١٣١/١.

(٧٩) المصدر السابق ٣٩/١.

(٨٠) نهج البلاغة محمد عبده ١٤/١. الخطبة الاولى.

(٨١) الكامل في التأريخ ٣٠٨/٨ـ٣٠٩.

(٨٢) شذرات الذهب ١٠٤/٦. طبقات الشافعية ١٨١/٥. معجم المؤلفين ٢٠١/٢.

(٨٣) سورة يوسف/٧٦.

(٨٤) سورة الزمر/٦٧.

(٨٥) تفسير الكشاف ٤٠٨/٣.

(٨٦) الهدية السنية/٩٧ و ٩٩ و ١٠٥. ط المنار.

(٨٧) سورة الجن/١٨.

(٨٨) سورة الحشر/٧.

(٨٩) كشف الارتياب/٢١٩ ــ ٢٢١.

(٩٠) تطهير الإعتقاد عن ادران الإلحاد/٧ ــ ١٢ ط المنار.

(٩١) كشف الظنون ٧٥٩/١ وفيه: ــ وهذا الكتاب آية من آيات الله في الصلاة على النبيّ عليه الصلاة والسلام يواظب بقراءته في المشارق والمغارب ــ.

(٩٢) سورة البقرة/٢٥٧.

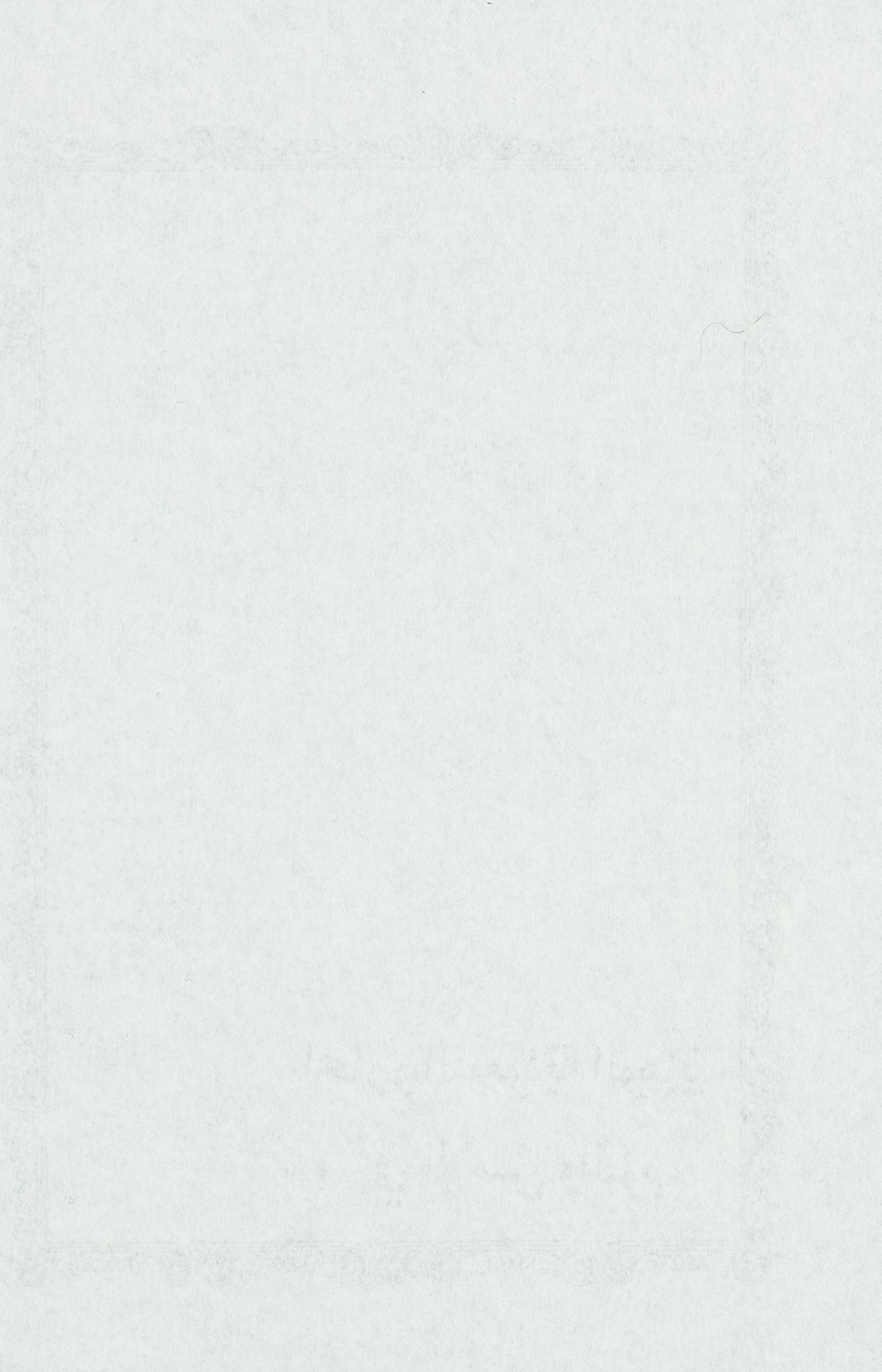
(٩٣) صحيح البخاري ٢٢٧/٤. باب قول النبيّ (ص) الفتنة من قبل المشرق. صحيح مسلم ٢٢٢٨/٤. القاموس المحيط ٢٥٨/٤.

(٩٤) كشف الإرتياب/١١٤ ــ ١٢٦.





المجازر السعوديّة الوهابيّة
في الأمس واليوم



يعتبر القتل في عرف التشريع الإسلامي... من أبشع الموبقات، وأرذل المعاصي والدواهي، لكونه رجس منبعث من الحسد، والكبر، والحقد، واتباع الهوى، وادحض الحق، وتغلغل روح الجهل، والهمجية في الإنسان، وسيطرة قوّة البطش، والكفر، والفتك على وجوه بصورة كاملة متوفرة، ومنبسطة ومتشعبة، وفي الوقت نفسه عامل أساسي، وركيزة فعّالة في إثارة الغضب والسخط الالهي في الدارين، الدنيا، والآخرة... لذلك تجد القرآن الكريم يكشف في آيات متعددة، مفاسد هذا الظلم الفجيع، ويوضح منزلته، وحقيقته بحسب الدقّة المتناهية، ويدعو البشريّة إلى مكافحته وعدم التقرّب، والتزّلف إليه، وانتزاعه من طباع الإنسان، لئلايندفع أحد بأي سبب تافه، أو ميل ووسوسة رجيمة إلى إرتكاب هذا البغي العظيم.

والواقع أن التشريع الإسلامي، وكذلك بقية الرسالات السماوية، والشرايع الالهية منذ قدم البشريّة... يحذر الفرد مهما كانت إتجاهاته وطبيعته وجنسيته، وقوميته من أن يدفعه الهوى، والحسد، والحقد، والكبر إلى اتباع الهوى، والنوازع الشيطانية، والرغبات النفسية اللامتناهية، على الحنق بالناس ومنازعة الخالق، ومخاصمة الربوبية، وإبطال حكمة الخلقة بقتل أحدهم أخاه من نوعه، وحتى شقيقه من غير أبيه وأمّه، لأتفه البواعث والأغراض. فاشخاص الإنسان إنّما هم أفراد نوع واحد، واشخاص حقيقة قادرة، يحمل الواحد منهم من الإنسانية مايحمله الكثيرون، ويحمل الكلّ ما يحمله البعض وقد شاءت الحكمة الالهية في خلق الأفراد، وتكثير النسل وتتابع الأجيال، أن تبقى هذه الحقيقة وهذا الموجود الذي سوف لن يعيش إلّا فترة قصيرة من العمر، ويدوم بقاؤه بواسطة الأعقاب فيخلف اللاحق السابق إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها. ويعبد الله تعالى في أرضه. فالتطاول على الأفراد، وقتل وأبادة الفرد إفساد في الخلقة وإبطال لغاية الله سبحانه في الإنسانية المستبقاة بتكثير الأفراد، عن طريق التناسيل والإستخلاف، فالقتل بعبارة اخرى بغير الحق منازعة الربوبية في مشيته. وإبطال لغرض الخلقة في الإنسانية العامة.

إنّ كل فرد من أفراد الإنسان كما جاء به القرآن الكريم... من حيث حقيقته المحمولة له التي تحيا وتموت، وتفنى إنّما يحمل في وجوده الإنسانية التي هي حقيقة واحدة في

جميع الأفراد، والبعض والكل، والفرد الواحد، والأفراد حسب الكثرةِ والقلة فيه واحد، ومن هنا يستلزم القول أن يكون قتل النفس الواحدة و إبادتها بمنزلة قتل نوع الإنسان والعكس بالعكس، يعنى أن إحياء النفس الواحدة بمنزلة إحياء الناس والمجتمع جميعاً. و إلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة **(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً)** (١) وهو كون الناس جميعاً ذوي حقيقة واحدة إنسانية متحدّة فيها، الواحد منهم والجميع فيه سواء، فمن قصد الإنسانية المتمثلة في فرد منهم فقد قصد الإنسانية المتكونّة في الجميع كالماء إذا وزّع بين أواني متعددة كثيرة فمن شرب من أحدى الأواني، فقد شرب الماء، وقد قصد الماء من حيث أنه ماء وما في جميع الأواني لا يزيد على الماء من حيث أنه ماء فكأنه شرب الجميع. فجملة (من قتل نفساً) إلى آخر الآية كناية في صورة التشبيه. وهكذا القول في: (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) والمراد بالاحياء مايعد في عرف العقلاء، احياء نحو إنقاذ الغريق، و إطلاق الأسير. وقد أطلق الله سبحانه الاحياء في كلامه إلى الهداية والإيمان فقال: **(أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس)** (٢) فمن دلّ نفسا إلى الإيمان والحق فقد أحياها.

وقد استشكل بعضهم، فقال: إن قتل النفس الواحدة كيف يكون مساوياً لقتل جميغ الناس، فإنّ من الممتنع أن يكون الجزء مساوياً للكل؟ فذكر المفسرون لهذا الإشكال وجوهاً من الأجوبة وهي بأسرها مبنية على مقدمة واحدة، وهي أن تشبيه أحد الشيئن بالآخر لا يقتضي الحكم بمشابهتها من كل الوجوه، لانّ قولنا هذا يشبه ذاك أعم من قولنا إنّه يشبهه من كل الوجوه، أو من بعض الوجوه و إذا ظهرت صحة هذه المقدّمة فنقول الجواب من وجوه:

١ ــ المقصود من تشبيه قتل النفس الواحدة بقتل النفوس للمبالغة في تعظيم أمر القتل العمد، والعدوان، وتفخيم شأنه. يعني كما أن قتل كل الخلق أمر مستعظم عند كل أحد، فكذلك يجب أن يكون قتل الإنسان الواحد مستعظماً مهيباً، فالمقصود مشاركتها في الإستعظام، لا بيان مشاركتها في مقدار الإستعظام، وكيف لا يكون مستعظماً وقد قال تعالى **(ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما)** (٣).

٢ ــ أن جميع الناس لو علموا من إنسان واحد أنه يقصد قتلهم بأجمعهم، فلا شك أنهم يدفعونه دفعاً لا يمكنه تحصيل مقصوده، فكذلك إذا علموا منه أنه يقصد قتل إنسان واحد

معين، يجب أن يكون جدهم واجتهادهم في منعه عن قتل ذلك الإنسان مثل جدهم واجتهادهم في الصورة الأولى.

٣ ــ أنه لما أقدم على القتل العدواني، فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية الطاعة، ومتى كان الأمر كذلك كان هذا الترجيح حاصلا بالنسبة إلى كل واحد، فكان في قلبه أن كل أحد نازعه في شيء من مطالبه، فإنّه لو قدر عليه لقتله، ونية المؤمن في الخيرات خير من عمله، فكذلك نية المؤمن في الشرور شر من عمله، فيصير المعنى، ومن يقتل إنساناً قتلا عمداً عدواناً فكأنما قتل جميع الناس.

أنواع القتل..؟

(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلّا خطأ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة وديّة مسلمة إلى أهله إلّا أن يصدّقوا فإن كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً. ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيماً) (٤).

ذهب العلماء إلى أن القتل على ثلاثة أقسام: عمد. وخطأ. وشبه عمد.

أما العمد، فهو أن يقصد قتله بالسبب الذّي يعلم إفضاءه إلى الموت، سواء كان ذلك جارحاً أو لم يكن.

وأما الخطأ، فضربان:

١ ــ أن يقصدرمي المشرك أو الطائر فأصاب إنساناً.

٢ ــ أن يظنه مشركا بأن كان عليه شعار الكفار والمشركين. والأول خطأ في الفعل. والثاني خطأ في القصد.

أما شبه العمد، فهو أن يضربه بعصا خفيفة لا تقتل غالباً فيموت منه. قال الشافعي: هذا خطأ في القتل و إن كان عمداً في الضرب.

إنّ الآية السالفة: (وماكان لمؤمن أن يقتل مؤمناً) و إن نزلت في موارد خاصة إلّا أنها ثابتة وعامة، الغرض منها بيان حرمة القتل، وأنها محرّمة من أول زمان التكليف. فالله تعالى حينما رغب في مقاتلة الكفار، وحرض عليها ذكر بعد بعض ما يتعلق بهذه المحاربة. فمنها أنه سبحانه حين أذن في قتل الكفار، فلا شك أنه قد يتفق أن يرى الرجل رجلا يظنه كافراً

حربياً فيقتله، ثم يتضح أنه كان مسلماً فذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة في هذه الآية.

وهاهنا مسائل:

١ ــ ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية، أن حذيفة بن اليمان كان مع رسول الله (ص) يوم أحد فأخطأ المسلمون وظنوا أن أباه اليمان واحد من الكفار، فأخذوه وضربوه بأسيافهم، وحذيفة يقول: إنّه أبي فلم يفهموا قوله إلّا بعد أن قتلوه، فقال حذيفة: يغفرالله لكم وهو أرحم الراحمين. فلما سمع الرسول (ص) ذلك إزداد وقع حذيفة عنده. فنزلت هذه الآية.

وجاء أن الآية نزلت في أبي الدرداء، وذلك لأنه كان في سريّة، فعدل إلى شعب لحاجة له فوجد رجلا في غنم له فحمل عليه بالسيف. فقال الرجل: لا إله إلّاالله. فقتله وساق غنمه، ثم وجد في نفسه شيئا، فذكر الواقعة للرسول (ص) فقال عليه الصلاة والسلام: هلا شققت عن قلبه؟ وندم أبوالدرداء، فنزلت الآية.

وروي أن عياش بن أبي ربيعة، وكان أخا لأبي جهل من أمه، أسلم وهاجر خوفاً من قومه إلى المدينة، وذلك قبل هجرة الرسول (ص) فأقسمت أمّه لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس تحت سقف، حتى يرجع فخرج أبوجهل، ومعه الحارث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه، وطولا في الأحاديث. فقال أبوجهل: أليس أن محمداً يأمرك ببر الام فانصرف وأحسن إلى أمك وأنت على دينك؟ فرجع فلما دنوا من مكة، قيدوا يديه ورجليه، وجلده أبوجهل مائة جلده، وجلده الحارث مائة اخرى. فقال للحارث: هذا أخي فمن أنت يا حارث؟ لله على وجدتك خالياً أن أقتلك. وروي أن الحارث قال لعياش، حين رجع: إن كان دينك الاوّل هدى فقد تركته، وان كان ضلالا فقد دخلت الآن فيه، فشق ذلك على عياش وحلف أن يقتله، فلما دخل على أمه حلفت أمه لايزول عنه القيد حتى يرجع إلى دينه الأوّل، ففعل. ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحارث أيضا، وهاجر فلقيه عياش خاليا ولم يشعر بإسلآمه فقتله، فلما أخبر بأنه كان مسلماً ندم على فعله، وأتى رسول الله (ص) وقال: قتلته ولم أشعر بإسلامه. فنزلت الآية (٥).

٢ ــ قوله: (أن يقتل مؤمناً إلّا خطأ) إستثناء متصل، ورد على طريق المعنى لأن قوله: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلّا خطأ) معناه أنه يؤاخذ الإنسان على القتل إلّا إذا كان القتل قتل خطأ فإنّه لا يؤاخذ به. إذا رأى عليه شعار الكفار، أو وجده في عسكرهم فظنه مشركاً، فها هنا يجوز قتله ولا شك أن هذا خطأ فإنّه ظن أنه كافر مع أنه ما كان كافراً. وذهب بعضهم أن في الكلام تقديم وتأخير. والتقدير وماكان مؤمن ليقتل مؤمنا إلّا

خطأ. ومثله قوله تعالى: **(ماكان لله أن يتخذ من ولد)** لأنه سبحانه لا يحرم عليه شيء إنّما ينفى عنه ما لا يليق به.

قال أبوهاشم، وهو أحد رؤساء المعتزلة تقدير الآية: وماكان لمؤمن أن يقتل مؤمنا فيبقى مؤمناً إلاّ أن يقتله خطأ فيبقى حينئذ مؤمناً. قال: والمراد أن قتل المؤمن للمؤمن يخرجه عن كونه مؤمنا إلاّ أن يكون خطأ فأنّه لا يخرجه عن كونه مؤمناً.

وقال أبو حنيفة: القتل بالمثقل، ليس بعمد محض بل هو خطأ، وشبه عمد. فيكون داخلاً تحت هذه الآية فتجب فيه الدية والكفارة، ولا يجب فيه القصاص. وقال الشافعي: إنّه عمد محض يجب فيه القصاص. أما بيان أنه قتل فيدّل عليه القرآن والخبر. أما القرآن، فهو أنه تعالى حكى عن موسى عليه السلام، أنه وكز القبطي فقضى عليه، ثم إنّ ذلك الوكز يسمى بالقتل، بدليل أنه حكى أن القبطي قال في اليوم الثاني: **(أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس)** (٦) وأجمع المفسرون على أن المراد منه قتل ذلك القبطي بذلك الوكز. وأيضاً أنّ الله تعالى سماه قتلا حيث قال: **(وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً)** (٧) فثبت أن الوكز قتل بقول القبطي، وبقول موسى عليه السلام، وبقول الله سبحانه. وأما الخبر فقوله (ص): **(ألا إنّ قتيل الخطأ العمد قتيل السوط والعصا فيه مائة من الأبل)** (٨) فسماه قتيلا. فثبت بهذين الدليلين أنه حصل القتل. وأما أنه عمد، فالشاك فيه داخل في السفسطة، فإن ضرب رأس إنسان بحجر الرحا أو صلبه أو غرقه أو خنقه، ثم قال: ما قصدت به قتله كان ذلك إمّا كاذباً أو مجنوناً، وأما أنه عدوان فلا ينازع فيه مسلم، فثبت أنه قتل عمد عدوان. فوجب القصاص بالنص والمعقول.

أما النص، فهو جميع الآيات الدالة على وجوب القصاص كقوله: **(كتب عليكم القصاص في القتلى. وكتبنا عليهم أن النفس بالنفس. ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً. وجزاء سيئة سيئة مثلها. فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** (٩).

وأما المعقول، فهو أن المقصود من شرع القصاص صيانة النفوس والأرواح عن الإهدار. قال تعالى: **(ولكم في القصاص حياة)** (١٠) و إذا كان المقصود من شرع القصاص صيانة النفوس والأرواح عن الإهدار، والاهدار من المثقل كهو في المحدد كانت الحاجة إلى شرع الزاجر في إحدى الصورتين، كالحاجة إليه في الصورة الاخرى، ولا تفاوت بين الصورتين في نفس الإهدار، و إنّما التفاوت حاصل في آلة الإهدار، والعلم الضروري حاصل بأن ذلك غيرمعتبر، والكلام في الفقهيات إذا وصل إلى هذا الحد، فقد بلغ الغاية القصوى في التحقيق لمن ترك التقليد. واحتجوا بقوله (ص): (ألا إنّ قتيل الخطأ العمد قتيل السوط والعصا فيه

مائة من الإبل) وهو عام سواء كان السوط والعصا صغيراً أو كبيراً.

والجواب أن قوله (قتيل الخطأ) يدلّ على أنه لابد وأن يكون معنى لخطأ حاصلا فيه، وقد بينا أن من خنق إنسانا أو ضرب رأسه بحجر الرحا، ثم قال: ما كنت أقصد قتله فإنّ كل عاقل ببديهة عقله، يعلم أنه كاذب في هذا المقال فوجب حمل هذا الضرب بالعصا الصغيرة حتى يبقى معنى الخطأ فيه (١١).

وخشية الإطالة نضرب صفحا عن ذكر القصاص والديات، بعد أن كانت الكتب الفقهية قد شرحتها بصورة مبسطة ولا افتقار إلى تكرارها، بالإضافة إلى أنها خارجة عن نطاق الكتاب.

موارد القتل..؟

لقد ندّد التشريع الإسلامي القتل واستهجنه، وأمر بقتل القاتل كما عليه أكثر الشرائع الاوربية، ليبقى المجتمع البشري بعيداً عن رواسب العدوان، والتطاول، ولا تتسرّب إليه عوامل الفوضى، والإضطراب، لأن قتل القاتل وإعدامه يصبح عبرة للآخرين، ولكن ظهر أخيراً في الغرب رأي جديد يقضى بعدم قتل القاتل، والإكتفاء بسجنه، وقد اتبعت بعض الأمم هذا الرأي، كسويسرة، وايطاليا، فالقاتل بحسب أنظمة تلك البلاد، لا يقتل وإنّما يحبس في سجن إنفرادي لا يسمع فيه حساً، ولا همساً، بضع سنين ثم يرجع به إلى السجن العام، ويشغل في الأعمال الشاقة حتى يموت، وينتهى أجله ولا يعفى عنه، ويزعم أهل هذا الرأي أن هذه العقوبة أشد على الجناة الأشرار من القتل، لأنهم يقعون بها في حياة مرة شديدة التكاليف يفضلها القتل من وجوه مختلفة. حتى أن كثيراً من المحكوم عليهم بهذه العقوبة ينتحرون، متى ما وجدوا أداة توصلهم إلى ذلك للتخلص من هول هذه الحياة التعسة.

ويذهب أصحاب هذا الرأي إنّه فضلا عن أن عقوبة القتل لا تتفق مع ما يجب أن تتحلى به الحكومات من الإنسانية والمرحمة، فإنّها لم تردع الجناة عن جناياتهم في زمن من الأزمان، فإنّ نسبة هذه الجريمة الكبرى ثابتة في كل أدوار الأمم ولما ابدلت بالسجن لم يزدد المجرمون جرأة، بل يشاهد أن عدد الجريمة قد إنخفض في بعض البلدان.

ثم إنّ هذا الإبدال قد أفاد المجتمع من الوجهة الإحصائية، فلم تنقص الامة المقتول والقاتل معاً، بل ظل القاتل يعاني نتائج ما اكتسبت يداه، ويعمل مع ذلك أعمالا تعود على المجتمع بالنفع، وكان هذا أكثر ضماناً للعدل، فإنه قد حدث كثيرا أن توفرّت أدلة القتل على متهم فقتل، ثم بدت براءته بظهور الفاعل الحقيقي. فقد حصل مرّة أن رجلا قتل في غابة بيد

مجرم أثيم، فمرصياد فعثربه وسقط عليه، فتلوّثت ثيابه بدمه فخاف عاقبة هذا الأمر فأخذ يعدو هارباً، وكان الحراس يجدّون في ذلك الوقت في إقتفاء أثر القاتل، فعثروا بهذا الصياد خارجاً من الغابة، يعدو فاشتبهوا فيه وألقوا القبض عليه، وزادهم شبهة تلوّث ثيابه بالدم، فلما مثل بين أيدي القضاء لم يستطع تبرئة نفسه، لأن ماحدث كله يصلح أن يجعله كقاتل متلبس بجنايته، وأثبت التحليل أن الدم الذّي تلوّثت به ثيابه هو دم المقتول، فبذل الصياد غاية إجتهاده في إثبات براءته فلم يفلح، فحكمت عليه المحكمة بالقتل، ونفذ عليه الحكم.

ثم تبين بعد ذلك أنه كان بريئاً، وظهر القاتل وانجلت أسرار القضية تمام الإنجلاء، لكن هيهات نفذ الحكم في البريئ ولم يعد في الإمكان إنصافه.

قال أصحاب هذا الرأي وأمثال هذه الحادثة لا تحصى، وقد حدثت في كل زمان ومكان، فالأولى إبدال القتل بالسجن سيا وقد دلّ الإحصاء على أن هذا الأبدال لم يوجب زيادة الجرائم بل أوجب نقصها في بعض البلاد (١٢).

هذا مجموع ماجاء في التشريع الإسلامى الخالد، بالنسبة للقتل وحكم القاتل، والأعمال المترتبة عليه، بعد أن قرأنا أن القرآن استقبحه وجعله من جملة الفواحش ووقف بوجه هذه الجريمة، وضرب على يد القاتل بيد من حديد، لئلايقدم غيره لمثلها، ولا يخطر حتى بباله ولا يفكر بها إذ أيّ عاقل يسمح لنفسه إرتكاب جريمة تردى بحياته، وتحرمه الحياة ويصير في مجتمعه عبرة للآخرين..؟ وفي الوقت نفسه كما ندّد التشريع الإسلامي بالقتل، نجده يسمح به في موارد خاصة، فقال الله تعالى: **(ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحق)** فقد جاءت هذه الآية في موضعين من القرآن (١٣) فواحدة في ضمن هذه الآية: **(قل تعالوا أتل ماحرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيّاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون)** قال المفسرون: أن هذا القتل داخل في جملة الفواحش إلّا أنه تعالى أفرده بالذكر لفائدتين:

١ ــ أن الأفراد بالذكر يدلّ على التعظيم والتفخيم. كقوله: (وملائكته وجبريل وميكال).

٢ ــ إنّه تعالى أراد أن يستثنى منه ولا يتأتى هذا الإستثناء في جملة الفواحش.

أما قوله: (إلّا بالحق) أي قتل النفس المحرمة قد يكون حقاً لجرم صدر منها. والحديث أيضاً موافق له، وهو قوله (ص): لا يحل دم امرئي مسلم إلّا باحدى ثلاث، كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق (١٤) والقرآن دلّ على سبب رابع، وهو

قوله تعالى: (إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا) (١٥).

والحاصل أن الأصل في قتل النفس، هو الحرمة وحله لا يثبت إلّا بدليل منفصل، ثم إنّه سبحانه لما بين أحوال هذه الأقسام الخمسة، أتبعه باللفظ الذّي يقرب إلى القلب القبول. فقال: (ذلكم وصاكم به) لما في هذه اللفظة من اللطف والرأفة، وكل ذلك ليكون المكلف أقرب إلى القبول. ثم أتبعه بقوله: (لعلكم تعقلون) أي لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف، ومنافعها في الدين والدنيا. والخطاب لجميع الخلق، فتحللوا ما حلله الله لكم، وتحرمّوا ما حرّمه عليكم.

والآية الثانية جاءت هكذا: (ولا تقربوا الزنا إنّه كان فاحشة وساء سبيلا. ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنّه كان منصورا) ففي هذه الآية كان القتل هو النوع الثاني مما نهى الله تعالى عنه.

وربّ قائل يقول: إنّ أكبر الكبائر بعد الكفر بالله القتل، فما السبب في أن الله بدأ أولا بذكر النهي عن الزنا. وثانياً بذكر النهي عن القتل؟

والجواب: أن فتح باب الزنا يمنع من دخول الإنسان في الوجود، والقتل عبارة عن إبطال الإنسان بعد تلبسه في الوجود. ودخوله في الوجود مقدّم على إبطاله و إعدامه بعد وجوده، لذلك السبب ذكر الله الزنا أولا، ثم أردفه بذكر القتل.

والحقيقة أن الأصل في القتل هو الحرمة المغلظة، والحل إنّما يثبت بسبب عارضي، فلما كان الأمر كذلك لا جرم نهى الله عن القتل مطلقاً، بناء على حكم الأصل، ثم استثنى عنه الحالة التي يحصل فيها حل القتل، وهو عند حصول الأسباب العرضية، فقال: (إلّا بالحق) فنفتقر هاهنا إلى بيان أن الأصل في القتل التحريم، والذّي يدلّ عليه وجوه:

١ ــ أن القتل ضرر، والأصل في المضار الحرمة، لقوله تعالى: **(ما جعل عليكم في الدين من حرج)** (١٦) ولا يريد بكم العسر. ولا ضرر ولا ضرار.

٢ ــ قوله (ص): الآدمى بنيان الرب، ملعون من هدّم بنيان الرب (١٧).

٣ ــ انّ البشر خلق للإشتغال بالعبادة، لقوله: **(وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون)** (١٨) ولقوله (ص): حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً (١٩). والإشتغال والإنصراف للعبادة لا يتم ولا يحصل إلّا عند عدم القتل.

٤ ــ أنّ القتل إفساد فوجب أن يحرم، لقوله تعالى: **(ولا تفسدوا)**.

٥ ــ أنه إذا تعارض دليل تحريم القتل، ودليل إباحته، فقد أجمعوا على أن جانب

الحرمة راجح، ولولا أن مقتضى الأصل هو التحريم، وإلّا لكان ذلك ترجيحاً لا لمرجح، وهو محال.

٦ ــ إنا إذا لم نعرف في الإنسان صفة من الصفات إلّا مجرد كونه إنساناً عاقلا، حكمنا فيه بتحريم قتله، وما لم نعرف شيئا زائداً على كونه إنسانا، لم نحكم فيه بحل دمه، ولولا أن أصل الإنسانية يقتضي حرمة القتل، وإلا لما كان كذلك فثبت بهذه الوجوه، أن الأصل في القتل هو التحريم. وإن حله لا يثبت إلّا بأسباب عرضية. وإذا ثبت هذا فنقول: إنّه تعالى حكم بأن الأصل في القتل هو التحريم، فقال: (ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحق) فقوله: (ولا تقتلوا) نهي، وتحريم. وقوله: (حرّم الله) إعادة لذكر التحريم على سبيل التأكيد، ثم استثنى عنه الأسباب العرضية الإتفاقية فقال: (إلّا بالحق).

ثم إنّ مجرد قوله: (إلّا بالحق) مجمل ليس فيه بيان وتوضيح، لذلك الحق الذّي يقتل به، ولم يعرف الحق ماهو، وكيف هو؟ فجاءت عبارة (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا) أي في استيفاء القصاص من القاتل، وهذا الكلام يصلح جعله بيانا لذلك المجمل، وتقريره كأنه تعالى قال: **(ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق)** وذلك الحق هو أن من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً في إستيفاء القصاص. وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الحق هذه الصورة فقد فصار تقدير الآية: ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا عند القصاص، وعلى هذا التقدير فتكون الآية نصاً صريحا في تحريم القتل، إلّا بهذا السبب الواحد، فوجب أن يبقى على الحرمة فيما سوى هذه الصورة الواحدة.

هناك سنة نبوية استوضحت ذلك الحق، وأماطت اللثام عنه، وأن الحق في الآية المذكورة أحد الامور الثلاثة، وهو قوله عليه السلام: (لا يحل دم امرئ مسلم إلّا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق). فالخبر هذا تفسير لقوله تعالى: **(إلّا بالحق)** فظاهر الآية أنه لا سبب لحل القتل إلّا قتل المظلوم، وظاهر الحديث يقتضى ضم شيئين آخرين إليه، وهما الكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان. ودلّت آية اخرى على حصول سبب رابع وهو قوله تعالى: **(إنّما جزاء الذّين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا)** كما دلّت آية اخرى على حصول عامل خامس، وهو الكفر. قال تعالى: **(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر)**. والفقهاء تكلموا واختلفوا في مواضع اخرى لا حاجة لذكرها (٢٠).

هذا حكم التشريع الإسلامي في القتل، وقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وآله موارد القتل فيه كما أسلفنا الحديث عنها، فليت شعري هل القتل الذريع الحاصل في الأرض

المقدسة مكة، والمدينة... منذ إقامة ديكتاتورية السعوديّة الوهابية المقيتة... وفي العراق الجريح الصامد... بأيّ مبرر وعامل دفعوا بالآف من المظلومين والمضطهدين، إلى مجازر البغي والعدوان، ووضعوا في رقابهم السيف وما برحت الجريمة هذه، وأبطالها العملاء الأوغاد الذين يسعون في الأرض فساداً... آخذت طريقها إلى التوسّع والإنتشار بكل وقاحة ورذالة ويعاملون الشعب المسلم، بضروب البطش والعدوان، من غير أي تغيير بسيط في مخططهم الهمجي العام، وكأنهم يعيشون في عهود حجريّة، ويقيمون في غابات وكهوف بربريّة رعناء.

إنّ الأمويين والعباسيين إذا اقترفوا على عهدهم الأسود الدفين، تلكم الجرائم الشنيعة التي لم يسجل التاريخ أفجع ولا أروع منها، ولم يخلد الدهرأ ويأت بقصة واقعة مثل واقعة كربلاء الدامية وغيرها من الأحداث الأليمة تمتد كلما امتد الزمن، وتنتشر كلما تقادمت الأعوام، وبقيت طريّة لا تبلى ما قامت السماوات والأرض... فإنّ السعودية الوهابية، وحليفتها الصدامية الحقيرة في العهود العلمية الموصوفة بالتطور، والحضارة، والنور، والعلم، إرتكبت من الجرائم وسفك الدماء الطاهرة، مالا تقل عن وحشية الأمويين، وهمجية العباسيين وبربريتهم.

لقد سجل التأريخ هؤلاء الأبرياء الشهداء المجاهدين... في مواكب الخالدين، وسيبقى ذكرهم في سجلات المظلومين على امتداد التاريخ، تلهج به الأجيال والأحقاب، وتترنّم وتتغنى بها الشعوب والإنسانية، لا يمسها نسيان ولا إهمال، ولا يلفه جهل ولا غموض بعد أن أشادت بهاتيك الوقائع الأليمة، والظلم الصارخ الذي ارتكب موبقاته شر ذمة من أجلاف الناس في الحجاز والعراق في تطاولهم، وبغيهم على كرامة البشريّة والإنسانية، لتثبيت دعائم عروشهم القائمة على السفاح، والخيانة، والدماء، والرصاص، والحديد، و إضاعة أموال المسلمين لشراء ضمائر السفلة والأوغاد فيما لا يرضى الشرائع ولا تقر عليه الكرامة.. وكان مثيراً لكل فرق المسلمين على اختلاف أهوائهم، وتباين إتجاهاتهم، ومذاهبهم.

أجل ستبقى أصداء هذه الفواجع وأنين الأرامل وآهات الإيتام على امتداد التاريخ.. وستظل هذه الكوارث خالدة حية جديدة مادامت الحياة... إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن علها.

لقد تجلت بطولة وشهامة و إرادة الشعب المسلم، في وقوفهم وثورتهم، ووثبتهم في إيران، والعراق، والحجاز، ومصر وفلسطين... وفي كل بقعة عربيّة و إسلامية ضد الطغاة، والباغين، والظالمين، والحاقدين، في مطالبة واسترداد و إحقاق حقوقهم الثابتة، العادلة المشروعة، وضحوا بنفوسهم دفاعاً عن مبدءهم، ورسالتهم، إيمانا بعقيدتهم، وضربوا ضرباتهم

القاضية التي خلدّت العقيدة والإيمان، والعزة، والإباء، والقلب الشجاع... خلدتها وركزتها في القلوب والتأريخ ليسير على هديها وضوءها، كل فرد شهم بطل مخلص للحق، والإيمان، والوطن، يهدف في حياته تحقيق رسالة الكمال الإنساني، والإنسانية الكاملة، والتخلص من كابوس البغي والإستثمار، والكفر، والتحرر من قيود الفئة الظالمة المندفعة عن جشع وراء الأباطيل، والعمالة، والأموال، ومصافحة أهل الجور والطغيان.

(إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرّهم بعذاب أليم. أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وماهم من ناصرين) (٢١).

ومهما يكن من أمر، فجرائم السعوديين، والوهابيين، والصداميين، وقتلهم للأبرياء والصالحين، ستبقى على امتداد رقعة التأريخ، تقرؤها الأجيال وتتناقلها القرون والأحقاب، وكلها صفحات عار، وخزي، وشنار، وخيانة، سجلها التأريخ بمداد من سواد. واستحقوا بها إلى يوم القيامة، لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ألحجاز السعوديّة الوهابية..؟

ألسذاجة، والبساطة، والجهل، صفات متأصلة في طبيعة الشعب الحجازي بصورة عامة منذ القدم، فالجهل لم يزل فيهم حاكماً مع التقدم والتطور الحاصل في العالم اليوم للحركة العلمية... فالعلم لم يشق طريقه بعد إلى الحجاز، ولم يدخل البلاد، والقرى، والمدن، والبيوتات فقد شاءت السلطة الوهابية الحاكمة أن تبقى الشعب على هذه الحالة من الجهل، للتمكن من السيطرة وانفوذ فيهم، غير أن القارئ الكريم حين يدخل مدينتي مكة، والمدينة، تلفت نظره لوحات خشبية كثيرة مختلفة الأحجام، كتبت عليها ــ مدرسة... للبنين الأبتدائية ــ مدرسة... للبنات الثانويّة ــ وهلم جرا، وهي معلقة ومو دوعة على شرفات المنازل، والبيوتات المطلة على الشوارع العامة، ولا أثر فيها للتلاميذ، وقد رحت أتسائل عن التلاميذ هناك فقالوا: هذه لوحات خشبية وضعتها وزارة التربية والتعليم، لأغراء المسافرين، والسياحين، ولا وجود لتلميذ واحد فيها. وإن جاء بعض المرتزقة في كتابه، بالحديث عن التعليم والتعلم في الحجاز، ولكنه أكاذيب واختلاق لا صحة لها.

وعلى هذا الأساس من الجهل العام السائد في الشعب بمجموعه، المحروم من كل شيء في الحياة... قامت زبانية الوهابية السعوديّة قبل بد زحفها للإستيلاء على البلاد والمدن، بالدعاية لنفسها ونشر وتوزيع نشرات وقصاصات ورق، بين القبائل والعشائر،

وطبقات الشعب، موقعة ومصدقة من قبل تجار الدين، ووعاظ البلاط والسلاطين، وإغراء الناس بالفتاوى الصادرة عليهم، وسحق المخالفين وإخماد كل حركة وثورة مناوئة لزحفهم، لعلمهم الكامل من أن العشائر والقبائل، ستقف بوجههم، وتصدهم من السير إلى الإمام، لذلك نشروا الفتاوى، وكان لها بالفعل تأثيرها البالغ في نفوس بعض السذّج، والمرتزقة، والأوباش. وقد جاء في إحدى الفتاوى الصادرة مالفظه:

(كل من قتل عشرة من قبيلة شمرّ، أو أهالي حائل، أو ممن يعادون إبن سعود يدخل الجنة بلا حساب، ليجد فيها عشر حوريات من الحسان الكواعب الأتراب اللائي لا يكبرون عن ١٥ سنة، ولا يصغرن عن هذه السنين عمراً، بالإضافة إلى لحوم الطيور المشويّة التي سيجدها كل من يقتل تحت بيارق آل سعود في الجنة، وما عليه إلّا أن يفتح فمه فتسقط في فمه مشويّة دون عظام بالإضافة إلى أنهر العسل واللبن) (٢٢).

إلى غيره من الفتاوى السامة المخدّرة للمحرومين في الدنيا... وراح رجال الدين، يبثون سمومهم ودجلهم بين طبقات الشعب كنوع من التضليل، ويكررون دجلهم لجنود البادية المخدوعين، من أن (مشاريع العمران قائمة عندالله لمن يقاتل المشركين من أهل حائل، وأهل الحجاز، وعسير، وتهامة، واليمن، والجوف، والإحساء، وبعض الكفار من أهالي نجد. أما البعض الآخر التابعين لابن السعود، فأولئك من أهل الجنة الذين خصص الله لكل واحد منهم قصره فيها، وفيه ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، من حور عين، ولبن لم يتغير طعمه، وعسل مصفى، ورعية من الخيل والإبل والأغنام).

وبهذه العوامل اندلعت نيران الفتنة والتشاجر في البيوتات، وانقسمت المدينة الواحدة، والعشيرة الواحدة، والقبيلة الواحدة، والاسرة الواحدة إلى إتجاهات، وأقسام شتى، وقام الأخ منهم يقتل أخاه، وإبنه وزوجته، ويبيع كل ما يملكه ويذبح إبله وأغنامه، للتخلص منها، والتخلص حتى من أقرب الناس إليه، ومن كل ما يعوقه في الدنيا عن طريق الآخرة الذى لا يعلمه إلّا الله تعالى... إلى غيره من الفتاوى الضالة التي كان لها التأثير البالغ في نفوس بعض القبائل، حتى جعلوا من الوهم عقيدة تشرّبت بها عقول ودماء العدد العديد من القبائل، إلى الحد الذّي قتل الأخ أخاه، والأب قتل إبنه لمجرد أنه هذا المقتول عارض الضلال الوهابي السعودي... الذّي حسبوه ديناً برقعوه ببراقع الإسلام، والإسلام منه براء مما جعل أفراد القبائل يتبرأون من كل شيء في الدنيا بحثاً عن ملذات الآخرة.

أجل وخلال هذا التشاغل والتطاحن والتشاجر، اندلعت نيران الفتن في البيوتات، وراحت الوهابية السعوديّة، تستولى على البلاد، وأخذت تهدم وتقصف، وتقتل، وتنهب،

وتسلب وكان أول ما بدأوا به هو الهجوم على قريتي، بيضاء نثيل، والشيبعة، وذلك ليلة ٢٧ رمضان ١٣٢٦ هـ، حيث هجموا على المواطنين القرويين الآمنين في المسجد، أثناء أداء صلاة الفجر، وقتلوهم آمنين عزل، ولم يكن بيدهم من سلاح، سوى القرآن الكريم، رغم أنه لم يكن لهاتين القريتين، من أهمية استراتيجية في المعركة، أو أي فائدة مادية لهم، أو ضرر عليهم، كما لم يكن لأهل القريتين أي دور معروف في القتال ولا المعارضة، وواصلوا زحفهم الدامي حتى دخلوا منطقة الجبل المطل على مدينة حائل.

ثم توجّه الزحف إلى بقية المدن والأرياف وسقطت البلاد، واخمدت الإنتفاضات الشعبية، ضد الطغيان السعودي ومنها إلى مكة، وقد قتلوا فيها الكثير من الفقهاء، والعلماء، والقسم الكبير منهم هربوا، والتجأوا إلى البلاد الإسلامية المجاورة، وهدموا الأماكن الخالدة والإسلامية والتاريخية، ومنها على سبيل المثال:

١ ــ البيت الذّي ولد فيه النبيّ الأقدس (ص) بمكة.

٢ ــ بيت السيدة خديجة بنت خويلد، زوجة رسول الله (ص).

٣ ــ موضع ولادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، الواقع في زقاق الحجر بمكة.

٤ ــ دار حمزة بن عبدالمطلب عم النبيّ (ص).

٥ ــ بيت الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو الذّي استخفى رسول الله (ص) في داره، وهي في أصل الصفا، والمسلمون معه بمكة لما خافوا المشركين، فلم يزالوا بها حتى كملوا أربعين رجلا (٢٣).

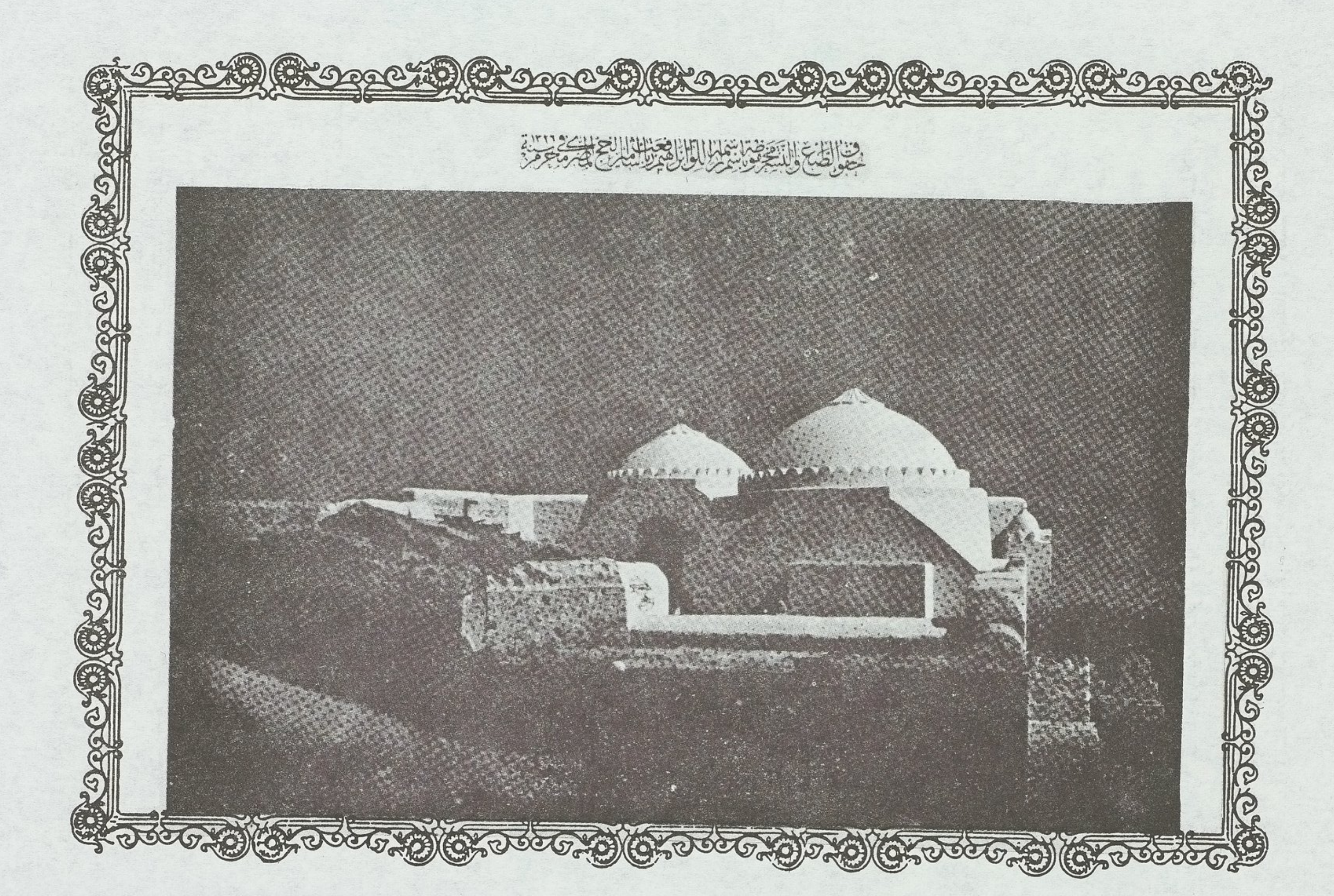
٦ ــ هدم قبور الشهداء، وقبور الفقهاء، والعلماء الواقعة في المعلى، بأعلى مكة وبعثروا رفاتهم.

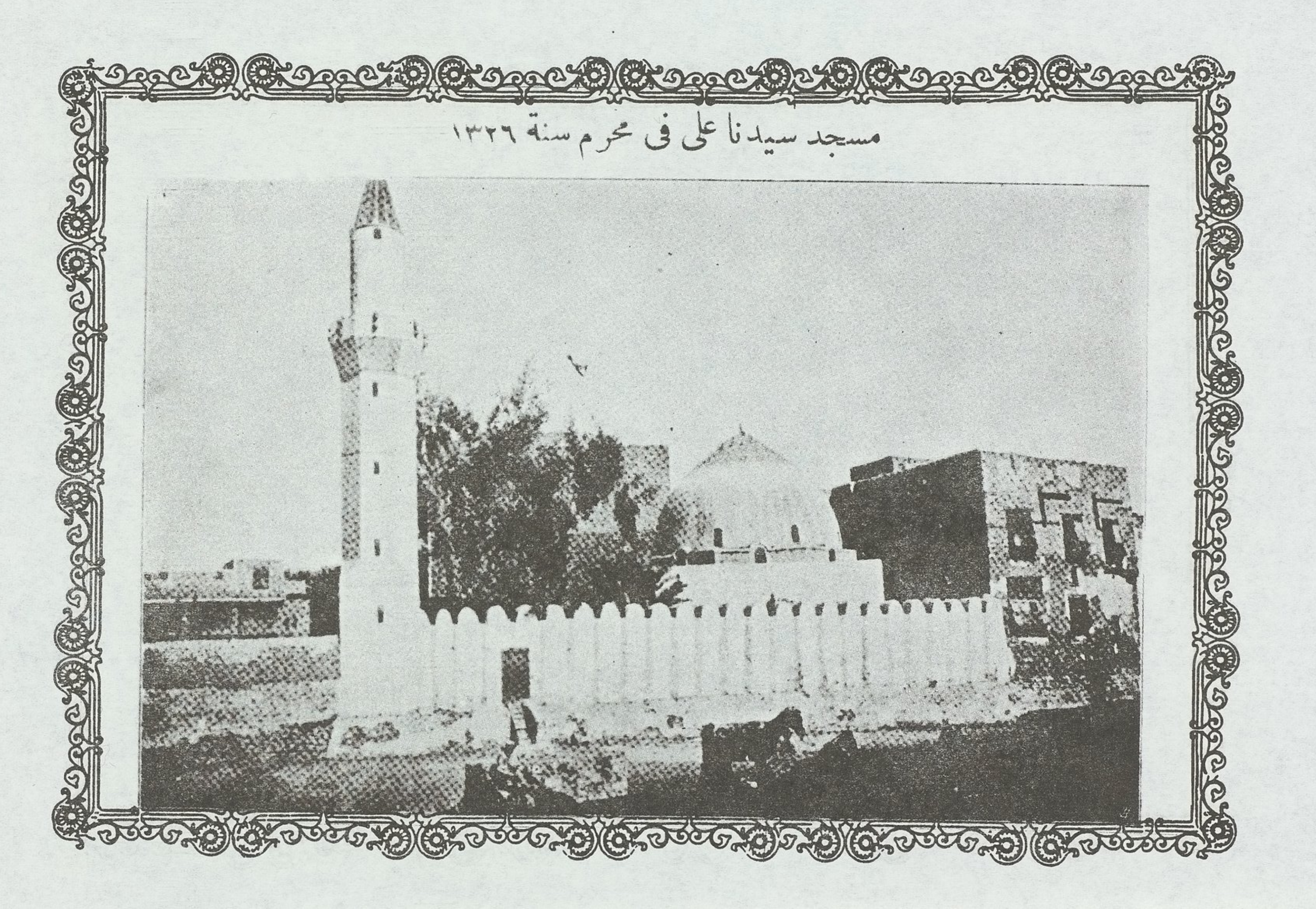
٧ ــ إبادة قبور الشهداء في وادي بدر. كذلك هدّموا مكان العريش التاريخي الذّي نصب للنبيّ (ص) القائد الأعظم.

٨ ــ البيت الذّي ولد فيه الإمام علي بن أبي طالب. والإمام الحسن. والإمام الحسين عليهم السلام

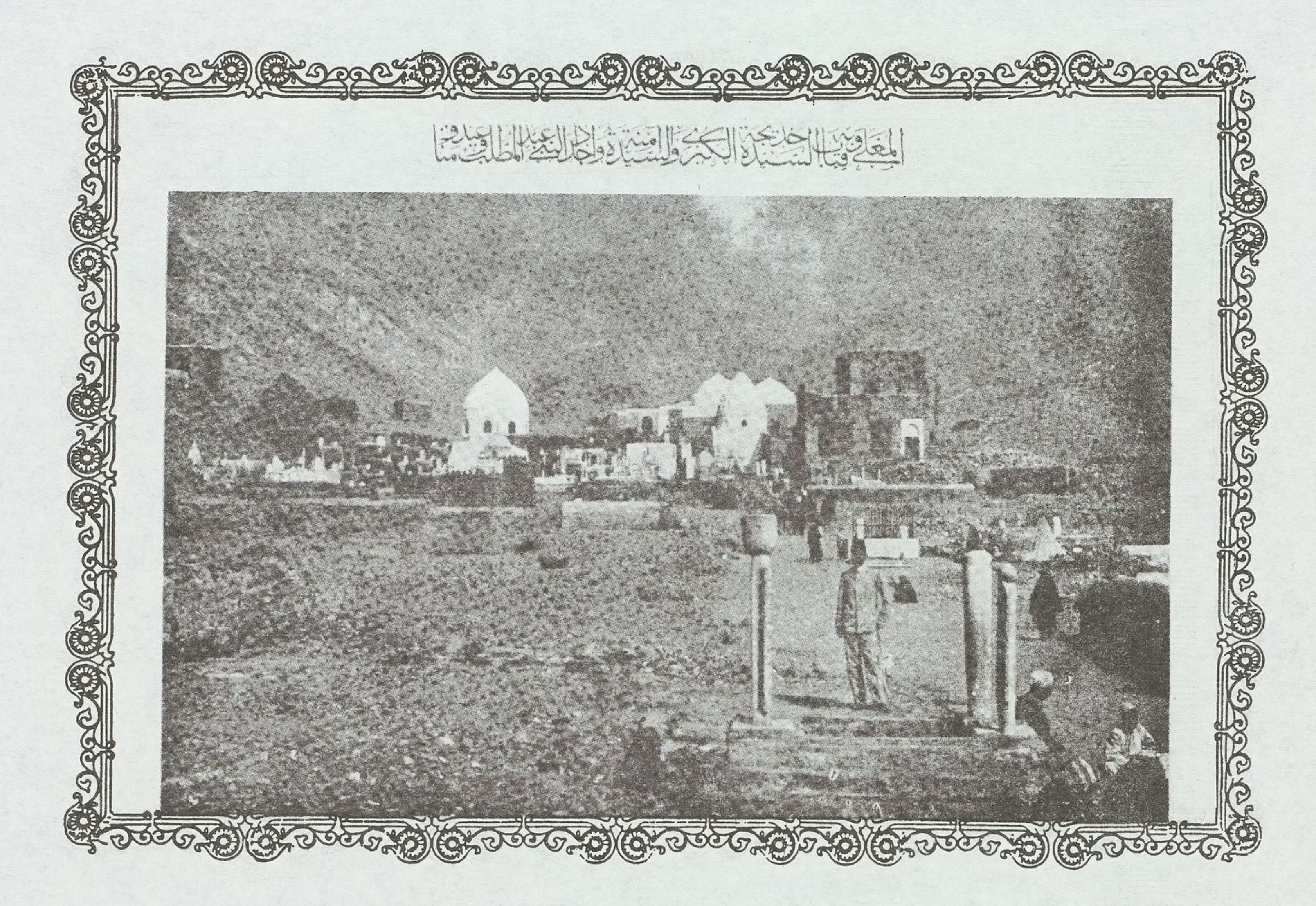
٩ ــ تدمير بقيع الفرقد في المدينة المنورة، حيث قبور الأئمة عليهم السلام، ومراقد المهاجرين والأنصار، وبعثروا رفاتهم.

١٠ ــ ولقد همّ بنوالقينقاع آل سعود، بتدمير القبة التي تظلل، وتضم جثمان صاحب

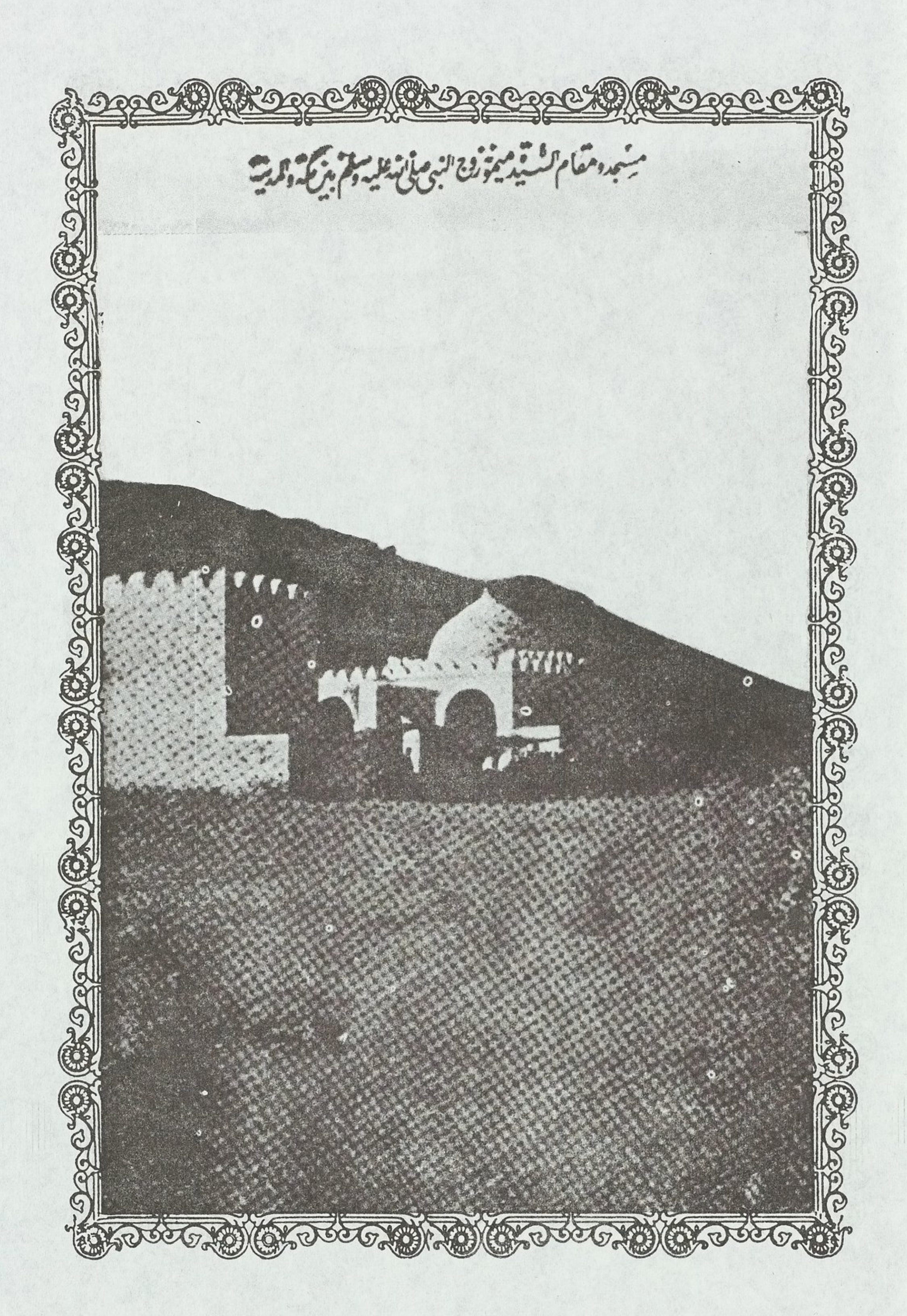




مسجد سيدنا على فى محرم سنة ١٣٢٦



المعلى وبه قباب السيدة خديجة الكبرى والسيدة آمنة وأجداد النبي عبد المطلب وعبد مناف

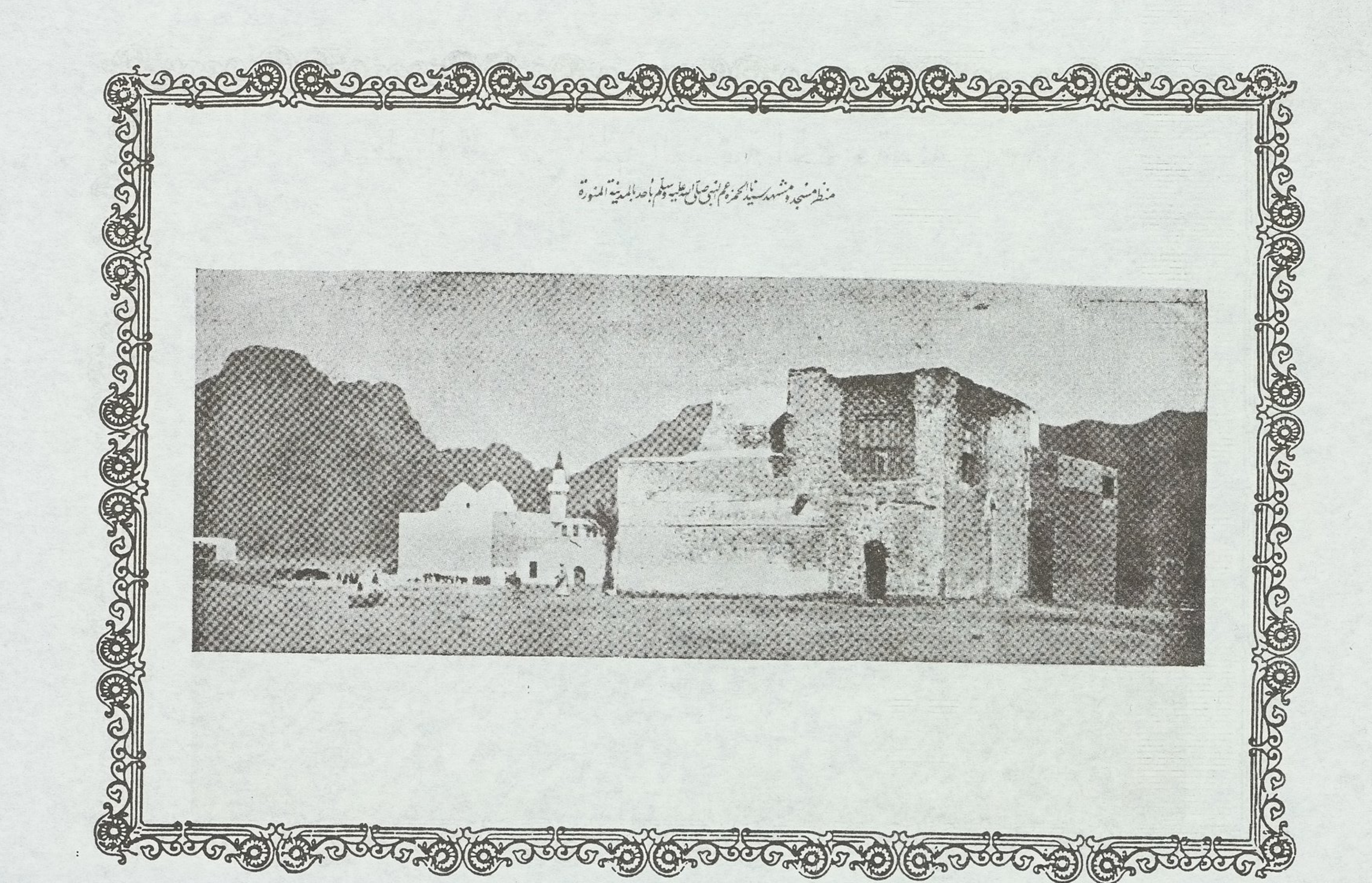


مسجد ومقام السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة

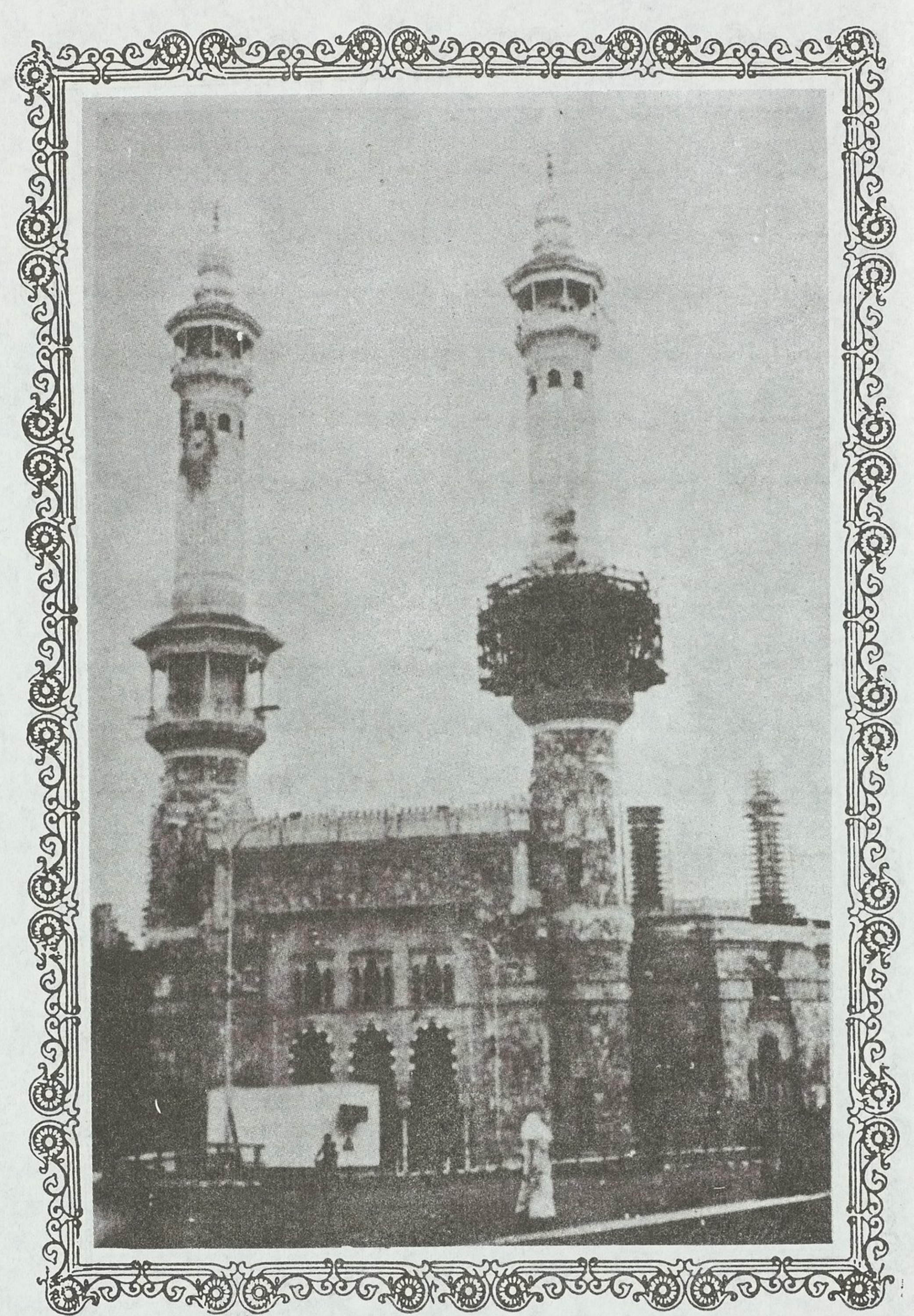


منظر البقيع وفيه مراقد أهل البيت عليهم السلام

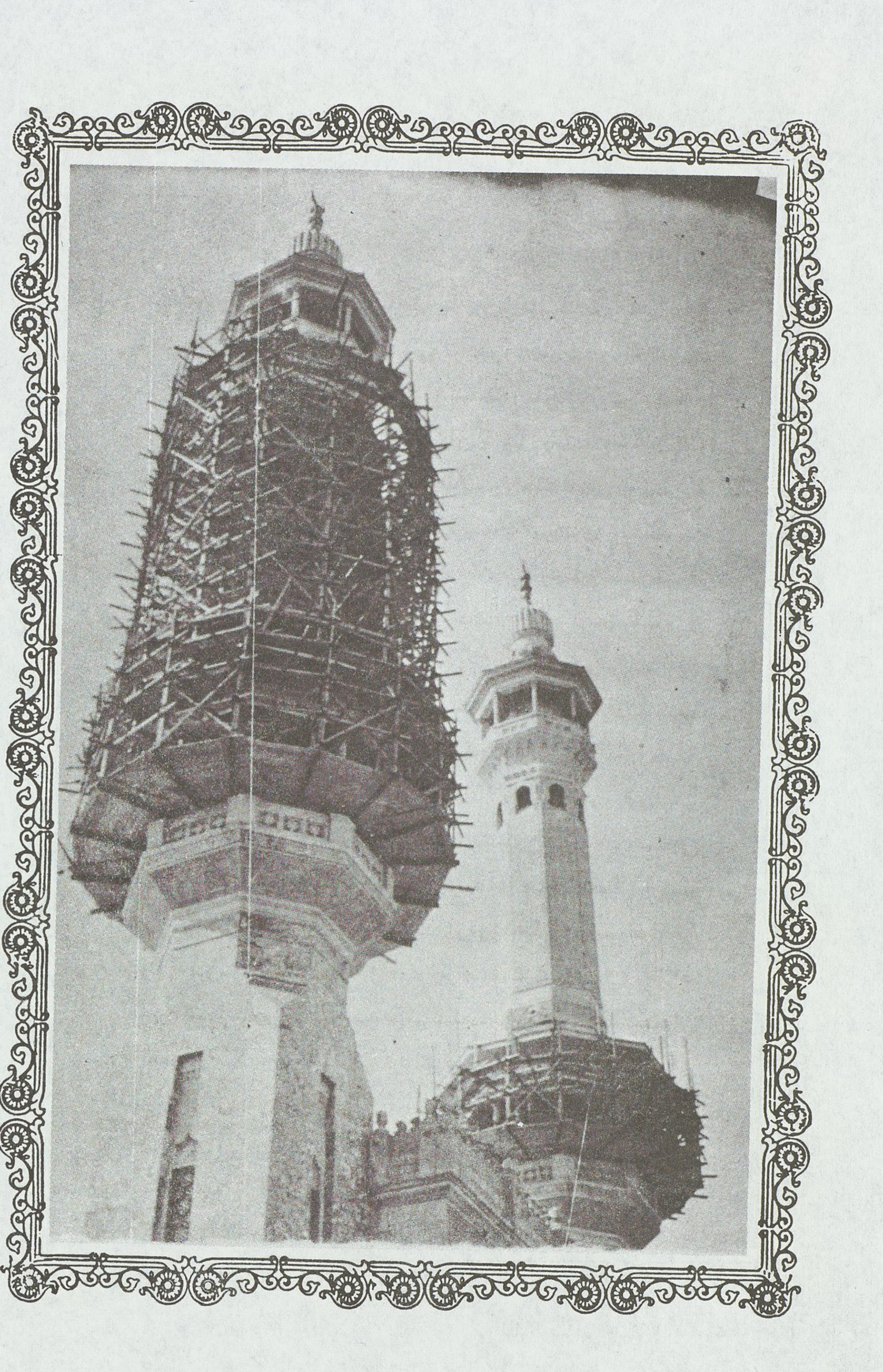
منظر البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية سنة ١٣٢١



منظر مسجد ومشهد سيدنا الحمزه عم النبي صلى الله عليه وسلم بأحد بالمدينة المنورة



آثار الرصاص على مآذن المسجد الحرام



الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم، ونبشوا ضريحه. لكنهم توقفوا حينما وقف الشعب الحجازي، وبعض العلماء الصالحين، ومن كافة البلاد الإسلامية، وحدثت ضجة كبرى عمت العالم الإسلامي، ضدّهم فارتدوا على أعقابهم خاسئين.

كل ذلك لأن لا يبقى أثر واحد من الآثار الإسلامية، ومن مآثر أولئك القادة والا بطال، والمجاهدين الذين سحقوا وقتلوا أجدادهم بني القينقاع، وبنى النضير، وقريضة، وأمثالهم من اليهود، ومن معهم من الأراذل الذين حاربوا التشريع الإسلامي، ورسالة النبيّ الأعظم (ص) بالمال والأكاذيب، وشراء أشباه الرجال الذين استهوتهم الأموال، والشهوات... ولقد توّخى آل سعود الوهابيين، أن لا يبقى أيّ أثر وذكر للإسلام والمسلمين، كما أن لا يبقى للعرب والعروبة من تأريخهم إلّا الإسم السعودي الوهابي المزيف، المهين، الأسود، القذر.

وفي ١٠ شعبان ١٣٤٨ هـ، إجتمع من قبيلة الصهقان، أحد بطون العجمان عدد كبير من أطفال ونساء، وقد خرجوا على ابن سعود، بعد أن فر رجالهم، إلى الكويت، فقاتلهم وكانت ضحايا المعركة من الأطفال والنساء ٧٤٣ وكل ماتبقى من الأطفال والنساء خمسة أطفال ذكور، وثلاث نساء، وأربع فتيات أعمارهن بين التاسعة والعاشرة.

وفي عام ١٣٤٣ هـ، جهز آل سعود حملة قوامها عشرون ألفا، لتأديب قبيلة بني مالك القاطنة في وادي مهور) فهجمت واديهم الأخضر، فأحرقته بالنار وقطعت أشجاره وهو من أخصب أودية الطائف في الحجاز، وأبادت قراه ومن فيها وقتلت نحو أربعة آلاف من الرجال، والنساء، والأطفال، وشرّدت ما تبقى من القبيلة وقوامها يزيد على العشرة آلاف نسمة. واستولت على عدد من النساء والصبيان، وردمت الآبار ودفنت الجداول، وأهلكت المزارع. وقد وصف صاحب كتاب (جزيرة العرب تتهم حكامها) ما حلّ بهذه القبيلة من مأساة بقوله: ــ واكتسى الوادي بأدغال موحشة بدلا من أنسه، وصار مأوى للقردة والبوم، بعد قطانه وأبيدت زهاء ستين قرية لم يبق منها إلّا الأطلال، فتوّهمت أنّي أمر بإقليم حلت به كارثة من كوارث الطبيعة عفت آثاره، ومحت معالمه، ومضت عليه بعدها ألوف السنين، حتى جاء من يكشفه وينقب عما أبقته الكارثة من رسومه وأصلاله).

وفي ١٠ ربيع الثاني ١٣٤٦ هـ قامت انتفاضة شعبية من قبل الطائفة الشيعية المعروفة (بالنخاولة) الذين لم يصبروا على إهانات وجرائم العصابة السعودية، فأوفدوا إليهم الجزار الس عودي عبد العزيز بن إبراهيم، فقتل وبدّد وفشلت ثورتهم وقتلوا منهم مايزيد عن سبعة آلاف شخص رغم أن أكثر الشيعة، لم يشتركوا فيها وكان نصيب النساء والأطفال وافرا، من

هذه المجازر. وفرّ عدد كثير منهم إلى مصر، والاردن، والأقطار العربية. وكان السعوديون يعتدون على النساء عدواناً فاحشاً، بحجة إنّهن نساء الكفار، وكان سهم قبائل جهينة، وبلى، والحويطات، وبني عطية كبيراً من ضحايا القتل السعودي والتشريد.

بعد هذه الإنتفاضة الشيعية الشعبية، أمرت العصابة باحتقار النخاولة... وعدم مصاحبتهم والإختلاف إليهم واستخدامهم في الفنادق والمحلات والبيوتات، وكذلك عدم السماح لهم بالعمل والكسب والتجارة، حتى يومنا هذا فلم يوجد منهم من يعمل في الدوائر الرسمية، ويعين في المشاغل الحكومية، وربّما يستخدمون وتستخدمهم الدولة في أعمال حقيرة ومشاغل رذيلة.

وفي عام ١٢٨٦ هـ، عاثوا في وادي (الدواسر) ودمرّوا الآبار والبيوتات، وأحرقوا النخيل والأشجار، بعد أن قتلوا منهم ثلاثة آلاف من أبناء وادي الدواسر بحجة أنهم كفرة، رغم أن معظمهم قتل في المساجد غدراً، وهم يؤدون صلاة الصبح وهدّموا عليهم المساجد، وأحرقوا جثث المؤمنين بالنار التي أوقدها آل سعود بسقوف المساجد المهدومة على المصلين. وخرجوا على البيوت ونهبوها عن آخرها. وكانوا يقطعون أصابع أرجل الأطفال، ثم يقطعون أرجلهم ثم أصابع أيديهم ويتركونهم أحياء ليموتوا موتا بطيئاً، و إمعانا منهم في إرهاب البقية قاموا باستخراج عيون عدد من الأطفال بخناجر (جند الإسلام الصحيح) المزعومين. ومن قبل حدث مثل هذه الكارثة عام ١١٧٩ هـ، على يد قائدهم محمد بن عبدالوهاب فحين زحف في آن واحد من نجران إلى (الدرعية) فما من قبيلة أو مدينة أو قرية إلّا واتهمها بالكفر، وقتلهم باسم الكفر.

وفي ليلة ٢٧ رمضان ١٣٤١ هـ، قتلوا في مساجد قرية (الشعيبة) المصلين في المساجد، وكان عددهم في هذه المجزرة ٣٧٩٠ شخصاً.

وفي منطقة الجليدة بالقرب من حائل قتلوا من المسلمين من عشيرة آل أسلم من قبيلة شمر ٤١٠.

و ٥١٣ مسلماً من قبيلة عنزة القبيلة التي يزعم آل سعود، أنهم ينتمون إليها لكنها لفظتهم ورفضت أن يكون لهم بهم صلة القربى، فقاتلها آل سعود، وقتلوا منهم هذا العدد.

ومذبحة أم غراميل، في شرقي حائل قتل فيها ٤١١ مسلماً.

وفي منطقة الغوطة بحائل ذبح ٣٧٥ مسلماً، وفي هذه المجزرة قال شعراء الشعب العدِيد من القصائد.

وفي مذبحة تربة التي راح ضحيتها... ر ٤٠ مسلماً، جميعهم من المسلمين، ومن أتباع

الشريف حسين بن علي الذي كان يحكم الحجاز حتى عام ١٩٢٥م ١٣٤٤هـ، حينما سلم الإستعمار عرشه لآل سعود.

وفي مجزرة اشتهرت بمذبحة الطائف والحوية قتل فيها ١٥/٠٠٠ ومعظمهم من أطفال ونساء مكة، الذين كانوا يصطافون في الطائف ومن أهل الطائف.

قتل ٢٨٠٠ شخص من جنود الشريف علي بن الحسين، في حصار الطائف وكانوا من أهل جدّة.

وفي مناطق القصيم مايزيد على ٢٧/٠٠٠ شخص، فقد جمعوهم في الصحراء، وقتلوهم بما فيهم الأطفال والنساء.

وفي مجزرة النيصية، والوقيد، والجثامية ١٠/٠٠٠ من قبيلة شمر وأهن حائل.

وفي مناطق عسير وتهامة أكثر من ٥٠/٠٠٠ مسلم.

وفي وادي تنومه أكثر من ١٢٠٠ يماني، بعد أن قدموا للحج.

وفي وادي بني مالك في الطائف قتل ٧٠٠٠ عربي مسلم، وهدّم ٧٠ قرية من قراهم.

وفي عام ١٩٥٣م ١٣٧٢هـ، في جبل القهر الواقع جنوب الحجاز قتلوا ١٥٢٠ مسلماً، من قبائل الريث.

وفي معركة الجهراء في الكويت، حيث قتل من أهل الكويت، وقبائل الجزيرة العربية ما يقارب ١٠٠٠ عربي مسلم.

وفي مذبحة السبلة. وأم الرضمة. قتلوا من قبيلة مطير وعتيبة ٥٠٠٠ عربي مسلم، وبعد قتلهم قتلوا شيوخهم، ومنهم فيصل الدويش، وسلطان بن بجاد.

وقتلوا أكثر من ٣٠٠٠ مسلم من قبيلة العجمان، في معارك عديدة معروفة، وقتلوا عدداً من شيوخ العجمان، منهم نايف، وصيدان بن حثلين.

وفي ثورة إبن رفادة قتلوا أكثر من ٧٠٠٠ من قبائل الحويطات، وبني عطية، وجهينة، وبلى. وشردوا الالآف منهم.

وفي التاريخ السعودي الوهابي الآثم... الكثير من المذابح والمجاذر الدامية التي راح ضحيتها أكثر من مليوني عربى، ومسلم من الحضر والبادية.

حركة النخاولة في المدينة المنورّة..؟

من البيوتات والقبائل العربية الإسلامية الأصيلة، والعريقة المعروفه في المدينة المنورّة (بيت النخلي) والعوام يقولون: (النخولي) وهو المشهور اليوم. نسبة إلى صناعة فلاحة النخيل،

وهم طوائف كثيرة، وخلائق كبيرة، وكلهم من الشيعة الإمامية الحقة، وبينهم غاية المحبة وكمال الالفة والحنان، مع ابتعادهم وعدم اختلاطهم بالسنة والوهابية... واطلق عليهم اسم النخولي لا تقانهم فلاحة النخيل، بحيث لا يكادون يحسنون غيرها، ولا تصلح إلّا بهم غالباً، ولهم قدم بالمدينة الطيبة، وينتمون إلى الذريّة الطاهرة عليهم السلام، وهم حسنيون، وحسينيون، الذّين فتحوا باب النضال والكفاح على مصراعيه لغيرهم، وقادوا خلال القرون السالفة تلك الثورات العارمة التي كادت تطيح بالحكم الأموي الدامي، والعباسيين الفجرة... وتدفعهم إلى الإنهيار في بعض الفترات.

وقد جاء في بعض النصوص التاريخية أن الإمام موسى بن جعفر الصادق عليهم السلام، كان يعيل خلال إقامته في المدينة الشريفة بخمسمائة عائلة متكوّنة من أرامل وأطفال وأيتام بني حسن، في المدينة ويدفع نفقاتهم باستمرار. ولما طلبه هارون الرشيد العباسي، وأشخصه إلى بغداد تكفل نفقات الطالبين إبنه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام (٢٤) وهكذا امتدّت جذورهم وفروعهم الكريمة إلى يومنا هذا، وأقاموا في المدينة يعملون ويكدحون رغم ما أصابهم من ظروف الحياة القاسية، وأوزار وجرائم العصابات الحاكمة فيها، فقد قتل العباسيون هؤلاء واستأصلوا شأفتهم، وحبسوهم في غياهب الجب وأعمال السجون.

أما في العهد السعودي... الأسود فقد عاملوهم معاملة العبيد والاماء، ومازالت العصابة الوهابية تكرس جهودها الفاشلة، ومساعيها المبتورة، وتجار وأذناب دينها تحقرّهم وتحاربهم سواء في مناطق الإحساء والقطيف، أو في المدينة. بل إنّ واحداً من أقذر مبررات آل سعود في غزوهم لمنطقة حائل، وجود خمسة (مشاهدة) أي من أبناء المشهد (النجف)، وكانوا يقيمون في حائل وهذا ما يثبت كفر أهل حائل وقبيلة شمر، لكون المشاهدة من الشيعة، والشيعة حسب عرفهم الخبيث كفرة... كما أفتى تجار دينهم بذلك، ومنهم الوهابي الفاحش عبدالرحمن بن عبدالكريم المدني الحنفي المتوفّى ١١٩٥ هـ، فقال في كتابه: (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب) مانصه:ـ

ـ بيت النخلي، وكلهم شيعة شنيعة. وغالبهم جهلة لا يكادون يفهمون شيئاً من مذهب الرافضة. وإنّما وجدوا آباءهم على امة وهم على آثارهم مقتدون. وهم معهم بلا شك في النار يحشرون. وعلامات رفضهم وبغضهم كثيرة، منها الشهرة، وعدم إدخال أطفالهم الحجرة، وعدم ادخال جنائزهم إلى الحرم، وكل ذلك لوجود الشيخين فيها. ولا يدفنون موتاهم بين أهل السنة. ولا يحضرون جنائزهم، ولا يغسلهم، ولا يحضرهم أحد من أهل

السنة. ولا يسمون أحداً من أولادهم أبابكر، ولا عمر، ولا عائشة، ولا حفصة. ولا يزوّجون ولا يتزوجون أحداً من أهل السنة. ومنها عدم صلاتهم التراويح في شهر رمضان. وقد شاع وذاع وملأ الأسماع أن أصلهم من بقايا أولاد النساء اللواتي حملن بالزنا في قضية الحرّة المشهورة في أيام الخبيث يزيد بن معاوية قبحة الله، حين استباح المدينة قتلا ونهباً وفسقاً وسلباً. وقيل: أنّ النخاولة بعضهم أصلهم من العبيد، وبعضهم من الهنود، وبعضهم من اليمن، وبعضهم من المغرب، وبعضهم من مصر، وبعضهم من الحجاز وغيرذلك (٢٥).

إنّما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون. أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون. لا جرم أنّهم في الآخرة هم الخاسرون (٢٦).

هذا و إن ننسى فسوف لن ينس التاريخ ذلك المشهد المروع الذي أشرف عليه عبدالله الفيصل، وزير الداخلية سابقاً، وابن الملك فيصل، حينما تجمهر هؤلاء الفلاحين النخاولة في المدينة سنة ١٣٧١هـ ١٩٥٢م، مطالبين بإنصافهم وبعدم تحقيرهم — كبشر— و إيقاف ملاحقة رجال الدين السعودي لهم بتهمة إنهم (شيعة ونخاولة) فانتقل عبدالله الفيصل، من جدّه بطائرة خاصة إلى المدينة، ومعه مجموعة من الجنود والعبيد، وهاجموا الفلاحين في أكواخهم في داخل البلد، وأشبعوهم تعذيباً، ثم ربطوا أيدي بعضهم كما ربطوا أرجلهم بجبال لمؤخرة السيارات لتجرّهم وتسحلهم من مكان حقولهم عبر الشوارع... وبعد ذلك اعتقلت الوهابية العديد منهم مما أدي إلى وفاة بعضهم، من جراء التعذيب في السجون السعوديّة. وخلال ذلك العذاب لم يكف وزير الداخلية. وجلاديه عن تحقير أولئك الفلاحين المساكين بشتى المسبات وترديد كلمة (يا نخاولة يا شيعة) وكان الإحتلال السعودي هو الذّي حولّ إسم (النخلي) إلى إسم النخولي، وجعل كلمة (نخولي) أي (فلاح النخيل) من أكبر الشتائم التي توجّه حتى للذين لا يعملون في النخيل.

كقولهم: (روح يا نخولي) وذلك حينما يسخر شخص من آخر. وكانت لهؤلاء الفلاحين في المدننة نقابة في عهد الحكم العثماني للبلاد ألغاها الإحتلال السعودي في اليوم الأوّل لا حتلاله البلاد.

ولعدم إرتضاءهم بالحكم السعودي الوهابي الأسود..؟ كانت لهم في المدينة انتفاضات ضدّ العصابة وزبانيتها، الذين لا قوا على أيديهم أنواع الإعتداءات بتهمة أنهم من (الشيعة) و إنهم ضد سلب السعودية لحقوقهم. وهذا ما جعل الإحتلال السعودي يعمل لحل نقابتهم، ويحقرّهم ويمارس معهم أنواع بطشه، ويقطع العديد من أيديهم، وأرجلهم بحجة أنهم

ممن يحاربون الله ورسله. والمقصود بكلمة (رسله) هذه ــ آل سعود ــ. ونظراً لإشاعة روح الفتنة بين المواطنين أصبحت كلمة (النخولي) عند الحجازيين أكثر تحقيراً من كلمة (عميل أمريكا، واسرائيل) التهمة التي لم يعتقل أي شخص بموجبها في المملكة السعوديّة، مملكة أمريكا، والصهاينة.

وكلمة (نخولي) ينعت بها البعض للتقليل من قيمة المنعوت كشتيمة له... إلّا أن الشتيمة (بالفلاح النخولي) بدأت تختفي نسبياً في المدينة بعد أن أدرك الجيل الواعي أن معنى كلمة (نخولي) لا تعني إلّا (النخيلي) أي الفلاح العامل بالنخيل، وإنّ كلمة (شيعي) لا تعني إلّا أنه من شيعة ذلك البطل العظيم المثالي في ثورته على الظلم والفساد... وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده دون أيّ فصل واختلاف، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام... إبن الجزيرة العربية، وسيد المسلمين، وقائد الغرالمحجلين، وخاتم الوّصيين، وأول القوم إيمانا، وأوفاهم بعهدالله، وأعظمهم مزيّة، وأقومهم بأمرالله، وأعلمهم بالقضية، وراية الهدى، ومنار الإيمان، وباب الحكمة، والممسوس في ذات الله، وليد الكعبة المشرّفة، ومطهرّها من كل وثن وصنم، والشهيد في البيت الالهي جامع الكوفة... الأعلم الذّي ضحى بنفسه وأولاده، وصحبه في سبيل سعادة البشريّة والإنسانية في الدارين، و إنقاذها من مخالب الجاهلية والإستعباد والإستثمار.

أما المتأرّخ الضئيل إبراهيم رفعت پاشا المتوفّى ١٩٣٥/١٣٥٤ ذكر في كتابه إسم النخاولة، فقال فيهم مالفظه: ــ والبساتين، والحقول، يقوم بحراستها والخدمة فيها ورعى مواشيها، بل بالخدمة في البيوت أيضاً جماعة من ذرية الأعجام يسمون النخولة، وهؤلاء بالمدينة أشبه بالفلاحين في مصرنا، ولولاهم ماقامت الزراعة، وهم رافضة يبغضون أبابكر وعمر، واحتقاراً لهم وعقابا على نزعتهم الباطلة، كلفهم رئيس البلديّة بأن يقوموا بطرد الكلاب من حول المسجد النبوي، ويجتمع بهم الأعجام، في مواسم الحج، ويؤجرون منهم الدور بما فيها (٢٧).

(وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم، وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) (٢٨).

وبعد هذا الفتك الفضيع والبطش الذريع الدامي الذّي حفظه التاريخ للأجيال والأجيال... هل يتشدّق حكام السعوديّة بالقول المزعوم لأحدهم: ــ لقد ائتمنني الله على خدمة الحرمين الشريفين وأوكلني بهما... وعلى الأصدقاء إعانتنا لحمايتهما من المخرّبين والثوريين والإشتراكيين والشيوعيين)؟.

وهل يتراجع أدعياء التأليف والتأريخ الذين باعوا ضمائرهم للعملاء، وزيفوا

التأريخ وجاؤا بالإفك والكذب لتبرير جرائمهم، وفحشائهم، وتثبيت عروشهم الواهنة المكروهة... عن مثل هذه الأكاذيب والإفتراءات الخادعة

وهل سيستيقظ ضمائرهم المعذبة، وتعود إلى رشدها وهديها أم ستتابع غيها وضلالها، ليكونوا لجهنم من الداخرين..؟.

ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر(٢٩).

* * *

إنتفاضة المسجد الحرام..؟

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنّهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدى).

فتية تدرّعت بقوة العقيدة، وتسلحت بسلاح الإيمان، وتجنّدت بروح القرآن.. أقامت كتلة موحدة ركيزة وراحت تعمل على الصعيد الإسلامي، وتدعوا الشبيبة للمقاومة والمثابرة، و إنقاذ وتطهير الجزيرة الإسلامية، والأراضي المقدسة من مكائد الصهاينة، ورواسب وسيطرة الإستعمار، فأرسلت بصرخاتها في الوطن الإسلامي الكبير، فاستجابت لها قلوب جموع غفيرة من الشبيبة المتطلعة إلى المجتمع الإسلامى الأفضل، والتكتل والتضامن العقائدي الذّي يستطيع المسلمون على هديه، أن يكونّوا أنفسهم وعقيدتهم ويحموا سلامتهم من ناحية، ولكي يكون وثبتهم ونهضتهم، مستمدة من روح عقيدة الإسلام والقرآن من ناحية ثانية، ويتعاونوا ويتضامنوا في ميادين عديدة مشتركة بينهم، لخيرهم جميعاً وخير البشرية من ناحية ثالثة.

إنّ التعبئة الإسلامية على مر الأيام تبلورت في أفكار الشبيبة، وأصبحوا فيما بينهم باتصال وثيق مترابط ومتعاقد، والهدف في المرحلة الأولى تحويل المجتمع السعودي المنهار إلى خلية إسلامية عاملة، حية عاملة متحررة من العوز والفقر والجهل، ومتمسكة بالقيم الروحية... مجتمع إسلامي متحرر من الفقر والمرض والتخلف، ويصبح في النهاية في مصاف الدول الإسلامية العصريّة المتقدمّة.. ويحولّوا الشعب من العبودية إلى الإنطلاق فيدافع عن الوطن كل اعتداء، ويصد الغازي، ويرهب الطامع، ويكون أهلاً للإسهام مع الجيوش الإسلامية في ميدان الواجب الإسلامي، والوطني فيعمل في نصرة شعب فلسطين في استرداد حقوقه المشروعة المغتصبة.. وواجب الدفاع عن النفس والوطن في حقل كسر شوكة التطلع الإسرائيلي إلى المزيد من التوّسع والإغتصاب.

ومهما يكن من أمر فالطليعة الإسلامية بوازع من هذه القيم، انطلقت لتحرير البيت الحرام (مكة) في المرحلة الأولى، لأنها القبلة المقدّسة للمسلمين، وأوّل بيت وضع للناس

ببكة... ومن ثم تطهير و إنقاذ بقية الأراضي الإسلامية. وهنا أترك الحديث لمنظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية... لتتحدّث هى عن إنتفاضة الحرم. في اليوم الأوّل من العام ١٤٠٠ هـ فوجئ العالم، بإقتحام الحرم الشريف في مكة المكرّمة فاتجهت الأبصار إلى أرض المقدسات...

إنّ عملية الحرم، إنّما هى جزء من سلسلة عمليات جاءت وفق تخطيط كبير، وواسع أريد له أن يشمل أغلب مناطق الجزيرة، وتشارك فيه قطعات عديدة معارضة من الشعب... وهذا التخطيط كان المفروض فيه أن تشارك ثلاث قوى رئيسية:

١ ــ جماعة الأخوان، وهي المحرّك الأساسي للجماعات الاخرى، حيث أنها تمتلك عناصر كثيرة ومنتشرة، كما أن قيادة هذا التخطيط كانت تتولاها هذه المجموعة.

٢ ــ الجماعة الثانية، متكوّنة من مجموعة قبائل، تشمل عتيبة، وقحطان، ويام.

٣ ــ الجماعة الثالثة، وتضم عناصر خيرة من الجيش والحرس الوطني، ولها إتصالات بجماعة الإخوان... وكان من المقرّر أن تتحرّك هذه المجموعات وفق خطة مدروسة، وأن تقوم كل مجموعة بمسؤولياتها المحددة... ومنها:

١ ــ ترتيب عمليات لاختطاف الملك، وهذا الترتيب أعد على إحتمالات تواجد الملك في الرياض، والطائف، أو مكة، وقد بنت المجموعات احتمالاتها على أساس أن تواجد الملك في الرياض سيكون في قصره. وفي الطائف سيكون في قصر الحوية، أما حال تواجده في مكة فإنّه سيكون في قصر الإمارة، أو حاضراً لصلاة الصبح في الحرم. وقد وقعت عدة أحداث تشير إلى وجود هذا التخطيط... ففي الرياض انفجرت قنبلة في القصر الملكي، وحصلت توترات صبيحة الإلتجاء إلى الحرم في الرياض. أما في الطائف مصيف الملك، فقد نشبت اشتباكات بين القوات السعودية، وجماعة الإخوان، واحتل على اثر هذه الإشتباكات مطار الحوية. أما في مكة فبالاضافة إلى إحتلال المسجد الحرام، والتخطيط لإلقاء القبض على الملك إذا ماكان هناك كانت هناك محاولة للاستيلاء على أذاعة القرآن الكريم، والسيطرة على قصر الإمارة... وقد نقلت بعض الأنباء أن طلقات مدافع رشاشة، وجهت نحو الطائرات من جبل أبي قبيس المطل على مكة المكرّمة.

ب ــ كان من خططهم القيام بعدة عمليات ثوريّة في المدينة المنورة، ومدن اخرى، كما تناقلت الوكالات أنباء محاولة إحتلال مسجد الرسول (ص) في المدينة المنورّة، في نفس الوقت الذي أعلن الشهيد جهيمان، إحتلال المسجد الحرام في مكة.

ج ــ تحرّك القوات العسكريّة من قواعدها، وقد أراد قائد القاعدة الجويّة في تبوك

التحرك إلّا أن السلطات ألقت القبض عليه، وعلى عدد من الطيارين، بينما فرّ ضباط آخرون إلى الخارج، كما أن قوات الحرس الملكي احتلت القاعدة الجوية في الطائف، واعتقلت قادتها، وعدد من ضباطها، بعد أن كانت القوات المرابطة فيها قد بدأت تتحرك لدعم الإنتفاضة من جانب آخر، حاصرت قوات الجيش المدرّعة، معسكرات الحرس الوطني في طريق المدينة، وشمال عسير.

هذه هي جوانب عملية الإنتفاضة التي كانت مقررة، بحيث تبدأ المجموعة الأولى، والثانية لتهيئة الأجواء لتحرّك العسكريين بالضربة القاضية.

وهذه هي الخطة التي يمكن إستنتاجها من مختلف الأحداث والأنباء، ولكن كيف لم تتم الخطة بالشكل المطلوب..؟ وأين كان الخطأ..؟ فهذا ما نرجو أن يتضح ليكون عبرة ودرساتستفيد منه الحركات الثوريّة الاخرى. ومن المؤكد أن أحداثا كبيرة، وقعت أثناء ثورة الحرم، بيد أن السلطة استطاعت مواراتها واخفائها في قبر الصمت والتعتيم الإعلامي، بينما كان حادث الحرم عصياً على التعتيم.

لماذا اختيار الحرم..؟

إنّ اختيار المكان يحدّد بدقة نوعية الصراع، فهو صراع بين الإسلام والكفر... بين إسلام محمد (ص)، و إسلام كارتر الذّي تحاول السلطة تزريقه في المجتمع، وبالطبع فإنّ إسلام إمريكا يحاول التغطية على المسلمين الأصليين وبث الدعايات ولف الأكاذيب والإفتراءات حولهم، ولهذا كان إختيار الحرم لهدفين أساسيين:

١ ـــ أن يخرجوا السلطة التي تدّعي الإسلام إذا ما قتلتهم في الحرم، وهم لاجئون معتصمون.

٢ ـــ إعطاء القضية بعداً إعلاميا لا تستطيع السلطة التستر عليه، و إلّا فالستار الحديدي الذّي تفرضه السلطة السعوديّة على الأحداث لا نظير له في هذا العالم... وجرأة المسئولين السعوديين على إنكار أضخم الأحداث، لا مثيل لها في تاريخ الطغاة، وأقرب مثال لنا ما حدث في المنطقة الشرقية أثناء ثورة الحرم، من انتفاضة جماهيرية إستمرت ستة أيام من السادس وحتى الحادي عشر من المحرم... وكانت التظاهرات والمسيرات تضم عشرات الألوف من أبناء الشعب رجالا ونساءاً، تساقط خلالها عشرات الشهداء، ومئات الجرحى بينما غصت السجون بالمعتقلين، وأعلنت الحكومة الأحكام العرفية في المنطقة، ومع ذلك صرّح وزير الإعلام بكل وقاحة، أنه لم يحدث شيء يذكر هناك.

بقي أن نضيف أنّهم كانوا يحتملون وجود ملك النظام السعودي في الحرم عند صلاة الصبح، في ذلك اليوم فيلقون القبض عليه، بالإضافة إلى الإستفادة من تجمع الحجاج المسلمين، من مختلف بقاع العالم هناك ... لذلك ولأسباب اخرى أعلنوا الإعتصام في الحرم، وكل ظنهم أن السلطة ستستجيب لمطاليبهم، بالتفاهم والتفاوض السياسي، نظرا لصعوبة قتالهم وهم في الحرم من الناحية الدينية.

ولكن لأن الاحتمال الآخر وارد من قبل السلطة، وهو إستعمال العنف فقد أخذ المجاهدون إستعدادهم الكامل لمواجهة هذا الإحتمال.

خطوات قبل العملية..؟

تطبيقا لما أمرالله تعالى به في كتابه الكريم: **(يا أيها الذّين آمنواخذوا وحذركم)** وقوله: **(خذواوحذركم إنّ الله أعد للكافرين عذاباً مهينا)** و قوله تعالى: **(فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم)** ومن هذا المنطلق القرآني كان استعداد المجاهدين تحسباً لأي طارئ نظراً لعدم ثقتهم في السلطة الكافرة... كان من ضمن إستعداداتهم:

١ ـ الحصول على خارطة هندسية مفصلة للحرم، ودراستها لمعرفة المواقع الإستراتيجية الهامة، وترتيب خطط الدفاع عليها إذا ماهاجمتهم قوات النظام، ولهذا تكبدت السلطة الظالمة خسائر فادحة، لعدم معرفتها بخريطة الحرم المكي.

٢ ـ وصلت مجموعات من المجاهدين إلى المسجد الحرام، قبل أسابيع من تنفيذ العملية، وأعدت مستودعات للأغذية والذخيرة التي كانت تهرّب إليها، بمختلف الوسائل ومنها التوابيت.

٣ ـ توفير الأقنعة الحديثة غير المتوفرة إلّا لدى الجيوش النظامية، لمواجهة قنابل الغاز المسيل للدموع، والقنابل المشتعلة الحارقة للأوكسجين.

كما أن قوات الحرس التي حاصرت الحرم في الاسبوع الأول من الإحتلال، قد زودّت الثوار بالأقنعة الواقعية، والذخيرة مما يدلّ على ترتيب مسبق مع ضباط في الحرس الوطني بهذا الشأن.

هكذا تمت عملية احتلال الحرم..؟

قبيل إنبلاج الضوء الأوّل من صباح يوم الثلاثاء، اليوم الأول من أيام القرن الهجري الجديد (١٤٠٠) كان عدد كبير من السيارات تنزل ركابها في الشارع المحيط بالمسجد

الحرام، حيث إتجه حوالي (١٠٠٠) مسلح إلى داخل الحرم الذي كانت تقام فيه صلاة الفجر، بإمامة الشيخ محمد بن سبيل، وبينما كانت تتعالى هتافات الثوار الذين سيطروا على ساحة المسجد بنداء العزة، الله أكبر... كانت مجموعات اخرى تقوم بإغلاق أبواب الحرم، واعتقال رجال الأمن الذين يحرسونها، بينما اتجهت مجموعة ثالثة إلى الطوابق العليا، من مآذن المسجد الضاربة إرتفاعا في أجواء مكة.

أما في الخارج فكانت هناك مجموعات من الثوار، تتخذ مواقعها في جبل أبي قبيس المطل على مكة، لتأمين الحماية الخلقية. وهناك أنباء أنّ الثوار كانوا موجودين أيضاً في عدد من البيوت المحيطة بالحرم.

في داخل الحرم، كانت مجموعة كبيرة من رجال الشرطة السريّة (المباحث) حاولت التصدي للثوار بأساحتها الخفيفة المكوّنة غالباً من المسدسات والعصى، إلّا أن نيران الثوار كانت من القوّة بحيث اضطر جلاوزة السلطة إلى الفرار، كما قتل أحدهم وجرح آخرون، بينما كان الثوار يوزّعون براميلهم المملوءة بالتمر في مختلف أنحاء المسجد.

وأسلحة الثوار كانت تتكوّن بصورة رئيسية من البنادق الا توماتيكية. بعض الرشاشات الثقيلة. بنادق قديمة، مسدسات، وخناجر.

أمام باب الكعبة الشريفة كان أحد الثوار يلقي من خلال مكبر صوت (ميكروفون) المسجد، مطالب الثوار التي تنجصر في النقاط التالية:

١ ــ تصفية مظاهر الثقافة والتقاليد، والقيم المستوردة من الغرب. ونشر الثقافة، والقيم الإسلامية العادلة. وقطع العلاقات مع دول الغرب الإستعمارية.

٢ ــ إسقاط الحكم الملكي الوراثي، و إقامة حكومة إسلامية. ومحاكمة اسرة آل سعود الخائنة. ومصادرة أموالهم المسروقة من قوت الشعب.

٢ ــ إعلان كفر الملك خالد، واسرته الذين حكموا بغير ما أنزل الله، وجعلوا البلاد مرتعاً للإستعماريين، والشركات الأجنبية.

٤ ــ وقف تصدير البترول إلى الولايات المتحدّة لمواقفها المعادية للإسلام والمسلمين. وتخفيض الإنتاج، بحيث يتناسب مع حاجة البلد، وللحيلولة دون إهدار الثروة الوطنية.

٥ ــ إخراج كافة الخبراء، والمستشارين العسكريين الأجانب، الذين يسيطرون على الجزيرة العربية. وتصفية القواعد العسكريّة الأجنبية.

تشويه أهداف الإنتفاضة..؟

لقد حاولت السلطة التعمية على مطالب الثوار الحقيقية، كما حاولت التغطية على الأبعاد السياسية للعملية، حيث صرح وزير الداخلية نايف (أن الحادث أبعد مايكون عن أيّ مضمون سياسي) وصرح فهد أن: (ليس للجماعة أهداف ومطالب عدا المهديّ المنتظر.. وأن المسألة لا تعدو كونها أحلاماً وكلام فاضى) كما صرح الأمير سلمان بن عبدالعزيز (أنهم ـ أي الثوار ـ أشخاص اتحدوا ضمن هدف شرير ليس إلّا) كما قال وزير الداخلية أيضا: (إنّهم لم يرفعوا أيّ شعار سياسي، ولم يطالبوا بقطع البترول عن الولايات المتحدة) كما صرح فهد بعد ذلك: (إنّهم قاتلوا من أجل تحقيق البيعة للمهديّ المنتظر وحسب).

إنّ البيان الأوّل للحكومة، والذّي صدر بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢١م وصف الثوار بأنهم (زمرة الخارجين عن الدين الإسلامى) كما وصفهم نايف... بالخروج عن الدين كغيره من الوزراء، والأمراء، فاذا كانوا خارجين عن الإسلام، فكيف يطالبون بمبايعة المهديّ المنتظر... الذّي يؤمن به المسلمون على اختلاف مذاهبهم.

لقد بات من المؤكد لدى جميع الصحف، ووكالات الأنباء، أن للثوار مطالب سياسية ذكرنا بعضها في الصفحات السابقة... فقد أكد مراسل وكالة الأنباء الفرنسية في جدّة: (بأنه أصبح من المؤكد أن هناك أهداف سياسية للمتمردين) كما إن جريدة النهار اللبنانية هي الاخرى شككت في عدم وجود مطالب سياسية فقالت: (باتت النظريّة الرسمية القائلة أن عملية مكة بعيدة عن أي دوافع سياسية، موضع تشكيك في الأوساط المطلعة في جدّة) وأضافت نقلا عن الواشنطن بوست: (أن الهجوم المسلح على المسجد الحرام يعتبر تحدياً مباشرا للحكومة السعوديّة، ولحقها في الحكم. ومن الصعب ارتكاب خطأ أكبر من إعتبار الحادث حلقة معزولة من الهستيريا الظلامية تنتهي بعودة الأمن) وأكملت الصحيفة حديثها في وقت لاحق فقالت: (إنّ أهداف حركة الحرم الشريف صورت ظهورا للمهدي المنتظر.. ولكن الأهداف السياسية لم تغب عنها).

والطريف أن مسؤولا سعودياً، صرّح لمجلة (نيوزويك الأمريكية) أن هدف الجماعة التي إحتلت المسجد الحرام، كان لبث القلاقل وعدم الإستقرار في الجزيرة العربية. وحتما فإنّه حتى هذا الهدف لا يعتبر سياسياً في نظر جهابذة السلطة السعودية.

وفي الواقع لقد حاول الإعلام السعودي، أن يجعل من قضية المهدي المنتظر..

الرئيسية لثورة الحرم فقد كان يوجّه الأذهان إلى أن مبايعة المهدي كانت الهدف الوحيد للثوار كما أن مناقشة فكرة المهدوية أصبحت الميدان الوحيد للتحليل والبحث في وسائل الأعلام السعودي، فكانت صحف النظام تطرح فكرة المهدوية بشكل رئيسي، على صفحاتها في تلك الفترة، والعلماء والخطباء المرتبطون بالسلطة، يركزون على هذا الموضوع في كل خطبهم وأحاديثهم... وحتى أنه صدرت مجموعة من الكتب لمعالجة فكرة المهدي بعد الحادث.

فما هو هدف السلطة السعودية من التركيز على هذا الموضوع بالذات؟ وفي الواقع أن لها أهداف عدة فقد أرادت أن تضرب عدة عصافير بحجر كذبة واحدة.

١ ـ لتجرّد عملية الحرم من أي طابع سياسي، أو اجتماعي، ولتضفي عليها طابعاً دينياً ذو أبعاد ضيقة.

٢ ـ لتشتثير به كل المسلمين. حيث أن المذاهب الإسلامية تختلف في تفاصيل موضوع المهدوية... وأن تركيز الأعلام على هذا الموضوع سيثير هذه الإختلافات، ويعزل الثوار عن تأييد بقية المسلمين.

٣ ـ وأخيرا فهي تفسح المجال لإشغال الرأي العام، بقضية ثانوية عن القضايا الخطيرة الأساسية التي طرحتها ثورة الحرم، والمتمثلة في جذور الإنتفاضة، ودوافعها السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي تحكم حياة الجماهير فى الجزيرة العربية.

جنسية الثوّار..؟

رغم أنه بالنسبة لحركة الأخوان أو بالنسبة لنا كحركة إسلامية عقائدية، لا اعتبار لجنسية المناضل ذلك أن الجهاد في سبيل الله، ونصرة مستضعفي الأرض فوق الجنسيات والحدود الإقليمية والعرقية، إلّا أن النظام السعودي العميل حاول إستغلال مسألة جنسية الثوار، والتركيز على أنهم غيرسعوديين، للإيهام بأنه لا معارضة ثورية إسلامية في داخل الجزيرة العربية، كما أن الحكومة الأمريكية حاولت تشويه سمعة الثورة الإسلامية في إيران بالأشارة إلى أن الثوار إيرانيون. كما صرّح بذلك مصدر رسمي في واشنطن. أما المسئولون السعوديون فقد صرّحوا بعد أيام من بدأ العملية أن بعض الثوار سعوديون، كما أن أنورالسادات الرئيس المصري قال: أن الثوار من الشيعة الإيرانيين. وفي الواقع فإنّ الحكومة قد وقعت في مآزق لا تدري كيف تتصرّف للتخلص والخروج منها، حتى أن المراقبين والصحفيين الذين حضروا جلسات مؤتمر قادة العرب المنعقد آنذاك في تونس لا حظوا الوجوم الشديد، المرتسم على وجه الأمير فهد، ولي العهد السعودي الذي كان يمثل النظام في المؤتمر. وكيف ان مشاركته في

المباحثات قد كادت أن تتلاشى مما تسبب في استثناء مشاريع قرارات مهمة من البحث، لعدم امكان مشاركة الوفد السعودي فيها. ونشير هنا إلى قضية مشروع القرار بشأن لبنان الذّي كان الوفد اللبناني يريد طرحه بدعم من السعودية.

على أن مرور اليومين الأولين، على بدء العملية أزال ذلك الغموض حول جنسية الثوار، وأظهر أن ثلاثة أرباعهم كانوا من الجزيرة العربية، وأنهم ينتمون إلى قبائل عربية صميمة، من قبائل الجزيرة، مثل: عتيبة، يام، مطير، شمر، عنيزه، وقد ظهر ذلك حتى للصحف الأجنبية، حيث كتبت الأهرام القاهرية (أن المسلحين هم من أفراد قبيلة عتيبة الذين يعارضون حكم آل سعود طوال الـ(٥٣) عاماً الماضية).

وكما كان تخبط الأعلام السعودي، بالنسبة لجنسية الثوار كان كذلك بالنسبة لعددهم ومجموعهم. فزعم أن إمام الحرم الشيخ محمد بن سبيل قد أكد أنهم يبلغون ألف ثائر، إلّا أن الأمير نايف صرّح تصريحاً مضحكا جداً في لقائه مع طلبة جامعة الرياض يوم ١٩٨٠/١/٨م، فقد قال: إنّهم مجموعة من الأشخاص لا يزيد عددهم عن أصابع اليد الواحدة... إتفقوا على أن يدخلوا الحرم.

والمضحك أن أحد أعضاء الوفد السعودي في مؤتمر قمة تونس، صرّح لمراسل (الأنوار) اللبنانية أن عدد الثوار يبلغ ثلاثين شخصاً في نفس اليوم الذي كان مسئول آخر سعودي يصرّح لإذاعة (مونت كارلو) بأن عددهم يتراوح بين ٢٠٠ ــ ٣٠٠ مسلح، حتى أن مسئول الإعلام في قيادة القوات الخاصة التي كانت تقود عمليات قمع الإنتفاضة قد اضطر كمخرج من حيرته للتصريح بأن الثوار كانوا بين ٢٠٠ ــ ٥٠٠ شخصاً، وما أدق هذا التقدير.

على أننا نؤكد ومن خلال معلوماتنا بأن عدد الثوار بما فيهم ألئك الذين كانوا في الجبال المحيطة، وبما فيهم جنود الحرس الوطني الذين النضموا إليهم فيما بعد يبلغ ٢٠٠٠ ثائر وأن حوالي ١٠٠٠ ثائر منهم قد استطاعوا الخروج من الحصار المضروب حول الحرم، بقيادة الرجل الثاني في الحركة (محمد بن عبدالله القحطاني) الذّي أشاعت السلطة أنه قتل، لكن معلوماتنا تؤكد أنه على قيد الحياة، وقد أجرت بعض الجهات في داخل الجزيرة تحقيقات حول هذا الموضوع وتأكدت من المعلومات السابقة، وحتى الصورة التي نشرتها السلطة على أنها صورته لم تكن في الحقيقة صورته أبدا.

من أين حصل المجاهدون على الأسلحة..؟

لم يكتف الثوار بقوّة الإيمان المترسخ في نفوسهم، بل مازجوا بينها وبين قوّة السلاح،

واستعدوا لمواجهة النظام إمتثالا لقوله تعالى: (**وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّالله وعدوكم**).

ذكرت مجلة النهار العربي، والدولي أن الأمير فهد قال: (إنّ السلاح سوفيتي والتحريض كذلك) بينما ذكر وزير الخارجية سعود الفيصل، في وقت سابق: (أنّ السلاح الذّي يحملونه هو من نوع السلاح الخفيف المتواجد، والمنتشر، ولذلك لا يمكن إعطاء هذا الحادث أي بعد أمني خاص) وتلاه نايف بقوله: (بالنسبة إلى الأسلحة فليست هناك كميات كبيرة بل هي أسلحة موجودة في البلد ــ ومضى قائلا: (ولكنها طبعا أسلحة مميتة وهي رشاشات متنوّعة منها صناعة شرقية، وصناعة غربية، وعددها محدود، وكذلك بنادق قديمة مما يستعمل في البلد، ومسدسات ــ وأوضح مكملا ــ أنه ليس غريباً أن يوجد مع هؤلاء السلاح بسبب وجود الأسلحة لدى الكثير من المواطنين في المملكة.

ويلاحظ من هذه التصريحات أن المسئولين من الأمراء ركزوا في أحاديثهم على مايلي:

١ ــ أن السلاح من الداخل ومتوفّر.

٢ ــ أنّ السلاح عادي ومتنوّع.

فحينما ذكروا أنه من الداخل، كانوا يقصدون من ذلك أن حدود البلاد محصنة، وأضافوا عليها متوفركي لا يتسائل أحد من أن هذه الأسلحة سرقت من الثكنات العسكريّة، ومنعا من الإلتباس كان لا بد من ذكر مصدر الأسلحة فإذا كانت الأسلحة ليست من الخارج، وليست من الثكنات فمن أين تكون..؟ فكان الجواب السعودي: بأنها أسلحة عادية، ومتنوّعة وقديمة ومتواجدة منذ الحرب اليمنية عام ١٩٦٤م.

والواقع أن الأسلحة التي كانت في حوزة المجاهدين حصلوا عليها من طريقين:

١ ــ التهريب من الداخل، أي من داخل ثكنات الجيش، ومصانع الأسلحة والذخيرة، ولقد أغلق لهذا السبب مصنع الأسلحة والذخيرة في الخرج. كما أغلق مصنع المتفجرات المشترك بين السعودية والسويد، علماً بأن السلاح لا يباع في الداخل، ومحظور حمله حتى أن بنادق صيد الطيور لا تحمل إلّا بترخيص من قبل وزارة الداخلة

ب ــ ألتهريب من الخارج وهذا ما اعترف به نايف الذّي قال: (إنّنا لا ننكر ان هناك محاولات قد تنجح أحياناً في تهريب بعض أنواع الأسلحة. والجدير بالذكر أن مجلة (الا سبوع العربي) ذكرت أن السلطات السعودية إعتقلت خمسمائة رجل من مهرّبي الأسلحة كما لم تستبعد المجلة أن تكون هناك كميات اخرى قد أمكن تهريبها إلى الداخل، في حين أن

جريدة المفير أوضحت أن تركي الفيصل، أحد أفراد الاسرة المالكة قد اختفى عن الأنظار إثر اكتشاف السلطات كميات ضخمة من الأسلحة هرّبها إلى الداخل.

إستنفار لحماية العرش..؟

لقد كان وقع انتفاضة الحرم على النظام السعودي، من الشدّة بحيث زعزعت كيانها المنهار، ونشرت الخوف والذعر في قلوب المسئولين، وأوقعتهم في مأزق لم يتمكنوا إجتيازه، حيث كان التردد والقلق والحيرة ظاهرة بوضوح على مجمل تصرفاتهم وسلوكهم، حتى أنهم ماكانوا يعرفون كيف يتصرّفون، وماذا يقولون، وقد أجاب وزير إعلام النظام محمد عبده اليماني حول سؤال صحفي، عن أسباب تناقض البيانات السعودية؟ فقال: ماذا أفعل؟ لقد اتصلت بوزيري الدفاع، والداخلية أسألهم هل نذيع خبر إحتلال الحرم أم لا؟ فلم تكن هناك إجابة شافية... وبينما عاد الأمير عبدالله رئيس الحرس الوطني، بصورة عاجلة إلى البلاد تمهل الأمير فهد في العودة، حيث أسلم نفسه إلى القلق والهموم، وقد قامت السلطة إثر اتضاح المسألة بعدد من الإجراءات التي تتخذ لأول مرّة في تاريخ البلاد، فيما يشكل بمجموعة عملية إستنفار ضخمة من أجل حماية العرش السعودي الذّي يكاد أن ينهار وكان أبرز هذه الإجراءات:

١ ـ في يوم الحادث قامت الحكومة بتجريد الشرطة والجيش من الأسلحة، بشكل غير مباشر حيث طلبت تجريد الأسلحة من العتاد وغلق عنابرها. وحول هذا الحادث علق أحد رؤساء الشرطة في جدّة قائلا: (فلو دخلت علينا جملة من اللصوص وبأيديهم السكاكين لولينا هاربين) كما صدر قرار بإجراء عملية تطهير واسعة في الحرس الوطني، والجيش، وخاصة في مخابراتيهما، شملت عددا كبيراً من الضباط ومن جميع الرتب.

٢ ـ شددّت الحراسة على الوزارات، ومبنى السفارة الإمريكية في جدّة، ولوحظ أن ثلاثة من الجنود بدلا من جندي واحد، يتولون الحراسة عند أبواب الوزارات، وأن عربة مدرعة تقف قريباً من مقر السفارة الإمريكية.

٣ ـ إتخذت إجراءات أمنية مشدّدة في كافة مناطق الجزيرة العربية شملت مايلي:

ا ـ بدأت الرقابة على البريد، والمطبوعات، خشية توزيع نشرات معادية للسلطة.

ب ـ ظهور حواجز عسكريّة على معظم الطرقات، تدقق في الهويات، وفق لوائح يحملها الجنود التابعون للحرس الوطني، وهم يلبسون الخوذ الحديدية. كما أن الطرق كانت مقطوعة حتى بين مكة وجدّة التي تبعد عنها حوالي (٧٠) كم فقط.

ج ــ حظر التجوّل في كل من مكة، والمدينة، والطائف في الوقت الذي يجرى فيه تطبيق هذا الحظر في مدن المنطقة الشرقية، وقد نفى وزير النفي (محمد عبده يماني) خبر حظر التجوّل، لكنه كان قد انتشر حتى في الخارج، بحيث أنّ جريدة الأهرام القاهرية نشرت (أنّ السلطات السعودية فرضت حظر التجوّل في المدينة المنورّة، والطائف، بالاضافة إلى مكة).

د ــ فرضت المزيد من الإجراءات الأمنيةِ المشددّة على طول حدود الجزيرة العربية، البريّة، والبحريّة، لمنع تهريب الأسلحة.

٤ ــ قامت السلطات السعودية بطرد عدد كبير من الأجانب، وخاصة الإيرانيين، والباكستانيين، خلال إسبوعين واستخدمت لهذا الغرض (٢٦) طائرة بينها عشر طائرات (جامبوجيت ٧٤٧) لنقل هؤلاء إلى الخارج، كما تمّ إعتماد قسائم هجرة جديدة للخارج بالنسبة للأجانب وخاصة من العرب.

٥ ــ أصدرت الحكومة أمراً باغلاق الجامعات الإسلامية، ومعاهد العلم، لاشتراك طلبة الجامعة الإسلامية في المدينة، وطلاب كلية الشريعة في مكة، مع الثوار المجاهدين، أو بتقديم المساعدة لهم كي يهربوا من جحيم آل سعود.

٦ ــ منعت السلطة الصحفيين، من الإتصال بالملتجأين و حتى التقرّب من المسجد، وذلك لكي لا يشاهدوا المصفحات الإمريكية والسيارات المجنزرة والتي كانت تحرث الحرم في مكة، وتدوس الجماجم. وهذا ماجعل مراسل جريدة (الايكونومست) يقول: (إنّ حكومة العربية السعوديّة لم تكن كريمة أبداً فيما يتعلق بمنح سمة الدخول للمراسلين، وقد أصبحت أكثر تشددًا بهذا الصدد، ومنذ وقوع حوادث العنف في الشهر الماضي بمكة، وقد عرض الآن الكثير عن الذين شاركوا في الهجوم على المسجد الحرام في مكة، وكان الحدث أخطر ماوقع في المملكة منذ حدوث محاولة الإنقلاب التي قامت بها القوّة الجويّة قبل عشر سنوات).

٧ ــ قطع الإتصالات الهاتفية والداخلية والخارجية، بعد يوم من وقوع الحادث حتى أن الأمير فهد حاول الإتصال بجدّة من تونس أثناء تواجده في مؤتمر القمة العربية العاشر، ولكنه لم يستطع مما حدا بالوفد أن يصر على العودة عاجلا.

وتناقضت أقوال المسئولين حول صحة الخبر، في البيان نفى وزير البرق ذلك وقال: (إنّه لا صحة للأنباء التي دستها الوكالات العالمية حول قطع الإتصالات الدولية بين المملكة والعالم الخارجي) إن حقيقة ما حدث في الواقع ما هو إلاّ خلل فني طارئ عادي، وقع يوم الثلاثاء الماضي، إستمر قرابة أربع ساعات حيث تم إصلاحه فوراً. ولكن الأمير عبدالله

إعترف بما حدث وقال: إنه خطأ. أما وزير الدفاع فلم يعترف بأنه خطأ، و إنّما علل ذلك بقوله: (أما التليفونات فقد اوقفت لفترة ساعات لأننا لم نكن نعرف شيئاً عن طبيعة الحركة المسلحة في الحرم، فلما عرفنا عاد كل شيء إلى طبيعته). وجاء وزير الداخلية نايف بن عبدالعزيز، بتعليل آخر قائل: (قطعت التليفونات من باب الإحتراز لقد خشينا من نقل الأحداث على غير حقيقتها، فأعدناها مع إذاعة البيان الأول بعد أربعة وعشرين ساعة من وقوع الحادث).

٨ ـــ قطع الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، رئيس الحرس الوطني، والنائب الثاني زيارته للمغرب وعاد إلى الجزيرة للمشاركة في قمع الثوار، وقد استقبل السفير الإمريكي (جون وست) فوروصوله، بينما عدل الأمير فهد عن الذهاب إلى لندن حيث كان من المقرّر أن يشترك في المؤتمر الدولي حول القدس الذي ينضمه المجلس الإسلامى في بريطانيا، وقد أخطر فهد المجلس بأنه لن يستطيع مغادرة الجزيرة بسبب أحداث مكة).

٩ ـــ وضعت قوات الجيش، والحرس الوطني، وقوات الأمن الداخلي، وأجهزة الإستخبارات في حالة إستنفار كامل كما الغيت جميع الإجازات في القوات المسلحة، وحتى الجنود الذين لم يستطيعوا الذهاب إلى معسكراتهم بسبب حظر التجوّل فإنّ السيارات العسكريّة كانت تأخذهم من بيوتهم. ومن ناحية اخرى أوكلت مهام الأمن الداخلي، للحرس الوطني الذّى حشد أعداداً من مشاته ومدرعاته على مداخل المدن الرئيسية وعند الوزارات، بينما تقوم دورياته بدوريات في الشوارع والأحياء على مدار الساعة.

١٠ ـــ تم إغلاق المطارات لست ساعات، وقد اعترف المسئولون السعوديون بذلك، ولكن كل واحد منهم قد نفى مسئوولية إعطاء الأوامر بذلك فقد جاء في مقابلات صحيفة أجراها (سليم اللوزي) رئيس تحرير مجلة الحوادث، مع كل من الأمير عبدالله، والأمير سلطان، والأمير نايف. فأجاب الأول قائلا: (على حد علمي لم تغلق المطارات). أما الثاني، فأجاب: (لم يصدر قرار باقفال المطارات، لقد توقفت حركة الطيران من باب الإحتراز لم يكن التوقف بقرار، وتقديرى أنه كان هناك خوف من أن يهرب أحد من المنتمين إلى الخوارج). في حين أجاب وزير الداخلية قائلا: (لم يصدر قرار من وزارة الداخلية أوامر من هذا النوع).

وبعد فتح المطارات ثانية (شدّدت عمليات التفتيش بالنسبة للواصلين والمغادرين، وقد لوحظ أن آلات الالكترونية، والأجهزة التلفزيونية الموجودة في المطار لهذا الغرض قد تضاعف عددها) جريدة السفير.

هذه هى مجمل الإجراءات التي إتخذتها السلطة في اللحظات الاولى، من وقوع الحادث إستنفاراً لحماية العرش المتهري...

ألصواريخ تدّك الكعبة..؟

على مرّ التاريخ حاول ثلاثة من الطواغيت، إنتهاك حرمة الكعبة. فكان الأول أبرهة الأشرم الذّي جاء بجيشه، وفيله لهدم الكعبة، فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول... والثاني كان الطاغية الأموي يزيد بن معاوية الذّي دكّ الكعبة بالمنجنيق. والثالث، الحجاج بن يوسف الثقفي، والي عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي، الذّي هدّم أجزاء من الكعبة أثناء ثورة عبدالله بن الزبير، الذّي احتمى ورجاله بالبيت الحرام.

والتاريخ يعيد نفسه فتهتك أرض المقدسات، ويقتل المؤمنون على يد طواغيت العصر آل سعود... الذين استعانوا بالكفار في قتل الأبرياء المؤمنين، وانتهاك حرمة بيت الله الحرام... وكما قال الشهيد الثائر جهيمان، لوزير الداخلية نايف: (ولكنني أراكم كفاراً يوم استعنتم بالكفار لتقتلوا الإنسان المؤمن ولتدمرّوا بيت الله).

وقبل إنتهاك حرمة الحرم، أرادت السلطة أن تضفي السمات الشرعية على عملها الإجرامى، فأشاعت عبر وسائل الإعلام الداخلية والخارجية، أن هناك رهائن في قبضة المسلحين، وقد أشار البيان الأول للسلطة أنه اتخذّت الإجراءات لحماية أرواح المسلمين، المتواجدين في المسجد الحرام. وذكر مسئول سعودي في تونس قوله: (أن المهاجمين كانوا لا يزالون يحتفظون حتى ساعة متأخرة من ليل أمس بنحو مائة رهينة) أما وزير الخارجية، فقد صرّح لجريدة السياسة الكويتية قائلا: (خرج المصلون بطريقة رتبتها وزارة الداخلية، ولم يبق إلّا ٣٠ شخصاً يجرى تأمين سلامتهم) وفي اليوم الثالث للعملية ذكر وزير النفي، في بيان له: (ولكن جهة الأمن المختصة كانت حريصة أن تعالج هذا الموضوع بكل حكمة وبكل تحسب لأرواح الأبرياء الذين لا ذنب لهم في هذه القضية) في حين أن أجهزة الدولة أعطت (السياسة الكويتية) خبراً مفاده (أن المسجد الحرام قد أخلى من الحجاج والمواطنين) ولكن صحيفة الدستور الاردنية نفت ذلك عن مصدر سعودي، قال: (إنّ عدد الرهائن يتراوح بين ٣٠ ـــ ٥٠).

وحين لم يستطع النظام السعودي، القضاء على الثوار بسرعة عاد للعزف على وتر الرهائن، فذكر نايف (من منطلق الحرص على أرواح الأبرياء الذين لايزالون متواجدين

داخل بيت الله الحرام، فإنّ قيادة قوى الأمن تحاول قدر الإمكان تجنب أي عمل قد يؤدّي إلى الأضرار بالمسلمين).

والحقيقة التي لامراء فيها، أن المجاهدين لم يحتجزوا أية رهينة ولكن النظام أراد النيل منهم... وقد اعترف بذلك الأمير سلطان، حينما سأله سليم اللوزي رئيس تحرير مجلة الحوادث، قلتم أن المسلحين كانوا يحتجزون رهائن... ثم ثبت أن لا رهائن... فأجاب سلطان، لم نقل رهائن، كان هناك ٢٦ حاجاً بقوا في الأقبية حتى آخر لحظة ولذلك سميناهم المسلمين الأبرياء.

إعترف بذلك الأمير حينما انتشرت الحقيقة من المسلمين الأبرياء أنفسهم ومن ذلك:

١ ــ قالت جريدة المحرر المغربية، في حديث مع حاج مغربي، كان موجوداً في المسجد الحرام أثناء بداية العملية أن هذا الحاج أكد عدم صحة الأنباء التي ادعت أن الثوار حاولوا إرغام جموع المصلين تحت تهديد السلاح على الإعتراف بزعيمهم المهدي... وقال: إنّه على العكس تماماً تحدّث أحد الثوار المسلمين أمام مجموع المصلينِ مؤكدا أن هدف العملية الإنتحارية قددبرّت لجلب إنتباه العالم الإسلامي، وأضاف أن الرجل المسلح، خير جموع المصلين بين الإستمرار في تأدية الصلاة أو مغادرة المسجد.وقال: إنّه هو نفسه غادر المسجد بعد أن إنتهى من أداء صلاة الفجر.

٢ ــ أجرت صحيفة السفير مقابلة، مع ثلاثة حجاج لبنانيين، قال إثنان منهم، وهم من رجال الدين: (إنّ المسلحين المقتحمين لم يتعرضوا للمصلين بالأذى، سوى أنهم أغلقوا أبواب الحرم، ومنعوا الناس من الخروج وعند صلاة الضحى بعد السابعة صباحاً فتحت بعض الأبواب، وراح الناس يخرجون وكنا بينهم، و إنّ الكثيرين خرجوا قبل ذلك من فتحات قائمة في الجدار الخارجي للحرم على إرتفاع بسيط من دون أن يمنعهم أحد). أما الثالث، وهو مدرّس فقد قال: (لم يكن المسلحون يمنعون الناس من الخروج... واستطرد قائلا: كن معي جالون من ماء بئر زمزّم، وقد تركته في الداخل وعند خروجي اكتشفت أن اثنين من رفاقي مازالا في الداخل، فعدت للبحث عنهما، وقد وجدت أحدهما وخرجنا سويا من الحرم، على أمل أن نجد الآخر خارجاً لكن لم نجده، عدت إلى باحة الحرم مرة اخرى فوجدت جالون الماء مازال في مكانه، وبعد أن تجولّت قليلا بحثاً عن صاحبي، افتقدت جالون الماء عندها ذهبت إلى البئر ومعي جالون صغير فارغ قصدت أن املأه، هناك كان أحد المسلحين، قلت له: أرجوك إملألي هذا الوعاء من ماء زمزم، وما تريد من نقود أعطك، أجابني ما قيمة الفلوس بعد الآن؟ ثم ملألي الجالون ماء وهو يبتسم مرحاً... بعد الساعة

الثانية عشرة ظهراً خرجت من المسجد الحرام للمرة الأخيرة).

٣ ــ نقلت جريدة الرأي العام، عن حاج فلبيني قوله: (وقد سمحوا لنا بمواصلة الصلاة وانضم إلينا في الصلاة بعض هؤلاء المسلحين).

٤ ــ ذكر حاج جزائري لصحيفة اللوموند الفرنسية: (إنّ أحد المتمردين كان يحمل مكبر صوت وألقى كلمة أكد فيها أن المؤمنين الذين يرغبون في الخروج يستطيعون فعل ذلك، و إنّ الذين يؤدون الإنضمام إلى الثائرين يمكنهم ذلك أيضاً) كما أن إمام الحرم محمد بن سبيل الذي قالت عنه السلطة في وقت سابق، بأنه قتل خرج مع جموع المصلين، ولم يشر إلى وجود رهائن.

وهكذا تبين أن ليس للنظام السعودي عذر في هجومهم على الحرم، غيرحماية العرش

فبعد تحصن الأخوان المجاهدين وصعودهم إلى المنائر لمراقبة ما يجرى خارج الحرم، قامت السلطات السعوديّة بأخلاء المناطق المحيطة بالمسجد من السكان، وتوجهت أعدادا كبيرة من قوات الأمن، وقامت بتطويق منطقة المسجد، والميادين المحيطة بها. كما أوفدت أعدادا كبيرة من سلاح المهندسين وخبراء الشجرات لمسح المنطقة المجاورة بأبواب المسجد، خشية أن يكون المجاهدون قاموا بزرع ألغام بوجه تدفق قوات الأمن إلى الداخل، ولكن لم تسفر عمليات المسح هذه عن وجود أي لغم.

وفي الوقت نفسه قامت عدة طائرات هليوكبتر بالتحليق فوق المسجد، والتقاط الصور لتحديد تجمعات المسلحين ونقاط تمركزهم. ثم بدأت القوات الإمريكية التي استنجدت بها السلطة بإرسال عدد من الطائرات لم يسبق إستخدامها إطلاقا، وهذه الطائرات مروحية تحمل الواحد منها مروحتين، مروحة في الأمام والاخرى في الخلف، بحيث تمكنها من الوقوف في الجو بالإتجاه الذّي تحدده. والطائرات هذه مزودّة بأشعة تحت الحمراء، حاملة عدد من القنابل السامة التي قذفتها على الثوار في مأذن المسجد وسطوحه. وقد أسقطوا منها طائرتين، لكن هذه القنابل المسمومة والمحرّمة دولياً أسقطت منهم الكثير بين شهداء ومشلولين، ومن اصيبوا بعاهة السمى والصم. فاضطروا للنزول في الطابق الثاني فلا حقتهم قذائف السموم مع انهم استطاعوا إصابة أكثر من ثلاثة آلاف حندي من القوات المهاجمة، بينهم ألف قتيل، مما جعل السلطات السعودية تحسب لهؤلاء الثوار ألف حساب، فاستنجدت بالقوات الإمريكية التي قامت بانزال قوّة قوامها (٣٠٠٠) من الكوماندوس الإمريكي، لبسوا لباس الكوماندوس السعودي، ودخلوا مكة كما استنجدت بالكوماندوس الأردني، وعدد من كتائب الجيش، والقوّة الخاصة تقدّر بثلاثين ألف (٣٠٠٠٠) مسلح، وقد استطاعت هذه القوات أن تجبر





الثوار على الخروج إلى باحة الحرم، فيما كانت هذه القوات تتقدم من خلال الفجوات التي أحدثتها مدافع الدبابات في الجدار الخارجي للحرم. وذكر حاجان مصريان: (أن المدفعية السعودية قد دكت أسوار الصحن لتسمع للقوات الخاصة بالتسرّب خلال الثغرات للداخل، كما أخذت الدبابات إستحكاماتها حول الصحن في الساعة السادسة، من مساء الأربعاء وأخذت تطلق قذائف إنذار ريثما كانت طائرات القوات الجويّة تطير على إرتفاع منخفض جداً فوق المدينة.

واستخدمت القوات الحكومية في هجومها الأخير على محتلى المسجد، أسلحة ثقيلة واشعلت النيران في أحد أقسام المسجد الضخم، وكان شهود عيان قد تحدّثوا عن أصابة جدران المسجد بأضرار واضحة... وخلال هذا الهجوم حطمت أربع صوامع من الحرم الشريف كما أن أضرارا لحقت بأبواب المسجد، ثم تقدّم الجنود السعوديون إلى الفناء الواسع وأخذوا يطلقون الرصاص على الأبرياء، واعترف بذلك خطيب و إمام مسجد الأمير متعب قائلا. (استطاعت القوات والحمدلله بواسطة مدفعيتها أن تفتح بعض أبواب الحرم من بعيد، وأن تدخل معها الدبابات التي نزلت في المسجد حتى وصلت إلى المطاف وأن تطلق النار من الداخل على هؤلاء المجرمين).

وبالرغم من كل ذلك كان الثوار يقاتلون قتال الأبطال، وهو ما اعلن عنه وزير الإعلام (وزير النفي) يماني حيث قال: (إنّ هؤلاء المتمردين في غاية كثيفة من الأعمدة بصورة لا مثيل لها، ويجيدون الإصابة ويحددونها في أجسام العسكريين مما جعل بعض هذه القوات تخلع الملابس العسكرية للتمويه عى الثوار، وقد استمر قتال هؤلاء الأبطال حتى ضاق صدر آل سعود، والمخابرات الإمريكية بهذا الصبر الإيمانى، فمنعوا عنهم الكهرباء، والماء، والطعام، حتى أن جريدة السفير اللبنانية نقلت عن مصادر سعودية: (أن الحكومة إنتهجت سياسة تجويع المسلحين) بعد ذلك عادت القوات الأجنبية الغازية باستخدام طرق سمومية جديدة ألاوهي حقن باحة المسجد بغازات سامة مما اضطر المجاهدين للنزول إلى الأقبية والتحصن في أكثر من (٢٧٠) غرفة ومن ثم بدأوا بحقن الأقبية التي يتحصن فيها الثوار بالمياه الملوّثة، ودخان الأطارات المحروقة فلم ينجحوا في حملهم على الإستنسلام.

فاستخدموا الغازات السامة الحارقة للأوكسجين وفشلوا أيضاً. وأخيراً استخدموا القنابل المحرقة التي تلهب أقبية الحرم، وتجعل منها جحيماً لا يطاق، وبهذه القنابل أحرق أكثرهم ويقدر بـ(٤٠٠) شخص واستمرّت بقية الثار في المقاومة ببسالة نادرة وصمود غريب إلى أن انهكت قواهم الأساليب البشعة التي استخدمتها السلطة من القنابل السامة والمحرقة،

وسقط كثير منهم وبينهم الشهيد جهيمان قائد العملية على شبه ميتين.

لقد استمر القتال في الحرم (٢٢) يوماً تكبدت فيه السلطة (٣٠٠٠) شخص من قواتها بين قتيل وجريح بينهم (٥٠) قتيلا أو جريحا من القوات الاردنية... هذا العدد الضخم من القتلى والجرحى لم يستطع الشيخ حمود العقيل، وصفه وألقى باللائمة على الثوار فقال: (ومهما وصفت ووصف غيري حول المعركة وضراوتها فإنّ القارئ لا يستطيع تصور معشار ماحصل من هؤلاء المجرمين، ولعله يبين بعض الشيء ما حدّثني به أحد كبار القضاة في محكمة (التميز) في مكة المكرمة، من أنه مرّ حول المسجد الحرام من جميع الجهات على سيارته لأنه يحمل تصريحاً بذلك من الجهات المسؤولة فكادت أن تصرعه روائح الجثث المتكدسة في المطاف والمسعى، وفي جميع أروقة المسجد... وكذلك ماذكره لي بعض من تمكن من رؤية وسط المسجد، من فوق الجبال المحيطة به أن المطاف مليئ بالقتلى، سيما بين المقام والحجرالأسود... وكان هذا الخبر في اليوم التالي من العملية. أما في اليوم الخامس فقد نقلت جريدة الأهرام خبراً عن القاطنين قرب مطار جدّة مفاده: (أن عددا كبيراً من طائرات النقل في السعودية من طراز (هيركوليز ــ ١٣٠) الأمريكية قد شوهدت وهي تقلع وتهبط من مطار جدّة منذ يوم الثلاثاء الماضي، ويعتقد أن الطائرات كانت تقوم بنقل الجرحى إلى جدّة بعد أن اكتظت مستشفيات مكة...) كما وضع المستشفى العسكري في جدّة في حالة إستنفار لاستقبال الجرحى. ذكرت ذلك جريدة الرأى العام في ١٩٧٩/١١/٢٥م.

وهكذا نرى أنه من أجل استمرار آل سعود في تسلطهم على الشعب فلا مانع عندهم دكّ الكعبة المشرفة بالدبابات، وقتل الثوار بين الصفا والمروة، وعند المقام، وبالقرب من الحجر الأسود، ويذهب ضحية شهواتهم آلالاف من أبناء شعبنا من المخدوعين في القوات المسلحة. ومن ثوارنا الأشاوس الذين لبوا نداءالله لأحقاق الحق والحرية وتخليص المستضعفين.

صمود حتى الإستشهاد..؟

وبعد السيطرة الإمريكية على الحرم، وإبادة الإنتفاضة، وإلقاء القبض على الثوار المنهكين، بدأ التعذيب من نوع جديد، يتخلص بطعن المجاهدين بالحراب، وتقطيع أصابعهم وأوصالهم، ومنع الطعام والماء عنهم، بحيث شوهدت آثار هذه الجرائم من على شاشات التلفزيون في فيلم عرض في الجزيرة العربية، والكويت، وعدد من أقطار الخليج، وغيرها وقد أحدث عرض الفيلم إشمئزازا واستنكاراً لهذه الجرائم السعودية البشعة، خاصة حينما جاؤوا

لتقديم الماء للثوار الاسراء، وإعطاء كل واحد منهم كأس ماء كان يسحب منه بمجرد أن يضع شفتيه على الكأس، كما رأى المشاهدون كيف أن آثار التعذيب والإرهاق والدماء والعطش والجوع والحروق بارزة على أجسامهم الطاهرة... كما شاهدوا معاملة الحرس لهم بطريقة لا يعامل بها حتى الحيوانات.

مع هذا التعذيب اللاإنساني قد جعلتهم قوّة الإيمان، والصمود، والثقة بالله تعالى... ينتظرون الشهادة، وهم متماسكون لا يبدوا عليهم أي أثر للخوف والوجل، وكانوا يستعينون بالصلاة والدعاء كلما تعرّضوا للشتم واللطم وجز شعر رؤسهم... فأعادوا بذلك للتاريخ صمود بلال بن رباح... وعمار بن ياسر... وخباب بن الأرت... وغيرهم من شهداء الإسلام.

هذا وبعد محاكمات سريّة وخاطفة مصطنعة، نفذ حكم الإعدام بحق ١٨٠ ثائراًسراً و بدون أي إعلان. تلاها بعد عدة أيام قافلة اخرى من الشهداء وكانوا ٦٣ شهيدا، اعدموا في ثمان مدن بتاريخ ١٩٨٠/١/٨م، بناء على أوامر السلطة واستناداً إلى أمر من الملك خالد (خادم الحرمين الشريفين) لوزير الداخلية.

وهكذا عرجت أرواح شهدائنا... شهداء الإسلام إلى بارئها تشكو إليه الظلم والإستبداد الذّي يمارسه الجلاوزة آل سعود... ولتبقى رمزاً لشعلة المقاومة الأبدية للإستقلال... الشعلة التي رفعها أنبياء الله وتداولتها الثوار على امتداد التاريخ، حتى إزالة آخر ظلمة في هذا العالم لكي لا يبقى مضطهد واحد على الأرض.

* * *

أجل وهكذ كانت آخر انتفاضة الحرم... لا آخرها... وقد تناقلتها وكالات الأنباء، الى كافة الحواضر وتحدثت بها المجامع والمحافل العامة، رغم التناقضات والبيانات المختلقة المصطنعة من قبل السلطة، حول المعركة على حقيقتها، بعد أن لعب البترول دورا هاماً في قلب الواقع والتناقض المفضوح، في نقل الحوادث والقائمين به، غير أن العالم الإسلامى لم يتلق تلكم الأكاذيب بالصحة والصدق، لأنه على علم كامل بما تلقاه الشعوب الإسلامية من ظلم ال سعود، وممارستهم الخيانة، والعمالة بحق الإسلام والمسلمين... وكيف يتقبلها بالقبول، وقد شاهد العالم ردود الفعل الشعبية وأن أهالي مكة، والمدينة، وجدّة أعلنوا تأييدهم الكامل للثوار والمجاهدين، فقد سهل أهالي مكة، ومن بينهم النساء دخول الثوار في الحرم، كذلك مساعدتهم في الهروب منه، وكان عدد النساء اللاتي تم القبض عليهن داخل مكة يزيد على عدد الرجال. وكان المجموع يقدّر بـ(٧٠٠٠) رجل وامرأة. والجدير بالذكر أن السلطات

السعوديّة شنت حملة إعتقالات في الأيام الأولى كانت حصيلتها (٥٠٠٠) معتقل.

لقد كانت إنتفاضة الحرم، شعلة أنارت الدروب للمجاهدين والثائرين، وبددت اسطورة الأمن السعودي، ومن يحذو حذوه من العابثين بمقدرات الشعوب الإسلاميه... ومازالت نتائج الإنتفاضة تتفاعل بحدة وعلى كافة المستويات الداخلية والخارجية... لأن السلطة لم تقض على التنظيم من خلال القضاء على الثورة المسلحة، وقتل أكثر من ١٠٠٠ شخص ينتمي أغلبهم إلى قبائل معارضة... وحسب العرف القبلي فإنّ ولاء أفراد القبيلة لبعضهم أشد من ولائهم للنظام، ولهذا فإنّ إستشهاد الثوار سيؤجج نار الثورة والغضب والإنتقام، والأخذ بالثار منه.

ومن آثار إنتفاضة الحرم الإسلامية... يقظة الحجاج المسلمين في ٨/ذي الحجة/ ١٤٠٧ هـ، والمسيرة الشعبية الهادفة إلى تطهير الجزيرة الإسلامية، من رواسب الإستعمار وعمالة الأذناب الحاكمين في المنطقة، والمخالفين والمعادين لكافة التحركات والحركات الإسلامية التحررية.

المسيرة الإسلامية الشعبية الدامية في مكة... سنة ١٤٠٧ هـ، والتي ساهم فيها المسلمون على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم واتجاهاتهم، وهزّت الكيان السعودي الهش، وآذنتهم بالويل والثبور، ووضعت العصابة الحاكمة في موضعها الحقيقي بتعريتها من العباءة الإسلامية التي كانت تتستر بها، وتخفي ورائها جرائمها وسلوكها المعادي للإسلام والجماهير الإسلامية.

المسيرة التأريخية الدامية التي تجلت فيها شخصية الجمهورية الإسلامية الإيرانية... بأجلى مظاهرها، وبكل أبعادها، ونضالها ومثابرتها، ومقاومتها ومقارعتها للبغي والفساد، ودفعت بالجماهير الإسلامية على الصعيد الدولي في الداخل والخارج، على اليقظة والتحرر، وكسر قيود الذلّ والإستعباد، والعمالة والتخلص من براثن كابوس الإستعمار الشرقي والغربي... والنضال من أجل الحصول على الإستقلال الذاتي، في كافة جوانب الحياة الفردية والإجتماعية بكل حيوية ومناعة مهما كلف الأمر:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

إنّ المسيرة التاريخية الدامية التي تولتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية... و إن قدّمت المآت من القرابين، والضحايا إلّا أنها مابائت بالفشل كغيرها من التحركات الجماهيرية التي قامت في الجزيرة الإسلامية في السنين الأخيرة، لأنها ضمت كافة الطبقات والفئات المسلمة في الوطن الإسلامي الكبير، بالإضافة إلى أنها كانت في مستوى عال من الرصيد الشعبي، والبعد الجماهيري، والبعد الجماهيري، والرصيد الشعبي، للتنظيم والحركة يجعله أكثر

إرتباطاً بالواقع الإجتماعي، وبالتالي اكثر كفاءة ومناعة وفتوة مع متغيراته... وحين تتركز حركة ما إهتمامها على التنظيم وتترك إعتمادها، ورصيدها الشعبي. والجماهيري، فإنّ افقها يضيق إلى درجة النظر إلى العالم من خلال التنظيم.. أفكاره ومصالحه، وهذه بالطبع نظرة أضيق من أن تتسع لقضايا الجماهير ومن خلفها قضايا العالم.

ففي إنتفاضة الحرم ارتكبت خلالها أخطاء معينة، عزلت الحركة عن الجماهير، والسبب في ذلك عمل الثائرين لعدم إتصالهم وتضامنهم، مع بقية الجماهير المسلمة في المنطقة، وهذا مما أدّى أيضاً على تشويه حقيقة الإنتفاضة لدى كثير من الناس حتى الثوريين، فهم اهتموا كثيرا ما في التنظيم الجدّي، وتركوا الإهتمال بالجماهير والحركات الاخرى العاملة في الساحة بنفس الوقت.

والذّي يجب القول به أن الأنظمة الإستعمارية الطاغوتية، تحاول باستمرار عزل الحركات الثورية عن بعضها، وعن الجماهير، وتسلك في ذلك بعض السبل، والطرق الخبيثة التي يجب على كل ثائر ومجاهد، أن يكون على حذر منها. فهي من دون رحمة وشفقة تعمل في أن تخنق الحركات الإسلامية، والتحرّك الإسلامى الأصيل، بشتى الوسائل كما تحاول دائباً القيام بإضفاء جومن الانغلاق على التكتلات الإسلامية، وبث جذور التفرقة والتشتت بين المسلمين، واستغلال أقل خطأ في أعمالنا، وتحويله لصالحها ومصالحها... وليس معنى هذا أن نتقاعس عن العمل، ونختار العزلة والزاوية ونترك المجتمع والبيئة، تفترس بها الذئاب، وتنهش بها الكلاب، وتقضي عليها دون رادع ومانع... إنّ هذا لا يعني القعود والتواني عن المسؤولية الشرعية، والتخلف عن القيام بوجه البغي، والفساد، والطاغوت.

إنّ الطاغوت قوّي وظالم حين يشاهد شعباً سكن إلى التخاذل والضعف والإستسلام، لأنه يستمد بطشه وقوّته من تلك الحالة، ويجند حزبه من ضعف الشعب.. كما أن العكس بالعكس، وهذا مالا يرتضيه الله تعالى للمسلمين في كل مراحل الحياة، و إلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة: **(وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوّف إليكم وأنتم لا تظلمون).**

يقظة الحجاج المسلمين..؟

ألشعور بالمسؤولية من أهم القضايا التي حثّ التشريع الإسلامى المقدس الإنسانية عليه، ودفعها إلى مهيعه المستقيم، ونهجه الأبلج... لئلايتخلى عنه لحظة أو ثانية من عمره،

فيجد الإنسان في كل الحالات نفسه مسؤولا تجاه جوانب فردية و إجتماعية، وأن لا بد له من تأدية رسالته الرفيعة العالية التي تستلزم الفرد التفكير بالأفراد والمجتمع والظروف والأحوال التي يعيشون فيها... المجتمع الذّي يتكوّن من الأفراد والآحاد، وقد جعلهم التشريع والقرآن بمثابه أمة واحدة، واسرة واحدة، وعائلة واحدة، يشد البعض عضد الآخر، ويقوم كل فرد منها إلى مافيه التحوّل والتضامن والتطوّر في كافة الحقول، في الميدان الداخلي والخارجي، لادراكه أن ما من تحرّك أو تفاعل جماعي في أي ميدان آخر يمكن أن يعطى النتائج الموجودة منه، ما لم يكن الميدان الإجتماعي مستقراً آمنا يسوده الأمن والهدوء، ويشعر كل فرد من المجموع برسالته ووظيفته المقدّسة التي خلق من أجلها، وهذه لا تتحقق بغير الذبّ عن الحمى ضد أي تطاول، ومعتد، أو طامع وأخيرا إرصاد الأبواب والمنافذ بجزم وقوّة خشية تسرّب الأفكار الدخيلة الهدامة من الخارج إلى داخل البيئة والمجتمع والوطن... كل ذلك للإفادة من ثمرات جهود الأفراد، والمجموع لجعل حاضر المجتمع الذّي يعيش فيه أفضل وأرقى وأطهر من الماضي، ومستقبله أفضل وأزكى وأطيب من الحاضر، وذلك عن طريق التضامن والتكاتف البناء، القائم على أساس المحبة والتحابب، والاخوة، والصداقة الصادقة... ألبنّاء الركيز الذّي تراه الأعين، ويدعمه الواقع والحقيقة، وتؤيده الجهود والمساعي، ويشهد به العدو قبل الرفيق والصديق.

بنّاءاً يشيع الأمن والإستقرار في الوطن، ويحرّك دواليب العمل، والإنشاء والتعمير، والتطوير في كل القطاعات، والتحرّر والإنطلاق في نفس الوقت من كافة قيود الذلّ والإستعباد، والاستثمار الداخلي والخارجي... مما يدفع سائر المجتمعات البشريّة الكبرى في العالم تتسابق إلى اكباره وتجليله، والتأسي بدستوره والأخذ بمعالمه ونهجه القويم وصراطه ومسيره المستقيم... وبذلك يتحوّل المجتمع إلى خلية حية قويّة عاملة متحررّة من العوز، والفقر، ومتمسكة بالمثل الروحية والقيم الأخلاقية والمعنويّة، ومتخلية ومنطلقة عن رواسب الفقر والمرض والجهل والتخلف.

إنّ الشعور بالمسؤولية على الصعيد الفردي، والصعيد الإجتماعي، والصعيد الإسلامي، يجعل الفرد أن يطيل التفكير دائباً، والتمعن والتدقيق با ستمرار في كل ما حوله أوّلا وبالذات، ثم إلى ماوراء مجتمعه عبر حدود بلاده... ليألف الوطن الإسلامي الكبير الذي يعتبر بلده جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي، كما يرى العالم العربي يشكل جزءاً من عالم الإسلام ودياره، ومعالمه في حين أن دنيا الإسلام يضم ربع سكان الأرض بينما تكوّن ديار الإسلام قلب القارتين الآسيويّة والإفريقية، اللتين هما قارتا الغد المستقبل المشرق..

كما كانتا في الأمس البعيد، وفي القرون السالفة قارتي الحضارات البشريّة الاولى، ومهبط الرسالات والتشريعات الإنسانية الكبرى، خلال عبر الأزمان والأجيال وأخيراً المهد الأوّل للإسلام، والمهد الأول للعرب، وأن العروبة والإسلام يمتزجان معاً في نفس الممالك العربية والإسلامية إمتزاجا لا انفصام له، وإن حاول الإستعمار تفكيكهما عن الآخر إلّا أنه باء بالفشل والخذلان.

إنّ الوطن العربي وإن كانت لهجته عربية، وأرضه عربية إلّا أن دينه هو الإسلام الذّي أنزلته السماء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، النبيّ العربي، الأميّ، الهاشمي، القرشي، التهامي، الأبطحي، المكي، المدني... ليكون ديناً لهم، فحمله العرب إمتثالا لأمرالله سبحانه إلى كل بقعة وحاضرة في الأرض استطاعوا الوصول إليها فدخل الناس فيه أفواجا من كل الأجناس والملل والنحل واللغات، بعد أن لفظ الإسلام منهم كافة السمات والخلافات والإمتيازات العنصريّة، والقبلية، والإقليمية، والقطريّة، وجعل أرض العرب أرض الجميع وأصبحوا كتلة واحدة، وأمة واحدة، وشعبا واحداً، وصفا واحدا، يتلون كتابا واحداً، وهو القرآن، ويسجدون لقبلة واحدة، وهي الكعبة... إلى قضايا جعلت الحضارة العربية الإسلامية كلا في واحد، وواحداً في كل.

لقد ساد التشريع الإسلامى كل الأراضي، وخيم عليها ظلال الإسلام، وجعل العناصر المناوئة المتطاحنة كتلة واحدة، وضمهم في بوتقة واحدة، على ماهم عليه من تباين الجنسيات واللغات إلّا أنهم أصبحوا بفضل الدين القويم يدا واحدة على من سواهم... الدين الكامل الذّي لم يبتغي غيره للبشريّة الخالق تعالى، ولن يقبل منهم غيره... التشريع الخالد الذّي كان أداة تعاضد، وتجمع وتعاون، وتكتيل للبشر في طريق الخير، والسلام، والحق، والفضيلة في الصعيدين المحلي، والبشري.

أما الصعيد المحلي، فقد خلص الإسلام المجتمعات والبيئات والتكتلات الأولية، من ويلات التنازع القبلي، والعنصري، ودفعها في طريق أخوة العقيدة والإيمان والصداقة. وعلى الصعيد البشري حرّر الإسلام، الأقوام والقبائل من النزعات العرقية المتشنجة والإقتتال والتناطح على الثروات، ووحد بينها وعمل لمحو خلافاتها القبلية والعنصريّة، ليحيى في نفوس المسلمين روح الاخوة، والمحبة، والتضامن، والتعاضد، بحيث جعل إحساس المسلم العربي بعروبته، كاحساس المسلم الأعجمى بفارسيته، واحساس المسلم الزنجي بلونه وافريقيته، كلها خصائص لا تكتسب معنى ومفهوماً إلّا من خلال تكميل الإسلام لها، وحملها على التقوى والإنسانية، وتلاحمه معها. وهذا ما أعطى العقيدة المقام الأول في بلاد الإسلام جميعاً،

ويعتبر من أجل وأكمل معطيات التشريع الإسلامي في تاريخ البشرية، فكان الإسلام بعبارة أوضح، أداة جمع، وتعاضد، وتوحيد، واتحاد، وتعاون، وأخوة، لا أداة فصل وتفريق، وتشتت، وتبدد، وتمزيق.

أهم من ذلك على أهميته البالغة والكاملة أن المسلمين وحدهم، كانوا أبرز من تكتل عبر القرون من حول العقيدة، وأقاموا وكوّنوا حضارة مشرقة، وكانت لهم دولة تجمعهم وتساندهم، وتحمى وحدة ديارهم، وتذود عن بلادهم وحياضها.

هذا وحين ولد في أوربا عصر القوميات، أخذ العامل القومي ينازع ويزاحم العامل الديني، ويحل محله في بلاد الغرب المسيحى، وقد ساعد على ذلك أن المسيحية بمجموعها و إن كانت تهتم بالعبادات والوظائف والشؤون الروحية، إلّا أنها لا تشكل كالإسلام نظاماً كاملا قوياً للحياة، مما جعل من الممكن التفريق والإنفصال بين الدولة والدين في بلاد الغرب، وبين الحكم والكنيسة، الأمر الذي أدّى إلى تضاؤل الأثر الديني مع الزمن في الدول الأوروبية، و إلى بروز العوامل القومية لتحل وتأخذ المكان الأول فيها.

وما أن دخلت البلاد الأوروبية التي تأثرت بالفكرة القومية، عصر النهضة والتقدّم بعد اكتشاف الآلة البخارية أوّلا ثم ما تبع ذلك من الإكتشافات العلمية الاخرى، حتى ظن بعض دعاة التقدّم والنهضة في البلاد الإسلامية أن فصل الدين عن الدولة في الغرب هو الذي أدّى إلى النهضة، و إنّ مثل هذا الفصل لم يكن ممكناً لو لم يلعَب العامل القومي الدور الأول في إنشاء الدولة الحديثة، مما جعل بعض يدعوا إلى الخلاص من التخلف ودخول عصر النهضة تقترن بالدعوة إلى إحياء القوميات المختلفة في البلاد الإسلامية، و إلى الدعوة لفصل الدين عن السياسة، و إلى المناداة بالعلمانية... فكان أن أضعفت هذه الدعوات، مشاعر التضامن الإسلامى بين الشعوب، والبلاد الإسلامية فأفاد المعسكرين الشرقي والغربي، من هذا الضعف عندما سيطر سيطرة إستعمارية مباشرة على الكثير من الحواضر الإسلامية أيام الإندفاعات العنيفة الإستعمارية.

وعندما بدأت تصفية الإستعمار ومكافحته بمفهومه القديم من العالم، عقيب الحرب العالمية الثانية، أخذت الدعوات الماركسية تزاحم الدعوات القومية الوافدة من الخارج على البلاد الإسلامية، لتأخذ النفوذ الماركسي محل النفوذ الغربي، ولكن المحاولات الماركسية منيت بـ الفشل تلو الفشل، والخيبة تلو الخيبة، وفي جميع نقاط وأجزاء البلاد الإسلامية في النهاية، لأن العقيدة الاسلامية كانت ولم تزل العقبة الكؤود التي وقفت في طريق الزحف الماركسي والسيطرة على أية بقعة عربية و إسلامية. فرأى عندها دهاقنة التخطيط لنشر الماركسية

ونظرياتها في العالم أنهم ما داموا قد فشلوا في إنتزاع أثر الإسلام وحكومته وسيطرته من نفوس المسلمين عن طريق الهجوم المباشر على الإسلام والعقيدة فإنّ أفضل وسيلة تساعدهم على تحقيق غاياتهم التوّسعية والإستثمارية، هي أن يستغلوا العامل القومي ويقووا من أثره لكي يضربوا العامل الديني، بالعامل القومي. وكانت النتيجة أن تسللوا إلى الحركات القومية ليطعموها بتفكيرهم الإجتماعي في المراحل الأولى، ومن ثم العمل للسيطرة على هذه الحركات القومية من الداخل في المراحل التالية، وبهذه العملية تغدوا بعض الحركات القومية، ذات محتوى ماركسي، مغلفا بالقشرة القومية فلا تشعر أفواه المسلمين بالمذاق الحقيقي للدعوة الماركسية.

وفى خضم هاتيك المخططات كانت النتيجة أنّ أصبحت بلاد المسلمين، تواجه خطرين في وقت واحد، خطر الدعوات القومية المنحرفة التي تمهد الطريق للوصول إلى الماركسية... وخطر الدعوات الماركسية المباشرة. وأصبح هذا الخطر شاملا العالم الإسلامي كله من أقاصي أسيا في الشرق، مروراً بالبلاد العربية و إنتهاء بالبلاد الإسلامية في قلب إفريقيا السوداء.

عند هذه المرحلة الخطيرة التي كانت تنتاب البلاد الإسلامية، عاصفة هوجاء من الأفكار الدخيلة ارتأت ثلة خيرّة من القادة العلماء والمجاهدين أن لابد لهم من ردع الخطر العقائدي، والإنتصار للتشريع الإسلامي، وتبيان معالمه وينابيعه الأصيلة القومية للعالم... الإسلام الذّي هو في الواقع والحقيقة دين ونظام للحياة، ودستور للإنسانية في كافة المجالات، ويساعد على تحقيق السعادة للبشر مادامت الحياة... والصعيد القوّي المستقيم الذّي تتكسر وتتحطم عليه، موجات الدعوات القومية المنحرفة، والدعايات الماركسية الفارغة المضللة لكي يستطيع المسلمون أن يكوّنوا أنفسهم وبلادهم وعقيدتهم ويصونوا إستقلالهم وحريتهم من ناحية... وتكون نهضتهم ويقظتهم متواصلة مستمدة من روح التشريع الإسلامى، والعقيدة الدينية السليمة الصحيحة من ناحية اخرى... وأخيراً من أجل أن يتعاونوا ويتضامنوا في ميادين الكفاح، وساحات الجهاد، ومحاربة العدو المشترك بينهم... كل هذا لخيرهم جميعاً، وخير الإنسانية والفضيلة، وحفظ أراضيهم وصيانة الأجيال والناشئة.

لقد كانت مساعيهم الإعلامية مثمرة وناجعة، وخطواتهم التوجيهية يانعة أعقبت نتائج ظافرة محمودة ومباركة... وفي الوقت نفسه محسودة من قبل أعداء الإسلام في الداخل والخارج، غير أن الركب الإسلامي المنتصر شق عباب الفتن، والموجات بحكمة بالغة، وتقدّم نحو القمة والسمو والإزدهار والتطوّر والنمو... وواصل الزحف لولا أن تقيم الصهيونية العالمية

إسرائيل لتكون قاعدتها الأمامية، ورأس رمح الأطماع الصهيونية في تحقيق التوسّع الإستعماري في بلاد العرب والإسلام... لأن الحركة الصهيونية أشد خطرا من أية حركة إستعمارية عرفها العالم، منذ أن ابتلى بويلات الإستعمار وبطشه ومخططاته الجهنمية، ذلك أن الإستعمار إذا كانت غايته استغلال خيرات البلاد المستعمرة بأبخس الأثمان، وتشغيل اليد العاملة الوطنية لصالح استثماره بأجور متدنية، وابتزاز ونهب ثمرات جهود المواطنين، وعوائد ذخائرهم الوطنية، فإنّ الحركة الصهيونية تقتلع السكان الأصليين الشرعيين من جذورهم في بلادهم وأراضيهم، وتشرّدهم وتنفيهم وتجعلهم طرائق قددا، وتستولي على جميع ثرواتهم الطبيعية، وملكياتهم العامة والخاصة، وتضع نصب عينيها تهديم مقدسات ومعالم الإسلام ومبانيه، لتقيم على أنقاضها هيكل سليمان... وتحل محل الشعب الأصلي الفلسطيني الذّي لم ينقطع وجوده في بلاده، على مجرى التاريخ شتاتا من عصابات وأراذل وأوغاد يهود العالم... وتقيم للحركة الصهيونية بؤراً في كل بلد لليهود فيه أثر ووجود، لتجعل من هذه البؤر حركات منظمة ولو بوسائل الخداع والضغط والإرهاب مربوطة بها، وبقاعدتها الأمامية إسرائيل، تجبى منها الضرائب بشكل منظم باسم المعونات والتبرعات، وتحوّلها إلى قوى ضاغطة على حكومات بلادها، لتسيرها وفق أغراضها، وتصدر إليها الأوامر بالإنتقال والهجرة إلى ما احتلته واغتصبته من أرض فلسطين، وتفرض عليها أن تدين بالولاء لإسرائيل أوّلا، جاعلة منها حكومات صهيونية مقنعة داخل بلاد كثيرة في العالم.

إنّ الصهيونية العالمية التي أوجدت إسرائيل الغاصبة بالتعاون مع الشرق الماركسي، والغرب الإستعماري... أيها المسلمون... تضع نصب عينيها الإستيلاء على أكبر مساحات أرضية من بلاد المسلمين، وما بلاد الإسلام إلّا بلاد العرب، لتضمها إلى إسرائيل، كما تضع نصب عينيها، وفي أوّل مخططاتها التوسعية الوصول إلى السيطرة على كل ما تستطيع من مصادر الثروة الطبيعية الإسلامية، لتمتلك وتغتصب بيد من حديد على الكثير من منابع الثروة التي يفتقر إليها العالم لتتحكم به.

بالإضافة إلى أنها تنفذ مخططاً إستعماريا آخر وضعته بعناية دقيقة ودراسة فائقة، وهو برنامج التغلغل والتسلل إلى بلاد القارتين الآسيوية والإفريقية، وقلبهما النابض بالحوية والمناعة بلاد الإسلام، للسيطرة على مواردها ومنابعها الأولية، وتجعل من شعوبها سوقا لاستهلاك وتصريف بضائعها ومنتوجاتها، ولتخضعها بالتالي إلى نفوذها مادام التغلغل الإقتصادي، هو مفتاح ومدخل النفوذ السياسي، والوسيلة السهلة الناجعة للتسلط الإستعماري.

وكوسيلة لتنفيذ هذه الخطة الشيطانية تجهد الصهيونية العالمية لكي تبقى بلاد الإسلام والعرب، مفككة كقصاصات الورق، ممزّقة متصارعة متطاحنة، متضاربة، متخلفة، متخاذلة، ضعيفة. وقد رأت أن من أهم الوسائل التي تعينها للوصول إلى مالتصبوا إليه من امنية زرع بذور الماركسية في الحواضر الإسلامية والعربية، مادامت الماركسية تدعو إلى حرب ومكافحة الطبقات، وتصرف الإنسان عن أهداف التحرر والإنطلاق.

لذلك فإنّ القارئ الكريم... لو أمعن ودرس الأوضاع والأحوال، لوجد أن كل حركة ماركسية في أي بلد قامت كان وراءها في الأصل يهودي صهيوني، واحتضنها في مراحلها الأولى التي حملها إلى ذلك البلد، ريثما سلمها إلى عناصر ارتبطت مع مراكز الشيوعية في العالم بالولاء.

وهكذا تسرّب وتسلل الاخطبوط الصهيوني إلى الوطن الإسلامى الكبير... والمسلمون بمعزل عن دينهم، وعقيدتهم، ورسالتهم، وفي غفلة أو تغافل عن فعلة اسرائيل النكراء، وحين استيقظوا من سباتهم وجدوا أن بلاداً إسلامية منهم مغتصبة، وينكر مغتصبوها على أصحابها حق تقرير المصير والمطالبة بحقوقهم المشروعة، بالإضافة إلى أن هناك مناطق إسلامية شاسعة في إفريقيا ألحقها الإستعمار القديم بدول غريبة عنها بعد أن اقتطعها من البلد الأمّ.

كما أن هناك عشرات الملايين من المسلمين الذّين يقيمون في بلاد تخضع لأنظمة حرمتهم من أوليات الحرية. وأخضعتهم لمفاهيم لا تسمح لهم أن يعيشوا دينهم، ولا أن يمارسوا طقوسهم ومراسمهم العقائدية، ومع ذلك لا وجود لتكتل بشرّي، أو قيادة إجتماعية ولا مذهبية تهتم بهم، وينصر كفاحهم، رغم أن الحكومات الغربية، والكنائس المسيحية وغيرهم من الفرق والطوائف، تهتم بالمسيحيين، ودينهم، ومعابدهم، و حرّياتهم في البلاد الإشتراكية وغير الإشتراكية. ورغم أن الصهيونية تضغط بكل ما أوتيت من الوسائل والقوّة، لتشكيل منظمات يهودية في بلاد الشرق والغرب من العالم، تجندها لخدمة أغراضها، ورغم أن الشيوعية الأممية، والدول الاشتراكية، تمارس كافة أنواع التدخل والتسرّب، والضغط لحمايه الماركسيين من أتباعها ومواليها في البلاد غير الماركسية.

فهل فكر المسلمون في يوم ما... أو تصدت قادة الإسلام، وحماة التشريع الإسلامي... ورجال الدعوة الحركة الإسلامية... في حماية الشريعة، والقرآن وأهله؟ وهل تطوعوا وقاموا بانعقاد الإجتماعات والمؤتمرات للنهوض بأعباء الإسلام والمسلمين في كل بقاع الأرض، ويرفعوا الظلم عن المظلومين، ويردوا الحرية للمضطهدين، ويدفعوا كيد المعتدين، ويسيروا ببلاد المسلمين إلى طريق النمو والتقدّم، فيبلور الدور الرئيسي الذّي تستطيع البلاد

الإسلامية أن تلعبه على الصعيد العالمي، مع اليقين والجزم أن الدول الإسلامية مجتمعة وعدد سكانها يربو على ربع سكان العالم كله، تستطيع أن تفعل الكثير من أجل خيرها، وخير المسلمين جميعاً، ومن أجل دفع الشر والضر عنها وعن المسلمين كافة.

إنّ منطق العصر الحديث، هو منطق الكتل البشريّة الكبرى التي تلتف حول محور العقيدة الواحدة، فإنّ تجمع الدول الإسلامية في تكتل ينظمها معاً صف واحد، تحت راية القرآن، لهو عمل أساسي بناء وخير منيع لأنه يساعد الدول الإسلامية على الحفاظ باستقلالها، وسيادتها، ومصالحها، وخيراتها، ويردّعنها كل خطر يتهددها كما ويعينها على أن تتبادل الإفادة أو المعونة في الخبرات الفنية وغير الفنية، وفي أن تتعاون ثقافياً و إجتماعياً، و إقتصادياً، وسياسيا لتستطيع وتتمكن التحرر من طور وقيود الدولة النامية التي هي فيها، ولترتقي إلى مصاف الدوّل المتقدمة المتطوّرة.

وكيف لا والحمدلله تعالى على أن جعل بلاد الإسلام كلها بلاد الثروات الطبيعية الأولية، وما من بلد مسلم وصل إلى المرحلة التي تمكنه من إستثمار موارد بلاده وحده أو الاكتفاء بموارده الذاتية عن البلاد الاخرى. ومن هنا يمكننا القول أن هناك كثيراً من المصالح المشتركة، بين بلاد المسلمين، كما أن هناك كثيراً من التشابه في المشاكل والصعوبات والشدائد التي يعانون منها، وفي الأخطار التي تهددهم وتقتحم عليهم ديارهم وأراضيهم.

إنّ القضية الفلسطينية... أو مأساة البيت المقدس... لا تخص أمة وقبيلة دون غيرها، وشعبا دون شعب، إنّها قضية تخص المسلمين كافة، على تباين طبقاتهم ولغاتهم وجنسياتهم، فالجميع فيها سواء، وتخص الجميع بالذات ولا يتمكن فرد أن يتخلى عنها أو يحسبها خارجة عن نطاق مسؤوليته، و إلى هذا أشار النبيّ الأعظم (ص) بقوله: (كلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته. والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته. والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها. والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته. والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته. فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) (٣٠).

فإلى متى ستبقى القضية الفلسطينية معقدة، ويقضى أهلها الشرعيون في التشريد، والنفي، والطرد، والقتل يأكلهم البرد، والسجون، والبيداء لا ملجأ ولا كهف ولا حصن يجمعهم، ولا شعب يهتم بشئوونهم..؟ إنني قلت قبل عشرين عاماً في حديث لي نشرته الصحافة العراقية في حينه، واليوم اكرر التصريح به، وهو أن القضية الفلسطينية لا تنحل

إلّا على الصعيد الإسلامي فحسب، وذلك أن يتصدى المسلمون بأجمعهم إلى تحريرها وإنقاذها من براثن الصهيونية... وإنّ المسلمين إذا لم يتداركوا الموقف فإنّ بقية الأراضي الإسلامية ستكون عن قريب فريسة وطعمة لأسرائيل الغاصبة... أما البلاد العربية فإنّها بصورة عامة ستعترف بالكيان الصهيوني، إمّا عاجلا أو آجلا، شاؤا أم أبوا... لأن إسرائيل منذ إستيلائها على الأراضي المقدسة لم تواجه قوة وضربة حديدية تردعها عن غيها، وتدوس رأس الأفعى الصهيوني وتطويها، وتلفها وتلقي بها في مزبلة العدم والفناء.

وفى الأعوام الأخيرة تيقظ عند المسلمين روح التضامن، ووجد تفكير مماثل له لدى كثير من قادة الكفر، وزعماء الدين في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وتبلور التفكير ذلك وانتقل إلى مرحلة تدارس أمور المسلمين، وأحوالهم، وظروفهم الحالية والمراحل القاسية التي يجتازونها، ليتمكنوا من وضع خطوط رئيسية لما يجب أن يقوموا بها، ويفعلوها اليوم ويعدّوها لغدهم... وأكدوا في تصريحاتهم وتوصياتهم ومقرراتهم، أن يخرجوا التضامن الإسلامي إلى حيز الوجود على أساس **أن** العالم الإسلامي يشكل كتلة واحدة تربط بين أجزائه وشعوبه عقيدة الإسلام بنص القرآن الكريم: **(وإنّ هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)** (٣١) وإنّ الهجمات والحملات السياسية والفكرية التي تتعرض لها الشعوب الإسلامية، تحتم على المسلمين التعاون والتساند، لإقامة كتلة عالمية واحدة، يكون لها من القوةوالمناعة والقيادة الرشيدة مايساعدها على حماية عقائدها، وأراضيها، ومصالحها، ومنابعها. وإنّ الولاء للعقيدة الإسلامية، ومصلحة الامة الإسلامية في مجموعها، يجب أن يصبح فوق الولاء للقوميات والعصبيات، وأن تتجه الحكومات الإسلامية لتوثيق الروابط والصلات بينها في مختلف الحقول السياسية والإقتصادية والعسكرية والثقافية.

وعلى ضوء هذا التضامن الإسلامي الفذ، كانت للمسلمين في السنين الأخيرة على اختلاف جنسياتهم وقومياتهم مسيرات بناءة وخيرة في الحرمين الشريفين مكة والمدينة... أيام مواسم الحج، والزيارة تشترك فيها المسلمون الوافدون على الحرمين من كل صوب وحدب، تتجمع وتنطلق من نقطة معينة وتقطع مسيرها المؤدى إلى الحرم، بكل إتزان وتجليل ومناعة مرددة شعارات وهتافات قامعة لتطاول الأعداء، وبغي المستعمرين، وكيد أعداء الشعوب الإسلامية، ومطالبة باسترداد الأراضي السليبة المغتصبة، وتحرير البلاد الإسلامية من قيود الإستعمار والإستثمار، وحقن دماء المسلمين، وعدم مواجهتهم، ومعاملتهم بسوء واضطهاد، وهضم حقوقهم الإنسانية، وتشريدهم في بعض البلدان غير الإسلامية لكي يستطيع المسلمون بحول الله وقوّته... الحفاظ على مقوّمات دينهم، وتراثهم، وخيراتهم، -

وأراضيهم، و إستقلالهم.

وتتميز تلكم المسيرات المتعاقبة خلال السنين الأخيرة بمسيرة واحدة، حدثت يوم ٨ ذي الحجة ١٤٠٨ هـ ، المتصفة بطابع اليقظة، والتحرر، والإيمان، واليقين، والثبات، والعزيمة، والمثابرة، وكادت تدفع عروش السعودية إلى شفير الهاوية، لو لا أن يتداركها الإستعمار بفلوله، وزبانيته، وشياطينه في المنطقة... فبعد أن أبان المسلمون عن مطالبهم وأهدافهم وغاياتهم، وتركزت في الأذهان، وتبلورت الأفكار باليقظة والعزيمة، تفرقت الجماهير والجموع المسلمة، واتجهت صوب الحرم للزيارة والطواف ، حيث داهمتهم فلول وعملاء وجنود العمالة بالضرب، والإعتداء، والشتم، ورميهم بالقناني الفارغة، والحجارة والآجر من على شرفات الفنادق، والمحلات والبيوتات السكنية، وفتحت عليهم نار الرشاشات والبنادق، واستعملوا القنابل المسيلة للدموع، والخانقة للأرواح، وتحوّلت الأرض المقدسة (مكة) إلى جبهة قتال ومعركة دامية، ومجزرة أليمة، وسقطت الالآف من المسلمين الأبرياء، وتعالت ضجيج النساء، وصرخات الأطفال، وخيم الرعب والإرهاب أجواء مكة ورحابها.

إنّ البيان عاجز عن وصف وسرد صورة المجزرة الأليمة، والقلم كليل في أن يخطها وينقشها، ويسجلها على الورق، ويوضح أبعاد هذه الخيانة المباغتة، التي كانت كاللهب الطائش الإسرائيلي الذي أحرق الوطن الإسلامي، ودمّر إيمانه ومثله وقيمه بالأمس، وهي إن دلت على شيء فإنّما تدلّ على التطلع الخسيس الوقح السعودي الذّي يتوّخى المزيد من قتل المسلمين و إبادتهم، لحساب إسرائيل الغاصبة المجرمة، إلّا أن المسلمين المتدرّعين بالسلاح المحصن بصدق الايمان، والعقيدة، والولاء والقادرين على التحرّك السريع وفي كل الإتجاهات... أظهروا منتهى العفو والسماح، والنبل، والتغاضي، حفظا لقدسية الأرض المقدسة، و إكبارا لحرمة الحرم الشريف مكة فحسب، و إلّا فإنّهم بحول الله وقوّته، قادرون على قمع أية فتنة يهدف أن يحركها الأعداء إذا استطاع الأعداء تحريك أية فتنة، فالحفاظ على قدسية واحترام المسجد الحرام، والشهر الحرام، والبلد الحرام، جزء لا يتجزأ عن مثاليتهم المنبعثة عن إيمانهم القويم. و إلى هذا المعنى الخلقي المثالي تشير الآية الكريمة: **(وعباد الرحمن الّذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)** (٣٣) أي أن عباد الرحمان يمشون بالسكينة والوقار والطاعة غير أشرين ولا بطرين، ولا مرحين ولا متكبرين، ولا مفسدين، ويمشى الرجل منهم بسجيته التي جبل عليها، لا يتكلف ولا يتبختر لا يجهلون و إن جهل وتطاول عليهم، و إذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهونه أو يثقل عليهم قالوا سداداً من القول، لا يقابلونهم بمثل قولهم من الفحش والإثم والضرب (٣٣).

والذي يبدو من دراسة المجزرة من كافة أبعادها وجوانبها، ومطالعة ظروفها وأحوالها أنها لم تكن خلق الساعة أو مفاجئة وقتية، ومباغتة حالية، و إنّما وضعت خطوطها قبل مدة ورسمت مخططاتها منذ حين... والخلاصة أن القرائن تدلّ بوضوح أنها كانت مدبرة ومرسومة إذ لم يكن يخالج بخاطر واحد من الحجاج آنذاك ، أن هجوماً عنيفا سيكون عليهم كما لم يكن الموضوع هذا يخامر ذهن أحد من المسئوولين القائمين بانتظام المسيرة، وتعيين مصيرها، ومسيرها، واحتمال حدوث هذه الخيانة. ولوكان المسلمون على علم بها من قبل أو كان في نيتهم لا سمح الله تعالى... الإعتداء والتطاول و إحداث الشعب، والفوضى، والقتل، لكانوا يتصدون لمقارعة الهجوم الوحشي السعودي ويقفون بوجهه.

ومهما يكن من أمر فالخيانة كانت مدبرّة للنقاط التالية:

١ ــ إلتقى وزير الخارجية السعوديّة في الرياض بالقائم بأعمال الجمهورية الإسلامية الإيرانية... وأبلغه شكر حكومته للمسؤمين الإيرانيين، الذين دعوا الحجاج قبل مغادرتهم لأراضيهم والتوجّه إلى الحرمين الشريفين، بالهدوء، والسكينة والصبر والإيمان، والتجاوز والإغضاء. كما أبلغ المسئوولون، الحكومة السعودية بعدم إيجاد ما يسبب المشاكل والمصاعب للجانبين. والشكر المسبق هذا من قبل السعودية كان إيهاما وتستراً إذ لم يشاهد نظيره منها في السنين المتقدّمة وكان هذا العام بالذات.

٢ ــ في اللقاء الحاصل يوم ٤/ذي الحجة، بين وزير الحج، والأوقاف السعودية، وبين ممثل ومندوب الجمهورية الإسلامية والقيادة العامة للثورة... ذكر الوزير السعودي من أن اخوة الملك وزبانيته وحاشيته والمسئولين بطالبون الملك بعدم السماح للمسيرة هذا العام، والحيلولة دونها.

٣ ــ حين تحركت وانطلقت المسيرة من محل إجتماعها الخاص، وقبل أن تصل إلى النقطة التي كانت هي النهاية، أخذت مكبرات الصوت السعودية، تحذر السعوديين، وغير الإيرانيين، من التقرب والدنومن المنطقة، وتوصيهم بالإبتعاد عنها.

٤ ــ المتاجر والمحلات الواقعة على ضفتي طريق المسيرة، كانت قد اغلقت منذ ظهر يوم المسيرة بأمر من السلطات. مع العلم أن المحلات التجارية هذه تواصل أعمالها ليلا ونهاراً أيام الموسم دون انقطاع.

٥ ــ في اليوم الخامس من شهر ذي الحجة، أبلغت المستشفيات والمرافق الصحية بمجموعها بعدم قبول أي مراجع إيراني للتداوي في اليوم السادس منه.

٦ ــ اغلقت قبل تحرّك المسيرة بساعة واحدة، أبواب ومداخل العمارات الثلاث

الكبيرة الخاصة بالحجاج الاردنيين، والفلسطينيين، ولم يسمح لأحد بالدخول والخروج منها.

٧ ــ كانت سطوح البنايات الواقعة على الضفة اليسرى من المسيرة، مختزنة ومعبأة بالكميات من القناني الفارغة، والصخور، والأحجار، والآجر، والأجهزة المعطوبة لمواجهة الحجاج بها من السطوح، وإلقائها على رؤسهم. وقد أخبر البعض من أصحاب الدور أن هذه الوسائل جمعت في السطوح، قبل أيام من قبل السلطة السعودية.

٨ ــ في السنين السالفة كانت شرطة السعودية المسماة بشرطة مكافحة الشغب..؟ تقف على جانبي طريق المسيرة لألقاء الرعب والذعر في النفوس، ومنع غير الإيرانيين من المشاركة والمساهمة في المسيرة. وفي العام هذا كانت قد وقفت على ضفتي الشارع، قوات غير مسلحة، بينما وقفت حشود من قوات الحرس الوطني، والقوت الخاصة في المنطقة الأمامية (مفرق شارع عبدالله بن الزبير) وفي مؤخرة وقوف المجتمعين والمشاهدين (مسجد الملك) ولا يخفى ما لهذا التغيير من دلالة على الإستدراج والإستعداد للهجوم الشنيع.

٩ ــ كانت حشود الشرطة السعودية تقف في الأعوام المنصرمة في عدة نقاط وصفوف عند النقطة النهائية للمسيرة وكانت المسيرة تنقض عندها إلّا أنهم في هذا العام اكتفوا بأيقاف صف واحد من البوليس غير المجهز نسبياً عند نهاية المسيرة، بينما وقف حشود القوات المسلحة بعيدة عن النقطة النهائية (أي في شارع عبدالله بن الزبير. وشارع النفق) مما يدلّ على أن السلطة ما أرادت الوقوف بوجه المسيرة وتقدمها إلى الأمام كما كانت تفعل في السنين الماضية، وإنما أرادت أن تتقدّم المسيرة إلى الأمام فيفتعلوا نوعاً من الإصطدام والشغب فتتوفر وسائل الضرب والقتل.

١٠ ــ خلال السنين الأربع الأخيرة كان آمر الشرطة يقف على بعد مسافة مائة متر أمام فرقة قواته. ويتصل بمسؤولي المسيرة، ويتبادل معهم النظريات والآراء ثم يفتح طريقاً لعبور الأفراد القاصدين إلى المسجد الحرام، لأداء فريضة الصلاة، ولكن في هذا العام فكان أمراء الشرطة واقفون خلف فرقة الشرطة لأصدار أوامرهم القمعية الهمجية.

١١ ــ كانت شرطة المرور في الأعوام السابقة توزع وتزّج السيارات في طول طريق المسيرة كي تتفرّق الجماهير، وتتبعثر المتظاهرون وكان هذا العام عكس السنين السابقة تماماً، فقد منعت شرطة المرور وقوف السيارات طول الشارع وأبعدتها عنه من مسجد الملك إلى مفرق شارع عبدالله بن الزبير. وهذه الظاهرة كانت قد جلبت إنتباه الجماهير غير أن لم يخطر بذهنية أحد أن العملية هذه تستهدف منها فسح المجال والميدان، لجريمة الجزارين وازاحة

العقبات التي تصدهم من تحقيق مخططهم الصهيوني البشع.

كما وأن شرطة المرور أبعدت عن الشارع كل وسيلة يمكن أن تدع أطلاقات الرصاص غليها آثار الجريمة والخيانة.

١٢ ــ في الماضي كانت قوات الأمن السعودي تتوزّع بين الجماهير وبين صفوف المسيرة بالزّي المدني، ويسيرون جنبا إلى جنب المتظاهرين لمصادرة النشرات التوجيهية وكراسات التوعية، والدعوة والتحرر التي توزّع أثناء المسيرة، أما في هذا العام فلم يكن واحد منهم داخل المسيرة، و إنّما احتشدوا جميعاً خلف صفوف البوليس ينتظرون لحظة الهجوم وفي أيديهم العصا الفتاكة، والذّي ينبغى القول أن الكثير من الجرحى والقتلى، كانوا من ضحايا هؤلاء الوهابيين المتوحشين.

١٣ ــ التفاهم والتنسيق المسبق مع كافة عملاء السعودية، وفلولها وأذنابها، والدوائر السياسية المشبوهة في العالمين العربي والإسلامي... للحصول على تأييدهم الكامل لأبطال الجريمة وفتك الجزارين، و إدانة الحجاج المظلومين، المستشهدين برصاص الغدر والخيانة... في أول لحظات الجريمة وساعاتها الأولى، وقد حصل هذا تماماً بعد أن لعب الدولار البترولي السعودي... دوره الفعّال على الصعيد الدولي، فتقاطرت على السعودية تأييداتهم الباطلة المختلقة بكل وقاحة وخسة.

١٤ ــ النشاط الإعلامي الواسع في الحجاز، لمسخ الحقائق وتشويه الواقع الصحيح، ونشر الأكاذيب، واختلاق التهم والأباطيل من لدن أجهزة الدعاية والمذياع، والتلفزيون، والصحف، والمجلات، والنشرات بشكل منسق مدروس مع الإستفادة من كل ماكان في الرفوف والزوايا الإعلامية السعودية من تصاوير، وأفلام صنعت واختلقت لألقاء التهم والإفتراء، والتشهير والنكسة بالمسيرة.

إنّ هذه الأدلة صريحة وسافرة من أن حكام السعودية والسائرين في ركبهم المحطم، كانوا قد وفرّوا أسباب وعوامل الإصطدام والإشتباك ، والوقيعة الدامية، وهيأوا الشرارة الاولى لها حيث بوغتت المسيرة الظافرة بالهجوم على الحجاج العزّل من كل سلاح، ومقاومة، غير سلاح الإيمان والثبات والعقيدة... ذلك السلاح العقائدي المنتصر الذّي دفع بحول الله وقوته عروش الباغين، والمعتدين، إلى شفير الهاوية، وجعلهم يقتربون إلى الزوال والإنهيار والإضمحلال خلال الأيام القريبة القادمة إن شاء الله تعالى.

وعلى إثر تلك المباغتة الملعونة التي لم تكن في حسبان أحد من المسلمين... إرتفعت نسبة الشهداء وعدد الضحايا والمفقودين، من النساء والمعوّقين إلى حد رهيب مخيف. وفي كل

تلك اللحظات كانت الجماهير، والجموع الحاشدة متحلية، ومتخلقة بأرفع القيم، والمثل الأخلاقية الكريمة، الداعية إلى التفاهم السلمي والهدوء والحيلولة دون سفك المزيد من الدماء الطاهرة، فقابلت الهجوم بالصمود، ورباطة جأش، واصطبار والإبتعاد، والتخلي عن كل صفة ومقاومة، وعمل يؤدي حتى الى سفك قطرة دم على أرض الحرم... لولا رعاية قدسية الأرض المقدسة... وبيت الله الحرام... والشهر الحرام... لكانت مقاومة الجماهير، وغضبتهم المتأججة في الصدور، لا تستقر ولا تعود إلى قرارها إلّا بأبادة القوات المهاجمة المسلحة الجبناء، وأخيرا القبض على الحرمين الشريفين، وتطهيرهما من أرجاس السعوديّة الوهابية القذرة.

أجل وفي اليوم السادس من شهر ذي الحجة الدامية، بدأت الجموع المسلمة المؤمنة تتقاطر بعد أداء فريضة صلاة العصر، على محل تجمع الجماهير، والشروع بالمسيرة الواقع في منطقة المعابدة، وحين استقرار الأقشار العامة من الحجاج والمسؤولين، بدأت المسيرة برنامجها العقائدي بتلاوة آية من القرآن الكريم... وذلك في الساعة الرابعة والنصف. ثم رفعت الجماهير أللافتات الشعبية التي جاءت عليها الشعارات التالية:

ألموت لأمريكا... الموت لروسيا... ألموت لأسرائيل... أيها المسلمون إتّحدوا... إتحدوا... تبت يد المشركين من بلد المسلمين...

ومن ثم قرأت على المتظاهرين سطور من البيان الموجه إلى الحجاج المحترمين المجتمعين في مكة، من قبل القائد العام للثورة الجمهورية الإسلامية الإيرانية... وأعقبه مندوب القائد فألقى بحديث تطرّق فيه إلى المشاكل والظروف القاسية السياسية التي تجتاز العالم الإسلامي، وعن حاجة المسلمين الماسة فيها إلى الوحدة والتضامن والتحرّك في الميدان الإسلامي... وبعد نقله إلى اللغات الحية في حينه إنطلقت المسيرة في الساعة السادسة وعشر دقائق، متجهة إلى شارع المسجد الحرام.

كانت مقدمة المسيرة تتكوّن من ثلاثة صفوف:

١ ــ جمع من الاخوة المسؤولين عن إدارة وتنظيم المبيرة، وأيديهم متشابكة.

٢ ــ لمة كبيرة من الرجال.

٣ ــ في الجانب الأيمن منها موكب المعوقين، الجالسين على عجلاتهم الخاصة، ومن خلفهم النساء. وفي الجانب الأيسر منها الرجال أيضا.

واصلت المسيرة زحفها بهدوء ودقة واستقرار وسكينة، مرددة الشعارات المرفوعة الموجّهة إليهم من القيادة المركزية. وفي الساعة ٦/٤٠ بلغت المسيرة نقطة النهاية، وخمدت

أصداء مكبرات الصوت، وترديد الشعارات وطويت اللافتات. وقد وقفت فرقة من الشرطة السعودية عند موضع إنفضاض المسيرة، وفي هذه اللحظة تقدمت الشرطة عدة أمتار نحو المسيرة وحملت بالهراوات على الجماهير، فضربت البعض واستفزّت الآخرين. وقد استقر من ورائهم عصابة غفيرة من قوى الأمن المتلبسين بالزّي المدني، والمتسلحين بأنواع العصا الفتاكة، والمتزودة بقطع الحديد، والمسامير. وحين أخذت الشرطة تضرب الجماهير علت من قوات الأمن المستقرّة خلف الشرطة، أوامر وصيحات تشجعهم على التطاول والإعتداء، وهنا شنّ البوليس وقوات الأمن حملاتهم الوحشية، وانهالوا على المسلمين بالضرب، واللطم، والجرح، والشتم، فجرح نفر من الحجاج ووقع شهيداً جمع منهم على الأرض.

وقد خطت قوات الأمن السعودي من ضرب المسلمين من شتى الجهات، فألقت عليهم من شرفات البيوتات، وسطوح المنازل ركاما وتلولا عظيمة من الحجارة، والقطع الإسمنتية، والزجاجات، والقناني الفارغة، والسطول المليئة بالتراب والرمال، وقناني إطفاء الحريق، والمكيفات المعطوبة، وقطعات الزجاج، والمرايا، مما أدى إلى جرح عدد كبير من المتظاهرين واستشهاد نفر، وعلى سبيل المثال سقطت قطعة إسمنتية ضخمة على رأس واحد من الحجاج، فأردته قتيلا في اللحظة وفاضت روحه الطاهرة إلى خالقها، تشكوبطش السعوديين، وأخذهم الحجاج بأنواع العذاب والقتل.

في هذه الحالة من الهجوم الوحشي، تراجع الحجاج إلى الوراء وعطفوا إلى الجانب الأيمن من المسيرة، مما أدى إلى الإزدحام والضغط والصخب، وسقوط عدد آخر من الحجاج، سيما النساء، والمعوّقين، والشيوخ، والضعفاء غير القادرين على المسير والمشي.

وخلال هذا الزحام الخانق المميت، شنت عصابة من قوات الأمن هجوماً من الجانب الأيمن، من خلف مسجد الجن، يحملون العصا المدّمرة على النساء أدى إلى التدافع والإزدحام، وسقوط جمع منهن جريحة وشهيدة إلى جانب عدد من المعوّقين، والمعلولين.

ثم عادت الشرطة وواصلت هجومها ثانية من الجانب الأيمن والأيسر، بإطلاق الرصاص على الناس من بنادق مكافحة الشغب، وأعقبتها إطلاقات الرصاص من فوهة الرشاشات.

في هذه اللحظة العصيبة هامت الجماهير، وولت نحو الجبال الواقعة على الجانبين من الشارع، ونحو جسر الحجون. وأثناء تسلقهم للجبال، وجدوا أن قوات الأمن قد أختبأت فيها من قبل، فانهالوا على المسلمين بالضرب والشتم. والذين اتجهوا إلى جسر الحجون للتخلص من شرارة العدوان، وجدوه موصداً بعصابات كثيفة من الشرطة المسلحة بسلاح الغدر والخيانة...

وكأن الشرطة حاصرتهم من كل صوب وطوقتهم من جميع الجهات ولا يمكن الفرار والخروج.

هذه كيفية معاملة خادم الحرمين..؟ مع عباد الرحمان... ودع القول مع المسلمين، فأين صارت البشريّة والأنسانية؟ أيّ ضمير حيّ يرتضي هذا التعامل مع نملة أو حشرة، فكيف بهذا الموجود المقدّس الدال على بدائع حكمة الله وعجائب صنعته، وهو أيضا من آيات الخالق تعالى، الناطقة على قدرته ووحدنيته وعظمته ويتباهى الله سبحانه به فيقول: **(ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)** (٣٤) فالكفر بآيات الله كفر بالله تعالى، وبه يتخلى الإنسان عن الأيمان والإسلام، ويصبح في عداد الكفار، والمشركين، والمرتدين. وهو دليل أن أبطال المجزرة ليسوا بمسلمين مهما طبلوا وزمروا، وتشدقوا بالإسلام، لأن الأعمال هي الملاك والمستند فقط.

بالإضافة إلى هذا أن الوقعية النكراء حجة قاطعة، من أن العصابة هذه لم تكن بعربية، وليست متأثرة بالمثل، والقيم العربية، وإن تشدقت وتبجحت بالعروبة... لأن العرب معروفون، ومطبوعون على الوفاء، والإباء، والشيم، والعهود، والغيرة، والإستجارة، والحنو على الضعيف والضيف والعفو.

* * *

لقد كانت الحجاج والجماهير في شراك المحاصرة، يواجهون هجوم البوليس وقوات الأمن، من كل صوب وناحية يمطرون عليهم الرصاص من شتى النواحي. وفي داخل الحصار هذا حدث أنواع الغدر، والخيانة، والفحشاء، والفظاظة، والقسوة مما لم يعهد به التاريخ مثيلا حتى في الغز والمغولي الوحشي... فهجموا على النساء اللائذات بزوايا الشوارع، وضربوهن بالهراوات على رؤسهن، وأكتافهن فسقطن مضمخات بدمائهن، ثم حملوا على الجرحى والمستشهدات، واشتغلوا بالنهب وانتزاع الأساور، والساعات، والأقراط، وتفريغ الجيوب، والحقائب إلى جانب ضرب المعوقين والمعلولين، وقتل عدد منهم.

واستشهد جمع آخر من الحجاج على أثر إستعمال الغازات الخانقة المحرقة، والمسيلة للدموع، وسقط الكثير من النساء والشيوخ في وسط الزحام وجرحوا. ولم تكن الغازات الخانقة والقاتلة محصورة في داخل الحصار، وإنّما امتدّت آثارها إلى الجبال المحيطة بالمنطقة.

شدّد البوليس السعودي..؟ الحصار والخناق، وضيق الساحة، وزحف من شارع عبدالله بن الزبير إلى مقابل شعب أبي طالب، وراحت القوات تبطش بوحشية بالمسلمين، مستخدمة كل أدوات ووسائل القتل والجرح، وبدأ الرصاص يطلق وينهال عليهم، من تحت جسر الحجون، ومن شرفات الأبنية المجاورة، وسقط في حينه عدد آخر من القتلى والجرحى.

لقد حاول بعض الحجاج إنقاذ النساء الجريحات، وا نتقالهن إلى خارج المعركة فانهال البوليس عليهم بالضرب، ومنعهم من ذلك. كما حاولت سيارات الإسعاف الإيرانية دخول المجزرة، وحمل الجثث فواجهوا الشتم والمنع وعدم السماح، وترك المنطقة فورا. إلّا أن الحمية الإسلامية، والشهامة العقائدية، دفعت بسائق سيارة إسعاف تحدّى أوامر البوليس، وشق طريقه إلى داخل المجزرة فانهالت القوات على السيارة، وهشموا منافذها وكسروها، وأطلقت على السائق الرصاص وأردوه قتيلا.

ولم يتمكن أحد من البشر من إنقاذ الجرحى والقتلى، من النساء، والرجال، والشيوخ، الذين كانت أجسادهم تنزف دما، ويستغيثون ويستصرخون... والقوات تجيبهم بالضرب، والشتم، واللوم. وهكذا إنتهت الوقيعة، وبلغت المجزرة أبشع صورها، وأخس حالاتها، وخيم الرعب على أجواء مكة... الجريحة... الباكية... الدامية... الشجية... الحزينة... القلقة... المبعثرة... المضطربة... وحان وقت صلاة المغرب وارتفع صوت المؤذن...

الله أكبر... الله أكبر...

الله أكبر... الله أكبر...

وهنا لجأ بعض الحجاج إلى زاوية من ساحة المعركة الدامية، لأداء فريضة الصلاة فتوجهت رجال الأمن نحوهم وفرّقوهم بالضرب واللطم.

وحين شاهد العالم هذه المأساة الدامية البربرية، وماحل بالمسلمين الحجاج، بكت عليهم السماء والأرض وفتح الأخوة الفلسطينيون والاردنيون، أبواب بناياتهم بالقوة وتحدوا البوليس السعودي المجرم، وآووا الحجاج سيا النساء وأدخلوهم مساكنهم، وضمدوا جراحاتهم، وسقوهم الماء الفرات، وأسكنوا روعهم، مؤكدين للدنيا أن الشهامة الإسلامية، والفتوة العقائدية، أقوى من بطش الإرهابيين وتنكيل الوهابيين... بعد أن كانت القوات السعودية قد أغلقت أبواب العمارات الواقعة على يمين المعركة.

(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنّما يؤخرّهم ليوم تشخص فيه الأبصار. مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) (٣٥)

كم غدرة لكم في الدين واضحة	وكم دم لرسول الله عندكم
أنتم له شيعة فيما ترون وفي	أظفاركم من بنيه الطاهرين دم
يا عصبة شقيت من بعد ماسعدت	ومعشرا هلكوا من بعد ما سلموا
يا باعة الخمر كفوا عن مفاخركم	لمعشر بيعهم يوم الهياج دم

تنشى التلاوة في أبياتهم سحراً وفي بيوتكم الأوتار والنغم
الركن والبيت والأستار منزلهم وزمزم والصفى والحجر والحرم

إنّ معركتنا لم تبلغ النهاية... ولم نتوصّل بعد إلى خاتمة المطاف... ولنا مع الظالمين، والمفسدين، والعملاء جولات، وجولات، حتى يحق الله الحق، ويبطل ولوكره المشركون... سنعود من جديد إلى قلب الجزيرة الإسلامية، وإلى بطن المجزرة الدامية، ونقيم معالم العقيدة الإسلامية... وركائز التشريع الإسلامى على حطام أشلاءهم الممزّقة العفنة، وسنطهر كل شبر من الأراضي الإسلامية المقدسة، من أقصاها إلى أقصاها، من مكائد وبراثن الصهاينة الأوغاد، وعملائها الجبناء، ونجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الباطل والظالمين هي السفلى.

سنثور لدماء الآباء والأجداد... وكرامة الأمهات والأخوات... ونضرب بيد من حديد على كل من سولت له نفسه الأثيمة بهذه الخيانة الكبرى... ونننزل الضربة القاضية العارمة، بحياة الباغين والمأجورين والمرتزقة، وهي فى الواقع والحقيقة كلمتنا الأولى والأخيرة.

إنّ قيام الآباء والجدود، وصرخاتهم بوجه الطغاة والحاكمين الظالمين الحاقدين، ماهو إلّا دليل على إيمانهم الراسخ، وعقيدتهم المتركزة المتغلغلة في أعماق قلوبهم، والتي جعلتهم يتخذون من الموت سبيلا للحياة، لذلك تجد شعبنا المغوار بالرغم من كل وسائل البطش والفتك... في شهامة متزائدة، وشجاعة وقوة، سيعودون إلى خوض المعارك بسعة الصدر، وكرم القلب، وسيجودون بنفوسهم، ويذبون في سبيل عقيدتهم:

ونحن اناس لا توسّط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر
أعز بني الدنيا وأعلا ذوي العلا وأكرم من فوق التراب ولا فخر

شعب تعلم روح التضحية، والفداء، والمثابرة، والنضال، والاباء، من معلمه وقائده العظيم سبط النبيّ الأعظم (ص) الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، حين وقف يوم الخميس ٢ محرم سنة ٦١ هـ، فقال بأعلى صوته، وكأنه يخاطب الأجيال، والأجيال، والأجيال، والذين هم في الأرحام إلى يوم البعث: (أما بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وأنّ الدنيا قد تغيرت وتنكرّت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقاً فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما).

شهداء مجزرة مكة..؟

فيما يلي ثبت بأسماء الذين استشهدوا في هذه المأساة الدامية، وكانت بحق مجزرة إنسانية أليمة لم يشهد التأريخ لها من مثيل، وقد دخلوا التاريخ وسجلت أسماءهم في صفحاته المشرقة، وسطوره النيرّة التي ستبقى خالدة مادامت الحياة... تلهج بذكرهم البشريّة وترددها الأجيال وتتغنى بها الركبان... عليهم صلوات الله وتسليماته ورحمته وبركاته.

ألشهيد	المدينة	المهنة
١ ــ شرافت بنت السيد اكرام خسروي هاچه سو	صائن دژ	ربة بيت
٢ ــ منوّر بنت حسن كفائي زاده الطهراني	مازندورامين	ربة بيت
٣ ــ كبرى بنت علي أصغر تلخ آبادي	قم	ربة بيت
٤ ــ فاطمة بنت عباس نيک	بندرعباس	ربة بيت
٥ ــ شاه زنان بنت مهدي زماني	كرج	ربة بيت
٦ ــ مانده علي بن محمدپور قاسميان	نجف آباد	تجارة حرّة
٧ ــ صديقة بنت السيد أحمد موسويان	نجف آباد	ربة بيت
٨ ــ الحاج درويش جهانگيري	شيراز	متقاعد
٩ ــ الحاجة فرّخ زوربخش	شيراز	ربة بيت
١٠ ــ الحاجية بيگم بنت أسدالله الإسلامي	فريدن	ربة بيت
١١ ــ زهراء بنت عزيزالله كلاغ نشين	طهران	ربة بيت
١٢ ــ محمد بن جليل ابراهيم پور	كازرون	
١٣ ــ محمد ابراهيم بن محمد باقر فخرائى	شيراز	
١٤ ــ نجفعلي بن علي محمد اشكستاني	نائين	
١٥ ــ أقدس بنت محمد استوار جولابي	رشت	ربة بيت
١٦ ــ فاطمة بنت مهدي ورشابي	اصفهان	«
١٧ ــ محمد حسن بن محمد متولي إمامي	اصفهان	«
١٨ ــ الحاجة ربابة بنت رضا رنجبر	زرين شهر	«
١٩ ــ الحاجية فاطمة بنت رحيم فتاحى الدولت آبادي	برخدار	«
٢٠ ــ صديقة بنت أسدالله جلواني خدزاني	اصفهان	«

٢١ ــ خديجة بنت اسماعيل مارنانى	اصفهان	«
٢٢ ــ صفية بنت باقر گنجينه	قزوين	معلمة قرآن
٢٣ ــ طاهرة بنت حسين كبابيان	قزوين	ربة بيت
٢٤ ــ زهراء بنت غلامحسين صادق زادگان	قزوين	«
٢٥ ــ زهراء بنت محمد داورسان	قزوين	«
٢٦ ــ عذراء بنت السيد حسن باب	قزوين	«
٢٧ ــ سكينة بنت ميرزا أحمد عسكرى باقرآبادي	بافق-يزد	«
٢٨ ــ أقدس بنت قربان حسن زاده	طهران	«
٢٩ ــ گوهر بنت حسين سراجي	أهواز	ربة بيت
٣٠ ــ زهراء بنت كرم چپ چاپ	أهواز	
٣١ ــ سكينة بنت شدزب احمدين	طهران	
٣٢ ــ قمر بنت شكرالله الكاظمي برجي خواندي	اصفهان	
٣٣ ــ كمال بن حسين چترسيا	بوشهر	
٣٤ ــ عوض بن شنبه بازمانده	بوشهر	
٣٥ ــ كبرى بنت حسين غفوري	أراك	ربة بيت
٣٦ ــ هاجر بنت حاجى قاسم على رنجبر البافقى	يزد	
٣٧ ــ آل يوسف بنت محمد أنوارى	بسته بن	
٣٨ ــ محمد على بن اسماعيل بشارت ــ مدير مؤسسة شهيد إسلام آباد	طهران	
٣٩ ــ سكينه خاتون بنت محمد حسن ناظميان علائي	سمنان	ربة بيت
٤٠ ــ آل محمد بن بايزيد ــ روحاني و مدير قافلة	سنقر	
٤١ ــ أبوالحسن بن سيد قدير الموسوى	زنجان	روحانى
٤٢ ــ غلامرضا بن أبوالفضل عطرفي	زنجان	مزارع
٤٣ ــ صفت الله بن خيرالله محمد خانلو	قزوين	مزارع
٤٤ ــ رقيه بنت آقاجان مردانى	قزوين	ربة بيت
٤٥ ــ فاطمة بنت السيد محمد الحسينى	قزوين	
٤٦ ــ لطف الله بن نعمت الله على مرادى	قزوين	مزارع
٤٧ ــ حسين بن على على ياس	بندرعباس	

٤٨ ــ ساره بنت ملااسماعيل پورخيلاني	دزفول	
٥٠ ــ قمرخانم بنت نوروز عليپور	أهواز	ربة بيت
٥١ ــ إلهام بنت حميد مهدوي	أهواز	
٥٢ ــ بتول بنت فتح الله اعلائي	تستر	ربة بيت
٥٣ ــ ملكه خانم بنت على حسين جوادي	أهواز	
٥٤ ــ نظام بن شيرزاد صنيعى	أهواز	
٥٥ ــ سكينة بنت محمد حسين رعيتى	شيراز	
٥٦ ــ حسنعلى بن عيدى اسماعيلى	شيراز	
٥٧ ــ صغرى بنت أبوالحسن شهسوارى	شيراز	
٥٨ ــ مصطفى بن نجفقلي عليپور	فيروزآباد	
٥٩ ــ نعمت الله بن مرحوم علي نعمتي	شيراز	متقاعد
٦٠ ــ رقيبخ بنت ابراهيم رفعت بخش آسمان	«	ربة بيت
٦١ ــ رقيه بنت عبدالكريم حق نگهدار	«	«
٦٢ ــ مفتون بنت محمد نجفي	«	«
٦٣ ــ فاطمه پروين بنت رضا روحى ابرقوئي	آباده	«
٦٤ ــ علياء بنت گرگعلي إسماعيلي	شيراز	«
٦٥ ــ منيژه بنت محمد كريمي	«	«
٦٦ ــ عبدالصاحب بن علي نظر سقازاده	كازرون	
٦٧ ــ خانم بنت عباسعلي رياستي	شيراز	
٦٨ ــ السيد علي محمد بن السيد جواد معزّي	«	
٦٩ ــ قمرتاج بنت علي حسين زارع	«	
٧٠ ــ محمد باقر بن السيد مصطفى إمامى دوره بندي	قم	عالم
٧١ ــ زهراء بنت عباس پسنديده	«	ربة بيت
٧٢ ــ حوراء بنت تقي صفريان	«	«
٧٣ ــ حسين بن أبوالفضل فرّخ آشتيانى ــ مدير مؤسسة شهيد آشتيان	«	
٧٤ ــ حسنه بنت حسن آلبوكردي	أهواز	ربة بيت
٧٥ ــ عليرضا بن مهدي	طهران	

٧٦ ــ زيباخانم بنت علي أصغر شريعتي	على آباد	
	كتول	
٧٧ ــ قربان بن أحمد بشكود	رشت	
٧٨ ــ توران بنت تقي كيان افواز	اصفهان	
٧٩ ــ عفت بنت حسين ناعم اصفهاني	«	
٨٠ ــ رقيه سلطان بنت محمد علي پريشاني فروشاني	«	
٨١ ــ شايسته بنت كريم محمد حاجي كريمي	كاشان	
٨٢ ــ فاطمه بنت حاجي علي قربانى سيني	اصفهان	
٨٣ ــ رقيه بيگم بنت السيد جلال موسوي اشترجاني	«	
٨٤ ــ مهرانگيز بنت خسرو أميني	«	ربة بيت
٨٥ ــ مهين بنت حيدر عشقي	«	
٨٦ ــ عزت بنت محمد علي وكيلى سهرفيروزانى	«	
٨٧ ــ راضيه بيگم بنت محمد شهپرى فرد	«	
٨٨ ــ سيدة خانم بنت السيد جمال	«	ربة بيت
٨٩ ــ صفيه بنت نعمت الله مطيعي دهنوي	اصفهان	ربة بيت
٩٠ ــ صديقة بنت عباس نم نياني	«	«
٩١ ــ طاهرة بنت درويشعلي لعل شهبازي	«	
٩٢ ــ ملك خانم بنت أحمد راعي	كاشان	حائكة سجاد
٩٣ ــ جميلة بنت يدالله يوسفي ميرآبادي	اصفهان	ربة بيت
٩٤ ــ كمال الدين بن السيد كاظم كامروا	«	
٩٥ ــ پروين بنت محمد حسن آقا كوچكي فروشاني	«	«
٩٦ ــ صفرعلى بن رمضانعلي مرادي قهدريجاني	«	
٩٧ ــ جواد بن نصرالله دهقاني كليشادي	«	عالم
٩٨ ــ خاتون بنت ولى الله عقيقي	«	ربة بيت
٩٩ ــ كبرى بنت شيرعلي سبزعلي قلعه ميرزباني	«	«
١٠٠ ــ كوكب بنت محمد مجيري	«	«
١٠١ ــ فاطمه بنت علي محمد كاظم زاده دستجردي	«	«
١٠٢ ــ بتول بنت مهدي فيروزمند	«	«

الاسم	المدينة	المهنة
١٠٣ ــ رضا بن جواد حاجي صفري	«	
١٠٤ ــ فاطمة بنت مرحوم آقاجان ملائي هرندي	«	
١٠٥ ــ رضا بن زين العابدين فروغي طالخونچه	«	
١٠٦ ــ معصومة بنت براتعلي شاه سنائي كتيرائي	«	
١٠٧ ــ هيبت الله بن علي تركي	طهران	
١٠٨ ــ أحمد بن غلامحسين شهرياري	«	
١٠٩ ــ ليلى بنت محمد باقر ناصري	«	ربة بيت
١١٠ ــ حسين بن عبدالأمير حاتمي	«	
١١١ ــ محمود بن عباسقلي مؤمن	«	
١١٢ ــ زهراء بنت منوّر الحسيني	«	
١١٣ ــ عليجان بن مرحوم حسين رحيمي	«	
١١٤ ــ خانم بالا بنت إسماعيل چشمه	«	
١١٥ ــ صورت بنت أبوطالب كاظمي	«	
١١٦ ــ عزّت الله بن محمد تقي شعبانلو	«	
١١٧ ــ ناهيد بنت أحمد فولادي سمناني	«	
١١٨ ــ حسين بن حجة الله رسولي نيا	«	
١١٩ ــ عبدالحميد بن موسى بادروج	«	
١٢٠ ــ محسن بن محمد باقر ارومي	«	
١٢١ ــ محمد بن حسين ماندني بادي	«	متقاعد
١٢٢ ــ فاطمة بنت محمد جهانديده	«	ربة بيت
١٢٣ ــ فضة بنت محمد حسن خاكپور	«	
١٢٤ ــ عبدالحسين بن غلامحسين عابدين باجگيران	شيروان	تاجر
١٢٥ ــ رحمانعلي بن محمود درتومي	مشهد	
١٢٦ ــ محمد بن على محمد باغبان	«	
١٢٧ ــ عشرت بنت عبدالله رحيميان	تربت حيدريه	ربة بيت
١٢٨ ــ محمد صادق بن علي أصغر رفيعي خيرآباد	مشهد	
١٢٩ ــ خاتون بنت محمد مهديان	«	
١٣٠ ــ رضا بن محمد قلي صالحي دشت بياض	«	

١٣١ ــ مهدي بن السيد محمد علي عندليب مقدّم	بيرجند	
١٣٢ ــ فاطمة بنت أبوطالب كفاشي فارمد	مشهد	
١٣٣ ــ حسين بن كربلا حسن مؤدب بيلندي	گناباد	
١٣٤ ــ هاجر بنت السيد عبدالعلى حائري عراقي	مشهد	ربة بيت
١٣٥ ــ رضا بن محمد رضادوست	سبزوار	
١٣٦ ــ طاهرة بنت علي جمعه أحمدنژاد	كاشمر	
١٣٧ ــ فاطمة بنت محمد حسن چرخكار	مشهد	ربة بيت
١٣٨ ــ محمد بن حسين بهنامي فر	سبزوار	
١٣٩ ــ فاطمة بنت حسين خباز توكلي	كاشمر	
١٤٠ ــ سرور بن غلامحسين شجاعي بوري آبادي	تربت حيدرية	
١٤١ ــ رمضان بن مرحوم علي نامور	شيروان	
١٤٢ ــ معصومة بنت علي أكبر أعظم زاده	مشهد	
١٤٣ ــ سكينة بنت نُصرالله امامي ميبدي	«	
١٤٤ ــ صغرى بنت شاه گل راشكي	تربت جام	
١٤٥ ــ خاتون بنت كربلائي غلام عبيدي	مشهد	
١٤٦ ــ خديجة بنت السيد جواد محمدنيا	«	
١٤٧ ــ صغرى بنت محمد صادق وطن دوست سرمزده	«	
١٤٨ ــ كنيز رضا بنت صفدرعلي صفدرنيا	تربت جام	ربة بيت
١٤٩ ــ عصمت بنت كربلائي على هنرورزاده	تربت حيدرية	
١٥٠ ــ زهراء بنت اسماعيل بسكابادي	مشهد	
١٥١ ــ ليلى بنت عباسعلي قارداش	شيروان	
١٥٢ ــ محمدتقي بن السيد مصطفى إمامي درّه بيدسي	اصفهان	كاسب
١٥٣ ــ حسين بن غلامحسين گوركي	برازجان	«
١٥٤ ــ فاطمة بنت محمد كوچي	كاشان	
١٥٥ ــ أحمد بن استاد حسن ديانت كاشاني	«	صاحب محل
١٥٦ ــ أكرم بنت ماشاءالله ساعدي	«	ربة بيت
١٥٧ ــ مرحمت بنت محمد حسني ويردجي	«	«
١٥٨ ــ رجبعلي بن حسينعلي رمضاني	«	مزارع

١٥٩ ـ ماه‌نساء بنت عبدالكريم إبراهيمي	«	مزارعة
١٦٠ ـ قدسية بنت غلامحسين سخي قصري	«	«
١٦١ ـ حميدة بنت حاجى بابا مولوي دستجردي	خوراسگان	
١٦٢ ـ مريم بنت عبدالحسين دهقاني حبيب آبادي	«	
١٦٣ ـ ذبيح‌الله بن السيد علي ياسيني	گلپايگان	
١٦٤ ـ أكبر بن أحمد سلحشور.	اصفهان	متقاعد
كذلك استشهدت زوجته نصرت أعظمي		
١٦٥ ـ مهري بنت عبدالصمد رعنائي	خوراسگان	
١٦٦ ـ طاهرة السادات بنت السيد باقر زركش إصفهاني	اصفهان	
١٦٧ ـ مهين السادات بنت السيد هادي محقق مطلق	«	
١٦٨ ـ بتول بنت محمد حسن تحويليان	«	
١٦٩ ـ ربابة بنت عبدالرحيم كريمي علويچه	«	
١٧٠ ـ حاجيه بيگم بنت مصطفى شفيعي خدزاني	خمينى شهر	ربة بيت
١٧١ ـ أشرف بنت محمد صادق اشتري	اصفهان	«
١٧٢ ـ إحترام بنت باقر ملاحيان	«	
١٧٣ ـ حميدة بنت رجبعلي قضاوي خوراسگاني	خوراسگان	
١٧٤ ـ محترم بنت أبوالقاسم ضيائي سهرفيروزاني	فلاورجان	
١٧٥ ـ فاطمة بنت غربتعلي خسروي اجكودي	لنجان سفلى	ربة بيت
١٧٦ ـ فاطمة بنت اسماعيل وكيلي سهرفيروزاني	فلاورجان	«
١٧٧ ـ كمال بن السيد مصطفى موسويان	زرين شهر	عامل
١٧٨ ـ شاهزاده بن حسين مظاهري كدهانستاني	اصفهان	
١٧٩ ـ رضا بن السيد علي مدرّس زماني	اصفهان	
١٨٠ ـ محمد آقا بن حسين كريمي	«	
١٨١ ـ صغرى بنت قربانعلي حبيب الهي	«	
١٨٢ ـ زهراء بيگم بنت أسدالله أفلاكيان	نجف آباد	
١٨٣ ـ خديجة بيگم بنت السيد مجتبى آيت	«	
١٨٤ ـ عبدالكريم بن محمد وحيد	همدان	تاجر
١٨٥ ـ رضا بن هادي محمدزاده ـ والد شهيد	«	لوازم صحية

١٨٦ ـــ غلامرضا بن مصيب كتابي	«	
١٨٧ ـــ كنجعلي بن بخشعلي بخشي	«	معمار
١٨٨ ـــ مهين بنت إسماعيل حبيبي	«	
١٨٩ ـــ غلامعلي بن يعقوبعلي يعقوبي أكبر	«	
١٩٠ ـــ رجبعلي بن مراد علي عزيزي	«	
١٩١ ـــ ماه‌سلطان بنت اسماعيل اسماعيلي ترنگي	شيراز	
١٩٢ ـــ سرافراز بنت رشيدآقا پوررشيد	«	
١٩٣ ـــ مهين بنت محمد فاخرمنش	فسا	
١٩٤ ـــ حميدة بنت محمد رفيع طالب‌زاده سروستاني	سروستان فسا	
١٩٥ ـــ الله‌قلي بن حسن بيگ شرفي‌فرد	شيراز	
١٩٦ ـــ طيبة بنت محمد إبراهيم تازنگ	سروستان فسا	
١٩٧ ـــ حمدالله بن استاد أحمد أحمدي وحيد	همدان	حلاّق
١٩٨ ـــ مليحة بنت حبيب كديور	فسا	ربة بيت
١٩٩ ـــ خديجة بنت حبيب كديور	«	«
٢٠٠ ـــ عبدالعلي بن سبزعلي غلامي		بايع خشب
٢٠١ ـــ قربان بن شاهمراد مرادي	شيراز	سائق سيارة
٢٠٢ ـــ ايراندخت بنت السيد آقا نماينده	«	ربة بيت
٢٠٣ ـــ نورسته بنت علي خداجي	«	«
٢٠٤ ـــ زهراء بنت ولي محمد مرادپور	«	
٢٠٥ ـــ محمود بن خيرالله كاراندیش	«	
٢٠٦ ـــ مرتضى بن زينل حدادي	«	
٢٠٧ ـــ صديقة أحمدزاده كلائي	بابل	«
٢٠٨ ـــ جمال بن السيد حسين غني‌پور	«	ميكانيكى
٢٠٩ ـــ حسين بن السيد ميرحبيب حبيب‌نژاد دشتي	«	مزارع
٢١٠ ـــ فاطمة بنت علي أكبر بني‌حسن	قم	ربة بيت
٢١١ ـــ معصومة بنت كرم عرب بالا جليني	گرگان	
٢١٢ ـــ سيدة مهتاب بنت السيد جلال نوربخش آهنگر كلائي	قائم‌شهر	
٢١٣ ـــ سلطنت بنت شاه كرم ياري بيگي درويشونه	قزوين	

٢١٤ ـ زهراء بنت غلامعلى أصغري	قم	ربة بيت
٢١٥ ـ خديجة بنت محمد حسين خزانه حلاجي	قزوين	«
٢١٦ ـ رقية بنت محمد علي رضائي	«	
٢١٧ ـ محمود علي بن أحمد عليپور	«	
٢١٨ ـ عباس بن حسين مختاري	رشت .	مزارع
٢١٩ ـ مرتضى بن غلامعلي مسچيان جذيري	«	تاجر
٢٢٠ ـ زهراء بنت محمدرضا عليدوست جلالي	آستانه أشرفية	ربة بيت
٢٢١ ـ غلامرضا بن نعمت الله رحماني سياكوهي	طهران	
٢٢٢ ـ رمضانعلي بن محمد علي اسماعيلى شاه وير	بندرأنزلى	
٢٢٣ ـ رضا بن السيد جلال أسدي شكار	رشت	
٢٢٤ ـ سكينة بنت مرحوم صفرخاني زارچي	يزد	ربة بيت
٢٢٥ ـ بتول بنت حسين شيخ العارفين بافقي	بافق-يزد	«
٢٢٦ ـ محمد حسين بن مرحوم ملاعلي برهان	«	
٢٢٧ ـ عبدالله بن عبدالجواد حسن علائي	طهران	طيّار
٢٢٨ ـ عليرضا بن بمانعلي وقار	«	طالب
٢٢٩ ـ منصورة بنت قلي رزاقي	«	
٢٣٠ ـ حسن بن محمد ابراهيمي پورسپاهي	«	
٢٣١ ـ أحمد بن رضا محموديان كلهروري	«	
٢٣٢ ـ يوسف بن ميرزا نظراسماعيلي	قزوين	بائع أقمشه
٢٣٣ ـ ليلى بنت محمد جلالي ورنامخواستي	اصفهان	ربة بيت
٢٣٤ ـ پروين بنت كاظم كوثري ـ والدة شهيد	طهران	ربة بيت
٢٣٥ ـ محمدعلي بن حسين عالمي	«	بائع دجاج
٢٣٦ ـ كبرى بنت قربانعلي اروجلو	«	
٢٣٧ ـ حليمة بنت حسين عزيزآبادى	«	ربة بيت
٢٣٨ ـ نجمة بيگم بنت كربلائي ميرزا محمد كرابي	«	«
٢٣٩ ـ خديجة بنت ذبيح الله أسدي	«	
٢٤٠ ـ فاطمة بنت حسين صادقي برزاني	برخوار	ربة بيت
٢٤١ ـ أنيس بنت محمد بهروزى ماشالي	طهران	

٢٤٢ ـ نجمه لقا بنت عزيزالله شاكري	«	
٢٤٣ ـ عباس بن حسين كلاهي	سمنان	سائق
٢٤٤ ـ زهراء بنت حبيب الله همتيان	«	معلمة
٢٤٥ ـ زهراء بنت حسين مدّاح	«	مربّية اطفال
٢٤٦ ـ حسين بن عبدالمجيد نقيبي نستري	مشهد	عالم
٢٤٧ ـ براتعلى بن حسين كلالي	«	معمل خياطة
٢٤٨ ـ محمدعلي بن رمضان مهدوي پاک	«	
٢٤٩ ـ فيض الله بن يوسف شيخي	«	عامل بناء
٢٥٠ ـ أبوالقاسم بن حسن راستگو	«	مزارع
٢٥١ ـ بتول بنت براتعلي جليلى هواخواه	«	
٢٥٢ ـ نصرت بنت مهدى ژياني زرگرافي	«	ربة بيت
٢٥٣ ـ شهربانو بنت عباس قويدل ـ زوجة شهيد	«	«
٢٥٤ ـ بي بي طاهرة بنت السيد سرور سروري	«	«
٢٥٥ ـ صاحب جان بن كربلائي محمد شاملي طرقي	«	«
٢٥٦ ـ ربابة بنت حسين دهقان نيرّي	«	«
٢٥٧ ـ حافظة بنت غلامحسين سليمان شاهي	«	«
٢٥٨ ـ براتعلي بن حسن كاخكي طرقي	«	عامل
٢٥٩ ـ أحمد بن على أكبر شايسته	«	
٢٦٠ ـ محمد بن اسماعيل اصغري	«	مزارع
٢٦١ ـ أبوالقاسم بن محمد إبراهيم عباس زاده صنوبري	«	«
٢٦٢ ـ حسين بن السيد مراد حسيني جهانگير ـ والد شهيد	«	عالم
٢٦٣ ـ محمد مهدي بن محمد علي متديّن طوسي	كاشمر	عالم
٢٦٤ ـ جعفر بن السيد محمد الحسيني	بجنورد	عالم
٢٦٥ ـ علي اكبر بن محمدرضا معافيان	مشهد	
٢٦٦ ـ أميرحسين بن محمد نصير أردلي	شهركرد	مزارع
٢٦٧ ـ فاطمة بنت گنجعلي گنجي	بروجرد	
٢٦٨ ـ ميرعزيز بن ميرحبيب سيادت	ارومية خوى	
٢٦٩ ـ محمد بن محمود قنبري برزي	كرمان	

٢٧٠ ـ كبرى بنت رضا جوزدرختگي	طهران	
٢٧١ ـ طاهرة بنت أسدالله طاهري	زنجان	ربة بيت
٢٧٢ ـ ملوك بنت عيدى سقررقچي	أهواز	
٢٧٣ ـ صديقة بنت محمود ابراهيم نجف آبادي	«	
٢٧٤ ـ مريم خاتون بنت عبدالحسين آقاكوچک	«	
٢٧٥ ـ توكيكه جليلي	«	ربة بيت
٢٧٦ ـ محمد بن السيد مهدي پور حقيقي	شيراز	!!
٢٧٧ ـ على اكبر بن فضل الله كثيري ـ والد شهيد	آستارا	
٢٧٨ ـ بدرآغا بنت مرحوم سليمان سليمان دخت ـ والدة شهيد	شيروان	«
٢٧٩ ـ أبوالقاسم بن عليرضا تيموري نژاد	مشهد	موظف اذاعة
٢٨٠ ـ طوبى بنت عبدالله تاجرريزي	«	
٢٨١ ـ عبدالحسين بن آقاجان سالاري ـ موظف شركة النفط	اصفهان	
٢٨٢ ـ علي محمد بن آقابابا معيني كربكندي	«	بناء
٢٨٣ ـ بهجت بنت مصطفى دهكردي زادگان	طهران	ربة بيت
٢٨٤ ـ فتانه بنت حسين أميني	«	«
٢٨٥ ـ علي بن أبوالقاسم الكيلي	شاهين شهر	نجار
٢٨٦ ـ نرجس بنت براتعلي آهن آهنچيان	مشهد	
٢٨٧ ـ علي بن قاسم ابراهيمي	لنجان سفلى	مزرعة دجاج
٢٨٨ ـ مصطفى بن السيد ميرزا الموسوي	« «	مزارع
٢٨٩ ـ حاجي قربان بن حسين مجرد نرم	فردوس	
٢٩٠ ـ صفا بن ميرزا علي نعيمي	مشهد	
٢٩١ ـ نصرت بنت حسين أعظمي ـ زوجة شهيد مكة اكبر بن أحمد سلحشور	اصفهان	
٢٩٢ ـ غلامعلي بن نصرالله كاورزيان كيشاي	«	
٢٩٣ ـ حسن بن حسين رحماني مطلق	«	مزارع
٢٩٤ ـ حسن بن محمد علي يونسي كلاكي	بهشهر	
٢٩٥ ـ أم هاني بنت حسن نيک بخت	سارى	
٢٩٦ ـ محمود بن بابا شبسائي ترك	مشهد	مزارع

٢٩٧ ـ زهراء بنت حسين كته	تربت حيدريه	ربة بيت
٢٩٨ ـ رقية بنت غلامرضا كاظم زاده دريّان	مشهد	« «
٢٩٩ ـ ربابة بنت رضا اكبرزاده رضائي ـ والدة الشهيد سعيد افشار احمدآبادى	مشهد	
٣٠٠ ـ حسين بن ..... مجيدي	مازندران	
٣٠١ ـ محترم بنت حسن اخلاقي نوراني ـ والدة الشهيد رسول مؤذن	اصفهان	
٣٠٢ ـ ليلى بنت أسدالله الحسيني ـ والدة الشهيد غلامرضا زماني	طبس	
٣٠٣ ـ ربابة بنت عيسى عبداللهي شب عيسى	رفسنجان	ربة بيت
٣٠٤ ـ عباس بن غلامعلي أميني	بوشهر	
٣٠٥ ـ شهين بنت يدالله كاظمي	اصفهان	ربة بيت
٣٠٦ ـ صغرى بنت محمد پورشعباني	رفسنجان	«
٣٠٧ ـ صفية بنت رضا هاشمي طاهرآبادي	طهران	«
٣٠٨ ـ أحمد بن ..... زائري ايراني	اصفهان	
٣٠٩ ـ حجت الله بن فيض الله شعائي	بابل	
٣١٠ ـ صاحب جان بن علي جمعه أحمدنژاد	كاشمر	
٣١١ ـ صديقة بنت حاجي حسين قصابي خليل آبادي	«	
٣١٢ ـ كنيز بنت حسين ژنگوئي	مشهد	
٣١٣ ـ نرگس بنت أسدالله قادري	طهران	ربة بيت
٣١٤ ـ إحترام بنت عبدالعلى حدّاد	اصفهان	« «
٣١٥ ـ سرور بنت جعفر داور پناه	«	«
٣١٦ ـ عفت بنت فتح الله شفيعي خروشاني	«	
٣١٧ ـ عفت بنت السيد عبدالحسين ميرمحمدّي	«	« «
٣١٨ ـ معصومة بنت قدمعلي	«	« «
٣١٩ ـ محمد صادق بن محمد حسين إبراهيم زاده	مشهد	مزارع
٣٢٠ ـ محمد حسن بن حسينعلي مهتدي	طهران	مديرشركة
٣٢١ ـ مرتضى بن أكبر حمصيان إتفاق	اصفهان	كاسب

٣٢٢ ــ عشرت بنت حسن محمدخاني	«	ربة بيت
٣٢٣ ــ پروين بنت محمد تقي مقاره عابد	«	«
٣٢٤ ــ پرى بنت براتعلي إقبالي فخرآبادي	تربت حيدرية	«
٣٢٥ ــ طلعت فلاحتي	طهران	«
٣٢٦ ــ بتول بنت فتحعلي معترّي	استهبان	«
٣٢٧ ــ رسول بن أكبر أشرف پائين دروز	شيراز	
٣٢٨ ــ عصمت بنت السيد حسين الحسيني	مشهد	ربة بيت
٣٢٩ ــ مجيد بن بابازاده	بابل	فدائي مقطوع الرجل

هؤلاء هم الذّين قتلهم البطش السعودي، وفتكت بهم مخالب الوهابية في مكة المكرّمة... أما الذين اصيبوا بجروح اثر ضرباتهم بالهراوات فكثيرون وفيهم، رجال الدين، والعلماء، والشخصيات الوطنية، وأرباب الحرف والمهن في ايران، وقد دخلوا المستشفيات في الحجاز و إيران، بعد عودتهم من الزيارة، وقد منّ الله تعالى عليهم بالشفاء وأسبغ عليهم الصحة وانصرفوا إلى مسؤولياتهم الفردية والإجتماعية... كما مَنّ على ذوي الشهداء وذراريهم الصبر والأجر والثواب (ألذّين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله و إنّا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون).

في رحاب المجزرة..؟

بعد أن وقعت الواقعة الدنيئة، وكذلك قبل حدوثها هناك ، للمشاهدين ذكريات وخواطرحية عالية، تدلّ على العناية الالهية، والرعاية المعنويّة التي كانت تشمل الحجاج، منذ توجههم إلى الحرمين الشريفين، وحتى آخر أنفاسهم التي لفظوها. كما لم تتقاعس عوائل الشهداء، ولم تثنهم الحوادث عن الصبر والشكيمة، والمثابرة مع مشاهدتهم للظروف العصيبة التي انتابتهم، وأردت أزواجهم، وأمهاتهم، وأخوانهم، وأخواتهم على وجه الأرض المقدسة مكة... مضرجين بدماءهم وكلهم بين قتيل وجريح. وأودهنا تسجيل، وذكر نتف من تلكم البطولات الرائعة التي تجلت على أرض المجزرة... والقضايا الدالة على الجانب الروحي، والشخصية المعنويّة التي كانت عليها تلكم الشهداء الأبرياء المؤمنة المطمئنة الراضية المرضية التي دخلت في عبادالله... وتقدموا إلى الجنة.

١ ــ مع إنتهاء المجزرة أخذت تتقاطر الجماهير إلى المنطقة تتحسس عن شهداءها،

وتستفسر عن أبناءها، ففي حينها شوهدت أن امرأة إنقضت كالصقر على جثة زوجها الصريع الشهيد برصاص الغدر والخيانة، ووقفت على رأسه، وأمعنت الدقة فيه، ثم أرسلت بصرختها العربية المدوية التي تجاوبت لها الجبال والأجواء، بعد أن رفعت يديها إلى السماء وصاحت: أللهم تقبل منا هذا القربان... أللهم تقبل منا هذا القربان... أللهم تقبل منا هذا القربان...

٢ ـ كانت من جملة المؤمنات المستشهدات في الواقعة، والدة الاستاذ النبيل السيد هادي رستگار مقدم... من بلد الإمام الرضا عليه السلام ـ مشهد ـ فبعد أن انبأت باستشهادها وقد أعلمني به فضيلة الحجة الثبت آية الله الحاج السيد محمد عزالدين الحسيني الموسوى الزنجاني بارك الله في عمره... تقدمت إليه برسالة تعزية بوالدته، فأجابني بكتاب جاء فيه: (أحمدالله سبحانه الذي وفقنا وجعلنا من عوائل الشهداء... والذي يهوّن الفاجعة والخطب أن المغفورة لها الوالدة تشرّفت لأداء مناسك الحج، علماً منها بما سيحدث لها من الشهادة، فقد رأت قبيل السفر في المنام أنها وردت مكة وأنها تطوف حول الكعبة في السماء، والجماهير تطوف بها في الأرض. فقصت منامها على بعض العلماء فاخبرت من أنها ستموت في سفرها هذا، وحصل بالفعل ما أراده الله تعالى.

إنّ الشهادة لا تهمنا، و إن قتلونا جميعاً إذا كان ني سبيل إنتصار الإسلام، وخيره، وأسأل الله أن يبيد المشركين والكافرين على يد المسلمين وينصرنا على أعدائه).

٣ ـ حدّثتني مؤمنة كانت قد جرحت في سفرها، فقالت: كنت داخل المنطقة فا صابتني ضربات هراوات البوليس الفتاكة فسقطت مغشية على الأرض مضرجة بالدماء، أستنجد واستغيث بالإمام المنتظر عليه السلام، وبعد لحظات لم أشعر إلّا برجل قوّي رفعني من الأرض وطرحني على كتفه، وأسرع بي إلى حيث لا أدري، غير أني سمعته قال عندما رفعني: يا فاطمة الزهراء... فأيقنت أنه من الموالين للعترة الطاهرة عليهم السلام، ثم فقدت مشاعري وبعد ساعات عادت إلىّ مشاعري وانتبهت وفتحت عيوني، فأبصرت نفسي على سرير في غرفة صغيرة خالية من كل أحد، فرحت أنظر إلى جدران وحيطان الغرفة فشاهدت لوحات منصوبة بالحائط كتبت عليها: الله... محمد... علي.... فاطمة... حسن... وحسين عليهم صلوات الله ورحمته وبركاته. فأيقنت أن صاحب البيت وعائلته، من الشيعة فخنقتني العبرة، وأجهشت بالبكاء فدخلت عليّ ربة البيت وسلمت، وحيتني، وناولتني الحليب والغذاء، وقالت لي: لا بأس عليك إنّنا من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام، و إنّ زوجي هو الذّي أنقذكِ من المجزرة وأتى بكِ هنا، وأخذت تتحدّث معي بلطف وحنان، وتهوّن عليّ الشدائد،

وتطمنني بالسلامة، والصحة والعودة إلى أهلي إن شاء الله.

وبعد دقائق دخل زوجها الدار فأسرعت ربّة البيت، اليه، وأخبرته عن صحتي، فدخل عليّ الرجل فسلم ورحّب بي، وقال لي: هذا البيت يعود لكم، وإنّنا شيعة، وحين رأيتك طريحة على الأرض اقتطفتك، وأتيت بكِ هنا للتداوي والإستجمام، فلا تخافي ولا تحزني ولا تخرجي من الغرفة إلّا للضرورة، لئلايشاهدك واحد من الجيران، وحين تعود قوافل الحجاج من منى إلى مكة سأوصلك إلى أهلك فشكرته له صنيعه الإنساني، وإنسانيته العالية، وانصرف إلى عمله وكانت عائلته تدخل عليّ وتخدمني برحابة صدر، وابتسامة وبعد أيام قفلت الحجاج إلى مكة فأخذ الرجل مني عنوان ورقم القافلة التي كنت بها، وراح يفتش عنها ولم تمض ساعات حتى عاد وأخبرني بوصول القافلة، وأنه التقى بزوجي وحدّثه عن الواقعة، واطمأن عليها. ثم قال لي صاحب البيت سأوصلك إليه عندما تنام العيون، وبالفعل ففي منتصف الليل خرجت بمرافقة زوجته، وبناته في سيارته الخاصة، وأوصلوني إلى القافلة وودّعوني وانصرفوا.

هذه هى الإنسانية بقيمها التي تجلت في هذه البطولية المثالية التي أعادت للمرأة حياتها وسلامتها. فحياه الله وبيّاه، ومازالت الملائكة والسماوات والأرض تشكر الرجل ذلك صنيعه. ويدعوله بالحياة والعمر المديد، كل من يقف على فعله، ويقرأ قصته مادام الكتاب هذا يتداول بين القراء الأكارم.

٤ ــ أخبرني واحد من الحاج، فقال: عندما انهالت علينا الرشاشات والبنادق، وحملت الشرطة بالهراوات تفرقنا وتوجهنا نحو الجبال، وآوينا إلى الكهوف والغارات، وحيت تسلقنا الجبال، استقبلنا رجل بالزّي العربي، فسلم علينا وسارنا إلى مستقرّه ومجتمع عائلته الواقع خلف الجبال، وأدخلنا خيمته وأجلسنا، وجاء إلينا بالماء، والطعام، والقهوة، وأخذ يتحدّث إلينا بمحبة واخوّة، وأمضينا عنده ساعات أدينا فيها الصلاة والدعاء، وبعد إنقضاء ساعات من الليل، سارنا بنفسه وأوصلنا الشارع المؤدى إلى بيوتنا فوصلناها سالمين، ولله على أنعمائه شاكرين.

ليقرأها الجلاوزة عملاء الصهاينة... ليتيقنوٓا أن الله تعالى لهم بالمرصاد... وأن الشعب الحجازي المسلم يلفظهم، وينبذهم ويمجهم، لبغيهم، وظلمهم، ونهبهم، كل ما عند الشعب وماله وكرامته وشرفه وناموسه، ومالديه من قوت... نفس الطريقة التي أتبعها ويتبعها الصهاينة... ونفس السيرة التي أتبعها أجدادهم المناكير بالإشتراك مع الأفاق محمد بن عبدالوهاب الذّي زعم أنه جاء بالدين هادياً، وقاتل الشعب في نجد، والحجاز ليعيده بعد

كفره كما يزعم إلى (الإسلام والإيمان بالله، حيث كان الشعب يعبد الجبال والأشجار والمقابر والأضرحة قبل خروج رسول الله؟ محمد الوهابي) كما يزعم كذباً وزوراً. فكانوا يتهمون أبناء الشعب في الحجاز بعبادة (منيف) وغير ذلك من آلهة التي أباحوا بموجبها دماء شعب، لا عرب الجزيرة وحدهم بل كل العرب... ومن ذلك أيضا تهمتهم للنساء العوانس بأنهن يذهبن إلى (فحل النخل) ويدعونه بقولهن: (يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحول) وهكذا يتخذ آل سعود من الكذب، وسيلة لتقتيل المؤمنين المسلمين، باسم الدين، وهم أفجر الفاجرين، وأكفر الكافرين بروح الدين. ولهذا فعلوا ما فعلوه من جرائم في المسلمين، وشعب الجزيرة. وارتكبوا ما ارتكبوه من موبقات وخساسات وفجور في البلدان وغيرها... وأخيرا ما اقترفوه في مكة لا يختلف أبدا في كافة النواحى، عما فعله أبناء عمومتهم اليهود في فلسطين بل أخزى وأشد تنكيلا.

خاتمة المطاف..؟

في هذه الصفحات عرض موجز لتاريخ مكة... والأحداث والظروف التي إنتابتها، واجتازت الأراضي المقدسة، بعد أن وضعت حولها مؤلفات ضخمة، وتآليف فخمة، تناولت كافة نواحيها تقريباً، غير إنّي أردفتها بجمع وذكر حوادث وأحوال عصيبة وقاسية طرأت عليها في السنين الأخيرة، فكانت الصفحات تلك حلقات متممة، ومتصلة بتاريخها العريق، ومجدها الأثيل، وأخيرا تناولت فيها تبيان الإنتفاضات، والوثبات الدينية، والتحرريّة، والشعبية الهادفة لتحرير الحرمين الشريفين... والجزيرة العربية الأسلامية، من رواسب الأفكار الدخلية، والنفوذ الأجنبي الإستعماري، الحاكم فيها منذ قرنين ونصف. المتحكم بالإستبداد، والإستعباد، والتطاول والبغي، بصورة سافرة، بعد أن وجدنا على عهده الأسود، قتلت وشرّدت واعتقلت جموع غفيرة من شعبنا الصامد، ومواطنينا الآمنين، وتفرقوا في البلاد، وتشتتوا في اخواضر للتخلص من كابوس حكامها الطغاة أذناب الشيطان، وفلول العمالة والرذالة. بالإضافة إلى الجماهير الوافرة المتطوعة للاستشهاد، وبذل نفوسهم الزكية، ودماءهم الطاهرة، للتحرّر من أسر الذلة والعار، والتخلف والفقر والجهل... رغم وقوف الحكّام بوجوههم، وشد الخناق عليهم، وقتلهم و إيداعهم إلى قعر السجون والتعذيب والمعتقلات.

إنّ ماجاء في الكتاب أيها القارئ الكريم... بعض النماذج الإجرامية التي عملتها السعوديّة الوهابية، ومازالت تسير عليها لإذلال الشعب الحجازي الأصيل... والمسلمون بصورة عامة... الشعب الذّي فقد أصله و إصالته بيد شرذمة من الجزاريّن الذين شرّفوا أسماءهم

المنكرة (بخدام الحرمين الشريفين) وما سعوا بهذا الإسم الوصمة والخسة إلّا بعد تمريرهم بالآف المجازر، وإزهاق الآف الأرواح، والتمثيل بالآف الأطفال والنساء.

وأخيرا لا آخرا... فالذي ينبغي التصريح به أنّ المسلمين اليوم على اختلاف لغاتهم وتباين جنسياتهم، أمام رسالة وواجب وطني واسلامي، يدعوهم ويستصرخهم باسم القرآن... وباسم آلاف الشهداء... وباسم الأرض المقدسّة... وباسم العترة الطاهرة من البيت النبويّ الكريم (ص) للتكتل والتضامن والتكاتف والنهوض بإرادة واحدة متآخية، وبقيادة موحّدة متآزرة، للتحرك السريع، ووضع حلّ حاسم، وحدّ فاصل لهاتيك المشاكل التي تهدّد الإسلام بالتشويه، وتنذر المسلمين بالويل والثبور، والأراضي المقدسة بالأغتصاب والعدوان... وليعلم الجميع أن الواجب هذا يفرض على المسلمين في كل نقطة من العالم المقاومة والنضال، ومن يتخلف عنه يعتبر من وجهة نظر التشريع الإسلامي، والوجدان والضمير الانساني آثماً، أمام امته ووطنه وكرامته في الدنيا... وأمام ربه ونبيه (ص) والصحابة والتابعين لهم بإحسان في الآخرة.

إنّ المسؤولية هذه تحتل الصدارة والأولوية في كل نشاط وتحرّك، يقوم به المسلمون على الصعيد الوطني، والصعيد الإسلامي... مع علمهم ويقينهم إلى أدراك مخاطر هذه المشكلة، وأهدافها التوسعية والعدوانية على حاضرهم ومستقبلهم... فالتحرّك السريع، والكفاح المقدام المثمر الناجع، هو الكفيل والضامن بالخلاص من هذا الخطر وما النصر إلّا من عندالله إنّ الله عزيز حكيم.

إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون. نزلاً من غفور رحيم.

الهامش:

(١) سورة المائة/٣٢.

(٢) سورة الأنعام/١٢٢.

(٣) سورة النساء/٩٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) التفسير الكبير للفخر الرزاي ٢٢٧/١٠.

(٦) سورة القصص/١٩.

(٧) سورة طه/٤٠.

(٨) صحيح مسلم ١٢٩٤/٣.

(٩) سورة البقرة/١٩٤.

(١٠) سورة البقرة/١٧٩.

(١١) تفسير الفخر الرازي الكبير ٢٣٠/١٠.

(١٢) دائرة معارف فريد ٦٣٤/٧.

(١٣) سورة الأنعام/١٥١. سورة إسرائيل/٣٣.

(١٤) صحيح مسلم ١٣٠٢/٣. الجامع الصحيح ١٩/٤.

(١٥) سورة المائدة/٣٣.

(١٦) سورة الحج/٧٨.

(١٧) صحيح مسلم ١٩٩٤/٤ ـ ٢٠٠٣. النهاية لأبن الأثير ١٥٨/١.

(١٨) سورة الذاريات/١٨.

(١٩) سورة النساء/٣٦. الجامع لأحكام القرآن ١٨٠/٥.

(٢٠) تفسير الفخر الرازي الكبير ٢٣٣/١٣ و ج ١٩٩/٢٠ ـ ٢٠١. مجمع البيان ٣٨٣/٤.

(٢١) سورة التوبة/٦٩.

(٢٢) تاريخ آل سعود/٥٩.

(٢٣) اسدالغابة ٥٩/١.

(٢٤) بطل فخ/١٣٩.

(٢٥) تحفة المحبين/٤٧٩.

(٢٦) سورة النحل/١٠٥ و ١٠٨ و ١٠٩.

(٢٧) مرآة الحرمين ٤٤٠/١.

(٢٨) سورة العنكبوت/١٣.

(٢٩) سورة البقرة/٢٣٢.

(٣٠) الجامع الصغير ٢/٢٨٩.

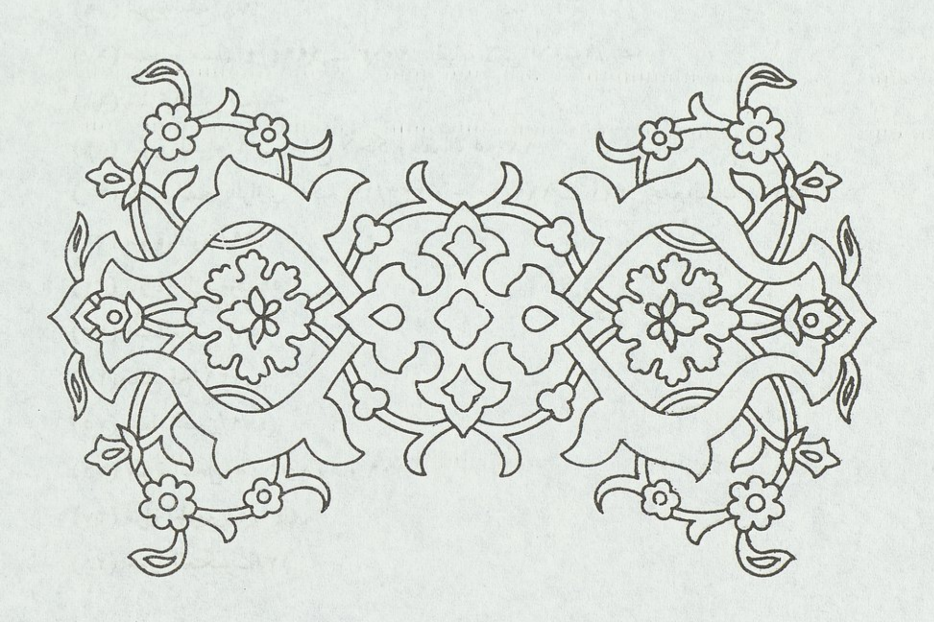
(٣١) سورة الأنبياء/٩٢.

(٣٢) سورة الفرقان/٦٣.

(٣٣) مجمع البيان ٧/١٧٨.

(٣٤) سورة المؤمنون/١٢ و ١٤.

(٣٥) سورة إبراهيم/٤٢ — ٤٣.

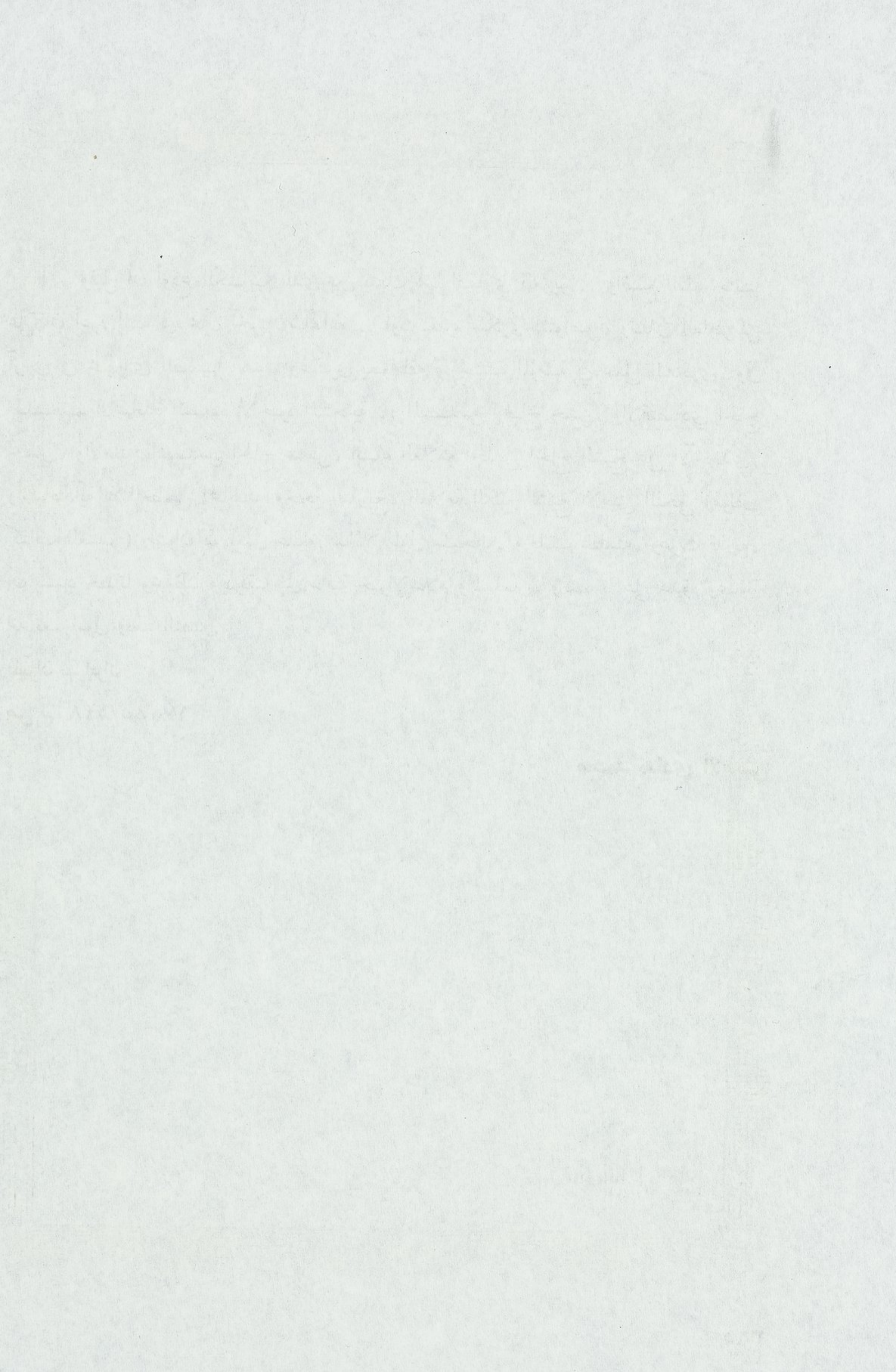


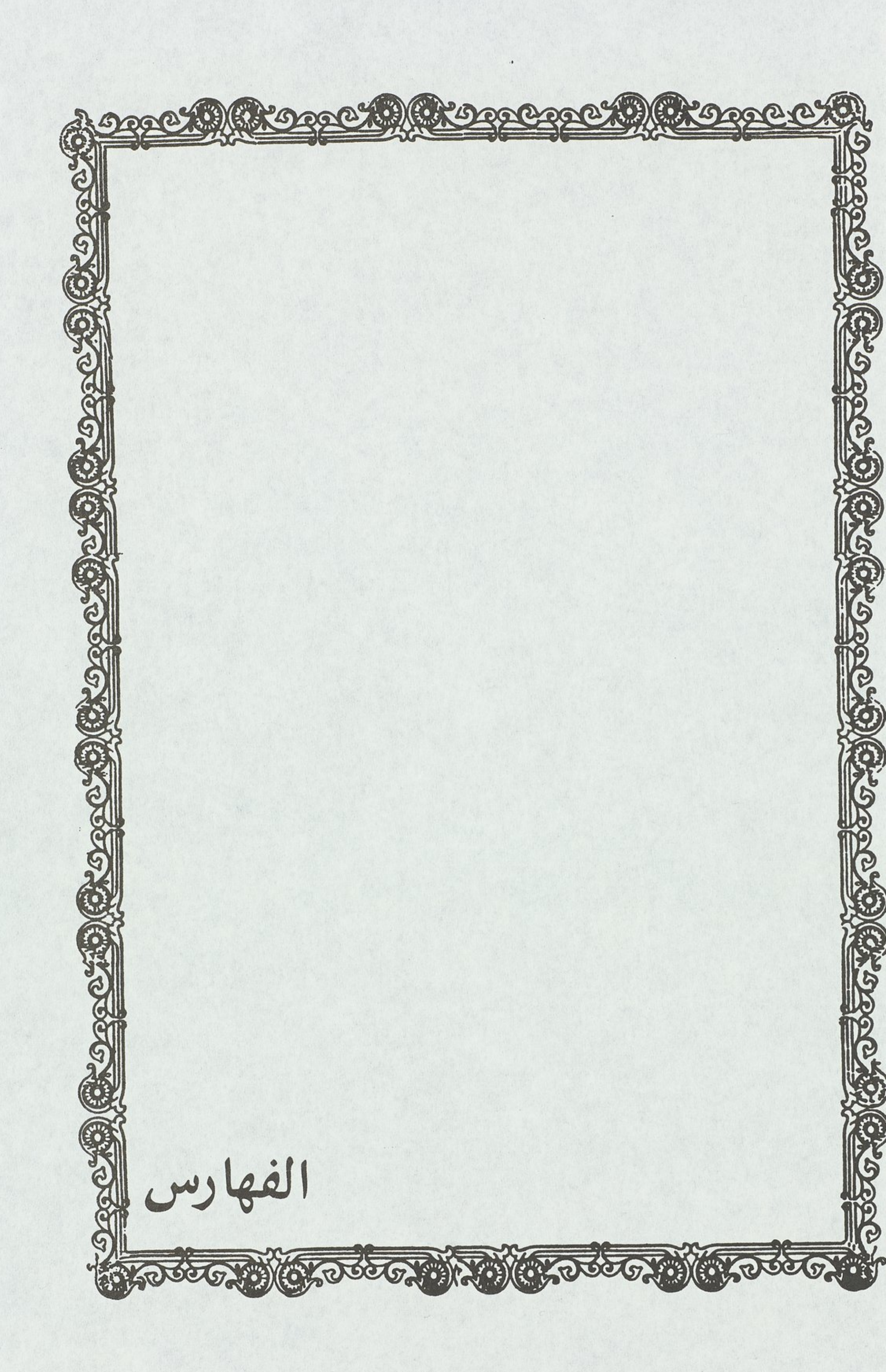
وقبل أن أودّع الكتاب الذّي بين يديك أيها القارئ العزيز... وأضع القلم جانباً على أن أعود إليه في مجال آخر إن شاء الله... أوّد تقديم شكري المتواصل، وثنائي العاطر لمن آزرني في مجهودي الضئيل هذا، وغمرني بعواطفه وأريحيته المؤمنة في عملي الفكري، وفي طليعتهم الأساتذة السادة الأخوة المتحابة... المهندس الحاج حسن. والإقتصادي الحاج حسين. والاستاذ المهندس الحاج عباس، أبناء العلامة الجليل الحاج الشيخ علي الآخوندي. وأسباط آية الله العظمى المجاهد وحجة التاريخ، العلامة الكبير الشيخ الأميني النجفي (مؤلف كتاب الغدير) رضوان الله تعالى عليه. سائلا المولى سبحانه، وجلت عظمته، وعزّت قدرته، أن يسدد خطانا ويحفظنا ويوفّقنا إلى مافيه خير الإسلام والمسلمين، وينصرنا على عدوّه وعدوّنا إنّه نعم المولى ونعم النصير.

طهران ــ ايران

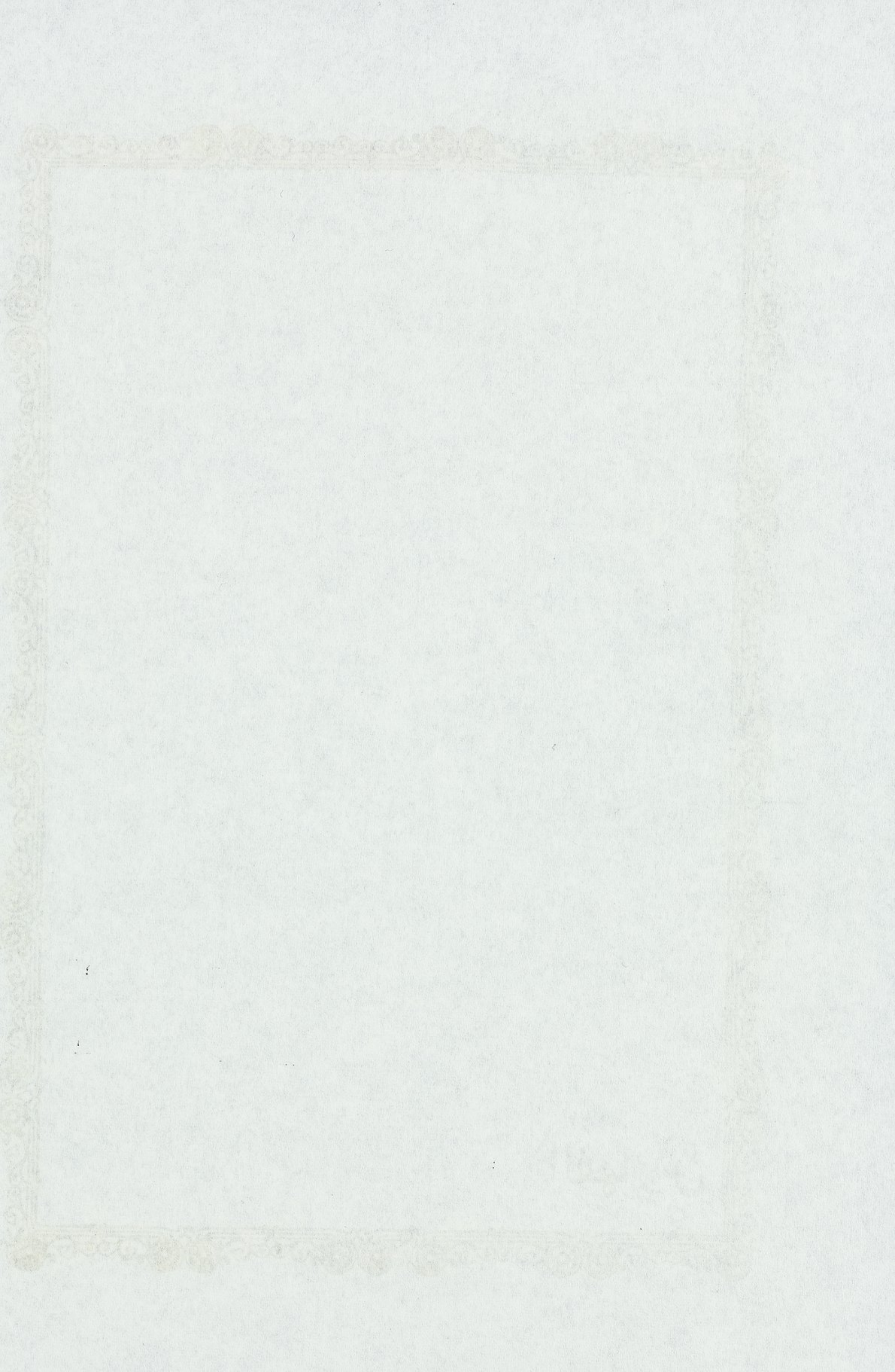
ص ب ١٧١٨٥/٥٤٨

محمد هادي الاميني





الفهارس



١ ــ مصادرالبحث...

الكتاب	المؤلف
الأخبار الطوال	أحمد بن داود الدينوري المتوفى ٢٨٢ هـ
أخبار مكة المشرّفة	محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي المتوفى ٢٤٤ هـ
إرشاد الساري	أحمد بن محمد شهاب الدين القسطلاني المتوفى ٩٢٣ هـ
الإستيعاب في معرفة الأصحاب	يوسف بن عبدالله بن عبدالبر الاندلسي مات ٤٦٣
اسد الغابة	علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري المتوفى ٦٣٠
الإصابة في معرفة الصحابة	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني مات ٨٥٢
أصحاب ورواة أمير المؤمنين (ع)	محمد هادي الأميني (خ)
الأعلام	خيرالدين بن محمد الزركلي المتوفى ١٣٩٥
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام	محمد بن أحمد بن محمد النهرواني مات ٩٩٠
أعلام النساء	عمر رضا كحالة
أعيان الشيعة	السيد محسن بن عبدالكريم الأمين العاملي مات ١٣٧١
إنتفاضة الحرم	منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية
إيضاح المكنون	إسماعيل باشا بن محمد أمين البابانى المتوفى ١٣٣٩
البداية والنهاية	إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي مات ٧٧٤
بطل فخ	محمد هادى الأميني النجفي
تاريخ آل سعود	ناصرالسعيد
تاريخ الامم والملوك	محمد بن جرير بن يزيد الطبري المتوفى ٣١٠
تاريخ بغداد	أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب مات ٤٤٨

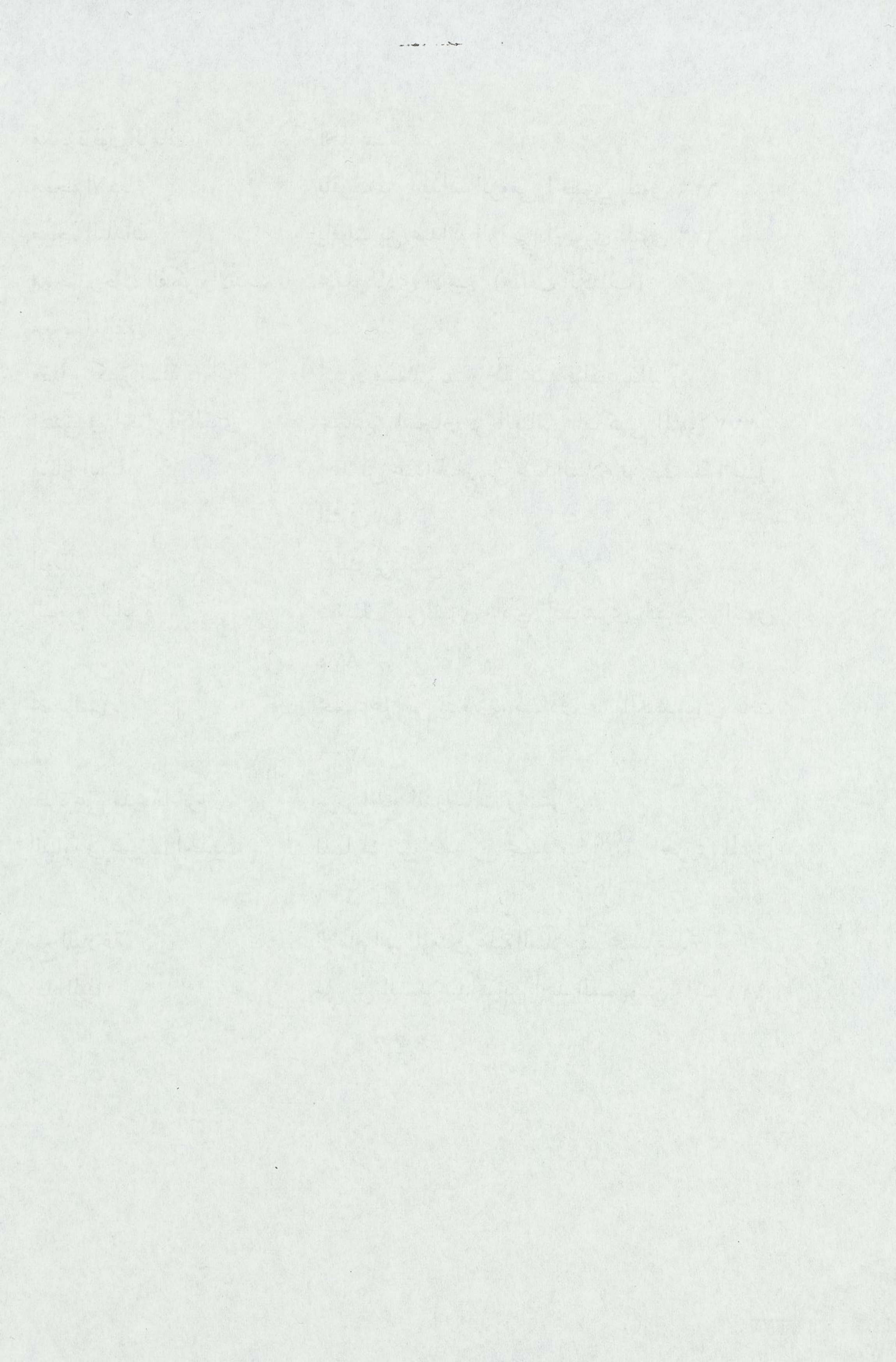
تاريخ الخميس	حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري المتوفى ٩٨٢
تطهير الإعتقاد عن الإلحاد	محمد بن إسماعيل الصنعاني مات ١١٨٢
تفسير الدرّالمنثور	عبدالرحمان بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١٠
تفسير السراج المنير	محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي مات ٩٧٧
التفسير الكبير	محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي المتوفى ٦٠٦
تفسير الكشاف	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري مات ٥٣٨
تفسير الميزان	محمد حسين بن السيد محمد الطباطبائي المتوفى ١٤٠٢
تفسير القرآن	إسماعيل بن عمر بن كثير مؤلف البداية والنهاية
تفسير القرآن	محمد بن محمد بن مصطفى أبوالسعود المتوفى ٩٨٢
تفسير القرآن	محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السمرقندي...
تنقيح المقال	عبدالله بن الشيخ حسن المامقاني المتوفى ١٣٥١
التوحيد حق على العبيد	محمد بن عبدالوهاب النجدي مات ١٢٠٦
الجامع لأحكام القرآن	محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري المتوفى ٦٧١
الجامع الصحيح	محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مات ٢٧٩
الجامع الصغير	عبدالرحمان السيوطي، صاحب الدرّالمنثور
الجامع اللطيف في فضايل مكة	محمد بن أمين بن ظهيرة المتوفى بعد ٩٦٠
الجرح والتعديل	محمد بن إدريس بن المنذر أبوحاتم الرازي مات ٢٧٧
جمهرة أنساب العرب	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي مات ٤٥٦
خلاصة الأثر	محمد أمين بن فضل الله المحبي المتوفى ١١١١
خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام	أحمد بن زيني دحلان المكي مات ١٣٠٤
دائرة المعارف	محمد فريد بن مصطفى وجدي المتوفى ١٣٧٣
دارالسلام	حسين بن الشيخ محمد تقي النوري مات ١٣٢٠

الدرجات الرفيعة	صدرالدين علي بن أحمد المدني المتوفى ١١٢١ هـ
الدررالكامنة	أحمد بن علي بن حجرالعسقلاني مات ٨٥٢
الذريعة إلى تصانيف الشيعة	محمد محسن بن علي بن محمدرضا المتوفى ١٣٨٩
الرحلة	محمد بن محمد بن عبدالله بن بطوطة مات ٧٧٩
رسائل الهدية السنية	جماعة من رجال الوهابية
سلافة العصر	صدرالدين المدني الشيرازي
السنن	محمد بن يزيد بن ماجة القزويني المتوفى ٢٧٣
السنن	سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني مات ٢٧٥
السيرة النبويّة	عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى ٢١٨
شاعرات العرب	عبدالبديع صقر
شذرات الذهب	عبدالحي بن أحمد بن محمد بن العماد مات ١٠٨٩
شرح نهج البلاغة	عبدالحميد بن محمد بن محمد بن أبي الحديد مات ٦٥٥
شرح نهج البلاغة	ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفى ٦٧٩
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام	محمد بن أحمد بن علي الفاسي المالكي مات ٨٣٢
شهداء الفضيلة	عبدالحسين بن الشيخ أحمد الأميني المتوفى ١٣٩٠
الصحيح	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري مات ٢٥٦
الصحيح	مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري المتوفى ٢٦١
الطبقات الشافعية	عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي المتوفى ٧٧١
عجائب الآثار في التراجم	عبدالرحمان بن حسن بن إبراهيم الجبرتي مات ١٢٤٠/١٢٣٧
عمدة الطالب فى الانساب	أحمد بن علي بن عنبة الحسني المتوفى ٨٢٨

الغدير	عبدالحسين بن الشيخ أحمد الأميني مات ١٣٩٠
فاطمة الزهراء (ع)	عبدالرزاق بن السيد محمد بن عباس المقرّم المتوفى ١٣٩١
القاموس المحيط	محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي مات ٨١٧
القانون الأساسي	الجمهورية الإسلامية الإيرانية
قيام كعبة	شاكر كسرائى
الكافي	محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفى ٣٢٨
الكامل في التاريخ	علي بن أبي الكرم بن الأثير الجزري مات ٦٢٨
كشف الإرتياب	محسن بن السيد عبدالكريم الأمين مؤلف أعيان الشيعة
كشف الظنون	مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة المتوفى ١٠٦٨
المجالس السنية	محسن الأمين العاملي، صاحب كشف الإرتياب
مجمع البحرين	فخرالدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي مات ١٠٨٧
مجمع البيان	الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المتوفى ٥٤٨
المختصر في أخبار البشر	إسماعيل بن علي بن محمود أبوالفداء الحموي مات ٧٣٢
مخطوطات البغدادي	محمد هادي بن الشيخ عبدالحسين الأميني
مرآة الجنان	عبدالله بن أسعد اليماني اليافعي المتوفى ٧٦٨
مرآة الحرمين	إبراهيم رفعت پاشا مات ١٣٥٤
مروج الذهب	علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى ٣٣٣
مستدرك الوسائل	حسين بن المولى محمد تقي النوري، مؤلف دارالسلام
معارف الرجال	محمد بن الشيخ علي بن عبدالله حرزالدين مات ١٣٦٥

معجزة فوق الرمال	أحمد عسه
معجم الأدباء	ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي المتوفى ٦٢٦
معجم البلدان	ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي المتوفى ٦٢٦
معجم رجال الفكر والأدب	محمد هادي الأميني (مؤلف الكتاب)
معجم المؤلفين	عمر رضا كحالة
مفتاح كنوزالسنة	ا.ى. فنسنك ــ ترجمة محمد فؤاد عبدالباقي
المنتقى في أخبار ام القرى	محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المتوفى ٢٧٢
منهاج السنة	أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحنبلي المتوفى ٧٢٨
الموطأ	مالك بن أنس
النجوم الزاهرة	يوسف بن تغرى بردي الظاهرى القاهري المتوفى ٨٧٤
نجوم السماء	محمد علي بن العلامة صادق علي الكشميري مات ١٣٠٩
نظرة على مذبحة الحرم	مركز الحج للدراسات والنشر
النهاية في غريب الحديث	المبارك بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري المتوفى ٦٠٦
نهج البلاغة	الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ــ محمد عبدة
وفاء الوفا	علي بن السيد عبدالله بن أحمد السمهودي مات ٩١١

* * *



٢ ـ مواضيع الكتاب...



